

الرسائلُ المنتظرةُ



عنوان الكتاب :	الرسائل المنتظرة
المؤلف :	تامر محمد سمير محمد بدر
الموضوع :	علامات الساعة
عدد الصفحات :	400 صفحة
المقاس :	24 × 17
الطبعة :	الأولى 1441 هـ - 2019 م
رقم الإيداع :	2019/23605
ترقيم دولي :	978-977-85605-0-3

يُراعى الترتيب في قراءة هذا الكتاب؛ حيث إنَّ كلَّ فصلٍ من هذا الكتاب يعتمد على الفصل الذي سبقه.

جميع الحقوق محفوظة :

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه
بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا
بإذن خطي من المؤلف



إهداء



أهدي هذا الكتاب إلى جدي من جهة
والدتي الشيخ الأزهرّي والعالم الجليل
الشيخ عبد المتعال عبد الوهاب الصعيدي
الذي كانت له معاركٌ عديدةٌ نتيجة آرائه
واجتهاداته، وتم عقابه من أجل ذلك أكثر
من مرةٍ من قبل الأزهر الشريف.

وقد بلغ عددُ الكتب التي ألّفها جدي الشيخُ عبدُ المتعال عبد الوهاب
الصعيدي: تسعةً وأربعون كتابًا مطبوعًا، وعشرون كتابًا مخطوطًا،
وعدد أربعةٍ وعشرين مقالًا بجريدة «السياسة» الأسبوعية، وعدد
ثمانيةٍ وثلاثين مقالًا بجريدة «البلاغ» الأسبوعية، وقد أهدى عددًا من
مؤلفاته للأزهر الشريف، مثل: «تاريخ الإصلاح في الأزهر، وحكماء
اليونان السبعة، وقضايا المرأة، والفن القصصي في القرآن».. ومن
أشهر مؤلفاته: «المجددون في الإسلام، والقضايا الكبرى في الإسلام،
ولماذا أنا مسلم والسياسة الإسلامية في عهد النبوة»، وكتابه الأهم
والأخطر: «الحرية الدينية في الإسلام، وحرية الفكر في الإسلام».

لقد كانت لي كتبٌ واجتهاداتُ هذا الشيخ الجليل المرحوم الشيخ عبد
المتعال الصعيدي أكبر الأثر في أن أفكر جدياً في الإقدام على تأليف
هذا الكتاب، ولذلك فأنا أهديه هذا الكتاب سائلاً المولى بأسمائه
الحسنى وصفاته العُلا أن يكون هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم.

الرسائلُ المنتظرةُ

تأليف

تامر بدر

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

والحمد لله مُعَزِّزٌ مِنْ أَطَاعِهِ وَاتَّقَاهُ، وَمُذِلٌّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَعَصَاهُ، قَاهِرُ الْجَبَابِرَةِ وَكَاسِرِ الْأَكَاسِرَةِ، لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَاهُ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَاهُ، يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ وَيَغْضِبُ لَغَضْبِهِ وَيَرْضَى لِرِضَاهُ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ حَمْدًا وَشُكْرًا يَمْلَأُنْ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَيْرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَمُصْطَفَاهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَلِكُلِّ مَنْ نَصَرَهُ وَوَالَاهُ.

وبعد... ورسوله.

فَإِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كِهَاتَيْنِ. وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى» [رواه البخاري ومسلم]، وقد أشار النبي ﷺ بالسَّبَابَةِ والوسطى لقربهما من بعضهما، فهذا نذيرٌ لنا من النذر العظيمة، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [محمد]، فتكمن هنا أهمية الحديث عن الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها، وعن أدلتها وفقهها، في كونها متعلقة بالإيمان باليوم الآخر، الذي يعدُّ ركنًا أساسيًا من أركان الإيمان، فالمسلمون في كلِّ عصرٍ يشاهدون وقوع أحداثٍ مطابقة لما أخبرت به النصوص الصادقة عن أشراط الساعة، فقد أخبر عن هذه الاشارات النبي ﷺ وهي من دلائل صدقه ومعجزاته؛ ومنها بعثته، وموته، وفتح بيت المقدس، وكثرة التجارة، واستفاضة المال، واتباع هذه الأمة لسنن الأمم الأخرى، وتشبههم بهم، وظهور مدعي النبوة، وقتال الترك والعجم، وضياح الأمانة، وقبض العلم، وظهور الجهل، وكثرة الشرط، وانتشار الزنا والربا، وظهور المعازف، وكثرة شرب الخمر وتسميتها بغير أسمها، وزخرفة المساجد والتباهي بها، والتطاول في البنين، وتقارب الزمان، وذهاب البركة من الوقت، وتقارب الأسواق، وكثرة الأسواق، وظهور الشرك في هذه الأمة، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وكثرة الزلازل، وصدق رؤيا المؤمن، وظهور الكاسيات العاريات، وانتشار الكتابة،

وانتفاخ الأهلة، وكثرة الكذب، وكثرة شهادة الزور، وكنتم الحق، وكثرة موت الفجأة، وسيكون هناك المزيد من أشراط الساعة كالملاحم الكبرى بين المسلمين والروم، وفتح (القسطنطينية) غير الفتح الذي حصل، فإن هنالك فتحاً في آخر الزمان سيكون بالتكبير، وخروج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه، وقتال اليهود، واستحلال البيت، وهدم الكعبة، وخراب المدينة ونزول الخلافة الأرض المقدسة وبلاد الشام.

إن وقوع بعض أشراط الساعة الصغرى في الدنيا على النحو الذي جاءت به النصوص دليل واضح وبيّن على صدق نصوص وآيات عديدة تتحدث عن أشراط الساعة، وقد دلّ الرسول ﷺ أصحابه على المنهج الأمثل الذي ينبغي أن يسلكوه في الوقائع التي وقعت في عصره، وفي إخباره ﷺ بأشراط الساعة المقبلة توجيةً للذين جاؤوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يُخفى عليهم وجه الحق فيها، ومن هذا نهى الرسول ﷺ المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات في آخر الزمان، وإخباره عن حقيقة الدجال، وبيان ما يأتي به من الشبهات، ووصف (المهدي) على نحو مفصل حتى نعرفه عند ظهوره، وغير ذلك من الأحداث التي يُوجه فيها الرسول ﷺ أمته بالتصرف الأمثل حيالها. وقد نصحننا أيضاً النبي ﷺ وقال: «بادروا بالأعمال ستاً»، أي: قوموا بالأعمال قبل أن تظهر ست خصال، وعند ذلك قد لا ينفع العمل، «طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة» [رواه مسلم: 2947].

إنّ التطلّع إلى ما يحدث في المستقبل أمرٌ فطريٌّ، فالإنسان يجد في نفسه رغبةً شديدةً إلى معرفة الوقائع والأحداث التي ستحدث للجنس البشري في المستقبل، أو ستحدث للأمة التي هو منها، أو قد تحدث له.

ولا شكّ وأنت تقرّأ في هذا الكتاب عن علامات الساعة يدور في ذهنك كونك مسلماً هل يجوز أن نتطلع أو نتنبأ وقت حدوث تلك العلامات ..؟ والجواب على ذلك هو أن الله ﷻ حجب عنا أموراً بعينها كالساعة مثلاً والأجل وعلامات أخرى، وحجب عنا ذلك رحمة بنا أولاً واختباراً لنا ثانياً، فالرحمة تكمن في إخفاء الكثير من الأمور التي لو اطلعنا عليها لصار عيشنا نكدًا وأيامنا همومًا، واختباراً لنا ..! لأننا لو اطلعنا على ما سيصير وشاهدنا ذلك عياناً لرفع عنا التكليف ولم نعد في عالم الاختبار والابتلاء.

وقد وقف الإسلام من قضية العلم بالغيب موقفاً حاسماً واضحاً، فبيّن أنّ لا أحداً في

السموات ولا في الأرض يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل]. فقد نفى الله ﷻ عِلْمَ الغيب عن أقرب الخلق إليه، وأطوعهم له، وهم الملائكة والأنبياء، فقال للملائكة وقد تساءلوا: كيف يستخلف في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء؟.. ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، وتبرأ الأنبياء أنفسهم من ادعاء علم الغيب، فنوح ﷺ كان يقول لقومه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: 50]، وحتى الجن الذين يعتقد الكثير فيهم معرفة الغيب، بين الله ﷻ أنهم لا يملكون هذه القدرة، وذكر كيف أنهم ظلُّوا مسخرين في الأعمال الشاقة التي استعملهم لها سيدنا سليمان ﷺ حتى بعد وفاته، ولم يعلموا بموته إلا بعد سقوطه حين أكلت الأرض عَصَاهُ التي يتكئ عليها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ].

إذاً فعلم الغيب هو من اختصاص الله ﷻ، ولا طريق لمعرفته والاطلاع عليه إلا عن طريقه الله ﷻ، قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن]. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن].

ولكن مع ذلك فقد أمرنا الله ﷻ أن نسير في الأرض لنعلم أحوال الغابرين ومصائرهم بسبب عصيانهم وجحودهم للاتعاظ والتفكر، ومن هذا الباب يحق لنا أن نتذكر ما سيكون لنعدِّ العدة ونتأهب لتلك الأيام.

وإذا كان الفلكيون اليوم قد أعطاهم الله من القدرات والإمكانات ما يستطيعون بها أن يحددوا أنواع الزلازل ومواعيدها والأعاصير وأوقاتها، والبراكين وأيام حدوثها، وأعداد الخسوف والكسوف وتحديد ساعاتها، ولم يقل أحدٌ من العقلاء أن هذا من علم الغيب ولا هو من التنجيم، بل أمرنا الله ﷻ أن نستخدم ما سخره لنا من كواكب وأفلاك والشمس والقمر لحساب ومعرفة مواقيت الحج والصوم وغير ذلك، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]. إذن فما دام الأمر كذلك فلا مانع إذن من محاولة معرفة زمن تلك الأحداث؛ فهي مقدماتٌ على اقتراب الساعة وليس تحديداً لها، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر]، هذا بالإضافة إلى أننا لو سلمنا أن موعد طلوع

الشمس من مغربها سيكون في يوم كذا؛ فلن يكون ذلك عائقاً عن طاعة الله ﷻ ولا سبباً للتقاعس عن العمل للأخرة، بل ولا حتى العكس، فكلُّ مُيسَّر لما خُلق له، والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، فالأمر إذن لا يعدو كونه تجميعاً لعصارة ما يصل له العلماء من نتاج علميٍّ في أمرٍ أخبرنا به الله ﷻ أو رسوله ﷺ، ولذلك فقد حاولت بدوري من خلال هذا الكتاب الجمع بين النصِّ الصريح من القرآن والسُّنة وبين الحقيقة العلمية بناءً على آخر ما توصل له العلم الحديث.

لقد تباينت التفسيرات والأقاويل حول أشراف الساعة واختلف العلماء في ترتيبها وأحداثها، وإنني في هذا الكتاب سأعرض رؤيةً معاصرةً ومختلفةً قليلاً عما جاء من قبل، وسأقوم في هذا الكتاب بترتيب أشراف الساعة الكبرى بطريقة علمية بناءً على آخر ما وصل إليه العلم الحديث حتى الآن وبما لا يخالف القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، حتى نصل لأقرب قدرٍ من الحقيقة، فلا شيء يساعد الباحث عن الحقيقة غير إغماض العين عن كلِّ شيءٍ سوى نور الله ﷻ، وصمِّ الأذن عن كلِّ صوتٍ سوى صوت الله ﷻ، فهذا كله من مستلزمات التحرِّي عن الحقيقة، حتى يرى كلُّ إنسانٍ بعينه، ويسمع بأذنه، ويفهم بعقله، ولا يتبع المقلدين. فتحرِّي الحق وصفاء النية، وسلامة القلب، هي النور الذي يهدي إلى الحق. والمتوجه إلى الله ﷻ لا يعلّق إيمانه على رأي الغير، بل يفكر بعقله، وينظر بعينه ويسمع بأذنه لا بأذن الآخرين، ولا يترك للتقاليد أن تقف حجرَ عثرةٍ في سبيله للوصول إلى الحقيقة، فكم من التقاليد والعادات القديمة تركناها، وكم من نظريةٍ قديمةٍ أخلت مكانها لأخرى جديدةٍ، وإن لم يجتهد الإنسان في البحث فإنه سيظلُّ في ظلمات التقليد مُردداً ما قاله الأوَّلون: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

وإنني لن أخطئ الخطأ نفسه الذي وقع فيه من سبقني بأن أجعل ما وصلت إليه من نتائج في هذا الكتاب نتائج نهائية لا يجوز النقاش فيها أو تغييرها، وبالتالي يتم إغلاق باب الاجتهاد فيها حتى وإن تحقق جزء مما ذكرته في هذا الكتاب على أرض الواقع، فهذا الكتاب لن يكون فيه القول الفصل والنهائي في كيفية حدوث أو ترتيب أشراف الساعة كلها، فإنني مهما وصلت إلى الحقيقة فهي في النهاية لن تكون الحقيقة المطلقة، لأنني في هذا الكتاب وضعت النتائج بناءً على أحدث ما وصل إليه العلم الحديث، وهو في النهاية قطرةٌ من وسط بحرٍ لا ينتهي من بحور العلم الموهوبة من عند الله ﷻ، ولذلك فإنَّ النتائج التي توصلت لها

في هذا الكتاب لا تعدو ان تكون نتائج أولية ومبدئية قابلةٌ للحذف أو التغيير أو الإضافة مع ظهور علم جديد أو وقوع أحدِ أشراطِ الساعةِ مع تغايرِ بارزٍ مع ما ذكرته في كتابي هذا، ومن الوارد أيضاً أن يختلف ترتيبُ أشراطِ الساعةِ عما هو مذكورٌ في هذا الكتاب، فالله ﷻ يعطي من العلم من يشاء بالقدر الذي يشاء في الوقت الذي يشاء؛ فالعلم الهائل الذي تم تحصيله إلى اليوم كان غائباً عن الناس سابقاً، وأنَّ العلمَ كُلِّما ازداد كان ذلك اعترافاً بالنقص في العلم البشريِّ قبل اكتشافه، وأنَّ هذا النقصَ سيستمر إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

وإنني أنصح قارئَ هذا الكتابِ بأن يُراعى الترتيبَ في قراءته؛ حيث إنَّ كلَّ فصلٍ من هذا الكتاب يعتمد على الفصل الذي سبقه، وبالتالي سيسهل على القارئ استيعابَ رسالةِ هذا الكتاب، فنرجو عدم القفز بين فصوله بطريقة عبثية.

وأخيراً: أرجو من الله ﷻ، أن يكون عملي هذا - عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يُثيبني على كلِّ حرفٍ كتبته منه، وأن يجعله في ميزانِ حسناتي وأن يُثيبَ إخواني الذين أعانوني بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الكتاب.

«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربَّ العالمين».

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

تامر بدر

25 ربيع الأول 1441 هـ

22 نوفمبر 2019 م

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما أوتيتم من العلم الا قليلا

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

رَبِّ الشَّيْخِ لِي صَيْدٍ وَسَيْرٍ لِي أَمْرِي
وَأَحْلِكْ عَقِيدَةَ قُلُوبِنَا فِي فِقْهِهِ وَقَوْلِي



الفصل الأول الفرقُ بينَ الرسولِ والنبيِّ





الفرق بين الرسول والنبي



يُعدّ الإيمان بالأنبياء والرسل الركن الرابع من أركان الإيمان، لذلك وجب على المؤمن الإيمان بهم، وإلا كان من الجاحدين، فالإيمان بهم سبب لسكينة نفس الإنسان، وطمأنينة قلبه، وصلاح حياته في الدنيا والآخرة.

لقد حدث خلط في التعريف بين الرسول والنبي، وكان هذا هو أحد الأسباب الرئيسية في عدم الاعتقاد ببعث الله ﷺ رسولا آخر بعد نبينا سيدنا (محمد) ﷺ، فعن طريق البحث البسيط والسؤال عن: هل النبي (محمد) ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين..؟ ستجد أغلب الفقهاء يرددون تلك الفتوى: إن هناك قاعدة تقول: (إن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً)؛ فرسالة النبي (محمد) ﷺ هي الرسالة الخاتمة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40].

قال ابن كثير⁽¹⁾ في تفسيره لهذه الآية: ((هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده؛ فلا رسول بعده بطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة، ومن تلك الأحاديث: عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء، كمثلي رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة..!» قال رسول الله ﷺ: «أنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء» (متفق عليه).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نبي بعدي» (متفق عليه). وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا

1 ابن كثير الدمشقي: مُحدث ومفسر وفقه، ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة 701 هـ، تفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري، وكمال الدين ابن قاضي شهبه، سمع الحديث من ابن الشحنة، وابن الزراد، وإسحاق الأمدي، وابن عساكر، والمزي، وابن الرضی، شرع في شرح صحيح البخاري ولازم المزي، وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاحب ابن تيمية، ولي العديد من المدارس العلمية في ذلك العصر، منها: دار الحديث الأشرفية، والمدرسة الصالحية، والمدرسة النجبية، والمدرسة التنكزية، والمدرسة النورية الكبرى، توفي في شعبان سنة 774 هـ، له عدة تصنيفات أشهرها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية.

نبي» (1) (2).

إن هذه الفتوى من وجهة نظري - والله أعلم - أصابت في أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء وأن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة الى قيام الساعة، ولكن أخطأت هذه الفتوى في أن النبي ﷺ هو خاتم المرسلين، وهذا ليس تقليلًا من شأن العالم الكبير ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]، فأنا لست بعالم كبير مثله وأنا بجانب علمه لا شيء يُذكر، ولكنه في النهاية ليس نبي أو رسول حتى يكون معصومًا من الخطأ في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم، وهذا لا يقلل من شأنه؛ فهو عالم كبير جدًا له العديد من المؤلفات الهامة، ولكن من الوارد أن يُخطئ عالم كبير في تفسير بعض آيات القرآن الكريم؛ فقد فسر ابن كثير الآية الكريمة ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: 34]، فقال في تفسيره لهذه الآية: " فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى "، ولم يكن تفسير هذه الآية الكريمة بهذا الشكل لابن كثير فقط، بل فسر هذه الآية وبنفس التفسير الطبري والسعدي، ولقد كان هذا التفسير مقبولًا ومنتشرًا قبل ظهور التكنولوجيا الطبية الحديثة المعينة على تحديد ومعرفة نوع الجنين وهو في رحم أمه، كما أن هذا التفسير ليس منقولًا عن النبي ﷺ، ولذلك فإن تفسير القرآن الكريم ليس حكرًا على عالم واحد يظل مدى الحياة، فيظل هذا التفسير جامدًا ثابتًا دون اجتهاد ودون تغير، حتى مع ظهور أدلة وبراهين جديدة تُغير من بعض التفسير القديمة.

لقد كان هناك تفسير خاطئ يخلط بين مفهوم الرسول والنبي، وكان منها تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]، بأن ((النبي ﷺ لا نبي بعده، فلا رسول بعده؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس)). إن هذا التفسير خاطئ، ولذلك وجب علينا في بداية هذا الكتاب تعريف الفرق بين النبي والرسول من خلال آيات القرآن الكريم، فأفضل نوع من التفسير تفسير القرآن بالقرآن، فإذا

1 رواه الترمذي كتاب الرؤيا حديث رقم (2272) وصححه الألباني. وهذا الحديث وضعته في كتابي السابق (رياض السنة من صحيح الكتب الستة ما صححه الألباني) برقم [1805]، والذي انتهيت منه في يوم 18 من شعبان 1440 هـ الموافق يوم 24 من إبريل 2019 م، فقد كنت وقتئذ أؤمن بأن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء وخاتم المرسلين أيضًا فلم أتحقق من صحة هذا الحديث وقتئذ. وسأحدث عن هذا الحديث بالتفصيل في الفصل القادم.

2 تفسير ابن كثير (6 / 428).

لم نصل لشيء ذهبنا إلى السنة المطهرة، وهذا ما سيتم توضيحه فيما يلي :

أنواع من يأتيهم الوحي:

- 1- الصديقين أو الصالحين: مثل السيدة (مريم) - عليها السلام -.
 - 2- الرسول: مثل (هود، وصالح، وشعيب، والثلاث رُسل المذكورين في سورة يس) - عليهم السلام -.
 - 3- النبي: مثل (آدم، وشيث، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، ويوشع بن نون، وأشمويل، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى) - عليهم السلام -.
 - 4- الرسول النبي: مثل (نوح، ويونس، وإلياس، ولوط، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وعيسى) - عليهم السلام - وسيدنا (محمد) ﷺ.
 - 5- الصديق النبي: مثل سيدنا (إدريس) عليه السلام.
 - 6- الصديق الرسول النبي: مثل سيدنا (إبراهيم) عليه السلام.
- فهناك أنبياء فقط وهناك مرسلون فقط، وهناك من جمعوا النبوة والرسالة.

الصديقين أو الصالحين:

هم الأشخاص الذين يوحى إليهم المولى بدون أن يكونوا رسلاً أو أنبياء ومثال ذلك أم موسى وسارة وهاجر ومريم - عليهن السلام - وقد نفى عنهم صفة النبوة أو أنهم رسل بالرغم من حدوث الوحي لهم، وقد قال ابن كثير رحمه الله: الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالى خبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران، حيث قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: 75]. فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبيةً لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن.

ومن هؤلاء النساء من تكلم ورأى الملائكة مثل السيدة مريم - عليها السلام - قال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ [مريم].

ومن الأنبياء من كان صديقاً في البداية مثل سيدنا إدريس عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي

أَلِكْتَبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ [مريم]، وسيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿٥٧﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٨﴾ [مريم]. فدرجته الصديقية تشمل الرجال والنساء وليست مقتصرة على النساء فقط.

الرُّسُلُ:

يُعرَّف الرسول في اللغة على أنه ذلك الشخص المرسل من قبل جهة معينة إلى شخص أو جهة مُعيَّنين، بهدف إيصال رسالة يحملها من مُرسِله، وقد أُشتق تعريف الرسول في مفهومه الديني من هذا التعريف، فالرسول هو ذلك الإنسان الذي اجتبه الله ﷻ واصطفاه فحمّله الرسالة الإلهية السامية التي تحمل في مضامينها قيم الرحمة والخير والتسامح، وأرسله إلى قومه لإرشادهم إلى طريق الرشاد، وتعريفهم بطريق الحق الواجب عليهم اتباعه حتى يسعدوا في الدنيا والآخرة، ومعظم المرسلين المذكورين في القرآن أيدهم الله بآيات ومعجزات فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد].

مهمة الرسل:

حدّد الله ﷻ مهمة الرسل في القرآن الكريم وأرسل الرسل، فمنهم من أرسل بمهمة واحدة أو أرسل بعدة مهام، وأيد العديد منهم بالآيات والمعجزات، ونذكر هذه المهام فيما يلي:

1- تعليم المؤمنين الكتاب والحكمة وتفسير الكتب السماوية؛ فقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة].

2- التبشير والإنذار، فهم يبشرون المؤمنين بالسعادة في الدنيا وبالجنة في الآخرة، وذلك عندما يلتزمون بالإيمان والهداية الربانية، وينذرون الكفار من أن الإعراض والعناد ومجانبة دعوة الحق سبب للتعاسة والخذلان في الدنيا، والعذاب في الآخرة، وهو مما يحفز نفس السامع، فيرغب في سعادة الدنيا والآخرة، ويرهب ويخشى من التعاسة فيها أيضاً، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر]،

وجرت سنة الله ﷻ أن يرسل إلى كل أمة رسولا منها، يبين لها الصواب، ويخوفها العقاب؛ كي تنقطع الحجة عنهم، ولا يكون لها عند الله معذرة؛ قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]. ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: 48]. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: 36].

وسوف نستعرض بالتفصيل هذه المهمة في فصل (وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) حيث إن هذه المهمة هي من أعظم المهام التي يقوم بها الكثير من المرسلين.

3- هناك من الرسل من يجمع المهمتين السابقتين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصاص].

4- ارسال رسولٍ إلى قومٍ مؤمنين لإخراجهم من الضلالة إلى الهدى، وتصحيح عقائد المؤمنين، وتركبة نفوسهم وتربيتهم، وتبليغهم الرسالة التي أوحى إلى نبيهم بها من الله، ويكون إبلاغهم بها بالقول والبيان، أو بالفعل والتطبيق، وذلك لرعاية مصالح الأمة، وبإقامة العدل بين الناس، وتحكيم شرع الله، وتحقيق المصالح فقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة]، وقال تعالى: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم].

5- ذكر إنزال الكتاب على المرسلين في آيتين من آيات القرآن الكريم، فقد قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رُسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136]، ومن هاتين الآيتين يتضح لنا أن المرسلين إما أنه يُنزل إليهم كتابٌ وشرائعُ الأنبياء الذين سبقوهم ليعلموا الناس ويبينوا لهم ما يختلفون فيه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81]، أو أنه يحتمل أن يكون له معنى آخر وهو تنزيل كتابٍ وشرعيةٍ لرسولٍ نبيٍّ في ذات الوقت، وسنذكر فيما بعد من هم الأنبياء المرسلون..؟

الأنبياء:

إن لفظ النبي له معنيان: الأول في اللغة، والثاني في الاصطلاح، وفيما يأتي بيانهما:
النبي لغةً: هو اسمٌ مشتقٌ من كلمة (النبا) - بمعنى الخبر - أي أن النبي مخبرٌ عن الله ﷻ، وهناك قولٌ آخر، وهو أن النبي لفظٌ مشتقٌ من كلمة (النبوة) وهي ما ارتفع من الأرض، وعلا، ومعنى ذلك أن نبي الله ذو شرفٍ، ورفعةٍ، وعلوٍ.
النبي اصطلاحاً: هو النبي الذي أوحى الله ﷻ إليه بأن يبلغ شرعَه ورسالته إلى القوم الذي بعثه الله ﷻ إليهم، لإرشادهم إلى الحق والصواب، وإبعادهم عن الضلال والانحراف.

مهمة الأنبياء:

الوظيفة الأساسية لكل نبي تبليغُ شريعةِ الله ﷻ إلى الخلق، ولا يكونُ البلاغُ مكتملاً إلا بتعليم الناس الكتاب والأحكام والشرائع التي أنزلت عليهم كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213].

فالنبي هو من أتاه الوحي بشرع وأحكام جديدة أو ليستكمل شريعة سابقة عليه.
 قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

الرسول النبى:

يتبقى النوع الأخير وهو الرسول النبى ومنه سأبدأ بضرب الأمثلة عائداً على ما سبق شرحه أيضاً.

الرسول النبى الذي يصطفيه الله بأمرين، وهما إبلاغ رسالة محددة لقوم كافرين أو غافلين، والأمر الآخر تبليغ شريعة إلهية ليتبعها من آمن به. مثال ذلك (موسى وهارون) - عليها السلام - حيث كانوا رسل ربنا لفرعون، ففي البداية جاء بمهمة محددة وواضحة وضحاها له عند إرسالهم إليه، متمثلة في إرسال بنى إسرائيل معهم وخروجهم من مصر، قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ [طه].

هنا كان (موسى وهارون) - عليهما السلام - مرسلين فقط، ولم تأتهم النبوة بعد، ثم وليتها المرحلة الثانية متمثلة في النبوة، فقد واعد المولى ﷺ موسى في الميقات وأنزل عليه التوراة وهي شريعة بنى إسرائيل، وهنا كلفه ربنا ﷺ بمهمة تبليغ هذه الشريعة لبنى إسرائيل ولكل من يريد أن يسلم الله ﷻ، فمنذ ذلك الوقت أصبح سيدنا موسى ﷺ نبياً، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم]. ولاحظ هنا أخى القارئ أنه كان رسولاً أولاً عندما ذهب إلى فرعون، ثم أصبح نبياً ثانياً عندما خرج من مصر عندما أنزل الله ﷻ عليه التوراة.

وكذلك سيد المرسلين ارسله المولى برسالة وشريعة، رسالة للكافرين وشريعة لمن اتبعه منهم من العالمين، فمن هنا كان سيدنا (محمد) رسولاً نبياً كما في الآية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٥٠﴾﴾ [الأحزاب].

الرسولُ مَنْ بُعثَ لقومٍ معالفين، والنبيُّ مَنْ بُعثَ لقومٍ موافقين؛

قال تقي الدين ابن تيمية في كتاب النبوات: "فالنبيُّ هو الذي ينبتُه الله وهو ينبئُ بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبِّغه رسالةً من الله إليه فهو رسولٌ، وأما إذا كان إنما يُعمل بالشرعية قبله ولم يُرسل هو إلى أحدٍ يلبِّغه عن الله رسالةً فهو نبيٌّ وليس برسولٍ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فذكر الله ﷻ في هذه الآية أن الإرسال يعمُّ النوعين، وقد خُصَّ أحدهما بأنّه رسولٌ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله ك(نوح) وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء ك(شيث وإدريس) - عليهما السلام - وقبلهما (آدم) كان نبيًّا مكلّمًا، قال ابن عباس "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على الإسلام، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحيٌّ من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول.

وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرهم بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحيٌّ خاصٌّ في قصّة معينة ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معني يطابق القرآن كما فهم الله (سليمان) حكم القضية التي حكم فيها هو و(داود). فالأنبياء ينبتهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبتون المؤمنين بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي؛ فإن أُرسلوا إلى كفارٍ يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ولا بدّ أن يكذب الرسل قومٌ، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ١٢]، فإن الرسل يُرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [١٣] حتّى إذا استعسّ الرسل وظنّوا أنّهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنبيٌّ من نساء ولا يرُدُّ بأسنا عن القوم المجرمين﴾ [يوسف: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، فقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: 52]، دليلٌ على أنّ النبيّ مرسلٌ ولا



يُسَمَّى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعلم، ولهذا قال النبي ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء» وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة.

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثُلُثَ رُزْجٍ﴾ [فاطر: 1]، فهنا جعل الملائكة كلهم رسلاً والمَلَكُ في اللغة هو حامل الألوكة وهي الرسالة، وقد قال في موضع آخر: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا﴾ [الحج: 75]، فهؤلاء الذين يرسلهم بالوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ عَنِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْكُفْرِينَ تَوَرَّهُمْ أَرَبًّا﴾ [مريم: 83].

لكنَّ الرسول المضاف إلى الله إذا قيل رسول الله؛ فهو من يأتي برسالة من الله من الملائكة والبشر كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 75]، وقالت الملائكة: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ﴾ [هود: 81]. وأما عموم الملائكة والرياح والجن فإنَّ إرسالها لتفعل فعلاً لا لتبلغ رسالة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: 1].

فرسلُ الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه هم رسلُ الله عند الإطلاق، وأما من أرسله الله ليفعل فعلاً بمشيئة الله وقدرته؛ فهذا عامُّ يتناول كلَّ الخلق، كما أنهم كلهم يفعلون بمشيئته وإذنه المتضمنين لمشيئته، لكنَّ أهل الإيمان يفعلون بأمره ما يحبه ويرضاه ويعبدونه وحده ويطيعون رسله، والشياطينُ يفعلون بأهوائهم وهم عاصون لأمره متبعون لما يُسخطه، وإن كانوا يفعلون بمشيئته وقدرته (1).

عدد الأنبياء والرسل؛

لقد بعث الله ﷻ أنبياءً ورسلًا، فكان منهم من ذكر في القرآن الكريم، ومنهم من لم يُذكر، أما عن عدد الأنبياء والرسل؛ كما ذكر على لسان نبيِّنا ورسولنا سيدنا (محمد) ﷺ وكما

ورد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه حين قال: قلت: يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم»، قلت: يا رسول الله، ونبيي كان؟ قال: «نعم نبيي مكرم»، قلت: يا رسول الله: كم المرسلون..؟ قال: «ثلاث مئة وبضعة عشر؛ جمًّا غفيرًا»⁽¹⁾.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز العديد من القصص المتعلقة بالأقوام السابقين ورسلهم، وفصل بعضها من باب الاعتبار بحالهم ومآلهم، وأورد أسماء بعض الرسل وأخفى عنا بعضها استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر]، فهناك خمس وعشرون اسماً من أسماء الأنبياء والرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم باتفاق أهل العلم، ورد منهم ثمانية عشر نبياً في موضع واحد من سورة الأنعام. قال تعالى: ﴿وَلَكَ حُجَّتْنَا عَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(٢٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٢٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ^(٢٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(٢٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ عَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ^(٢٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ^(٣٠) [الأنعام].

وقد رتب أهل العلم الأنبياء والرسل حسب التسلسل الزمني لبعثتهم كالتالي:

1 - نبي الله آدم عليه السلام وهو أول نبي.

عن أبي أمامة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبِيَا كَانَ آدَمُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مُعَلِّمٌ مُكَلِّمٌ». قَالَ: كَمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ؟ قَالَ: «عَشْرُ قُرُونٍ». قَالَ: كَمْ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «عَشْرُ قُرُونٍ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كَانَتْ الرُّسُلُ؟ قَالَ: «ثَلَاثٌ مِائَةٌ وَخَمْسٌ عَشْرَةٌ جَمًّا غَفِيرًا»⁽²⁾.

وقد كان آدم عليه السلام نبياً فقط وليس رسولاً، والدليل على ذلك أن أول الرسل هو سيدنا

1 رواه أحمد (35 / 431).

2 رواه الحاكم في "المستدرک" (2 / 262)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (7 / 582).

نوح ﷺ وهذا ما سنوضحه لاحقاً.

والدليل على نبوة (آدم) وتلقيه شريعة جديدة من الله ﷻ أنه أول من خاطبه الله ﷻ بلا واسطة فأحلّ وحرم، وأمر ونهى، دون أن يرسل اليه رسولا، كما أن الله ﷻ أوحى إليه بتعليم الأسماء دون الملائكة، فهذه الجبال وهذه البغال وهذه الإبل وهؤلاء الجن وهذا الوحش، وجعل يُسمّي له كل شيء باسمه، وأراد الله ﷻ أن يعطى لآدم شريعة وأحكاماً عندما نزل إلى الأرض، فهذه شريعة الزواج ولذلك أمر آدم ابنه (قابيل وهاويل) أن يتزوج كل منهما توأم أخيه، وهذه شريعة القتل وسفك الدماء التي أنزلت على آدم ﷻ ولذلك ندم قابيل على قتله لأخيه هابيل، فما حمل قابيل على هذا الندم إلا إذا كانت هناك شريعة وأمر من الله ﷻ بعدم سفك الدماء تعلّمها من أبيه آدم ﷻ.

2 - نبي الله شيث ﷻ

يذكر أهل العلم أنه بعد آدم ﷻ، كان ابنه شيث نبياً، فقد كانت الشرائع التي أنزلت عليه مكملة للشرائع التي أنزلت على أبيه آدم ﷻ لتنظيم أمور أبناءه في الحياة الدنيا، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: " فلما مات آدم ﷻ قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث ﷻ، وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن جبان في صحيحه، عن أبي ذر مرفوعاً: أنه أنزل عليه خمسون صحيفة" (1)

3 - نبي الله الصديق إدريس ﷻ:

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم]. فقد كان في بداية أمره صديقاً ثم أصبح نبياً، وهو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ﷻ، وهذا ما عُرف من نسبه ولا يقين فيه، بيد أن المعلوم عنه قرُبه من فترة آدم، وقد يكون بينهم خمسة أشخاص، فهو بذلك يكون زمانه قبل زمان نوح ﷻ، والشرائع والصحف التي أنزلت عليه ثلاثون صحيفة عُرِفَ بِسُفْرِ أَخْنُوخَ في كتاب العهد القديم، وهو أحد أنبياء الله الذين ذكروهم في القرآن الكريم، فقد وصفه ﷻ بالصبر والصلاح، وعُرف عنه بأنه أول من خطّ بالقلم وخاط الثياب ولبسها، بالإضافة إلى نظره في علم النجوم

1 من "البداية والنهاية" (1 / 232). وحديث أبي ذر هذا ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في "التعليقات الحسان" (387 / 1).

وسيرها وعلم الحساب، قال ابن كثير: " وكان أوّل بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليها السلام " (1)، على أن بعض العلماء يجعل نوحاً عليه السلام متقدماً عليه في الزمن.

4 - نبي ورسول الله ﷺ نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٦) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٧) [الشعراء]، فنوح عليه السلام أوّل الرسل ومن الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأنعام. وفي كتاب البداية والنهاية لابن كثير ذكر نسب رسول الله ﷺ نوح عليه السلام فهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن إدريس بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.

أرسله الله ﷻ إلى قومه رسولاً وهادياً لهم لتوحيد سبحانه - وترك عبادة الأصنام التي ابتدعوها ولم تكن من قبل، فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح]، فقد وصل حال الناس بعد قرون من وفاة إدريس عليه السلام إلى عبادة الأصنام بعد أن كان بينهم رجال صالحون يحبونهم، ولما ماتوا جعل لهم قومهم نُصباً تذكّركم فيهم، ولا يزال القوم يتقربون من تلك النُصب حتى عبدوها من دون الله ﷻ، فأرسل الله ﷻ لهم نوحاً ليهديهم سبيل التوحيد مجدداً، ولكن القوم كذبوا رسوله وكفروا به، وطال بهم الأمد وهم على الكفر، حتى أرسل الله عليهم طوفاناً أغرق به الكفار، ونجى منه رسوله نوحاً عليه السلام ومن آمن معه، وما آمن معه وقتل إلا القليل.

5 - رسول الله ﷺ هود عليه السلام

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٣) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٤) [الشعراء]. فبعد أن نجا الله ﷻ نبيّه نوحاً ومن معه في السفينة وأغرق الذين كذبوه من قومه بالطوفان العظيم الذي عمّ جميع الأرض، نزل الذين آمنوا من السفينة يعبدون الله ﷻ وحده ويعمّرون الأرض، وكثرت الذرية من أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث) الذين كانوا على دين آبائهم الإسلام، وكانوا يعبدون الله ﷻ وحده ولا يشركون به شيئاً. ثم بعد أن طال الزمن عاد الفساد والجهل وانتشر في الأرض ورجع بعض الناس إلى الإشراف بالله وعبادة غير الله، فبعث الله ﷻ هوداً. فلما كذبه قومه أرسل الله عليهم الريح العقيم، ريحاً صرصراً عاتيةً، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً تدمر كل شيء بأمر ربها، فما تذر

من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريميم. فأهلكتهم، وأنجى الله برحمته هوداً عليه السلام والذين آمنوا معه.

6 - رسول الله صالح عليه السلام

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٣٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشعراء]. فرسل الله صالح عليه السلام إلى قوم ثمود وقد كانوا قوماً جاحدين آتاهم الله رزقاً كثيراً، ولكنهم عصوا ربهم وعبدوا الأصنام وتفاخروا بينهم بقوتهم، فبعث الله إليهم صالحاً عليه السلام مبشراً ومنذراً، ولكنهم كذبوه وعصوه وطالبوه بأن يأتي بآية ليصدقوه، فأتاهم بالناقة وأمرهم أن لا يؤذوها، ولكنهم أصروا على كبرهم ففعلوا بالناقة، فعاقبهم الله بالصاعقة، فصنعوا جزاءً لفعلتهم، ونجى الله صالحاً عليه السلام والمؤمنين.

7 - رسول ونبي الله الصديق إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١١﴾﴾ [مریم]. فقد كان في بداية أمره صديقاً، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الحديد]. فسيدنا إبراهيم عليه السلام ذكر في القرآن موصوفاً بأنه صديقاً ورسولاً ونبياً، فبعد مرحلة طويلة خاضها سيدنا إبراهيم في البحث أصبح مؤمناً بالله تعالى وصديقاً. ثم أصبح رسولاً، فقد كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الأصنام والكواكب، ولقد دعاهم إبراهيم عليه السلام لترك عبادتهم ويين لهم أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، ولكن عندما لم يستجيبوا لدعوته، حطم سيدنا إبراهيم عليه السلام الأصنام في يوم عيدهم، وترك كبير الأصنام ليقيم الحجة على قومه بأن الأصنام لا تضر ولا تنفع، ونتج عن ذلك أن أمر الملك بحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام في النار، ولكن خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار معافى، ثم أصبح إبراهيم فيما بعد عليه السلام نبياً، فهو مؤسس الحنفية.

8 - نبي ورسول الله لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ ﴿١٢٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٤﴾﴾ [الشعراء]. فقد أرسل لهم الله تعالى رسالة التوحيد مع رسولهم لوط عليه السلام، فأرشدتهم إلى التوحيد ودعاهم إلى طاعة الله ورضوانه وترك الفاحشة التي كانوا يفعلونها والتوبة منها، إذ كان من صفاتهم السيئة أن الرجال منهم يأتون الرجال على غير ما فطرهم الله تعالى، لكن قوم لوط كرهوا ذلك وهددوا لوطاً بإخراجه من قريتهم إن أصر واستمر لوط على

دعوته لهم، واستمرّ قومه على كفرهم وفسقهم حتى أذن الله ﷻ بعذابهم فهلكوا، وكان من بينهم زوجة لوط عليه السلام التي لم تتبع أمر الله ﷻ فكانت من المالكين، وقد كان سيدنا لوط نبياً أيضاً فهو من الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأنعام.

9 - رسول الله شعيب عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لُوطٍ لِّئِيكَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ [الشعراء].

يذكر أهل العلم، أنه بعد قوم لوط بزمان قريب، كان شعيب عليه السلام. فقد جاء رسول الله شعيب عليه السلام إلى قومه (مدين) الذين ظهرت فيهم مظاهر الشرك والضلالات، فدعاهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده سبحانه، كما نهاهم عما كانوا عليه من المنكرات كتطيف الموازين، والإفساد في الأرض، والترصد بكل من آمن بدعوة الله، كما ذكرهم بنعم الله عليهم وكيف كانوا قليلاً فكثرتهم الله ﷻ، كما دعاهم إلى الاتعاض بما حلّ بالأقوام المفسدين من قبلهم، ولكن قابل قوم شعيب عليه السلام دعوة رسوله بالإعراض والتكذيب، واتهموه بالسفه والضعف، كما هددوه بالرجم والقتل وإخراجه من ديارهم أو أن يعود في ملتهم مرة أخرى، وعلى الرغم من تكذيب قومه له ﷻ إلا أنه بقي ثابتاً على دعوته، مستمراً في نصيحتهم، حتى أتى أمر الله ﷻ فتوعدهم ﷻ بعذاب قريب في مدة ثلاثة أيام، وبعد انقضاء هذه المدة أصابت قوم مدين الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

10 - رسول ونبي الله إسماعيل عليه السلام

بعد إبراهيم عليه السلام كان إسماعيل عليه السلام من أمه هاجر

قال الله تعالى: ﴿وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مریم)، وقد جعل الله ﷻ إسماعيل عليه السلام رسولاً نبياً أرسله الله تعالى إلى منطقة الحجاز وكانت تسكنها قبائل (جرهم، والعماليق، وأهل اليمن) فدعاهم سيدنا إسماعيل عليه السلام إلى عبادة الله الواحد، وكان يعلمهم شرائع الدين الحنيف، وكان سيدنا إسماعيل عليه السلام أول من ركب الخيل وأول من نطق لسانه بالعربية الفصحى البينة.

11 - نبي الله إسحاق عليه السلام

بعد إبراهيم عليه السلام كان إسحاق من أمه سارة، قال تعالى: ﴿وَدَشَرْنَاهُ إِيسَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٣) [الصافات].

12 - نبي الله يعقوب عليه السلام

بعد إسحاق كان ابنه يعقوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: 49].

13 - نبي الله يوسف عليه السلام

وبعد يعقوب كان ابنه يوسف عليهما السلام، قال الله تعالى في قصة مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: 49]. وقد كان سيدنا يوسف من الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأنعام.

14 - نبي الله أيوب عليه السلام

روى البزار وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَبَثَ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ، كَانَا مِنْ أَخْصِ إِخْوَانِهِ بِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيُرُوحَانِ، فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لَصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهُ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحِمَهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ، لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ أَيُوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ ﷻ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرُ عَنْهُمَا، كِرَاهِيَةً أَنْ يَذْكُرَا اللَّهَ إِلَّا فِي حَقِّ. قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتْ أَمْرَاتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فَاِسْتَبْطَأَتْهُ، فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ. فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيُّ بَارِكِ اللَّهِ فِيكَ! هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى. فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتَ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ، إِذْ كَانَ صَاحِبًا. قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ. قَالَ: وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ - الْأَنْدَرُ: الْبِيدَرُ - فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَغَتْ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ حَتَّى فَاضَ»⁽¹⁾.

15 - نبي ورسول الله يونس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 12]. وقد كان أيضاً من الأنبياء الذين

1 قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رجال البزار رجال الصحيح.

ذكرهم الله ﷻ في سورة الأنعام، والله أعلم متى كان زمنه، وقد ذكره ابن كثير في قصص الأنبياء قبل موسى عليه السلام؛ لأن الله ﷻ استثنى قومه من العذاب العام بسبب إعلانهم بالإيمان. قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس].

16 - رسول ونبي الله موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم]. وقد كان سيدنا موسى عليه السلام في البداية رسولا إلى فرعون وقومه، ثم أصبح نبيا عندما خرج من مصر مع قومه وأنزلت عليه التوراة.

17 - رسول ونبي الله هارون عليه السلام

أيضا كان سيدنا هارون رسولا في البداية ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص]، ثم أصبح نبيا مثل سيدنا موسى عليه السلام بعد خروجهما من مصر، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم].

18 - نبي الله يوشع بن نون عليه السلام

وقد جاء في السنة أنه هو فتى موسى عليه السلام في قصة موسى مع الخضر؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف]. قال ابن عباس: حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: أَحْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ...»⁽¹⁾.

وقد ورد في سنة ما يثبت نبوة يوشع، حيث روى الإمام أحمد في المسند: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَىٰ بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيْلِي سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ»⁽²⁾. وثبت في حديث متفق عليه أن هذا الذي حبست له الشمس نبي من الأنبياء؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي

1 رواه البخاري (122) ومسلم (2380).

2 رواه الإمام أحمد في "المسند" (14 / 65)، وصححه الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (6 / 221)، وجود إسناده الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (1 / 394).

رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا بَيْنَ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَا دَهَاءَ، فَغَزَا فَدَنَّا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْسِبْهَا عَلَيْنَا، فَحِسِبْتُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ...» (1).

19 - نبي ورسول الله إلياس عليه السلام

وسيدنا إلياس عليه السلام ثبت أنه رسول بنص القرآن فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوا لِمُحْضِرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) [الصفافات]. وأيضاً كان نبياً من الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأنعام.

20 - نبي الله اليسع عليه السلام

كان اليسع من الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ في سورة الأنعام.

21 - نبي الله إسموئيل عليه السلام

ثم جاء بعدهم النبي الذي أُشير إليه القرآن الكريم؛ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَنُوحٌ وَآلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨) [البقرة].

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ والملا من القوم: وجوهمهم وأشرافهم وأصل الملا الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والإبل والخيول والجيش وجمعه أملاء ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي من بعد موت موسى ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾ واختلفوا في ذلك النبي، فقال قتادة: هو (يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف) عليه السلام.

وقال السُّدِّيُّ: اسْمُهُ (شمعون) وإنما سُمِّيَ شمعون لأنَّ أُمَّه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب الله دعاءها، فولدت غلاماً فسَمَّته (شمعون) تقول سمع الله تعالى دعائي والسين تصير شينا بالعبرانية وهو (شمعون بن صفية بن علقمة) من ولد لاوي بن يعقوب. وقال سائر المفسرين: هو إشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل بن يال بن علقمة، وقال مقاتل: هو من نسل هارون وقال مجاهد: هو إشمويل وهو بالعبرانية إسماعيل بن يال بن علقمة.

لقد اختلف أهل التفسير في اسمه، ولا يعرف في نصوص الكتاب والسنة ذكر لاسمه، وقد عاصره داود عليه السلام، كما هو ظاهر من سياق القصة.

22 - نبي الله داود عليه السلام

حيث قال الله تعالى: ﴿فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: 251]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء].

23 - نبي الله سليمان عليه السلام

بعد داود عليه السلام ورث النبوة ابنه سليمان عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٥] وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ [١٦] [النمل]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: في الملك والنبوة، وليس المراد وراثته المال؛ إذ لو كان كذلك، لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا يُورثون أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله: «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» (1).

24 - نبي الله زكريا عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يَرْفُئِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا [١] [مريم].

معنى قوله: ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: خفت أقاربي وبني عمِّي وعُصْبتي: أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حقَّ القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حقَّ القيام، وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله ﴿يَرِثُنِي﴾ أنه إرثٌ علمٍ ونبوة، ودعوةٌ إلى الله والقيام بدينه، لا إرثٌ مالٍ، ويدلُّ لذلك أمران:

أحدهما: قوله: ويرث من آل يعقوب، ومعلومٌ أنَّ آل يعقوب انقرضوا منذ زمن، فلا يُورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أنَّ الأنبياء (صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم) لا يُورث عنهم المال، وإنما يُورث عنهم العلم والدين.

25 - نبي الله يحيى عليه السلام

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران].

هو سيدنا يحيى بن زكريا عليها السلام أو كما هو مشهور عند أهل الكتاب باسم يوحنا المعمدان، ويعتبر نبياً للصابئة المندائيين، وقد كانوا منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين، ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق كما أن هناك تواجد للصابئة في الأحواز بإيران.

وقد ولد نبي الله يحيى عليه السلام قبل مولد سيدنا عيسى عليه السلام بثلاثة أشهر، وقيل: بثلاث سنين، وكان ابن خالته وقد عاصره وعاش معه فترة من الزمن ورافق مراحل دعوته، وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي مصدقاً بسيدنا عيسى عليه السلام لأن سيدنا يحيى عليه السلام هو أول من صدق بسيدنا عيسى عليه السلام في زمانه، وقد مات سيدنا يحيى عليه السلام مقتولاً، فقد قتله بنو إسرائيل ظلمًا وعدوانًا بأمر ملكهم حاكم فلسطين آنذاك هيرودس. ويذكر أهل التواريخ أنه بعد مقتل سيدنا يحيى عليه السلام جاء تلاميذه وأخذوه ودفنوه، ثم جاءوا إلى سيدنا عيسى عليه السلام وأخبروه بمقتل نبي الله يحيى عليه السلام، فحزن حزناً شديداً لقتله.

26 - نبي ورسول الله عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عُلَاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» (1).

27 - رسول الله وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب].

المختلف في كونهم أنبياء

1 - الحُضُر عليه السلام: وقد ذُكر في القرآن الكريم في سورة الكهف، وهو رفيقُ سيدنا موسى عليه السلام ومُعلِّمُهُ، ويعتبر الحُضُر من الأنبياء غير المجمع على نبوتهم.

2 - لقمان عليه السلام: قد روي عن عكرمة بأن لقمانَ نبِيٌّ، وجمهورُ السلف لم يعتبروه نبِيًّا، وكان لقمان يتَّصف بالحكمة، وعاصرَ لقمانَ زمنَ النبيِّ داود عليه السلام، وقد وردت سورةٌ كاملةٌ في القرآن الكريم باسمه.

3 - ذو الكفل عليه السلام: هو من نسل النبيِّ أيوب عليه السلام، من أهل دمشق، وسُمِّيَ بذلك لأنه تكفَّل ببعض الطاعات وأداها أحسنَ أداء، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأنبياء، واختلف العلماء في نبوته.

4 - العزير عليه السلام: وهو من بني إسرائيل، وقد توفاه الله مائةَ عامٍ، ثمَّ أحياه من جديد، وقد علَّم الناس التوراةَ من جديد.



الفصل الثاني خاتمُ النَّبِيِّينَ وليس خاتمُ المرسلينَ



خاتم النبیین وليس خاتم المرسلین



لا زالت شبهة اعتقاد عامة المسلمين في هذه الأمة بأن النبي المصطفى ﷺ هو خاتم المرسلين مستمرة الى الآن، مع أنهم يقرأون الآية الكريمة في القرآن الكريم التي تنص على ختم الأنبياء دون المرسلين، فلقد شعر أغلب الفقهاء أن ذكر ﴿خَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]، في هذا السياق لا يكفي في حد ذاته لاستنباط حكم عام يبدل سنة الله ﷻ في إرسال رسله ومبعوثيه لهداية الناس وحجة عليهم. فالزعم بتبديل هذه السنة التي قال تعالى عنها: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: 77] يحتاج إلى دليل قاطع، فاستند بعضهم إلى أن الرسل هم أيضاً أنبياء، فإذا فسرنا بأن سيدنا (محمدًا) ﷺ خاتم النبیین على أنه آخرهم فذلك يعني أيضاً أنه آخر المرسلين، رغم عدم ذكر ما يفيد ذلك في أي موضع من آيات القرآن الكريم.

فسيدنا (محمد) ﷺ بنص القرآن الكريم، حائز لمقامين: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وأيضاً ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. ولكن ذهب كثير من الناس إلى تعميمه ليشمل الرسالة أيضاً، والذين يقولون بهذا الرأي لم يفتنوا إلى الفصل الصريح في الآية المباركة بين منزلة النبي ومقام الرسول، وقد ذكرنا فيما سبق الفرق بينهم.

وقد ذكر القرآن أن بعض الرسل كانوا أيضاً أنبياء كقوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم]، ولو كان كل الرسل أنبياء لما خص القرآن بعضهم فقط بهذا الوصف. ولم يترك سيدنا محمد ﷺ أمته في شك من أمر الفصل بين مقام النبوة ومقام الرسالة.

كما ذهب أكثر الفقهاء إلى أن النبوة أعم من الرسالة، ثم ينتهون إلى القول بأن خاتم الأعم معناه خاتم الأخص. فمن خلال تفسيرهم للآية الكريمة ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وسبب عدم قول الله ﷻ (وخاتم المرسلين)، يكون الرد: إن الآية الكريمة نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة؛ فإن كل رسول نبي ولا ينعكس، لأنه يلزم من ختم النبوة وهي الأعم ختم الرسالة وهي الأخص، وذلك هو رأي أكثر

الفقهاء. وكل ذلك تعقيدٌ والتفافٌ حول التفسير الحقيقي للآية الكريمة ليس له أي دليل من القرآن والسنة، والأمر سهلٌ وواضحٌ من خلال ما شرحناه في الفصل السابق وبما قدمناه من أدلة من القرآن والسنة، فالنبي يأتي بالكتاب والشرعة، والرسول لا يأتي بكتاب ولا بشرعة، وإنما هو على شريعة النبي الذي سبقه، بمعنى أنه يُدبر شؤون الأمة في ظل الشريعة التي أتى بها النبي، فالشريعة لا تأتي إلا على طريق نبي، فكيف يُقال بأن النبي هو الرسول، وأن ختم النبوة يعني ختم الرسالة..؟ لماذا يُعقد البشر الأمور على أنفسهم، ويريدون بها العسر والله تعالى يريد اليسر..؟ ونحن بهذا التساؤل لا نهيّب بالناس أن يُحكّموا عقولهم وحدها، فالعقل قد يخطئ، ولكننا نهيّب بهم أن يرجعوا أيضاً إلى النصوص القرآنية المباركة التي لا تُخطئ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: 81].

إن الشريعة الإسلامية بما تضمنتها من صلاة وصيام وحج وزكاة وموارث وكل ما جاء به القرآن الكريم من أحكام وشرائع هي شرائع ستبقى الى قيام الساعة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فالشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة، فالرسل الذين سبعتهم الله ﷺ فيما بعد لن يُغيروا في هذا الدين شيئاً، بل سيكونون مسلمين مثلنا يُصلُّون ويصومون ويُزكُّون وسيحكمون بين الناس بشريعة الإسلام، وسيعلمون المسلمين القرآن والسنة، سينصرون المسلمين وسيجاهدون في سبيل الله لنشر هذا الدين، وسيحذرون الناس من آيات العذاب التي ذكرها القرآن الكريم قبل قيام الساعة، فهم على ملة الإسلام ولن يأتوا بدين جديد.

إن القاعدة الشهيرة: (أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً)؛ هي قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة؛ وهذه القاعدة ليست من آيات القرآن الكريم وليست من أقوال المصطفى ﷺ ولم تُؤثر عن أحدٍ من أصحاب الرسول ﷺ أو أحد من التابعين لهم بإحسان فيما نعلم، فإن هذه القاعدة ليست من الأصول الثلاثة (الكتاب، والسنة الثابتة، وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان).

والقاعدة التي يحتجون بها ليس عليها دليل مما ذكرنا وإنما ذكرها بعض أهل العلم، وهذا هو التقليد بعينه لإثبات أن سيدنا (محمد) ﷺ خاتم المرسلين، فبعض الأدلة التي استندوا

عليها لإثبات تلك القاعدة والتي تناقلها العلماء جيلاً بعد جيلٍ هو الحديث النبويُّ الذي استند عليه ابنُ كثيرٍ في تفسيره بأنه لا رسولٌ بعد سيدنا (محمدٍ ﷺ)، فهذا الحديث هو الدليل الرئيسيُّ الذي يتمسك به عامةُ العلماء في إثبات أنه لا رسولٌ بعد النبيِّ ﷺ والمروي عن أنس بن مالكٍ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسولٌ بعدي ولا نبي». قال: فشقَّ ذلك على الناس. فقال: «لكن المبشرات». قالوا: يا رسول الله وما المبشرات..؟ قال: «رؤيا المسلم وهي جزءٌ من أجزاء النبوة»⁽¹⁾. وهذا الحديث متواترٌ وله عدَّةٌ أوجهٍ وألفاظٍ ليس بها جملة (لا رسول بعدي) سنذكرها فيما بعد.

إنَّ الاستشهاد بحديثٍ أو حديثين شريفيين بها انتهاءُ الرسالات دون النظر الى عشرات الأحاديث التي قال فيها النبي ﷺ بأنه خاتم النبيين فقط، ودون النظر الى آيات القرآن الكريم التي لم تذكر انتهاء الرسالة يتطلب منا إعادة النظر في هذا الاعتقاد. وفيما يلي سنقدم الأدلة على بطلان الاعتقاد بختم سيدنا محمدٍ ﷺ المرسلين وخطأ الجملة الشهيرة (أنَّ كلَّ رسولٍ نبيٍّ، وليس كلَّ نبيٍّ رسولاً).

هناك أنبياءٌ فقط وهناك رُسلٌ فقط

أنَّ النبوة ثبتت لآدم ﷺ فأدُم كما صح في الحديث «نبيٌّ مكلَّم»⁽²⁾، وأن هناك أنبياءً جاؤوا بعد آدم ﷺ كإدريس وشيث وغيرهم، والرُّسل كان أولهم نوح ﷺ، فقد جعل الله ﷻ أولي العزم من الرسل خمسةً، وجعل أولهم نوحاً ﷺ. فهذا يدل على أنَّ آدمَ ﷺ لم يحصل له وصفُ الرسالة، بل جاء في الحديث قوله ﷺ: «نبيٌّ مكلَّم»، ووُصف نوحٌ بأنه رسول، ووُصف إدريس بأنه نبيٌّ، فدل هذا على التفريق بين المقامين.

وسيدنا آدم ﷺ هو أول الأنبياء، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه، أن النبي ﷺ: سئل عن آدم أنبي هو؟ قال: «نعم نبيٌّ مكلَّم»، فهو إذاً كان نبي فقط، ولكنه ليس برسول لما جاء في حديث الشفاعة الذي ورد عن النبي ﷺ يذكر فيه حال

1 رواه الترمذي كتاب الرؤيا حديث رقم (2272) صحيحه الألباني.

2 المسند (5/22342)، المعجم الكبير (7871)، مصنف ابن أبي شيبة (35933)، شُعَبُ الإِيْمَان (130)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة "2668".

الناس يوم القيامة وهم يبحثون عن شفيع لهم، فيذهبون إلى نوح عليه السلام فيقولون له: «أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»⁽¹⁾ وهذا الحديث الصحيح يؤكد أن أول رسول قد أرسل إلى الأرض هو رسول الله نوح عليه السلام.

فآدم ومن بعده شيث وإدريس عليهم السلام كانوا أنبياء فقط ولم يكونوا رسلاً، فالثابت بأن سيدنا نوح عليه السلام جاء بعدهم وقد كان أول الرسل.

وكما كان هناك أنبياء فقط كان هناك أيضًا رسل فقط، فلم يذكر القرآن الكريم بأن هود وصالح وشعيب عليهم السلام كانوا أنبياء، بل ذكروا آيات كثيرة بأنهم كانوا رسلًا في القرآن الكريم، كما لم يُذكر في القرآن الكريم بأن هود وصالح وشعيب عليهم السلام أنزل عليهم كتاب أو شريعة.

كما ذكر الله تعالى أنه أرسل إلى قرية واحدة ثلاثة رسل مُعاصراً بعضهم لبعض، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾^(١٤) [يس]، هنا أرسل المولى عليه السلام ثلاثة رسل فلم يكونوا أنبياء ولم يأتوا بشريعة بل رسل فقط، بل إننا حتى لا نعرف أسمائهم.

وهناك الكثير من الرسل الذين لم يذكرهم الله تعالى في كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١٥) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١٦) [النساء]، ففي هذه الآية الكريمة خص الله تعالى الرسل وليس الأنبياء في تعداد الرسل الذين لم يذكر الله تعالى أسمائهم أو قصصهم في القرآن الكريم، ولذلك فإن الاعتقاد بأن كل نبي هو رسول في ذات الوقت أو أن كلا الصفتين لا فرق بينهما هو اعتقاد خاطئ.

دليل بطلان قول: (أنه لا فرق بين النبي والرسول)

لا يصح قول أغلب الناس أنه لا فرق بين الرسول والنبي، ويدل على بطلان هذا القول ما ورد في عدد الأنبياء والرسل، فقد ذكر الرسول ﷺ أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدد الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، ويدل على الفرق أيضاً ما ورد في كتاب الله من عطف النبي على الرسول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى

1 رواه ابن العربي، في أحكام القرآن، عن أنس بن مالك، الصفحة أو الرقم: 89/4، صحيح مشهور.

الْمُشَاطِلُنْ فِي أُمْنِيَّتِهِ» [الحج: 52]، هنا عطف الله ﷻ النبي على الرسول بالواو فقال: «مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ»، والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ مغايرة الذات أو مغايرة الصفات، وهنا المقصود منه: أَنَّ الصفة التي صار بها رسولاً غير النعت الذي صار به نبياً، وهو المقصود مع تحقُّقِ أَنَّ الجميع وقع عليهم الإرسال.

وقد وصف الله ﷻ بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أَنَّ النبوة أمر زائد على الرسالة، كقوله في حق موسى عليه السلام: «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا» [مريم].

إن الفرق الرئيسي بين النبي والرسول أَنَّ النبي من أوحى إليه بشرع جديد أو سابق وأمر بتبليغه قوماً مؤمنين موافقين له، والرسول من أوحى الله ﷻ إليه لتقرير شرع سابق وأمر بتبليغه قوماً غافلين أو كافرين أو مخالفين له، وغالباً ما ينذر الرسول قومه بآية عذاب إذا أصروا على الاستمرار في الضلال.

قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران]، فهذه الآية هي أوضح آية في القرآن الكريم تبين لنا الفرق بين النبي والرسول، فالنبي يأتي بالكتاب والرسول يأتي مُصدق لكتاب النبي.

دليل بطلان قول (أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولاً)

وحتى نرد على هذه القاعدة يجب أن نوضح بأن الله ﷻ عرف الرُّسل في كتابه بأنهم من يرسلهم المولى ﷻ من الخلائق للقيام بمهمه محددة أو عدة مهام من التي ذكرناها في الفصل السابق، ومن أهمها تحذير الناس من عذاب الله ﷻ في حالة عدم عودة الناس إلى طاعة الله ﷻ. فالرُّسل المحذرون من العذاب هم من البشر، بينما الرُّسل المرسلون بالعذاب هم من الملائكة فقط.

ويرسل المولى ﷻ أيضاً رسلاً مبشرين ببشارات خيرٍ من الملائكة، كالرُّسل الذين بشرُوا زكريا عليه السلام بإنجاب زوجته لسيدها يحيى عليه السلام فقد كانوا رُسلًا من الملائكة.

وفي حالاتٍ أخرى يرسل الله ﷻ رُسلًا مبشرين ومعذبين في نفس الوقت مثل الرُّسل

الملائكة ضيوف نبي الله إبراهيم عليه السلام، فقد جاءوا بالأمرين معاً، فقد أرسلهم الله ﷻ مبشرين بالخير حيث بشروا سيدنا إبراهيم عليه السلام بإسحاق عليه السلام، وأيضاً كانوا مرسلين بالعذاب لقوم لوط عليه السلام. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 2]، ومن هذه الآية نفهم أن الاصطفاء يكون من الله ﷻ لعدة أنواع من الخلائق منها:

الأول: رسل من الملائكة:

كما ذكر المولى عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ عَمِيمٍ﴾ [الشورى: 51]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1]، فسيدنا جبريل عليه السلام وهو الرسول الموكل بالوحي من الله ﷻ إلى رسله، وميكائيل وهو الرسول الموكل بتصريف المطر، وملك الموت هو رسول لقبض أرواح الناس، ومن الملائكة الرسل الذي يكون عن يمين الإنسان، ومنهم الذي يكون عن الشمال؛ فهم الكرام الكاتبون ووظيفتهم حفظ أعمال العباد وكتابتها سواء أكانت خيراً أم شراً، وأيضاً الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار، وغيرهم الكثير مثل منكر ونكير الموكلون بفتنة القبر.

الثاني: رسلاً من البشر:

كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [١٣] إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: 13]، فهنا أرسل الله ﷻ ثلاثة رسل من البشر فلم يكونوا أنبياء ولم يأتوا بشريعة، بل هم رسل فقط لتبليغ رسالة محددة إلى قومهم.

الثالث: رسل من الجن:

كما قال المولى عليه السلام: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: 130]. وكلمة ﴿مِّنْكُمْ﴾ تدل على إرسال رسل من الجن مثل إرسال رسل من البشر، مع العلم بأن الاصطفاء للنبوّة أمرٌ مقتصرٌ على البشر فقط كما سنذكر لاحقاً، فالجن يتبعون شريعة النبي من بني آدم فمن الجن مسلمون على شريعة سيدنا محمد ﷺ، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: 26]، والجن ليسوا من ذرية نوح ولا إبراهيم، فليس منهم نبي.

من هنا نفهم أَنَّ المولى ﷺ لم يحدد أَنَّ الرسالة أَمْرٌ قاصرٌ على البشر فقط، فمن الملائكة رُسُلٌ يصطفيهم المولى ﷺ ويختارهم كما يختار البشر ويصطفيهم، كذلك الحال بالنسبة للجن. من هنا لو وافقنا الذي يقول: بأنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٍّ الرأي لكانت هناك ملائكةُ أنبياءٍ، وهذا أَمْرٌ لم يذكره الله ﷻ في القرآن الكريم، لأنَّ المولى ﷺ لا يرسل الأنبياءَ إلا من البشر، ومن هنا فإنَّ عدم وجود أنبياءٍ من الملائكة يهدم القاعدة المعروفة بأنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٍّ. ومن هنا نتعرَّفُ على أهمِّ فرقٍ بين الرسول والنبي:

الرسول :

الرسول يُعَمُّ كُلَّ الخلائق سواءً بشرٌ أو ملائكةٌ أو جنٌّ أو ريحٌ أو سحابٌ... إلخ، مهما كان نوعهم أو صفتهم، ويرسلهم لمن يشاء في أيِّ مكانٍ، لأنَّ كُلَّ المخلوقات مسخراتٌ لأمره ويرسلهم برسالةٍ إما محددةٍ أو عامةٍ أو يرسلهم لتنفيذ أمرٍ إلهيٍّ، والإرسالُ اسمٌ عامٌّ يتناول إرسالَ الملائكة وإرسالَ الرياح وإرسالَ الشياطين وإرسالَ النار، قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن]، فالرسالة هنا لا تكون محددةً أبداً بل عامةً، فالمولى ﷺ من الممكن أن يُرسلَ رسولاً بغرض بسيطٍ كإبلاغٍ بشارَةٍ بمولده، فمَهْمَةُ الرسول تكون في العادة محددةً وتنتهى بانتهاء الرسالة التي أرسل لها، فالرسالة أَمْرٌ مرتبطٌ بالغرض التي هي له والهدف منها.

النبي :

أما النبيُّ كما تم تعريفه سابقاً فيكون من البشر فقط، والنبوة ترتبط بشريعةٍ محددة، حيث يُرسل المولى ﷺ النبي بها لأنها هي الهدف من نبوته، فلا نبيٍّ بدون شريعةٍ يُبلغها لقومه سواءً كانت منزلةً عليه أو منزلةً على مَنْ قبله.

وخير دليل على ذلك سيدنا جبريلُ فقد خصَّه الله ﷻ بما لم يخصَّ به لا الملائكة ولا أحداً من المخلوقات خُلِقاً وتكليفاً؛ فهو حاملُ الوحي وهو من ينزل بالشرائع والأحكام من السماء إلى الأرض، وهو من يُدَمِّرُ الأمم الظالمة، وخلقَه الله ﷻ خلقاً عظيماً مميّزاً، ومنحه إمكاناتٍ هائلةً، ومع كُلِّ هذا لم يأت ذكرُ سيدنا جبريل ﷺ إلا بأنه رسول، ولم يأت ذكرُه في أيِّ آيةٍ من آياتِ القرآن الكريم بأنه نبيٌّ له شريعة يتبعها البشر، فهو رسول من الملائكة فقط ولا يُطلق عليه نبي، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم]، فهنا عرف سيدنا جبريل ﷺ نفسه للسيدة مريم - عليها السلام - بأنه رسولٌ وليس نبياً فقد أرسله الله

ﷺ للسيدة مريم - عليها السلام - بمهمة محددة.

ومن هنا نفهم أن النبي لا يكون من الملائكة أبداً، فقط من البشر بل حتى الجن لا يوجد منهم أنبياء بل منهم رسل فقط، لأن الشريعة التي يُنزلها المولى ﷺ على البشر هي للثقلين الأنس والجن؛ فلا بد من أن يؤمن بها كلاهما لذا تجد الجن إما مؤمن وإما كافر، ودياناتهم هي نفس ديانات البشر، فلا توجد عندهم ديانات جديدة، والدليل على ذلك أنهم آمنوا بسيدنا محمد ﷺ واتبعوا رسالته بعد سماعهم القرآن، إذا النبوة أمر خاص بالبشر فقط لا تكون إلا في أحد منهم وهو من يؤتيه الله تعالى شريعة أو يأتي مؤيِّداً لشرع من كان قبله.

فكل هذه التعريفات تبطل القاعدة: (أنه لا رسول بعد النبي ﷺ) لأن الإيمان بهذه القاعدة يستلزم معها الاعتقاد بختم جميع أنواع الرسالات التي يرسلها الله ﷻ إلى الخلق سواء كانت من الملائكة أو الرياح أو السحاب أو العذاب... إلخ، وهذا غير صحيح مطلقاً، فالملائكة بيننا في كل مكان مرسلّة من الله ﷻ، وكذلك الرياح والسحاب يرسلها الله إلى أي مكان، وملك الموت مرسل من الله ﷻ لقبض أرواح الناس إلى وقتنا هذا ولم تتوقف رسالته، فرسل الله ﷻ موجودون معنا دائماً ولم يختمهم سيدنا محمد ﷺ.

وجوب إرسال رسل قبل آيات العذاب المنتظرة:

إنّ هناك آيات عذاب منتظرة ومثبتة من القرآن والسنة لم تأت بعد ومنها: (الدخان وثلاثة خسوفات: خسفٌ بالشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)، فهذه آيات عذاب كبيرة جداً وستعم ملايين من البشر، وليست آيات عذاب تشمل قرية أو قبيلة أو قوماً مثل ما حدث مع قوم صالح أو عاد، فالأولى أن يبعث الله ﷻ رسلاً لتحذير الملايين قبل نزول آيات العذاب الكبيرة جداً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، فإن ختمت الرسل بسيدنا محمد ﷺ، فلن تقع آيات العذاب المذكورة في القرآن والسنة، ذلك لأن عدم إرسال المنذرين إلى الظالمين، يجعل لهم حجة على الله بأنهم ما كانوا يعلمون بعقابه!!، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ٥٨ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥٩﴾ [الشعراء].

ولا يجوز القول بأن النبي ﷺ قد أُنذر البشرية منذ أربعة عشر قرناً بعلامات الساعة، فهناك ملايين البشر حالياً لا يفقهون شيئاً عن الإسلام أو عن رسالة نبينا محمد ﷺ. فكيف

سيأتيهم العذاب بدون إنذارٍ واضحٍ من الله ﷻ، فلن يتم ذلك إلا بإرسال رسولٍ منذرٍ بهذا العذاب؟ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

إنَّ من سُنَّةِ الله ﷻ التي لا تتغير إرسالُ الرسل قبل وقوع آيات العذاب على الناس، وأن يعاصر الرسولُ النذيرُ وقوعَ هذه الآيات مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر].

إنها سنة الله ﷻ التي لا تتغير، فقد قال الله ﷻ: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح].
وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب]. وقال تعالى: ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُنَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾ [المرسلات]. ونلاحظ هنا أن الآية الكريمة ﴿ثُمَّ نُنَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ تتحدث عن المستقبل. وستحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل في فصلٍ لاحق.

النبوة هي المقام الأشرف والأعلى درجة

عن البراء بن عازب رض الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْاَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَجَلْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتُّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْنِي آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». قَالَ: فَرَدَدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»⁽¹⁾.

قالها البراء دون لحظٍ للفرق بين العبارتين: «وبرسولك» فجاء الإصرار النبوي على اللفظة المحددة: «ونبيك»، وهذا يدل على أن النبي ﷺ نقله إلى المقام الأشرف والأعلى درجة وأن اللفظ التي ذكره الصحابي لا يدل على النبوة ولذلك ردَّه النبي ﷺ عن مقالته وذكر اللفظ الصحيح.

النص القرآني بآن النبي ﷺ هو رسول الله وخاتم النبيين؛

قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٥) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٦﴾ [الأحزاب]. فالله ﷻ لم يقل وخاتم المرسلين والآية لا تدل على أن كل رسول نبي، فلا تلازم بينهما، ونحن لا نسلّم بهذه القاعدة أن كل رسول نبي، ولذلك قال بعد قوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لبيان لهؤلاء أنه ذكر النبيين ولم يذكر المرسلين لأن الله ﷻ يعلم أنه سوف يرسل رسلاً بعد سيدنا محمد ﷺ، فلو كان يعلم أنه لن يرسل بعد النبي ﷺ أحدًا لذكر لفظ المرسلين حتى لا يكون فيه تأييداً لمن يدّعي أنه رسول الله بعد النبي ﷺ. فنصّ الله ﷻ على الإخبار بختم الأنبياء به دون المرسلين على الرغم من افتتاحه بأشرف صفاتهم وهي إبلاغ رسالات ربهم، فابتدأ ذلك في وصفهم، ثم ختم بآن محمداً ﷺ منهم، مع إعلامه أنه خاتم النبيين دون المرسلين، فكان في هذا التخصيص بكتاب الله تعالى بياناً لمراده ﷻ وهو المحيط بكل شيء علماً، وفي علمه أنه سيرسل الرسل آخر الزمان مثلاً أرسل في السابقين، لذا لم ينص بكتابه على أنه خاتم المرسلين بل الأنبياء فقط.

سيدنا محمد ﷺ يؤكد بأنه قائد المرسلين وخاتم النبيين؛

في السنة المطهرة الكثير من الأحاديث النبوية التي تؤكد ذلك، ومن ذلك حديثه في الصحيحين، عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتِ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟!»، قال: «فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» رواه الشيخان⁽¹⁾. وفي حديث للطبراني عن جابر ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فخر، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا فخر»⁽²⁾.

وكما يرى أخي المسلم أن النبي ﷺ عدّ نفسه قائداً للمرسلين وفي النبيين الخاتم، ولو كان لا اعتباراً لهذا التفريق والتخصيص بالختام عنده، وأنه في علم الله تعالى خاتمهم أجمعين لما صحّ هذا التفريق بتاتاً، بل لا اعتبره أيّ عربيّ فصيحٍ مجردَ حشوٍ كلامٍ ولغوٍ لا معنى له، ولكان

1 أخرجه البخاري في كتاب المناقب (3535)، ومسلم (2286). واللفظ للبخاري.

2 الطبراني في الأوسط (61/1) والبخاري في الكبير (4/286) والبيهقي في دلائل النبوة (5/480)

الأصح عندهم بل الأوفق لكونه أفصح العرب وأكثر تحدثاً بمجتمع الكلام أن يقول: (أنا قائد المرسلين والنبیین وخاتمهم) لكنه يواطئ القرآن ويعلم حقيقة معنى الآية.

كذلك من أصحابه ممن وعى هذه الحقيقة كابن مسعود فكان ﷺ في صلاته بعد التشهد يصلي على النبي ﷺ ويقرر هذه الحقيقة ويعمل بها ديناً بقوله لمن سأله أن يعلمهم كيف يصلون على النبي ﷺ على ما ورد بهذا الخبر، حين قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ، فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون، لعل ذلك يعرض عليه، فقالوا له: فعلمنا، قال، قولوا: «اللهم اجعل صلاتك، ورحمتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبیین، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً، يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ»⁽¹⁾.

قال بسيادته على المرسلين وإمامته للمتقين، أما النبيون فنص على أخص صفة له فيهم وهي " الختم "، ولو كان شرعاً هو خاتم جميع المرسلين والأنبياء لما غاير بينهم في الصفات مثل ما هو ظاهرٌ في هذا الأثر عنه ﷺ.

وقريبٌ من قول ابن مسعود ﷺ -هذا- روي عن ابن عمر رضيهما ذكره مولى لبني هاشم يقال له ثوير أنه قال: قلت لابن عمر: كيف الصلاة على النبي ﷺ؟ فقال ابن عمر: قل " اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبیین محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير، اللهم ابعثه يوم القيامة مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون، وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ " ⁽²⁾. وهذا مثل ما قال ابن مسعود سواء.

ختم النبوة فقط من السنة المطهرة:

أوضح النبي ﷺ في عددٍ كبيرٍ من الأحاديث بأنه لا نبي بعده، ففي حديثٍ طويلٍ قال النبي ﷺ: «وإنه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبیین لا نبي

1 رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير وابن أبي عمر وأبو يعلى، قال البوصيري: موقوف وإسناده حسن.

2 قال البوصيري رواه أحمد بن منيع.

بعدي»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه، في حديث الشفاعة يوم القيامة، وهو حديث طويل، وفيه أن رسول الله ﷺ ذكر طلب الناس الشفاعة من الأنبياء واحداً تلوا الآخر ليشفعوا إلى الله ﻋﻠﻴﻪ ﺳﻼﻡ في الحساب بين الناس لطول وقوفهم دون حساب، حتى قال النبي ﷺ: «حتى يصل الناس إلى عيسى ﻋﻠﻴﻪ ﺳﻼﻡ فيقول لهم: أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم عليه، أكان يقدر على ما في الوعاء حتى يفيض الخاتم؟ فيقولون: لا. فيقول: إن محمداً، ﷺ خاتم النبيين»⁽²⁾.

والأحاديث في ختم النبوة صحيحة، منها حديث أبي هريرة: «.... وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبوة»⁽³⁾.

وقد بين النبي ﷺ أن النبوة انقطعت بنبوته الخاتمة، وأنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤية الصالحة، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له»⁽⁴⁾.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»⁽⁵⁾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرو»⁽⁶⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له

1 رواه أبو داود (4252) والترمذي (2219) وأحمد (5/ 278) (22448) من حديث ثوبان. سكت عنه أبو داود، وقد قال في ((رسالته لأهل مكة)) كل ما سكت عنه فهو صالح. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال ابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (1/ 142): محفوظ من غير وجه. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

2 رواه أحمد (1/ 295) (2692) قال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (4/ 241): إسناده صحيح.

3 رواه مسلم (523) وفيه النبيون بدل النبوة.

4 رواه مسلم (479).

5 رواه الدارمي (49) والطبراني في ((الأوسط)) (170). قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (10/ 223): إسناده صالح. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (8/ 2257): فيه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وقال الوادعي في ((الشفاعة)) (ص 48): فيه صالح بن عطاء مجهول.

6 رواه البخاري (3455) ومسلم (1842) من حديث أبي هريرة.

ويقولون: هلا وضعت اللبنة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»⁽¹⁾.

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، العاقب الذي ليس بعده نبي»⁽²⁾.

ومن الأحاديث النبوية التي تبين أن سيدنا محمد ﷺ هو النبي الخاتم، قول رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»⁽³⁾.

وعن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع فقال: «أنا محمد النبي الأمي - ثلاثاً - ولا نبي بعدي»⁽⁴⁾.

وقال رسول الله، ﷺ: «إن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة»⁽⁵⁾.

وقال رسول الله، ﷺ: «لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي»⁽⁶⁾.

وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «... وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»⁽⁷⁾.

إنَّ هذه النصوصَ وغيرَها تبيِّنُ لكلِّ ذي عَيْنين وعقلٍ وإعٍ وقلبٍ سليمٍ، أنه لا نبيَّ بعد

1 رواه البخاري (3535) ومسلم (2286).

2 رواه البخاري: 3532، ومسلم: 2354، واللفظ لمسلم.

3 رواه مسلم (523).

4 ((16252] رواه أحمد (2/ 172) (6606) وابن مردويه كما في ((الدر المنثور)) (3/ 574). قال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (10/ 107): إسناده حسن. وقال الألباني في ((إرواء الغليل)) (8/ 128: إسناده ضعيف.

5 رواه ابن ماجه (4077) والطبراني (8/ 146) (7644) والحاكم (4/ 580) قال ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (2/ 411): غريب جداً من هذا الوجه. وقال الألباني في ((ضعيف ابن ماجه)) (814): ضعيف. وصححه في ((صحيح الجامع)) (7875).

6 رواه الطبراني 8/ 302 (8146)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (7/ 37)، قال البيهقي: في إسناده ضعف. وقال ابن العربي في ((عارضة الأحوذ)) (5/ 132): إسناده مظلم. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (7/ 186): فيه سليمان بن عطاء القرشي وهو ضعيف.

7 رواه أبو داود (4252) والترمذي (2219) وأحمد (5/ 278) (22448) من حديث ثوبان. سكت عنه أبو داود (وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح). وقال ابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (1/ 142): محفوظ من غير وجه. وصححه الألباني في ((صحيح أبي داود)).

رسول الله ﷺ، وأن سلسلة الأنبياء قد انتهت به، وأن كل من ادعى النبوة في حياته أو بعد ماته إنما هو كذاب ضالّ مضلّ، فهذه النصوص النبوية تجزم بما لا يدع مجالاً للشك أن النبي محمداً ﷺ هو النبي الخاتم، وإن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة أيضاً.

ما صححه حديث "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت؛ فلا رسول بعدي ولا نبي..؟"

إن المؤمنين بقاعدة أنه لا رسول بعد نبينا محمد ﷺ يتمسكون بحديث مذكور فيه أنه لا رسول بعده ﷺ، حيث أخرج الإمام أحمد في مسنده⁽¹⁾، والترمذي⁽²⁾، والحاكم⁽³⁾، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الواحد يعني بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس ابن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي»، قال: «فشق ذلك على الناس»، فقال «ولكن المبشرات»، قالوا وما المبشرات..؟ قال: «رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة». قال الترمذي (وفي الباب عن أبي هريرة وحذيفة بن أسيد وابن عباس وأم كرز وأبي أسيد قال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث المختار بن فلفل).

وقد تحققت من رواة هذا الحديث لأتأكد من صحته فوجدتهم جميعاً ثقات عدا (المختار بن فلفل)⁽⁴⁾ فإن غير واحد من الأئمة قد وثقه مثل أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، وأحمد بن صالح العجلي، والموصلي، والذهبي، والنسائي، وقال أبو داود عنه: (ليس به بأس)، وقال أبو بكر البزار عنه: (صالح الحديث، وقد احتملوا حديثه).

وقد ذكره أبو الفضل السليمان فيمن عُرف بالناكير، ولخص ابن حجر العسقلاني حاله في كتاب "تقريب التهذيب" (6524) وقال: (صدوق له أوهام). وذكره أبو حاتم بن حبان البستي في "الثقات" (429 / 5) وقال: (يخطئ كثيراً).

1 مسند الإمام أحمد (3/ 167).

2 جامع الترمذي برقم (2272).

3 مستدرک الحاكم (4/ 391) وقال: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي والألباني في إرواء الغليل (128 / 8).

4 المختار بن فلفل القرشي المخزومي الكوفي من موالى عمرو بن حريث، عاش في الكوفة، وهو من التابعين، روى عن أنس وإبراهيم التيمي وعمر ابن عبد العزيز والحسن البصري وطلق بن حبيب، وعنه ابنه بكر وزائدة والثوري وعلي ابن مسهر وغيرهم. صدوق له أوهام، وذكره ابن حبان في الثقات. أخ، عاش إلى حدود سنة أربعين ومائة.

وفي كتاب "تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني الجزء العاشر قال عن المختار بن فلفل: (قلت: تنمة كلامه يخطئ كثيرا ووقع ذكره في أثر علقه البخاري في الشهادات عن أنس ووصله ابن أبي شيبه عن حفص بن غياث عنه سألت.. عن شهادة العبيد فقال جائزة وتكلم فيه السليمان فعدده في رواية المناكير عن أنس مع إبان ابن أبي عياش وغيره، وقال أبو بكر البزاز صالح الحديث وقد احتملوا حديثه).

إن مراتب وطبقات الرواة كما في تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني هي كالتالي

- 1- الصحابة: فأصرح بذلك لشرفهم.
- 2- من أكد مدحه؛ إما بفعل: كأوثق الناس، أو بتكرير الصفة لفظاً: كثقة ثقة، أو معنى: كثقة حافظ.
- 3- من أفرد بصفة، كثقة، أو متقن، أو ثبت، أو عدل.
- 4- من قصر عن درجة الثالثة قليلاً، وإليه الإشارة: بصدوق، أو لا بأس به، أو ليس به بأس.
- 5- من قصر عن الرابعة قليلاً، وإليه الإشارة بصدوق سيء الحفظ، أو صدوق يهم، أو له أوهام، أو يخطئ، أو تغير بأخرة. ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة، كالشيع والقدر، والنصب، والإرجاء، والتجهّم، مع بيان الداعية من غيره.
- 6- من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ: مقبول، حيث يتابع، وإلا فلين الحديث.
- 7- من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ: مستور، أو مجهول الحال.
- 8- من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر، ووجد فيه إطلاق الضعف، ولو لم يُفسّر، وإليه الإشارة بلفظ: ضعيف.
- 9- من لم يرو عنه غير واحد، ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ: مجهول.
- 10- من لم يوثق البتة، وضُعم مع ذلك بقادح، وإليه الإشارة: بمتروك، أو متروك الحديث، أو واهي الحديث، أو ساقط.
- 11- من اتهم بالكذب.
- 12- من أطلق عليه اسم الكذب، والوضع.

يُعتبر المختار بن فلفل من طبقات رواة الحديث النبويّ الطبقة الخامسة من طبقات رواة الحديث النبويّ التي تضمُّ صغار التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوقاً له أوهام.

قال ابن حجر في "فتح الباري" (1/384): "وأما الغلط: فتارة يكثر من الراوي، وتارة يقل، فحيث يوصف بكونه كثير الغلط، ينظر فيما أخرج له؛ إن وجد مروياً عنده، أو عند غيره، من رواية غير هذا الموصوف بالغلط: علم أن المتمد أصل الحديث، لا خصوص هذه الطريق. وإن لم يوجد إلا من طريقه: فهذا قاذح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله، وليس في الصحيح بحمد الله من ذلك شيء. وحيث يوصف بقلّة الغلط، كما يقال: سيء الحفظ أوله أوهام، أو له مناكير، وغير ذلك من العبارات: فالحكم فيه، كالحكم في الذي قبله".

وقال الشيخ الألباني - الذي صحح حديث المختار بن فلفل - في ضعيف سنن أبي داود (2/272) في ترجمة راو: "قال الحافظ: (صدوق له أوهام). قلت: فمثله قد يُحسن حديثه، إذا لم يخالف".

وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (6/216): "وقد تفرد به عمران بن عيينة، وفيه كلام من قبل حفظه، وقد أشار لذلك الحافظ بقوله: (صدوق له أوهام)؛ فتصحيح حديثه غير مقبول، وحسبه التحسين إذا لم يخالف".

وفيما عدا هذا الحديث المذكور فيه موضوع الخلاف (لا رسول بعدي) والذي رواه المختار بن فلفل، فقد روي عن جمع من الصحابة في الاستثناء على النبوة دون الإرسال في أحاديث الرؤيا، فهذا الحديث متواتر وله عدة أوجه وألفاظ ليس بها جملة (لا رسول بعدي) ومنها هذه الروايات:

1- أخرج الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة»⁽¹⁾.

وقد بوب رحمه الله في "الموطأ" بلفظ (كان إذا انصرف من صلاة الغداء يقول: هل رأى

1 صحيح البخاري، كتاب التعبير 5- باب المبشرات رقم الحديث (6990) (4/297).

أحدٌ منكم الليلة رؤيا..؟ ويقول: «ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»⁽¹⁾. وقد رواه الإمام أحمد⁽²⁾ في مسنده وأبو داود⁽³⁾ والحاكم في مستدركه⁽⁴⁾ كله من طريق مالك.

2- أخرج الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له...»⁽⁵⁾. وفي رواية لمسلم بلفظ (كشف رسول الله ﷺ السترة) ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال: «اللهم هل بلغت ثلاث مرات، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح، أو ترى له...»⁽⁶⁾.

ورواه عبد الرزاق في مصنفه⁽⁷⁾، وابن أبي شيبة⁽⁸⁾، وأبو داود⁽⁹⁾ والنسائي⁽¹⁰⁾، والدارمي⁽¹¹⁾، وابن ماجه⁽¹²⁾، وابن خزيمة⁽¹³⁾، وابن حبان⁽¹⁴⁾، والبيهقي⁽¹⁵⁾.

3- أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده وابنه عبد الله في زوائد المسند من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «لا يبقى بعدي من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له»⁽¹⁶⁾.

1 الموطأ (2/ 325).

2 المسند (2/ 325).

3 سنن أبي داود (2/ 723) تحقيق الحوت.

4 المستدرک (4/ 390) وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني وإرواء الغليل (8/ 128).

5 المسند (1/ 219) وصحيح مسلم كتاب الصلاة (41) باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، (479) (1/ 348).

6 صحيح مسلم كتاب الصلاة (41) باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، (479) (1/ 348).

7 المصنف (2/ 145).

8 الكتاب المصنف (2/ 436).

9 سنن أبي داود (1/ 545).

10 في السنن الصغرى (1/ 160، 128) والكبرى (4/ 382).

11 سنن الدارمي (1/ 304).

12 سنن ابن ماجه (2/ 1283) كتاب التعبير.

13 صحيح ابن خزيمة (1/ 276).

14 الإحسان (7/ 615).

15 سنن البيهقي (2/ 110).

16 مسند الإمام أحمد (6/ 129) وقال الألباني في إرواء الغليل (8/ 129) وهذا إسناد جيد على شرط مسلم.

4- أخرج الإمام أحمد في مسنده والطبراني من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نبوة بعدي إلا المبشرات»، قال: قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «الرؤيا الحسنة» أو قال: «الرؤيا الصالحة»⁽¹⁾.

5- وأخرج الطبراني والبخاري من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذهب فلا نبوة بعدي إلا المبشرات»، قيل: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له»⁽²⁾.

6- وأخرج الإمام أحمد، والدارمي وابن ماجه، من حديث أم كُرُز الكعبية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ذهب وبقيت المبشرات»⁽³⁾.

7- أخرج الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لن يبقى بعدي من النبوة إلا المبشرات»، فقالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»⁽⁴⁾ وهذا مرسل صحيح الإسناد.

هذا بالإضافة إلى أن الأحاديث الواردة في الرؤيا التي هي من أجزاء النبوة اختلفت ألفاظها اختلافاً كبيراً، فقد حددت بعض الروايات الرؤيا بجزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة، وبعضها: بجزء من ستة وسبعين جزءاً، وبين الروايتين أحاديث كثيرة وأرقام مختلفة فالأحاديث الواردة في الرؤى إذا ألقينا عليها نظرة نجد تفاوتاً في الأرقام، فمثلاً: بعض الروايات فيها: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» [رواه البخاري: 6983]، وفي رواية أخرى: «الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة» [رواه مسلم: 2265]، ورواية أخرى: «رؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة» [رواه مسلم: 2263]. وهناك روايات أخرى كثيرة ذكرت أرقاماً مختلفة لهذا الجزء من النبوة.

1 رواه الإمام أحمد والطبراني. قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

2 البزار (2121) والطبراني (3051) وقال الهيثمي: ورجال الطبراني ثقات.

3 مسند الإمام أحمد (281/6) وبيان الدارمي كتاب الرؤيا، باب ذهب النبوة وبقيت المبشرات (2/166). وسنن ابن ماجه (2/1283) في كتاب باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وصححه الألباني في صحيح الجامع (158/3).

4 الموطأ، كتاب الرؤيا (2/957).

وللردّ على الحديث الشريف المذكور فيه أنّ النبي ﷺ قال: (فلا رسول بعدي) نذهب إلى رأي أهل الاصطلاح؛ فقد قسّموا الحديث المتواتر إلى: متواتر لفظي وهو ما تواتر لفظه، وتواتر معنوي وهو ما تواتر معناه.

1 - التواتر اللفظي: وهو ما تواتر لفظه ومعناه.

مثاله: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري (107)، ومسلم (3)، وأبو داود (3651)، والترمذي (2661)، وابن ماجه (30، 37)، وأحمد (159/2). وهذا الحديث رواه أكثر من اثنين وسبعين صحابياً، وعنهم جمعٌ غفيرٌ لا يمكن حصرهم.

2 - التواتر المعنوي: وهو ما اتفق فيه الرواة على معنى كُليّ، واختلفت فيه ألفاظ الحديث. مثاله: حديث الشفاعة المعنى فيه واحدٌ والألفاظ مختلفة، وكذلك أحاديث المسح على الخفين.

الآن تعالَ معي أخي المسلم نطبّق هذه القاعدة على أحاديث الرؤى التي ذكرناها سابقاً لنعرف هل هناك تواتر لفظي ومعنويّ لهذه الأحاديث أم لا. وما مدي صحة عبارة (لا رسول بعدي) بالنسبة إلى باقي الأحاديث:

1 - جميع هذه الأحاديث لها تواتر معنوي ومتفقة على أن الرؤيا هي جزء من النبوة وهذا يثبت صحتها بلا أي شك.

2 - هناك تواتر اللفظ في معظم هذه الأحاديث بأنه لن يبقى من النبوة إلا المبشرات، وهذا يدل على صحتها أيضاً.

3 - اختلفت أحاديث الرؤى في عدد أجزاء النبوة ولكنها أجمعت على أنّ الرؤيا هي جزءٌ من النبوة وهذا صحيحٌ ولا شك فيه، ولكن كان الاختلاف في تحديد هذا الجزء بقدرٍ معيّن، وهذا الاختلاف غير مؤثرٍ ولا يهْمُنَا هنا؛ فسواءً كانت الرؤيا هي جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة أو كانت جزءاً من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة فلن يفيدنا شيء، ومن المعلوم أنّ الأخبار إذا اختلفت ألفاظها، وزاد بعضها على بعض، لكنها اتفقت جميعاً في المضمون، كانت من قبيل المتواتر المعنوي لا اللفظي.

4 - هناك تواتر لفظي في الأحاديث السابقة بأن النبي ﷺ هو خاتم النبیین فقط، وهذا

يطابق نصاً صريحاً بالقرآن الكريم، فلا مجال لأيّ مسلم أن يجادل في هذا الموضوع.

5- لا يوجد أيّ تواترٍ لفظيٍّ أو معنويٍّ في جملة (لا رسول بعدي) المذكورة في الحديث الوحيد الذي يستشهد به أصحاب الرأي بأن النبي ﷺ هو خاتم المرسلين، فهذه العبارة هي زيادة عن ما ذكرته باقي الأحاديث الأخرى، فهي بذلك غير متواترة لفظياً أو معنوياً كما قرأتم في الأحاديث السابقة، فهل هذا العبارة - غير المتواترة لفظياً أو معنوياً، والمخالفة لنصوصٍ عديدةٍ في القرآن والسنة كما ذكرناها سابقاً - تستحق أن نخرج منها بعقيدة خطيرة بأن النبي ﷺ هو خاتم المرسلين، وهل يُدرك العلماء ما مدي خطورة تلك الفتوى المبنية على حديثٍ واحدٍ مشكوكٍ في حفظ أحد رواته، والتي من خلالها ستسبب فتنةً عظيمةً لأحفادنا إذا أرسل الله ﷻ إليهم رسولاً في آخر الزمان يُنذرهم بعذابٍ شديد...؟

6- كما ذكرت سابقاً فإن سند الحديث المذكور فيه عبارة (لا رسول بعدي) به (المختار بن فلفل) حيث قال عنه ابن حجر العسقلاني بأنه صدوقٌ له أوهام، وذكره أبو الفضل السليمان فيمن عُرف بالمناكير، وذكره أبو حاتم البستي وقال: يخطئ كثيراً. فكيف نبنّي على هذا الحديث فقط فتوى كبيرة تقول بأن النبي ﷺ هو خاتم المرسلين...؟! هل سيتحمل العلماء المسلمون اليوم وزر المسلمين الذين سيكذبون رسولاً قادماً بسبب الإصرار على فتواهم بعد أن تبين لهم الحقيقة...؟ وهل سيشفع لهم فتاوى العلماء السابقين الذين يستشهدون بفتاواهم ويستمرون في ترديدها بدون تحقيقٍ إلى يومنا هذا...؟

آيات قرآنية تُشير إلى بعث رسل قبل وأثناء أشرار الساعة

إنّ الله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم بأنه قد خُتمت الرسالة، بل قال بختم النبوة، فالقرآن الكريم وصف سيدنا محمداً ﷺ بخاتم الأنبياء، ولم يذكر في أيّ موضع من كتابه العزيز انتهاء المرسلين، ولا انقطاع الوحي، ولا توقّف الرسالات السماوية، بل أكّد تعاقبها واستمرار الهداية الإلهية، ولو أراد تعالى أن يكون سيدنا محمد ﷺ ختام هدايته لما جاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة أخرى محملةً بالتأكيد على سنّة الله ﷻ في إرسال الرسل، ولعن الأمم السابقة لقولهم بأبدية كتابهم وانتهاء كلماته تعالى. فلماذا يقول أغلب الفقهاء ما لم يقل به الحق

ﷺ وهو أعلم بمراده..؟

إن أغلب الفقهاء والمفسرين أهملوا الآيات المتكررة بتأكيد سنة الله ﷻ في تتابع رسله ودوام وحيه، لينوا رأيهم بانتهاء الرسالات، ثم دأبوا على تكرار ذلك في كل مناسبة لكي يغرسوا في أذهان الناس بالتكرار ما لم يرد به نص على محمل اليقين. وغضوا نظرهم عن الإشارات والبشارات العديدة المذكورة في القرآن والسنة والتي تجربنا عن بعث الله ﷻ رسلاً آخرين بعد نبينا محمد ﷺ مؤيدين لشريعته متبعين لها، والتي سنذكرها بالتفصيل في الفصول القادمة، مع العلم أن هذه الآيات أو الأحاديث من الممكن أن تشير إلى رسولين أو إلى عدة رسل، ولكن من المؤكد أن العديد من الآيات التي سنذكرها في هذا الكتاب تشير إلى أن هناك رسلاً سيبعثهم الله ﷻ في المستقبل.

الآيات القرآنية التي تذكر الرسل المنتظرين بصيغة الماضي

لقد استبعد أغلب فقهاء المسلمين إمكان ظهور رسول آخر بعد سيدنا محمد ﷺ، ومن ثم فسروا كل إشارة تشير إلى أي رسول سيبعثه الله ﷻ في المستقبل على أنها لا بد وأن تعني سيدنا محمداً ﷺ. ولو أن الاجتهاد تجنب الفروض المسبقة واعتنى ببيان الحقيقة المذكورة في الكتاب كما وردت فيه لتجنب تفسيرهم هذه الأخطاء ولأهتدي بها قوم كثر، ومثال ذلك تفسير أغلب الفقهاء للآية الكريمة ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر] فالانشقاق هنا جاء بصيغة الفعل الماضي، وقد فسرّه أغلب جمهور المفسرين بأنه كان معجزة مادية في حياة نبينا ﷺ، مؤيداً لذلك حديث صحيح ومتفق عليه رواه عبد الله ابن مسعود وعدد من الصحابة ﷺ، والتي سنذكرها بالتفصيل في الفصول القادمة.

إن الكثير من أحداث القيامة والجنة والنار وأوصافها جاءت في القرآن الكريم بصيغة الماضي أو المضارع، ولكننا لا نتعامل معها على أنها قد حدثت بالفعل، لأن استعمال صيغة الماضي بشأنها كان لتأكيد وقوعها لا محالة، وهو أمر نقله مفسرون قداماً ضمن تفسيرات أخرى. ففي القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن يوم القيامة بصيغة الماضي، لكن لا أحد يقول إنها حدثت بالفعل، وإنما ستحدث في المستقبل ولكن الفعل الماضي في هذه الآيات إنما هو صيغة توكيد، ولأن المولى ﷻ لا يحده المكان ولا الزمان، فالمستقبل بالنسبة لله ﷻ كالماضي بالنسبة لنا (ولله المثل الأعلى)، فالله ﷻ ليس مثلنا ينتظر يوم القيامة أو أشرط الساعة، بل إنه

ﷺ يرى كل شيء وكل الأحداث فهو خالقها، هو خالق الزمن وخالق الأيام وخالق المستقبل، ولذلك فهو يرى كل شيء، فأراد الله ﷻ أن يؤكد لنا هذه الحقيقة فجاء الحديث عن أشرار الساعة ويوم القيامة في القرآن الكريم بصيغة الماضي.

ومن ثم فإن المستقبل في علمه تعالى ماضٍ، فهو تعالى الخالق، ومن ثم فهو غير محدود بالزمان والمكان، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٠﴾ وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ١١ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ١٢﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ٥٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ٥١﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ١١﴾ [الأعراف]، وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو كتاب الحقائق المطلقة، ولذلك فهو يتحدث عن أشياء مطلقة، فالزمن بالنسبة لنا نحن البشر ينقسم إلى ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، أما بالنسبة لله ﷻ وهو خالق الزمن فلا وجود للتقسيمات الزمانية للماضي أو الحاضر أو المستقبل، بل إن الله ﷻ يرى الماضي والمستقبل رؤية مطلقة؛ فهو خالقها في سياق الزمن الالهي المطلق، لأن الله ﷻ غير محدود بالزمن.

وبناء على هذا يجب علينا ألا نتغاضى وألا نتجاهل الآيات الكريمة التي تتحدث بصيغة الماضي أو الحاضر والتي تدل على ظهور رسولٍ جديدٍ في المستقبل، ولا نسقط تفسيرها على أنها تخص سيدنا محمدًا ﷺ، ومثال ذلك الرسول المبين المذكور في سورة الدخان، حيث قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ١٠﴾ يَعْشَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢﴾ أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا ١٤﴾ [الدخان]، وغير ذلك من الآيات التي تشير إلى رسول قادم والتي سندكرها في الفصول القادمة بالتفصيل إن شاء الله تعالى.



الفصل الثالث
تكرار اعتقاد كل أمة
بأن نبيها خاتم المرسلين



نكرار اعتقاد كل أمة بأن نبيها خاتم المرسلين



إِنَّ اللَّهَ ﷻ وضع سنته التي لم تبدل ولن تتغير على طول الأزمان، ويضعها أمام الناس كقانون أساسي واضح كل الوضوح، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون].

هذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا:

إذا تأملنا في أشد الاعتراضات التي صدرت عن الأمم السابقة حين جاءتهم الكتب السماوية لتبعث فيهم روح الإيمان بالله ﷻ التي طالما فقدت في صفحات أيامهم، نجدها تنحصر في القول: هذا ما وجدنا عليه آباءنا، أو هذا ما ألفينا عليه آباءنا.

إن الموروثات عائق أمام الإنسان في سعيه لإخلاص التوحيد والعبودية لله ﷻ، ولم يأت ذكر كلمة آباءنا في القرآن إلا في سياق الاستنكار والتحذير من الإتيان الأعمى لخطي الأولين. ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة].

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف].

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف].

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس].

﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ [هود].

﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَحْتَ أَتَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَثَبْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل].

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء].

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون].

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التقصص].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٦١﴾﴾ [لقمان].

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

كل هذه الآيات الكريمة تحذّر من الاتّباع الأعمى للآباء الأولين، وتحثّ على إعادة التقييم والمراجعة الذاتية في محاولة مستمرة للوصول إلى تحقيق كمال التوحيد للخالق كهدف أسمى للحياة، ونلاحظ من خلال الآيات كيف يتجلى بشكل واضح الرفض الكبير لأيّ محاولة قفز على التفكير التراثي الأبائي، على الرغم من فساد وضلاله، وعشق كبير للعيش عالية على الآباء والأقدمين في التفكير عيش المعاقين الذين لا غنى لهم عن فكر عنهم وخطط لهم، فالخروج من الموروث والأعراف كان أصعب من الاقتناع في حد ذاته.

لقد سلّط القرآن الضوء على تلك المصيبة الكبيرة التي وقع بها الأوّلون، بل وأبرزها على رأس المصائب التي حالت بينهم وبين هدايتهم وعدم الخروج عن المألوف والسائد، هذه العبودية لفكر الآباء الذي يمثّل رمزاً لكلّ ما هو قديم ومألوف سواءً كان بعيداً أم قريباً، من حيث التفكير على الأقل، كانت بمثابة الحجر الكبير الذي يقف في طريق تحرّرهما الفكري، وبالتالي نجاتهم في الحياة الدنيا والآخرة.

تكرار الاعتقاد بعدم بعث رسول آخر:

لو استعرضنا تاريخ الأمم السابقة لوجدنا أن جميعها قديماً وحديثاً وإلى يومنا هذا تعتقد أنه لن يأتي رسول بعد نبيها وبأن نبيها خاتم الرسل، ويظهر ذلك جلياً في زمن سيدنا موسى عليه السلام حين قالوا ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر]. فهذا هو ما كان معتقداً بعد موت سيدنا يوسف عليه السلام بأن الله ﷻ لن يبعث رسولا بعده.

كما أصرت أمة اليهود على هذا الزعم بقولها بأن الله ﷻ أمسك عن إرسال الرسل إلى البشر وكذبوا سيدنا عيسى عليه السلام، فقال سيدنا عيسى عليه السلام مخاطباً اليهود كما هو موجود بالإنجيل: (لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوني لأنه هو كتب عني).

وكذلك المسيحيون أيضاً وبنص الإنجيل الصريح يعترفون بأن المسيح هو خاتم المظاهر والإنجيل هو آخر الكتب السماوية، لهذا لم يؤمنوا بسيدنا محمد ﷺ، ففي الإنجيل (السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ) (لوقا 21: 33)، وهذه العبارة تدل على استمرار إرسال الله ﷻ رسله بعكس ما يدعى المسيحيون، لأن كلام الله ﷻ إنما يبلغه للناس رسله وتنزل عليهم كتبه، فإذا كان كلام الله لا يزول ﷻ كما هو الحق والواقع فالرسل مستمرّون بلا انقطاع وليس في تلك الآية في الإنجيل ما يدل على انقطاع الإرسال، وقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157].

من الآيات التي تمسك بها الكثير من العلماء المسلمون واستدلوا فيها بخاتمية الرسل هي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]. وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 33].

فالآيات والأحاديث التي ذكرناها سابقاً تمثل نموذجاً لما يتمسك به المسلمون والمسيحيون واليهود في ادعائهم بأن نبيهم هو خاتم الرسل، لهذا فقد حرم اليهود من نعمة

الإيمان بسيدنا عيسى عليه السلام وبسيدنا محمد ﷺ، وأيضاً حُرِّمَ الكثير من المسيحيين من نعمة الإيمان بسيدنا محمد ﷺ، وإنني لأخشى أن يقع المسلمون في نفس هذا الفخ ولا يؤمنوا بالرُّسل المنتظرين.

إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وبحسب الحديث النبوي الشريف «لِتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» [رواه البخاري] سيلحقون باليهود والنصارى في تكرار هذا الاعتقاد عند ظهور رسول جديد، وذلك بسبب تفسير خاطئ لآية «وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ»، والحديث النبوي «لا نبيَّ بعدي»، فقد قاموا بتعميم تفسير خاتم النبيين ليشمل أيضاً خاتم المرسلين.

إن رفض الناس للرسالات الجديدة ليس بالضرورة وليد العناد أو رغبة في الكفر، بل أكثره ناتج عن التمسك بالراسخ في أذهان الناس بأن دين آبائهم وما شبوا عليه وألفوه هو الحق، فالأعداء التي يتخذها المنكرون أساساً للإعراض والإنكار كما يوجزها الذكر الحكيم: «وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾» [الأعراف]. فالاعتراض على رسل الله قد يكون وليد حسن النية مع الجهل والاستهانة بالبحث والتحقيق.

إن سورة البقرة تؤكد أيضاً أن أساس الإعراض عن الأديان الجديدة، وتكذيب الناس لمن بعثهم الله بالحق هو نتيجة طبيعية للتمسك بالتقليد الأعمى، والتشبث بالآراء والأفكار الموروثة عن السلف بدون إعادة بحث أو تحقيق، ودراسة الحجج والأدلة التي بُنيت عليها، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً أُولَئِكَ كَانَ عِبَادُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٧٧﴾» [البقرة]. ويرتّب القرآن الكريم على هذه السوابق المتواترة حكماً عاماً يصدق على جميع الأديان الجديدة حيث جاء في قوله تعالى: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٧٧﴾» [البقرة: 87].

إن تكذيب الرُّسل أضحى ظاهرة منتظمة كما يؤكد قوله تعالى: «وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٦﴾» [يس]، وسبب هذا الإعراض هو ما يتوارثه الناس من تفسير وتأويل قال به السابقون الذين وقعوا في المحذور وأضلوا من بعدهم خلقاً كثيراً. إن القرآن الكريم وصف سيدنا محمداً ﷺ بخاتم الأنبياء، ولم يُذكر في أي موضع من

كتابه العزيز انقطاع الوحي، ولا توقف الرسالات السماوية، بل أكد تعاقبها واستمرار الهداية الإلهية: ولو أراد تعالى أن يكون سيدنا محمد ﷺ ختام رسله لما جاءت فيه آيات كثيرة أخرى محملة بالتأكيد على سنته في إرسال الرسل.

فتمسك اليهود بأبدية التوراة وإنكارهم إمكان ظهور رسل من بعده بشرائع مغايرة، قد صرف نظرهم عن البشارات التي ذكرتها التوراة، مثل ما جاء في قوله: "وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ بِهَا مُوسَى رَجُلُ اللَّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالَ جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرٍ وَتَلَا لَا مِنْ جَبَلٍ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رَبَوَاتِ الْقُدُسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ" (سفر التثنية 33: 2)، وفي هذا إشارة إلى مجيء سيدنا موسى ﷺ "من سيناء"، وظهور سيدنا عيسى ﷺ "من سعير"، وبعثه سيدنا محمد ﷺ "من فاران".

وتشبهت المسيحيون أيضاً بأبدية كلام السيد المسيح وعضوا النظر عن قوله: "لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمُعْزِي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ" (إنجيل يوحنا 16: 7)، وكذلك قوله في موضع آخر: "وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أُرْسَلَنِي بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ وَأَمَّا الْمُعْزِي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (إنجيل يوحنا 14: 26)، هذا بالإضافة إلى قوله: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَشُّ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (إنجيل يوحنا 15: 26)، وكل هذه بشارات بظهور سيدنا محمد ﷺ ولكن أهل الإنجيل يقرأون هذه البشارات الكبرى فيؤولونها على أنها إشارة إلى حلول روح القدس على التلاميذ بعد صعود السيد المسيح ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

أنه لا شك في أن خطأ عظيماً قد وقع من كل الأمم عن قصد أو عن غير قصد في تأويل كلام الله ﷻ وفهم مراده نتيجةً للتركيز على ما جاء في آية أو آيتين وإغفال ما جاء في غيرهما، أو تأويل ما جاء في قسم من الآيات ليطابق ما استخلصه المفسرون من آيات أخرى يجذبونها وتوافق ميوهم الفكرية. ولا نزاع أيضاً على أن الإصرار على هذا الخطأ لا يغيّر من الواقع شيئاً، ولا يبدل سنة الله ﷻ وخطته، فرغم إصرار علماء اليهود على أبدية شريعة سيدنا موسى نعلم على وجه اليقين أن سيدنا عيسى بن مريم ﷺ قد جاء من بعده بالحق ونسخ جزء من شريعته، وعلى الرغم من تمسك النصارى إلى اليوم بأن سيدنا عيسى ﷺ هو الأول والآخِر نعلم على وجه اليقين أن سيدنا محمد ﷺ قد جاء بالحق وأن القرآن آخر كتاب سماوي حق

أنزل من بعد التوراة والإنجيل ناسخاً لأحكامها. فلم يمنع التفسير الخاطي، ولا الإصرار على التفسير الخاطي تجديد الدين وفقاً لمشيئة الله ﷻ.

خلاصة القول بأن تفسير القرآن الكريم فيما عدا الآيات التي اشتملت على الأحكام والشرائع أمرٌ لا خلاف عليه، وما انتهى إليه المسلمون من إجماع بشأن تأويل قوله تعالى: ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ لتشمل أيضاً خاتم المرسلين مبناه العاطفة، لا البحث الدقيق، ولا يختلف في جوهره عن إجماع اليهود بأبدية شريعة سيدنا موسى ﷺ وإجماع النصارى بخاتمة رسالة سيدنا عيسى ﷺ.

ويمكن إرجاع جذور هذا الاختلاف في الفهم إلى زعم كثير من المفسرين أنه لا مكان لظهور رسالة أخرى بعد رسالة سيدنا محمد ﷺ، ويتمسك المسلمون بهذا الفهم مع وضوح مناقضته لسنة الله ﷻ. وهذه آراء لا جديد، فيها فقد قال بمثلها أتباع كل الأديان السابقة على الإسلام، فذهبت كل أمة من الأمم السابقة في تفسير آيات كتابهم على النمط نفسه وانتهوا جميعاً بدوافع الحب والولاء لدينهم إلى أن شريعة كل منهم هي أكمل الشرائع ومنتهاهما، وأنه بمجيء نبيهم خُتِمَت الرسالات السماوية، ثم اعترضوا على رُسل الله ﷻ الذين جاءوا من بعد ذلك مستندين إلى آراءٍ مطابقة لما يقول به أغلب فقهاء المسلمين اليوم، فيرتكبون بذلك من حيث لا يعلمون الخطأ الذي وقعت فيه الأمم السابقة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وهو كائن فيكم" ⁽¹⁾. ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن أشبه الناس سمياً وهيئة بني إسرائيل أنتم تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله" ⁽²⁾.

1 رواه نعيم بن حماد في الفتن.

2 رواه محمد بن نصر المروزي في (السنة).



الفصل الرابع

وما كنّا معذّبين حتّى نبعثَ رسولاً



وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا



إنَّ أولى مراحل إهلاك القرى الظالمة، هي إرسال المنذرين إليها وتكذيبهم، ويُعد إرسال المنذرين إلى القرى الظالمة شرطاً أساسياً لوجوب إهلاكهم، فإن لم يُرسلوا إليهم فلن يعاقبوا، ذلك لأن عدم إرسال المنذرين إلى الظالمين، يجعل لهم حجة على الله ﷻ بأنهم ما كانوا يعلمون بعقابه...! لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ذُكِرَ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ [الشعراء].

وكما ذكرنا سابقاً فإنَّ هناك آيات عذابٍ منتظرةٌ مثبتةٌ من القرآن والسنة لم تأت بعد ومنها (الدخان وثلاثة خسوفات: خسفٌ بالشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب) وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)، فهذه آيات عذابٍ كبيرةٌ جداً وستعم ملايين من البشر، وليست آيات عذابٍ تشمل قرية أو قبيلة أو قوم مثل ما حدث مع قوم صالح أو عاد، ولا يجوز القول بأن النبي ﷺ قد أُنذر البشرية منذ أربعة عشر قرناً بعلامات الساعة فهناك ملايين البشر حالياً لا يفقهون شيئاً عن الإسلام أو عن رسالة نبينا محمد ﷺ، ومن سنة الله ﷻ التي لا تتغير هو إرسال الرسل قبل وقوع آيات العذاب على الناس وأن يعاصر ذلك الرسول وقوع هذه الآيات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح].

ليس من المنطقي أن يستيقظ شخص ما من نومه سواء كان من الصين أو الهند أو البرازيل مثلاً فيجد أن الدخان قد عم السماء بدون إنذار أو أن يجد الشمس وقد أشرقت من المغرب وأن الله ﷻ قد أغلق باب التوبة فلا تُقبل توبة هذا الشخص بدون انذار، ونفس الشيء بالنسبة للمسلمين الغافلين الذين لا يفقهوا شيئاً عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب]، ومن هذه الآيات يتبين لنا أنَّ ما حدث سابقاً سيحدث مستقبلاً، وأنَّ أكثر الناس سيكذبون الرسل الذين سيظهرون مستقبلاً، وإنني أرى أنَّ الكثير من المسلمين سيقعون في نفس الفخ الذي وقع فيه من سبقهم لأنَّ أكثرهم الآن لديه قناعة

مترسخة منذ قرون بأن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم المرسلين وليس خاتم الأنبياء فقط، وبالتالي فبالرغم من أن المرسلين المنتظرين سيكونون مسلمين وعلى ملة الإسلام، إلا أنه سيتم تكذيبهم كما حدث لمن سبقهم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِّكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ۖ﴾ [الأنعام]، إن هذا ما يقلقني وهذه من أحد الأسباب الرئيسية التي جعلتني أكتب هذا الكتاب حتى إذا ظهر رسولاً مستقبلاً فيكون لدى العديد من الناس المعلومة بأن الله ﷻ سيرسل رُسلًا مستقبلاً قبل وقوع آيات العذاب.

وحتى تستوعب أخي المسلم ما سيحدث للرسل المنتظرين يجب عليك أن تقرأ ما حدث مع الرسل السابقين، فلن تختلف كثيراً مراحل الدعوة للرسل المنتظرين عما حدث لمن سبقهم وسنذكرها في المراحل التالية:

إرسال المنذرين؛

هي أولى مراحل إهلاك القرى الظالمة، حيث يرسل الله ﷻ المرسلين إلى تلك القرى لإنذار أهلها، وتحذيرهم من عقابه، وهو الشرط الأول لتحقيق وجوب إهلاكهم. لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ۝﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]. وإرسال المنذرين إلى الظالمين شيء مهم للغاية، فبدون إرسال المنذرين يكون للظالمين حجة على الله ﷻ.

لقد أهلك الله ﷻ الأولين، ثم أتبعهم بالآخرين، كذلك يفعل الله بالمجرمين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ۝ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝﴾ [المرسلات]، على أن الله ﷻ يرسل المنذرين من الرجال القادرون على تحمل الأذى وتحطيط العقبات، وتحمل سخرية الظالمين واستهزائهم وتهديداتهم بالقتل في بعض الأحيان، فلا يرسل منذر من الضعفاء نفسياً أو النساء أو الفتيات، أو الصبية أو الغلمان، إنما يرسل الله الرجال من أهل القرى يوحي إليهم بتلك المهام، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [يوسف]، وكان الكافرون يتعجبون من هذا الأمر من قبل!!، قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝﴾ [ق]، إن الظالمين متكبرون في الأرض!! يتعجبون أن يكون

لبشر منهم صلة بالسّماء من دونهم !!.

من المؤكّد أنّ المُنذِرِينَ في هذا العصر أيضاً والذين لا نعلمهم بالطبع !! الله يعلمهم، يلاقون العقبات والصعوبات ويتعرضون للتكذيب والسخرية والاستهزاء، والتهديد بالقتل أحياناً وإراقة الدماء، ولا شك أنّ الظالمين في عصرنا هذا يتعجبون كما تعجب الذي من قبلهم !!، كيف لبشر مثلهم يرسله الله لينذرهم من بطشه ؟، تماماً كما تعجبت قريش من رسول الله ﷺ من قبل، ومن المفروض أن تتعجب أنت من ذلك الوضع المعكوس، فالمنذرون ينادون بالحق، والظالمون يجادلونهم بالباطل...!

تمسكُ الأُمم بما عليه الآباء:

لقد أرسل الله ﷻ الرسل (عليهم الصلاة والسلام) مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد بعثه للرسول وأنزل الله ﷻ الكتب لإخراج البشر من الظلمات إلى النور فأدّوا الأمانة ونصحوا الخلق فقبلوا من أقوامهم بالكفر والتكذيب ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون]. وكان شعارهم هو (التمسك بما عليه الآباء).

فقال قوم نوح ﴿لَا تَذَرْنَّ ءَالَهَتَكُمْ﴾، وقالت عادٌ لسيدنا هود عليه السلام ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾، وقالت ثمود لصالح عليه السلام ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾، وقال قوم فرعون لسيدنا موسى عليه السلام ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾، وقالت قريشٌ وكانت أشدهم في ذلك ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَآثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾، وهكذا جميع الأقوام مع رسلهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَآثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

تكذيب المنذرين:

تكذيب المنذرين هو المرحلة الثانية من مراحل إهلاك القرى الظالمة، وبدون تكذيب القرى لا يتحقّق الشرط الثاني لعقاب الظالمين، فلو صدّق أهل القرى منذرهم، ما كان لله عليهم حُجّةٌ وما كان الله ﷻ بحاجةٍ إلى عقابهم، غير أنّ هناك أنماطاً مختلفة من المكذّبين الذين أهلكهم الله من قبل، فقوم نوح عليه السلام هم أوائل المكذّبين للأنبياء والمرسلين على الأرض من ناحية، وأنهم أكثرهم حِدّةً وشراسةً من ناحية أخرى، وبهم يُقاس المكذبون في كل العصور.

لقد ظلَّ نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع طول تلك الفترة الزمنية لم يستجب له قومه إلا قليلاً منهم، ظلَّ يدعو قومه ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، فلم يزيدهم دعاؤه إلا فراراً من دعوته، ومن خلال تكذيب قوم نوح لرسولهم، نوضَّح المراحل المتصاعدة للتكذيب، التي يتعرض لها عادة المُنذرين، بدءاً من السخرية والتهكم والاستفزاز والجدال، مروراً بمراحل الاتهام المختلفة والمتصاعدة للمُنذرين كالاتهام بالضلال أو الجنون، وصولاً إلى مرحلة الزجر والنهر والتهديد بالقتل، أو حتى الوصول إلى مرحلة القتل الفعلي، كما فعل بنو إسرائيل بالعديد من أنبيائهم.

كما تعرَّض سيدنا محمداً ﷺ لتكذيب قريش، وعانى كل الأذى منهم، تكبر - تكذيب - سخرية - عناد... الخ، والله ﷻ يدعونا دائماً إلى النظر والتدبر في عاقبة المكذبين، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك]، وقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا﴾ [الزمل]، وقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم]، وأُمِّلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٩﴾ [القلم].

وبدون التكذيب لا يعاقب الله ﷻ أهل القرى، وكم من قرية ظلمت ثمَّ عادت إلى رشدها قبل موعد عقابها، فلم تهلك ولم تعذب، وهناك شرطان بدونها لا يحقُّ العقاب على الظالمين:

1 - ضرورة إرسال مُنذرين إلى أهل القرى لإذارهم من عقاب الله ﷻ.

2 - تكذيب أهل القرى للمُنذرين وإصرارهم على تكذيبهم.

فإن لم يرسل الله مُنذرين كان لأهل القرى حجةٌ على الله بأنهم لا يعلمون، وأما لو صدَّقوا بالمُنذرين واستجابوا لهم، ما كان لله ﷻ في حاجةٍ إلى عقابهم، فما حاجةُ الله لإهلاكهم بعد أن استجابوا للنُّذر وعادوا إلى الحق...؟!.

إيمان وإصرار على التكذيب؛

هناك نوعٌ من الناس يُصرون على التكذيب أطلق الله عليهم كلمة (الغافلين)، والقرآن الكريم يُعرّف أسباب تلك الغفلة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف]، فهم لا يستخدمون عقولهم ولا حواسهم حتى ولو أرسل الله ﷻ إليهم المُنذرين، ومن ثمّ فهم يمعنون ويصرون على التكذيب..!، وتلك الطائفة من البشر شبَّها الله بالأنعام ﷻ، بل جعلهم أضلّ من تلك الحيوانات.

وهناك نوعٌ آخرٌ من البشر غارقون في بحار التكذيب والغفلة، لا يكفيهم منذرٌ واحدٌ، ولا اتِّفاقٌ واحدٌ، ولا عهدٌ واحدٌ، ولا كلمةٌ واحدةٌ، يحرفون الكلام ويقولون ما لا يفعلون، تناقضٌ عجيبٌ في الأقوال والأفعال..! مكذبون، مكذبون، مكذبون..!، مكذبون بعقاب الله، ويمعنون في تكذيب المُنذرين، ويصرون على تزييف الحقائق. ولقد ضرب الله لنا مثلاً بهذا الصنف من البشر، ذلك الصنف من البشر الذي لا يفلح معه كثرة التحذيرات ولا كثرة النصيح والإنذارات، تماماً كما كان يفعل أصحاب القرية في سورة (يس) مع المرسلين، تدبر قوله تعالى عن أصحاب القرية في سورة يس: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس].

إنهم لا يكتفون بتكذيب المُنذرين، بل تتصاعد مشاعرُ حقدهم وكرهيتهم إلى حدٍّ السخرية منهم والاستهزاء، وإلى حدٍّ الإيذاء البدنيّ والتهديد بالرجم أو القتل في بعض الأحيان، كما كان يفعل بنو إسرائيل مع الأنبياء من قبل بغير حق..!

استهزاء المكذّبين بالمُنذرين؛

إنّ أمرَ المكذّبين عجيبٌ..!، فمن ينصحونهم وينذرونهم لا يسلمون من سخريتهم واستهزائهم، أما الذين يساندونهم في ظلمهم وطغيانهم فهم أصدقاؤهم..!، والزمّن يعيد نفسه؛ فتلك سنّةُ الظالمين في كلّ عصر، فما كان يحدث من أهل القرى الظالمة في الماضي، نجده يحدث الآن على أرض الواقع، ولو عدنا إلى الماضي فسنرى كيف كان المكذبون يستهزئون بالمُنذرين، وكيف كانوا يهددونهم بالرجم والقتل..!؟.

أمثلة لبعض المكذبين في الماضي؛

أ. تكذيبهم سيدنا محمد ﷺ

لم يسلم سيدنا محمد ﷺ من التكذيب والاستهزاء والسخرية، فقالوا عنه (شاعرٌ، وكاهنٌ، وساحرٌ، ومجنون)، هكذا لم يسلم سيدنا محمد ﷺ من الأذى المعنوي، وكان الله ﷻ يسرى عنه ويعزيه في تكذيب قومه له، ويُذكره بأن الرسل الذين سبقوه لم يسلم أحدٌ منهم من الأذى المعنوي والمادي في صوره المتعددة (تكذيب - وسخرية - واستهزاء - محاولة القتل... الخ)، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿١﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتْنَهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٣﴾ [الأنعام].

لقد بذلت قريش مجهوداً كبيراً في محاربة هذا الخارج عليها، وعلى دينها ودين آبائها، وما ثابرت وصابرت السنين الطوال للقضاء على هذه الدعوة الجديدة، يعدُّو ما يتصوره العقل، هدَّت سيدنا محمد ﷺ وهددت أهله وأعمامه، تهكمت عليه وعلى دعوته، وسخرت منه ومن اتبعه، أرسلت شعراءها تهجوه، نالته بالأذى ونالت من اتبعه بالسوء والعذاب، عرضت عليه الرشوة، وعرضت عليه الملك، وعرضت عليه كل ما يطمع الناس فيه، شردت أنصاره عن أوطانهم، وأصابتهم في تجارتهم وفي أرزاقهم، أنذرتهم وأنذرتهم بالحرب وأهوالها، وها هي ذي تحاصرهم أخيراً لتُتميتهم جوعاً إن استطاعت لذلك سبيلاً.

ب. تكذيبهم نوحاً عليه السلام

إن تكذيب قوم نوح لرسولهم يحتاج إلى وقفة، فهناك العديد من الأسرار...! إن تكرار العبارة القرآنية ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ في العديد من آيات القرآن الكريم، أو في جزء منها تضع أمامنا كثيراً من التساؤلات:

1- هل يُعد قوم نوح هم مقياس أو دليل للرجوع إليهم عند البحث في كيفية تكذيب المُنذرين...؟.

2- ما ذلك النوع من البشر الذين يلبث فيهم رسول ألف سنة إلا خمسين عاماً ينذرهم، فلا يؤمن له إلا من قد آمن من قبل بمئات السنين، رغم طول فترة بقاءه معهم.

3- هل قوم نوح عليه السلام هم ذلك النوع من البشر، الذي لا يفلح معه كثرة الإنذارات ولا طول زمن الدعوة؟.

لقد ظلّ نوحٌ عليه السلام يدعو قومه ليلاً ونهاراً، فلم يزداهم دعاؤه إلا فراراً، ثم إنه دعاهم جهاراً..!، ثم إنه أعلن لهم وأسرّ لهم إسراراً، ومع كلّ تلك الأساليب التي استخدمها معهم، أصروا على كفرهم وعنادهم واستكبروا استكباراً، إنهم حقاً مكذبون محترفون - إذا جاز التعبير - يضرب بهم المثل في قمة تكذيب الظالمين للمُنذرين على مرّ العصور.

إنّ ما فعله قومُ نوح مع نوح عليه السلام هو نموذجٌ للمكذبين حقاً، لقد أخذوا كلّ مراحل الكذب التي يمكن أن تحدث لرسولٍ منذر، فقد بدأوا بالسخرية منه والتهكم عليه..!، ثم تصاعد تكذبيهم ليصل إلى مرحلة الاتهام بالضلال والجنون..!، ثم تصاعد تكذبيهم ليصل إلى مرحلة الزجر والنهر، ثم إلى مرحلة التهديد بالقتل أو الرجم..!، فكانت مراحل الكذب تتصاعد الواحدة بعد الأخرى.

وكُلّ الأمم التي جاءت بعد نوح عليه السلام يضرب الله لهم المثل بهم، من خلال تلك العبارة القرآنية التي تتكرر في القرآن الكريم وهي: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، وهي عبارة قرآنية تلفت الأنظار إلى ذلك النوع الخطر من المكذبين، المُمعنين في الكذب، والمصرين عليه. والآيات التالية تشير إلى عظم تكذب قوم نوح لرسولهم، والتي تتكرر فيها العبارة القرآنية المشار إليها ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ لتبيّن أنّ قوم نوح عليه السلام هم الذين سبقوا العالم كلّ في مضمار الكذب هذا عن غيرهم، كأنهم قدوةٌ للمكذبين ومثّلهم الأعلى في الماضي والحاضر وما سيحدث في المستقبل، تدبّر قوله تعالى:

- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [ص].
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: 5].
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَثَمُودٌ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۖ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق].
- ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۖ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۖ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج].

ت. تكذبيهم هوداً عليه السلام

كذبت قوم عادٍ هوداً عليه السلام، ولم يسلم من سخريتهم واستهزائهم به قالوا: ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 54]، وقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنْ

الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ [الأعراف: 66]، وقالوا: ﴿يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 53]. هكذا كذبوا هوداً عليه السلام كما كَذِبَ نوحٌ عليه السلام من قبل.

ث. تكذيبهم صالحاً عليه السلام

ولم يسلم سيدنا صالحٌ عليه السلام من سخرية قومه (ثمود) أيضاً، ولم يسلم من استهزائهم، قالوا: ﴿يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: 62]، أي أنك كنت محطاً رجائنا فيك من قبل، فكيف أصبحت هكذا...؟ وأضافوا: ﴿وَأَنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: 62]، هكذا يفعل المُكذِّبون، كلامهم غير منطقيٍّ، وغير مقنعٍ، وأمرهم غريبٌ وعجيبٌ، هكذا كذبوا صالحاً عليه السلام كما كَذِبَ نوحٌ عليه السلام من قبل.

ج. تكذيبهم لوطاً عليه السلام

كذبت قوم لوطٍ رسولهم لوطاً عليه السلام، وكانت سخريتهم من نوعٍ مختلفٍ، فهي سخرية الفاجر المتبجح -إن جاز التعبير- يأتون الرجالَ شهوةً من دون النساء، ومع ذلك يريدون أن يُخْرِجُوا آلَ لوطٍ عليه السلام من قريتهم، لأنهم أناسٌ يتطهرون، ولأنَّ لوطاً عليه السلام يأمرهم بالطهارة من تلك الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحدٍ من العالمين، قال تعالى على لسان قوم لوط: ﴿قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82].

تكذيبٌ معكوسٌ؛ فهم يعلمون أنَّ رسولهم يأمرهم بترك تلك الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحدٍ من العالمين، ومع ذلك يريدون إخراجه وأهله من قريتهم لأنهم أناسٌ يتطهرون...! أسلوبٌ تكذيبٍ غايةٍ في الفجور والتبجح، فلا حياءَ عندهم ولا استحياء.

وعندما يعرض عليهم ما هو أظهر لهم في بناته بقوله: ﴿يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78]، أي أنَّ زواجكم بهنَّ أظهر لكم إن كنتم فاعلين، وبالطبع هو أظهر مما يفعله الرجال بالرجال، فمُعاشرَةُ الرجالِ للنساءِ بالزواج هو الأمر الطبيعيُّ، الذي فطر الله ﷻ الناس عليه، حتى ذكورُ البهائم لا تأتي إلا الإناث، ولا يوجد حتى في الكائنات الأخرى، حيواناتٌ أو طيورٌ أو حشراتٌ، ذكوراً تَجمَعُ ذكوراً، كما كان يفعل قومُ لوطٍ، لذلك كان ردُّهم الفاجر المتبجح على نصحه لهم: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: 78].

سخرية فاجرة ليس فيها حياء ولا استحياء، وهو قول كان يجب أن يخجلوا منه وهم ذكور!!، ولك أن تتخيل أخي المسلم كم عانى سيدنا لوط عليه السلام من تكذيب قومه الشواذ

الفجرة المتبحجون؟. هكذا كذبوا لوطاً عليه السلام كما كُذِبَ نوح عليه السلام من قبل.

ح. تكذيبهم شعيباً عليه السلام

لم يسلم شعيب عليه السلام مما لم يسلم منه جميع الرسل من قبل، قال الملائكة الذين كفروا من قومه: ﴿لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: 90]، وقالوا: ﴿يَشْعُبُ أَصْلَوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]، هكذا تهكّم وسخرية واستهزاء، ثم تهديد بالطرد، حيث قال الملائكة الذين استكبروا من قومه: ﴿لَخَرِجْتُكَ يَشْعُبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْنَتَا أَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: 88].

ثم يتصاعد تكذيبهم إلى حدّ التهديد بالرجم قالوا: ﴿يَشْعُبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتُكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزِّينَ﴾ [هود: 91]. لقد قيل إنّ شعيباً عليه السلام كان ضعيف البصر وقيل إنه كان ضريراً، ولولا رَهْطُهُ أي (عشيرته) التي كان يستند إليها ويتقوى بها، لرجموه بالحجارة، هكذا كذبوا شعيباً عليه السلام كما كُذِبَ نوح عليه السلام من قبل، وكذلك لم يسلم رسول من أذى المكذبين (تكذيب - سخرية - استهزاء - وتهديد ووعيد).

مرحلة السخرية:

من هذه المرحلة يُبَيَّنُّ لنا القرآن الكريم بما لا يدع مجالاً للشك، المراحل القاسية من التكذيب التي مرّ بها نوح عليه السلام في مواجهة قومه، وما لاقاه من تكذيب متصاعد خلال الفترة الزمنية الكبيرة، التي مكث فيها معهم (ألف سنة إلا خمسين عاماً)، حتى بلغ التكذيب مداه. بدأت مرحلة السخرية حين بدء سيدنا نوح عليه السلام في صنْع الفلك، هذا الفلك الذي هو وسيلة النجاة لسيدنا نوح عليه السلام والذين آمنوا معه، والذي استغرق زمناً طويلاً في صنعه، إلا أنّ ذلك كان مدعاة لسخرية قومه منه، فكيف يصنع فلكاً في اليابسة في مكان بعيد عن الماء ولماذا..؟! لم يكن ذلك تعجباً، بل كان سخرية منهم، فكلما مرّ عليه ملائكة من قومه سخروا منه، كانوا يسخرون منه ويضحكون، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: 38]، كان نوح عليه السلام يستمع إلى سخريتهم ويعلق على تلك السخرية بقوله: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

مرحلة التهم والاستفزاز

انتقلوا من مرحلة السخرية إلى مرحلة التهم والاستفزاز، تدبر مدى تهكمهم واستفزازهم لنوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ إِلَّا الَّذِينَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود]، والرذل هو النذل، قالوا اتبعك أحسنًا ونا وسقطنا وسفلتنا، قال النحَّاس: الأراذل هم الفقراء، والذين لا حسب لهم.

كان هذا جهلاً منهم لأنهم عابوا رسول الله نوحاً عليه السلام بما لا عيب فيه، لأن الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يرسلون إلى الناس جميعاً، فإذا أسلم منهم الديء لم يلحقهم من ذلك نقصان، لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم.

مرحلة الجدل:

لم يكتفوا بالسخرية والتهم والاستفزاز، بل تصاعد تكذيبهم لنوح عليه السلام إلى مرحلة الجدل، كما توضَّح لنا الآية التالية من سورة هود، والتي يُعبَّرُ عنها القرآن الكريم بعبارة ﴿قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا﴾ [هود: 32] والتي يبدو منها أنهم قد وصلوا في جداله إلى حدٍّ بعيد، فكان كلما جاءهم نوح عليه السلام بالحق جادلوه بالباطل وهكذا، تدبر قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: 32].

مرحلة الاتهام بالضلال:

استمرَّ قوم نوح عليه السلام في تصعيد تكذيبهم ليصلوا به إلى مرحلة توجيه الاتهام إليه بالضلال، مع أنهم هم الضالون، لكن هكذا يكون المكذِّبون، يقلبون الأمور ويعكسون الحقائق..! قال تعالى مصوراً لنا قولهم المنكر: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف].

مرحلة الزجر والاتهام بالجنون:

إن الاتهام بالضلال لا شك أنه أقل حدة من الاتهام بالجنون، ويتضح لنا من الآية التالية حدة التعامل مع الرسول المُنذر، حيث تتصاعد أعمال التكذيب ودرجات الاتهام، لقد تحمل سيدنا نوح عليه السلام الكثير من قومه طوال تلك الفترة الزمنية التي تقدر بمئات السنين، لم يكتفوا

بتوجيه اتهامهم الباطل له بالجنون، بل زجروه ونهروه أيضاً!!، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر].

مرحلة التهديد بالقتل

هكذا بلغ التكذيبُ مداه، ووصل إلى ذروته، فلم يبقَ بعدَ التهديد سوى التنفيذ، لقد تصاعد تكذيبُهُم خطوةً بعد خطوة، ودرجةً بعد درجة، حتى بلغ مداه ووصل الأمر إلى تهديده بالرجم، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء]، إنَّ التهديدَ بالرجم أو القتل هو أعلى درجاتِ التكذيب، فلا يبقى بعدها سوى البطش والتنكيل بالمُنذرين وسفكِ دمائهم، أي الانتقال من مرحلةِ التكذيب المعنوي، إلى مرحلةِ التكذيب المادي الذي يصل إلى حدِّ القتل، وهذا الأسلوب مستمرٌّ منذ عصرِ نوحٍ عليه السلام وحتى الآن، فلا يسلم منذرٌ من بطش قومه، ومن تصعيد مراحلِ التكذيب كما صورناه في مراحلِ تكذيبِ قومِ نوحٍ لرسولهم عليه السلام.

ما سرُّ المقارنة الدائمة بقومِ نوحٍ عليه السلام في تكذيبهم؟! وما سرُّ تكرارِ تلك العبارة القرآنية في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قد يكون الأمر هو مبالغتهم في تكذيبِ رسولهم، لكن كَلِمًا تذكرنا ما فعله قومُ نوحٍ أساتذةُ التكذيب وعُتاتُهُ مع رسولهم عليه السلام، قلَّ ضيقُ صدرِ المنذرين من تكذيبِ المكذبين، لأنهم حين يسترجعون ما لاقاه نوحٌ عليه السلام من قومه في الماضي، يَهْوُونَ من دونه كُلُّ المكذبين في الماضي والحاضر، وهذا الأسلوب الواردُ في القرآن الكريم عن تكذيبِ قومِ نوحٍ لرسولهم، يجعل منهم نموذجاً للمكذبين في كُلِّ عصر، فقد بيَّن القرآن الكريم كيف كان تكذيبهم دائماً ومتصاعداً، قولاً وفعلًا بما ليس لها مثيل، والمعروف بدهاء أنَّ المكذبين يفرحون كثيراً حين ييأس المنذرون منهم ومن إيمانهم، فهذا هو أملهم وحلمهم ومُناهم...!، لذلك تراهم دائماً يضعون العقبات أمامهم، ويجعلون أصابعهم في أذانهم حتى لا يسمعوا دعواتهم.

ولقد كَذَّبَ بنو إسرائيلَ رُسُلَهُمْ في الماضي، حتى إنهم كانوا يقتلونهم غيظاً وحقداً، فكُلِّموا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، هكذا اليهود، مكذبون وقتله، قال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة].

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن نفسية أولئك المسرفين في التكذيب، الذين لا يفلح معهم نصيح ولا كثرة المُنذرين، ولو رجعنا إلى سورة يس لوجدنا أن الله ﷻ قد أرسل إلى قوم رسولين فلم يفلحوا معهم...! فعززهم الله ﷻ برسولٍ ثالثٍ فلم ينجح هو الآخر معهم، فهؤلاء القوم هم من ذلك النوع المُكذِّب من البشر، الذين لا يفلح معهم كثرة المُنذرين، لقد هددوا الرسل الثلاثة بالرجم، قال تعالى على لسان أصحاب القرية وهم يكذبون المرسلين: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يس]، لقد هددوا الرسل بالرجم، تماماً كما هدد قوم نوح رسولهم ﷺ بالرجم من قبلهم.

مرحلة استعجال الكافرون لوقوع العذاب

قوم نوح ﷺ استعجلوا العذاب: ﴿قَالُوا يَبْنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [هود].

وقوم عاد قالوا لهود ﷺ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف]. وقالوا له: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ قال إِنَّمَا أَلْعَلُّمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِء وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف]، فجاءتهم الريح تحمل لهم بشرى الأمطار والرخاء. وجاءهم سحاب استبشروا به خيراً، ولم يعرفوا حينها أنها ريح ستمدمهم... ثم رأوا الريح تستقبل واديهم فاستبشروا بالمطر: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِء رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف].

وقالها قوم ثمود لسيدها صالح ﷺ: ﴿وَقَالُوا يَصْلِحْ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ [الأعراف: 77-78].

وقالت مدين لسيدها شعيب ﷺ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء].

وقالها قوم لوط: ﴿قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29].
لقد وقع هؤلاء القوم في الفساد بدرجة جعلتهم يستكبرون ويطلبون الهلاك استخفافاً بالرسول وتحدياً لرب العزة ﷻ لذا كان الانتقام عادلاً يستجيب لرغبتهم.
وقال الله ﷻ لخاتم النبيين (عليهم جميعاً السلام): ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن

قَبْلِكَ ﴿فصلت: 43﴾، أي ما يقال لك من وحي بالرسالة الإلهية قيل للرسول من قبلك، وما يقال لك من قومك من تكذيب، قيل للرسول من قبلك، وما يقال لك من استعجال العذاب قيل للرسول من قبلك، فقريش جحدوا القرآن، ودعوا الله ﷻ إنه لو كان القرآن من عند الله ﷻ فليعذبهم الله ﷻ بحجارة من السماء أو بعذاب أليم: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿الأنفال: 32﴾.

كان الرسول ﷺ يضيق صدره من إلحادهم باستعجال العذاب، فنهاه ربُّ العزة جلَّ وعلا وقال له ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلْغَ فُهْلٍ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿الأحقاف: 17﴾. لأنَّ موعدَ عذابهم مقررٌ سلفاً، قال له ربُّه ﷻ ينهاه عن التعجل لعذابهم: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم]. وأمره الله ﷻ أن يقول لهم إنَّ أمرَ العذاب بيد الرحمن ﷻ وليس بيده، ولو كان بيده لأنزله بهم وانتهى الأمر: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ عَذَابِي﴾ ﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأنعام: 113﴾.

وأكد الله ﷻ أنه هو وحده صاحبُ الأمر في العذاب الدنيوي والأخروي وأمر رسوله ﷻ أن يقول لهم هذا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ ﴿الأنعام: 108﴾.

ولن يحلَّ إلا بالقوم الظالمين: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿الأنعام: 17﴾، وقال ربنا ﷻ عن نجاة المتقين: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الزمر: 31﴾.

ولهذا العذاب الدنيوي موعدٌ حتميٌّ لا فرارَ منه، غير أنَّ رحمته ﷻ تقتضي تأجيله لإعطاء مهلةً للتوبة لمن رغب في التوبة، قال الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا﴾ ﴿الكهف: 58﴾.

عقاب المكذبين:

إنَّ سيناريو عقاب المكذبين -إذا جاز التعبير- والذي يُصوِّره لنا القرآن الكريم، له أسلوبٌ لا يتبدَّل ولا يتغيَّر على مرِّ العصور، فتلك سُنَّةُ الله ﷻ مع المكذبين، حيث يرسل الله

ﷺ الرسول إلى أهل القرى الظالمة لينذرهم من عقابه، فإن استجابوا عفا الله عنهم وغفر لهم وكشف عنهم عذابه كما حدث مع قوم يونس عليه السلام، فإن الله ﷻ لا يريد عذاباً لأحدٍ كما ذكرنا من قبل، فما يفعل الله بعذاب الناس إن آمنوا به وشكروه على نعمه؟!.

إن موقفَ المكذِبين المستكبرين الذين لا يستجيبون لدعوةِ المُنذِرِينَ ويصرون على التكذيب، يحقُّ عليهم غضبُ الله ﷻ وعقابه كما حقَّ على الذين من قبلهم، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٦﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٧﴾ إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٨﴾﴾ [ص]، فتلك هي العلة.. يحقُّ عقابُ الله ﷻ على أهل القرى عندما يظلمون ويكذبون الرسل.

فحينما كُذِبَ نوحٌ عليه السلام حقَّ على قومه عقابُ الله.

وحينما كُذِبَ هودٌ عليه السلام حقَّ على قومه عقابُ الله.

وحينما كُذِبَ صالحٌ عليه السلام حقَّ على قومه عقابُ الله.

وحينما كُذِبَ لوطٌ عليه السلام حقَّ على قومه عقابُ الله.

وحينما كُذِبَ شعيبٌ عليه السلام حقَّ على قومه عقابُ الله.

وحينما كُذِبَ موسى عليه السلام حقَّ على قومه عقابُ الله.

وهكذا يحقُّ عقابُ الله ﷻ على المكذِبين في كل مكان وزمان!!، فسنة الله ﷻ لا تتبدل ولا

تتغير باختلاف المكان والزمان. والعادة أن الظالمين الكافرين يعترفون بالظلم عند وقوع العذاب بهم، قال جل وعلا عن قريش: ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنبياء]. وهذا الايمان الفجائي الوقي لا ينفع ولا يُجدي، فهو نفس الحال مع كفار الأمم السابقة حين حلَّ بهم العذاب، فأعلنوا دون جدوى إيمانهم بالله جل وعلا وحده وكفرهم بالآلهة الأخرى، قال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللّٰهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [غافر].

عقاب الله ﷻ للمكذِبين يكون إما بالإهلاك أو بالتعذيب أو بالاثنتين معاً:

1- الإهلاك، لقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون].

2- العذاب، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ رَّسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [النحل]. وهو ما سيحدث عند آية الدخان في المستقبل مصداقاً لقوله تعالى:

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝﴾ [الدخان].

وقد بيّنا أن الإهلاك ليس هو التعذيب، فالإهلاك شيء، والتعذيب شيء آخر، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تُعْظَوْنَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝﴾ [الأعراف]، وقد يسبق الإهلاك شيء من التعذيب، كما حدث لقوم فرعون حين أُرسل عليهم الله ﷻ آيات عذاب مختلفة كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ليدوقوا العذاب قبل إهلاكهم لعلهم يرجعون، وحين استمروا في كفرهم وعنادهم، أهلكهم الله في نهاية الأمر بالغرق.

إن آيات العذاب يحدث فيها موت لعدد من الناس واستبقاء الآخرين على قيد الحياة يعانون من أثر العذاب على حسب نوع العذاب، ومن الممكن أن يسبق الإهلاك عذاب شديد كما حدث مع قوم عاد كما في قوله ﷻ في سورة القمر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝﴾. فيوم النحس هو اليوم الذي بدأ فيه العذاب، وكان مقدمة لثمانية أيام مهلكة، ولذلك لم يقل الله ﷻ (في يوم نحس واحد) وإنما قال ﷻ: ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾، ليؤكد استمرار النحس والهلاك إلى ثمانية أيام يهلك فيها هؤلاء المستكبرون الظالمون.

ولذلك فإن تعذيب وإهلاك الظالمين هي حرب معلنة من الله ﷻ على الظالمين، وليست حرباً معلنة من البشر عليهم!.. فهي ليست كالحروب التي نعرفها، بل هي حرب إبادة يدبرها الله ﷻ ويسلّطها على الظالمين من فوق سبع سموات، هي حرب تأتي من عند الله الواحد القهار، مالك كل شيء وهو على كل شيء قدير، حرب ليس فيها احتمالات لنجاة الظالمين منها، ولا احتمالات لوقوع أسرى فيها، ولا هناك فرص للتفاوض بشأن المهزومين، ولا بارقة أمل في عودتهم إلى بلادهم وأهلهم سالمين أو حتى محاكمتهم كمجرمين، كما يحدث في حروب البشر على الأرض، بل هي حرب تعذيب وإهلاك وتدمير وفناء محقق كتبه الله ﷻ على الظالمين المكذبين، الذين لم يغتنموا فرصة النجاة من قبل على أيدي المنذرين.

ماذا يحدث للمكذّبين حين يستينس منهم الرسل..؟

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف]، فعندما يصل المرسلون مع المكذّبين إلى مرحلة لا عودة بعدها، وبعد تأكد المرسلون من تكذيب قومهم لهم، وبعد يأسهم من إيمانهم، هنالك ينصر الله ﷻ رسله والذين آمنوا معهم وينجيهم، وهنالك أيضا يُذيق الله ﷻ المجرمين بأسه وعقابه.

ومثال ذلك ما حدث مع نوح ﷺ وقومه، فحين يئس نوح ﷺ من إيمانهم، وعلم أن لا فائدة منهم ولا رجاء فيهم، وأوحى الله ﷻ إليه بأنه لن يؤمن له من قومه إلا من قد آمن من قبل، هنا تأكد نوح ﷺ من إصرار قومه على تكذيبه، ويئس من إيمان المزيد منهم، ولاحق له بوادر عقاب الله ﷻ لهم، وعلامات النجاة والنصر وعليهم، واقترب موعد إهلاكهم، كأنه يراهم وهم يصارعون الغرق أمام عينيه، لتتجلّى تلك الحقائق أمامه بعد حين.

التعامل مع المكذّبين يحتاج إلى سياسة وفصاحة وقدرة على الإقناع؛

إنّ التعامل مع المكذّبين يحتاج إلى فصاحة اللسان، وشيء من السياسة والحكمة والقدرة على التعبير والإقناع، ويوضّح لنا القرآن الكريم في قصة موسى ﷺ وفرعون هذا الأمر، فقد أمر الله ﷻ موسى ﷺ بالذهاب إلى فرعون عندما طغى في الأرض وتكبّر، وخشى موسى ﷺ من تكذيب فرعون وقومه له فلا ينطلق لسانه ليفصح عما يريد، فطلب من الله ﷻ أن يحل عقدة لسانه أولاً كي يفقهوا قوله، وأن يرسل معه أخاه هارون ﷺ الذي يمتاز بفصاحة اللسان كي يشدّ به أزره ويعاونه ويعضده في مهمته، فاستجاب الله لدعائه.

والمكذّبون عادة لا يؤثّر فيهم إلا فصيحُ اللسان القادر على مواجهة مكرهم بالحجة والبيان، فحين خاف موسى ﷺ من تكذيب فرعون وقومه له، وهو يعلم حقيقة ما به من رتة (لثغة في لسانه)، وأنهم لن يفقهوا كلّ ما يريد أن يقوله لهم، طلب من ربّه أن يرسل معه أخاه هارون ﷺ، ليس ليتولّى المهمة بدلاً منه بالطبع..! إنما كان طلبه من الله ﷻ واضحاً ومحدداً، إنه يريد هارون ﷺ معه لكي يكون له عوناً، في إقناع فرعون بما أرسل به من عند الله، وأيضاً لتصديقه حينما يكذّبه فرعون وقومه.

واستجاب الله ﷻ لموسى ﷺ ودعمه بأخيه هارون ﷺ، الذي يتسم بفصاحة اللسان،

لقول موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص]، فموسى عليه السلام يعلم فصاحة أخيه هارون عليه السلام، من أجل ذلك طلب من الله أن يرسله معه، فلم يتولّ هارون عليه السلام المهمة بدلاً من موسى عليه السلام لفصاحته وقدرته على الإقناع -حاشا لله- أن يحدث ذلك، فموسى عليه السلام كليماً الله ولكل مقامه عند الله، إنما أرسل هارون عليه السلام معه ليعضّده في مهمته الصعبة، فهم ذاهبون إلى جبّارٍ من الجبابرة كافرٍ بالله ﷻ ومستخفٍّ بقومِهِ، والمهمةُ صعبة، تحتاج إلى سياسة وفصاحة وقدرة على الإقناع.

إن سِمَةَ الرسل هي الصبر على تكذيب وإيذاء المكذّبين لهم، وهذا ما كان يسري به الله على سيدنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام].

التدبر والنظر في عاقبة المكذّبين:

إن تكذيب المنذرين موضوع مهم للغاية، فإن الله ﷻ لم يعاقب قريةً من القرى بالتعذيب أو بالإهلاك، إلا لأنهم كذبوا ولم يبالوا بما جاءت به الرسل، فإذا تحقق التكذيب حق عليهم العقاب وهنا مكنم الخطر، فإن تكذيب المرسلين، هو بداية مرحلة معاناة للرسل، يعقبها غضبٌ من الله ﷻ وإحقاق عقابه عليهم بالتعذيب أو بالإهلاك كما وعد، ولقد خلت أممٌ كثيرةٌ كذبوا الرسل من قبل فأهلكهم الله جميعاً.

تدبر أخي المسلم كيف يحث الله ﷻ الناس على الانتباه إلى الكيفية التي عاقب الله ﷻ بها المكذّبين، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام]، تلك العبارة القرآنية ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ تتكرر في أكثر من آية للفت الأنظار إلى هذا الأمر، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران].

يريد الله ﷻ لنا التدبر ليس في فكرة إهلاك المكذّبين، بل في كيفية عقابهم وعاقبتهم وكيف كانت عاقبتهم؟!، ويلاحظ أن القرآن الكريم قد بيّن فرقا جوهرياً بين كلمة ﴿فَانظُرُوا﴾، وكلمة ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾، والواردة في الآية 137 من سورة آل عمران، والآية 11 من سورة الأنعام على الترتيب، (أنظر شكل الفرق بين آيتي فانظروا ثم أنظروا).

إنّ هناك آياتٍ تدفعنا للنظر والبحث الفوري عن عاقبة المكذّبين، في فعل الأمر

﴿فَإَنْظُرُوا﴾ التي تفيد التعقيب، أي النظر الفوري في عاقبة المكذبين فور حدوث العقاب، وهذا ينطبق على كل عقاب أوقعه الله ﷻ على المكذبين في العصر الحاضر، والذي يحتاج النظر الفوري والتدبر في أمرهم ليكونوا عبرة وعظة لأمثالهم في الحاضر.

إِنَّ فَعَلَ الْأَمْرِ ﴿ثُمَّ أَنْظُرُوا﴾ يفيد التراخي، ويحتاج أمرهم إلى بحثٍ وتدقيقٍ وإلى وقتٍ للتحليل، وهذا ينطبق على القرى التي أهلكها الله في الماضي، مثل عادٍ وثمودٍ وقومٍ لوطٍ وقومٍ صالحٍ وغيرهم لمعرفة كيف كان عاقبة المكذبين في عصرهم، وهذا بالطبع يحتاج إلى جهدٍ ووقتٍ للبحث والتنقيب.

تلك القاعدة تجعلنا نفكر في عاقبة المكذبين في الماضي وما لحق بهم من هلاكٍ ودمارٍ، وعاقبة المكذبين في المستقبل وما سيلحق بهم من عذابٍ وهلاكٍ ودمارٍ، فتلك القاعدة لا تقتصر على المكذبين السابقين وحدهم، بل تنطبق على المكذبين في كل عصرٍ، والنظر في أمر المكذبين وعاقبتهم إنما هو ذكرى وإنذارٌ للمكذبين في كل عصرٍ، ليعلموا أنهم لن يفلتوا من عقاب الله ﷻ المنتقم الجبار، فلم تزل الرسل تتوالى بتوالي الأمم، وتتعاقب على مر الزمن، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون].



الفصل الخامس يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ



يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ



قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]. من خلال تلك الآيات فإننا ننتظر يوماً يتحقق فيه تأويل القرآن، فإلى الآن لم يتبين لنا ولم يتحقق لنا تأويل القرآن كله، إذن فكل المسلمين ينظرون «يتوقعون»، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾، أي يتوقعون يوماً يظهر فيه تأويل أغلب آيات القرآن وتتكشف أغلب حقائق القرآن، وذلك فيما عدا ما هو في علم الله ﷻ كموعِد قيام الساعة مثلاً، فهذه الأمور ستظل في علم الغيب ولن يستطيع أحد أن يصل إليه من خلال آيات القرآن الكريم، وسوف ينكشف لنا التفسير الصحيح لآيات عديدة في القرآن الكريم تحتوي على عدّة تفاسير، فلا يمكن أن يبقى مدلول الآيات المتشابهات سرّاً أبدياً، وإنما سيتبين معناها وسيوضح تأويلها في اليوم الموقوت.

ووفقاً لصريح نص الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، فإن الله ﷻ قد استأثر بعلم تأويل الآيات المتشابهات وهي آيات تختزن أموراً خاصة أو علماً من علوم الكون أو الفيزياء أو الطبيعة أو آيات تصف أحداثاً هامة ستقع مستقبلاً في مواقيت حددها الله ﷻ في سابق علمه، ولذلك فإن تأويل معظم الآيات المتشابهات على الوجه الصحيح لا بد وأن يكون سرّاً يتعدّر بلوغه إلا لمن شاء الله ﷻ من عباده، والشاهد على ذلك قوله تعالى في سورة يونس ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: 39]. يعني كذبوا بآيات القرآن التي لم يحيطوا علماً بمعناها ولم يفهموا مغزاها فكذبوا واستهزأوا بها. وذلك قولهم: كيف ينبت في جهنم شجرٌ والنار تاكل الأخضر واليابس؟! وقولهم: كيف يكون الأكل بالبطن دون الفم؟! إلى غير ذلك من التكذيب والاستهزاء بالقرآن، ومع تصريح الآية المباركة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ وتحذيرها دأب العديد من الشراح والمفسرون على تأويل الآيات المتشابهات، ولا

شكَّ أنهم بذلوا قصارى جهدهم في ضبط المعاني التي استخرجوها من هذه الآيات، ولكن عندما تُستعمل المهارَةُ حيث لا ينبغي، يقع المحذور وتترتب عليه كل الآثار التي نبهت إليها الآية المباركة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. فلا يجب علينا أن نجعل من تفسيرات الفقهاء للآيات المتشابهات قرآناً آخر لا يجوز لأحد النقاش فيها أو تعديلها، وهذا ما وقع فيه بعض الفقهاء سابقاً من تأويل آيات تخص علوم الكون أو علوم الطب بما كان متوفر من علوم في زمنهم، وينطبق على هذا أيضاً تأويل أغلب الفقهاء بأن خاتم الأنبياء يشمل أيضاً خاتم المرسلين كما أوضحنا سابقاً.

ولعل التمييز بين التفسير والتأويل يُعين في فهم سرّ المتشابهات؛ فرغم أن لفظ التأويل كثيراً ما يستعمل بمعنى التفسير، ولكن العلماء ميزوا بينهما فعرفوا التفسير بأنه الإيضاح والبيان، أمّا التأويل فيشمل أيضاً ما يؤوّل إليه الأمر مستقبلاً، وأغلب الجاري على ألسن الفقهاء أن تؤوّل الآيات المتشابهات وأن يُفسّر غيرها.

وكانت النتيجة أن كثرت وجهات نظر المفسرين وتعددت المعاني التي استخرجوها من هذه الآيات مما يجزم أن تأويلهم جاء على سبيل الظنّ والتخمين، ولو كان قولهم حقاً لما تفرقت بهم السبل، ولنستخدم المنهاج القرآني للتعرف على معنى التأويل كمصطلح حتى نصل للمقصود من الآية الكريمة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾:

تكرار كلمة (تأويل) في القرآن الكريم:

وردت كلمة (تأويل) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، مراداً بها المعاني التالية:

1- تعبير الرؤيا (تفسير الأحلام)

وكان هذا في آيات سبع من سورة يوسف، في قوله تعالى:

- ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6].
- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 21].
- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: 37].
- ﴿وَقَالَ أَلَمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتَبَلَاتٍ خُضِرَ

- وَأَخْرَجَ يَابِسْتِ يَتَائِبَهَا أَلْمَلَأَ أَفْئُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَصْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿١٤﴾ [يوسف].
- ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف].
- ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101].
- فكلمة (تأويل) في سياق هذه الآيات الكريمة تعني تعبير الرؤيا، أما كلمة (الأحاديث) فالمراد بها هنا الأحلام، وأطلقت الأحاديث على الرؤى والأحلام، لأن النفس تحدث بها في منامها ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 101].

2- بيان سبب إيقاع الفعل

- كما جاء في قصة موسى عليه السلام وصاحبه، وذلك في آيتين من سورة (الكهف)، هما:
- ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف].
- ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف].
- وهي في الموضعين تعطي معنى واحداً، هو بيان سبب إيقاع الفعل.

3- أحسن عاقبة وهالاً

- جاء في سورتي (النساء) و(الإسراء) في الآيتين التاليتين:
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء].
- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء].

4- تفسير المتنشابه

- كان هذا في الآية السابعة من سورة (آل عمران):
- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران].

5- التفسير (بيان المعنى)

- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: 53].
- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ﴾ [يونس: 39].

ونحن هنا متى تأملنا في هذه المعاني لكلمة ﴿تَأْوِيل﴾ التي استعملها فيها القرآن الكريم، فإننا سنراها تلتقي عند صفة أو حال واحدة اتّصف بها كلّ واحد من المعاني المذكورة، تشكّل عنصراً أساسياً في دلالة كلمة (تأويل) على معناها، تلك الصفة هي (الغموض)، وأعني بالغموض هنا عدم وضوح المعنى عند المتلقّي بما يفتقر معه إلى الإيضاح.

فالأحلام، لأنّها ظواهر نفسية ترمز إلى معانٍ غير بيّنة عند صاحب الرؤيا، تحتاج إلى تعبير يكشف عما ترمز إليه من معنى، وكذلك الأفعال الصادرة من الإنسان إذا كانت على غير المألوف والمتعارف عليه بين الناس، تحتاج إلى ما يكشف عن الدوافع والأسباب لوقوعها، والأمر في التشابه أبين من أن يحتاج إلى بيان، وكذلك في تحديد المرجع الحق. ومثله تفسير ما يتطلب التفسير.

ونخلص من هذا إلى أنّ التأويل في المصطلح القرآني لا يكون إلّا ما فيه غموضٌ يفتقر إلى التفسير.

وقد ألمح إلى هذا الفرق بين (التفسير) و(التأويل) الشيخ حسن المصطفوي في كتابه (التحقيق في كلمات القرآن الكريم 1/ 176) حين قال: «.. والفرق بين (التفسير) و(التأويل) أنّ التفسير هو البحث عن مدلول اللفظ وما يقتضيه التعبير أدباً والتزاماً وعقلاً، وأمّا التأويل فهو تعيين مرجع اللفظ، والمراد والمقصود منه، وقد يخفى المراد على الناس ولا يدلّ عليه ظاهر اللفظ، فهو يحتاج إلى الاطلاع على المقصود والمراد من اللفظ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7].

وقد عرّف بعضهم التأويل على أنه: "إرجاع الكلام وردّه إلى الغاية المرجوة منه". وجاء في "لسان العرب" عن ابن الأثير: "والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ". ومعنى ذلك أن المؤوّل يستبدل الكلام الذي استغلّق فهمه بكلام واضح يرجّح أنّه المقصود من التشابه، فهذا التعريف يتيح المجال لاختلاف المعنى باختلاف المؤوّلين ويبعد عن الموضوعية

وفي آيات سورة القيامة تأكيدٌ بأنّ يوم يأتي تأويله تعني يوم يأتي بيانه، فقد قال تعالى: ﴿لَا

تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْزَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ [القيامة]. و﴿بَيَانَهُ﴾ حسب تقرير الآية المباركة عمل يتم بعد ﴿جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي في زمن غير زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين. وهذا مفهوم: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ لأن ﴿ثُمَّ﴾ تفيد المستقبل مع التراخي، وقوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْزَلَ بِهِ﴾ ﴿١٦﴾ ولو أنه خطابٌ موجهٌ إلى النبي ﷺ إلا أنه ينطبق أيضاً على أمته فيوصيها بالإعراض عن التعجيل في بيانه قبل اليوم الموعود، لأن النبي ﷺ الذي "علمه شديد القوى" كان يعلم بدون شك ما في خزائن كتاب الله ﷻ من معان وإشارات، ولم يكن في حاجة إلى مزيد من البيان.

وقد أكد الله ﷻ في آية أخرى بأن الآيات المتشابهة لا يأتي تأويلها إلا بعد حين من الزمن، وذلك قوله تعالى في سورة ص ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ﴿٨٨﴾ [ص]، وإنيكم أيها الكافرون به لا تعيشون إلى ذلك اليوم لكي تؤمنوا به حين تفهمون تفسيره وبيانه بل ستموتون عن قريب وحينذاك لا ينفعكم الإيمان إذا آمنتكم فما يمنعكم من الإيمان به اليوم ما دتم أحياء في دار الدنيا وما دامت لكم فرصة للإيمان به؟

إن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف]، لها علاقة قوية أيضاً بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٧﴾ [آل عمران]. فقد حذرنا ربنا ﷻ في سورة آل عمران من تأويل الآيات المتشابهات لأن الله ﷻ ذكر في سورة الأعراف أن هذا التأويل سيأتي في يوم مستقبلاً ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ﴿١٩﴾ [القيامة: 19]. ولذلك يجب علينا أن نفسر المقصود من الآية المذكورة في سورة آل عمران حتى نصل لتفسير المقصود من الآية المذكورة في سورة الأعراف.

ومن الواضح من الآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ أنها تُقسَّم آيات القرآن الكريم إلى آيات

محكمات وآيات متشابهات، والمُسلم به أنَّ الآيات المحكمات هنَّ أمَّ الكتاب ومبانيها واضحة الدلالة بذاتها أو بسياقها ولا التباس فيها، وهنَّ المبيِّنات لشرِعة الله ﷻ، والمفصَّلات للشعائر والعبادات والأحكام من صلاة وصوم وزكاة وحجَّ وزواج وطلاق ومواريث وقصاصية إلى آخره، وتفسير هذه الآيات وشرحها هما من مهام مَنْ كان على علمٍ وقدرةٍ من أهل الفقه والمعرفة.

وقيل أيضاً أن المحكم ما كان معناه جلياً واضحاً ظاهراً لا يحتمل إلا وجهاً واحداً لا يقع فيه اشتباه، أما المتشابه ففيه خفاءٌ واشتباهٌ يعرف معناه الراسخون في العلم. وهناك قولٌ مأثورٌ عن جابر بن عبد الله أنه قال: "المحكم ما علم العلماء تأويله، والمتشابه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل" وقد وصفها بعضُ السابقين بقولهم: "ليس لهنَّ تصريحٌ وتحريفٌ وتأويلٌ" فقد "يدلُّ لفظُها على شيءٍ والعقلُ على خلافه" و"استأثر الله بعلمها".

أنواع الآيات المتشابهات:

النوع الأول:

ما لا يستطيع البشرُ جميعاً أن يصلوا إليه كالعلم بذات الله ﷻ وحقائق صفاته وكالعلم بوقت قيام الساعة أو وقت خروج الدابة ونحو ذلك من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]. فهذا النوع لن يأتي تأويله أو تفسيره أو بيانه في الحياة الدنيا ولا يدخل في نطاق الآيات الكريمة ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ و ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ و ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

النوع الثاني:

ما يستطيع كلُّ إنسانٍ أن يعرفه عن طريق البحث والدراسة والعلم، وهذا يختص به بعضُ الراسخين في العلم كلٌّ على حسب تخصصه؛ فعلماء الطبِّ من الممكن أن يفسروا الآيات التي تشرح مراحل نمو الجنين، والفقهاء من الممكن أن يفسِّروا الآيات الشرعية، وعلماء الفلك من الممكن أن يفسِّروا الآيات المتعلقة بجريان الشمس مثلاً، ولكن يجب الأخذ في الاعتبار أنَّ هذه التفسيرات لا تصبح قرآناً آخرَ لا يجوز الجدل فيه، فقد أخطأ الفقهاء ولمدة قرونٍ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: 34] بأنها تعنى أنَّ الله ﷻ يعلم

ما في بطنِ الحامل إذا كان ذكراً أو أنثى ثم جاء العلمُ الحديثُ ووصل الى تحديد نوع الجنين، ولو قال مسلمٌ منذ قرنين من الزمن أنَّ هذا التفسيرَ خطأ، لكنَّ الناسَ اتهموه بالكفر والعيادُ بالله، ولذلك يجب الحذر عند تفسير تلك المتشابهات.

وعلى سبيل المثال فإن الله ﷻ يقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة]، فهذه الآية فسرّها السابقون بأنها تشير إلى ساعاتِ سقوطِ النجومِ ومغيبها، وبعضهم فسرّها بالشهب التي تصيب الجنَّ المتلصصين، ولكن عندما زاد علمُ الإنسانِ ووعيه في عصرنا، وانتبه الإنسانُ إلى أنَّ النجم الذي يراه في السماء لا يُشير إلى النجم حقيقةً، بل إلى موقعه في ذلك المكان المرئيِّ فيه قبل آلاف السنين بحسب بُعده الضوئيِّ عنا، وقد يكون النجم حالياً قد انفجر أو اندثر أو غير مكانه، فما نراه الآن من موقع أيِّ نجمٍ بعيداً عنا هو صورةُ النجم في الماضي، وليس النجم على حقيقته في لحظة الرؤية التي نراه فيها الآن، فبعد وصولنا لهذه الحقيقة بالعلم الحديث نستطيع أن نصلَ الى التفسير المنطقيِّ للآية الكريمة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة].

كما فسر أغلب العلماء قديماً الآية الكريمة: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية] أن الأرض سطح وليست كرة، ولكن حديثاً تغير هذا التفسير وأجمع أهل العلم على كروية الأرض، ودل على ذلك في قوله ﷻ: ﴿يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: 5]. فالأرض في أعين الناظرين مسطحة؛ لأنها كبيرة الحجم، وظهور كرويتها لا يكون في المسافات القريبة، فهي بحسب النظر مسطحة، لكنها في جملتها كروية.

النوع الثالث :

بيان وتفسير أغلب المتشابهات والمختلف عليه للناس بواسطة من يصطفيه الله ﷻ من رسله، فقد أبان سيدنا محمدٌ ﷺ ما اشتبه على أهل الكتاب مما أنزل إليهم من قبل، كما أبان السيّد المسيحُ ما اشتبه على اليهود من كتابهم، فهذه هي سنّة الله ﷻ وبها يكون البيانُ فيصلاً لا جدال فيه ولا اجتهداً بعده، وبه يجتمع شمل الأمم وتولد حضارتهم من جديد، فبيان الحق للناس وإظهار المعاني الخفية في الآيات المتشابهات في كتابه العزيز يكون بآياتِ يوحى بها الله ﷻ إلى المصطفىين من رسله.

هذه هي سنّة الله ﷻ، وفيها يجد الباحث جواباً شافياً عمّن يأتي بالتأويل، فالجوابُ بكلِّ

بساطة: هو ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة] كما جاء في سورة البينة، ولذلك فمن الممكن أن تكون الآيات ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ و ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ و ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هي إحدى البيّنات التي سيأتي بها رسولٌ قادمٌ وهو المذكور في سورة البينة والتي سنشرحها بالتفصيل في فصل (رسول البينة) ومن الممكن أيضاً أن يكون هذا الرسول هو سيدنا (عيسى) عليه السلام فليس من المنطقي أن يأتي سيدنا (عيسى) عليه السلام في آخر الزمان ويكون إمام المسلمين وهو لا يحفظ القرآن أو لا يعلم تفسيره، أو أن يسأله أحد المسلمين عن تفسير آية من الآيات المتشابهات في القرآن الكريم فيردّ عليه سيدنا عيسى عليه السلام ويقول له قال القرطبي أو قال الشعراوي أو قال فلان أو فلان مثلاً، بل سيكون سيدنا عيسى عليه السلام رسولاً نبياً يعلم المسلمون الكتاب والحكمة بما أوحى له الله ﷻ، ولا يعلم المسلمين بعلم من هو أقلّ منه من علماء المسلمين مع كامل احترامنا لهم، ولكن تبقى أولوية تفسير سيدنا عيسى عليه السلام لآيات القرآن الكريم أعلى من تفسير من هم أقلّ منه، هذا إذا كان سيدنا عيسى عليه السلام هو الرسول المقصود في سورة البينة، فتأويل كامل القرآن وتأويل الآيات المتشابهات وتأويل الحروف المقطعة ستكون إحدى بينات الرُّسل المنتظرين لهداية الناس ولتبشيرهم، وحتى يتأكد الناس من صدق رسالاتهم، فلا يمكن أن يبقى مدلولها سراً أبدياً، وإنما سيتبين معناها وسيتضح تأويلها في اليوم الموقوت.



الفصل السادس عصرُ الجاهليةِ الثانيةِ وعادِ الثانيةِ



عصرُ الجاهلية الثانية وعاد الثانية



يجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا يمكن أن يكون القرآن الكريم كتابَ تاريخ، بل هو كتاب هداية، فكتاب التاريخ فرضاً يقول أن الرومان حكموا من فترة كذا إلى فترة كذا وانتهوا، ولكن القرآن الكريم هو كتاب هداية يحتوي على نماذج بشرية متكررة، ولا يمكن أن تكون القصة مقصودة لذاتها ولا لأصحابها، ولكنها مقصودة للنموذج الذي تمثله، إذاً في القرآن الكريم نماذج بشرية ونماذج لأمم تتكرر.

إن أقوى دليل على ذلك أن قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم].

أما بالنسبة لآية ﴿الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ فقد اختلف المفسرون والمؤرخون فيما يخص التوقيت الزمني للجاهلية الأولى، فهناك عدة أقوال لأهل العلم في وقتها، ومتى كانت، وذلك على النحو الآتي:

1- كانت على عهد إبراهيم عليه السلام؛ فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها تلت الآية الكريمة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، فقالت: الجاهلية الأولى كانت على عهد النبي إبراهيم عليه السلام.

2- وحدد بعض أهل العلم الجاهلية الأولى، وقالوا بما أن هناك جاهلية أولى؛ فهناك جاهلية أخرى، فقالوا: إن الجاهلية الأولى هي الجاهلية التي وُلد فيها إبراهيم عليه السلام، والجاهلية الآخرة هي: الجاهلية التي وُلد فيها محمد ﷺ وهذا القول أخرجه ابن سعد عن عكرمة رضي الله عنه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وجريير عن الشعبي: أن الجاهلية الأولى هي تلك الجاهلية التي تمتد في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام.

أما بالنسبة لآية ﴿عَادًا الْأُولَى﴾، فقد اختلف المفسرون والمؤرخون هل هي عاد واحدة أو هما عادان؟ حيث ذهب بعضهم إلى القول الأول، واعتبر وصف الله لهم بالأولى لأنهم كانوا قبل ثمود. قال ابن زيد: قيل لها عاد الأولى لأنهم أول أمة أهلكت بعد نوح. وذهب آخرون إلى الثاني وهو أنها عادان.

قال الشوكاني في تفسيره: قال ابن إسحاق: هما عادان فالأولى هلكت بالصرصر

والأخرى أهلك بالصيحة.

وقال الطبري في تفسيره: (يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم]. يعني تعالى ذكره بعاد الأولى عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وهم الذين أهلكهم الله بريح صرصر عاتية، وإياهم عنى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إلى أن قال: وإنما قيل لعاد بن إرم عاد الأولى لأن بني لقيم بن هزار بن هزيل بن عبيل بن ضد بن عاد الأكبر كانوا أيام أرسل الله على عاد الأكبر عذابه سكاناً بمكة مع إخوانهم من العمالة فلم يصيبهم من العذاب ما أصاب قومهم وهم عاد الآخرة ثم هلكوا بعد).

ولعل الصحيح أنها عادان، لما أخرج البخاري عن عائشة لأن النبي ﷺ قال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارضٌ ممطرنا».

قال ابن حجر في الفتح عند هذا الحديث: (ظاهر هذا أن الذين عذبوا بالريح غير الذين قالوا ذلك... إلى أن قال: وهذا يحتمل لقول الله ﷻ وأنه أهلك عاداً الأولى فإنه يشعر بأن ثمة عاداً أخرى، وقد أخرج قصة عادٍ الثانية أحمد بإسناد حسن، وبعد أن أورد محل الشاهد من الحديث قال: والظاهر أنه في قصة عادٍ الآخرة لذكر مكة فيه).

لذلك فأنا أميل إلى الآراء التي تقول بأن هناك زمناً سيكون فيه الجاهلية الثانية وعادٍ الثانية في نفس التوقيت لتشابه ظروف كلا العصرين السابقين مع عصرنا الحالي، ولتأكد حينها بأنها في عصر الجاهلية الثانية وعاد الثانية، وسنذكر هذا التشابه فيما يلي:

التشابه بين عصر الجاهلية الأولى وعصرنا الحالي:

يُطلق لفظ (الجاهلية) ويُراد به فترة ما قبل بعثة النبي ﷺ، وهي نسبة لأمرين اثنين يجتمعان في هذه الحقبة، وهما: الجهل، والجهالة (أي: السفاهة).

والجاهلية تعني كما جاء في المعجم الوسيط بأنها ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهالة والضلالة، قال الحافظ ابن حجر: (والجاهلية هي ما كان قبل الإسلام) وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (المراد بالجاهلية ما قبل البعثة؛ لأن الناس كانوا فيها على جهلٍ عظيم، فجعلهم شامل للجهل في حقوق الله ﷻ، وحقوق عباده).

وقد ردت كلمة الجاهلية أربع مرات في القرآن الكريم، منها ثلاث مرات بلفظ الجاهلية فقط: 1 - قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ

أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: 154].

2- قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

3- قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26].

4- قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، ومرة واحدة هنا أتى لفظ الجاهلية الأولى وقد كان خاصاً بتبرُّج المرأة.

ونعلم أن الله ﷻ لا يقول كلمة بلا معنى أو مدلول، فالجاهلية معروفة حسب السياق في القرآن الكريم بأنها الفترة التي سبقت نزول الوحي على النبي ﷺ، وهذه الجاهلية تم ربطها بالآية رقم 33 من سورة الأحزاب ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. إذا ولا بد أن تكون هناك جاهلية ثانية، كون الله ﷻ ذكر الجاهلية الأولى في معرض تنبيهه لنساء النبي ﷺ على عدم التبرُّج تبرُّج الجاهلية الأولى، أي الحديث هنا يدور عن جاهلية سبقت ظهور القرآن والإسلام، وسنشرح هنا التشابه بين عصر الجاهلية الأولى وعصرنا الحالي بمفهومه العام وبمفهومه الخاص بتبرُّج المرأة.

مفهوم التبرُّج:

يُستخدَم لفظ التبرُّج بمعنى الظهور، والمراد هنا إظهار المرأة شيئاً من جسدها أو زينتها، فالتبرُّج يُستعمل للدلالة على إظهار المرأة شيئاً من مفاتها، وجسدها، وزينتها المكتسبة أمام الرجال الأجانب عنها؛ وهم الرجال الذين لا تربطهم بها صلة رحم أو قرى، ومن الألفاظ القرية التي تُطلق على التبرُّج: العُري، والتَّهْتُك، والتكشُّف، والانحلال الأخلاقي،

والإخلال بناموس الحياة، والإباحية.

معنى تبرج الجاهلية الأولى

ورد ذكر تبرج الجاهلية الأولى في القرآن الكريم في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؛ فالآية القرآنية الكريمة تبدأ بالأمر الرباني للنساء بالبقاء في البيوت، ثم أتبع أمرهن بأن يبقين في بيوتهن بالنهي عن التبرج، وخصّ النهي بتبرج الجاهلية الأولى، ثم أتبع هذا النهي بالأمر بالصلاة، والأمر بإيتاء الزكاة، ثم الأمر للنساء بأن يطعن الله ورسوله، ونتيجة التزامهن بهذه الأوامر والنهي الوحيد بينها بعدم التبرج تبرج الجاهلية الأولى؛ أن هن الطهر والنقاء الذي يليق بالعفيفات الطاهرات المؤمنات.

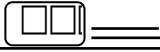
وأما معنى تبرج الجاهلية الأولى فقد وردت في تفسير حال النساء في الجاهلية الأولى عدة تفاسير، على النحو الآتي:

قيل: إن النساء كنّ يلبسن درعاً من اللؤلؤ وهو غير مخيط من الجانبين، وكنّ يلبسن الثياب الرقاق، ولا يوارين ولا يسترن أجسادهن. وقيل: كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر، والقميص غير مخيط من الجانبين.

التبرج في عصرنا الحالي أشد من تبرج الجاهلية الأولى:

من علامات الساعة ظهور النساء الكاسيات العاريات وانتشار التبرج والسفور وخروج نساء يظهرن بملابس ضيقة تصف أجسادهن أو يظهرن بملابس شفافة تظهر عوراتهن في الجلوس والمشي، فهن كاسيات من حيث الظاهر ولكنهن عاريات لضيق لباسهن وتجسد عوراتهن وظهور مفاتنهن، وتصل في بعض المجتمعات الإسلامية الى العري بشكل شبه كامل على الشواطئ فلا يستر المرأة سوى قطعتين صغيرتين من القماش، ويصل أيضاً الى انتشار الأفلام الإباحية، كما تفشى الاتصال الجنسي غير الشرعي وكل الأشياء التي يدعوها الله دنساً كالسحاق واللواط التي لم تعد أشياء مباحة فقط إنما أصبح القانون يحميها ويعتبر أصحابها المجرمين فريقاً مميزاً وصاحب حق، وانقلبت تلك المفاهيم في دول كثيرة.

لقد تخطينا للأسف زمن الجاهلية الأولى وهذا ما أخبرنا به المصطفى ﷺ منذ أربعة عشر قرناً وهي من إحدى دلائل النبوة؛ فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من



أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقر؛ يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٍ، مميلاتٌ مائلاتٌ رؤوسهنَّ كأسنمةِ البختِ المائلة، لا يدخلنَ الجنةَ ولا يجذنَ ریحها، وإن ریحها ليوحد من مسيرة كذا وكذا» [رواه مسلم].

«مائلات»: أي منحرفاتٌ عن طاعةِ الله، غيرُ مستقيماتٍ على طاعته: «ميميلات»: أي ينحرفن بغيرهن، فهنَّ فاسداتٌ مفسداتٌ «رؤوسهن كأسنمة البخت»: أي تلبس فوق شعرها ما يجعل رأسها كأنه سنّامٌ بعير، مرتفعاً.

وقد فُسر الحديث النبوي الشريف المروي عن أبي هريرة بأن المقصود منه أن تكتسي المرأة بحيث تكون ملابسها بما لا يسترها؛ فهي تُعد كاسيةً، ولكنها في حقيقة الأمر عارية، وذلك مثل أن تلبس وتكتسي بالثوب الرقيق؛ بحيث يصف بشرتها تحته، أو تكتسي بالثوب الضيق الذي يُبدي مقاطعَ جسدها وتفصيلاته؛ لأنّ ملابس المرأة المسلمة الشرعية في الحقيقة هي الملابس التي تسترها سترًا كاملاً؛ فالمطلوب أن يكون لباسها كثيفاً، وألا يُبدي جسدها، ولا يصف أعضاءها ولا لونَ بشرتها؛ بسبب رقتها وصفائه، والمطلوب أن يكون لباسها واسعاً فضفاضاً، فلا يُبدي تقاطيع جسمها؛ لضيقه، فالمرأة المسلمة مأمورة بالاستتار والاحتجاب؛ لأنّ جسمها عورة؛ ولهذا فقد أمرت أن تُغطّي رأسها حتّى وهي في الصلاة ولو كانت في جوف بيتها ووسطه، فلا يراها أيّ أحدٍ من الرجال، فدلّ هذا الأمر على أنّها مأمورةٌ من جهة الشرع في الصلاة بسترٍ خاصٍّ للمرأة فقط، وذلك حقّ لله تعالى، حتّى وإن لم يرها أيُّ بشر.

عصر الجاهلية الأولى بمفهومه العام:

كان العربُ يعبدون الأصنامَ، ويقدمون لها القرابين، ويشربون الخمرَ ويتعاملون بالربا وهناك سوقٌ للنساء والمتعة، ويقتلون البنات من دون ذنب، وكان يسود النظام القبلي؛ فقد كانت القبائل تقاتل بعضها بعضاً، فالقوي يقتل ويستعبد الضعيف، وقد كانوا شعوباً متفرقة ليس لهم وزنٌ على خارطة العالم في ذلك العصر، ولا يؤخذ برأيهم ولا مشورتهم بين الشعوب في ذلك الوقت.

عصر الجاهلية الثانية بمفهومها العام:

الأربعة مرات التي ذُكرت فيها الجاهلية في القرآن كانت تُشير إلى عصر الجاهلية في الجزيرة العربية، فما المقصود بالجاهلية الثانية..؟

هل القصد أن يعود العربُ فقط إلى التصرفات التي كانوا يفعلونها في الجاهلية الأولى أم إنَّ المقصود هو الأمة الإسلامية أم العالم كله..؟

لو طبقنا مفهوم الجاهلية على العالم كله فإننا نعيش بالتأكيد في عصر الجاهلية الثانية، بل أشدُّ بمراحل كثيرة، فالأفلام الإباحية أصبحت تُصور في الهواء الطلق أمام عامة الناس وأصبحت لها شركات معلنة وقائمة ومعترف بها في عدة دول، هذا لو طبقنا مفهوم تبرج الجاهلية على الدول غير الإسلامية، وكذلك الحال لو طبقنا هذا الوضع بالنسبة للجاهلية بمفهومها العام، فتقريباً ما كان يحدث في عصر الجاهلية العربية الأولى يحدث في بلدان غير إسلامية سواءً بنفس الأسلوب أو بأساليب مختلفة قليلاً، ولكنها في ذات الوقت أشدُّ تأثيراً من الجاهلية العربية الأولى.

أما بالنسبة لأغلب المجتمعات العربية والإسلامية فقد عدنا إلى عصر الجاهلية التي تتناسق مع التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل، إلا أنَّ الاختلاف أننا عدنا إلى عبادة الأصنام البشرية وسميهاها الولاء والطاعة، وعدنا إلى شرب الخمر وسميهاها مشروبات روية، وأصبح من حق المرأة أن تسير عارية وسميهاها حرية وديمقراطية، وأصبح المسلمون يتقاتلون فيما بينهم كما كان يحدث بين القبائل العربية في الجاهلية الأولى، وأصبحت البلاد العربية مسرحاً لأفلام الرعب والقتل الحقيقي، وأصبحت البلاد العربية مرتعاً للمنحرفين والخارجين عن القانون، وأصبحت البلاد العربية رمزاً للفساد والمحسوبية، وأصبح الإنسان العربي غير محترم لا في بلاده ولا في بلاد العالم، وأصبح الإنسان العربي حقلاً للتجارب الكيميائية والجرثومية والنووية، وأصبحت البلاد العربية سوقاً ثميناً للأسلحة والمخدرات ومزارعاً للتجارب، وأصبحت البلاد العربية مقبرةً للنفايات النووية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم): "فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإنَّ ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل". وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية، ونصرانية: فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصرٍ دون مصرٍ كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخصٍ دون شخصٍ، كالرجل قبل أن يُسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام.

فأما في زمان مطلق: فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ؛ فإنه لا تزال من أمته طائفة



ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية» وقال لأبي ذرٍّ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، ونحو ذلك.

فقوله في هذا الحديث «ومبتغ في الإسلام سنّة جاهلية»: يندرج فيه كلُّ جاهلية مطلقة، أو مقيدة، يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو صابئة، أو وثنية، أو مركبة من ذلك، أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية، فإنها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ، وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها فإن المعنى واحد⁽¹⁾.

وعندما سُئل الشيخ صالح بن فوزان هل يجوز إطلاق لفظ الجاهلية على المجتمعات الإسلامية المعاصرة..؟

أجاب ما يلي: (الجاهلية العامة قد زالت ببعثة الرسول ﷺ؛ فلا يجوز إطلاقها على المجتمعات الإسلامية بصفة العموم، وأما إطلاق شيء من أمورها على بعض الأفراد، أو بعض الفرق، أو بعض المجتمعات : فهذا ممكن، وجائز، وقد قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، وقال ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»⁽²⁾.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمة الإسلامية سيصيبها شيء من الانحراف الذي أصاب الأمم من قبلها، في مثل قوله ﷺ: «لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: من هم يا رسول الله..؟ اليهود والنصارى..؟ فقال (عليه الصلاة والسلام): «فمن الناس..؟!» (متفق عليه)، وإن كان الرسول ﷺ قد أخبر بهذا الخبر المفيد أن المسلمين سينحرفون إلى حد كبير ويقلدون اليهود والنصارى في ذلك الانحراف، لكن النبي ﷺ في الوقت نفسه قد بشر أتباعه بأنهم سيقون على خطه الذي رسمه لهم، فقال النبي ﷺ في حديث التفرقة: «وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة»، قال عليه

1 اقتضاء الصراط المستقيم لبن تيمية (ص 78، 79)

2 " الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة " (86، رقم السؤال : 31) .

الصلاة والسلام: «كلها في النار إلا واحدة»، قالوا: ما هي يا رسول الله..؟ قال: «هي الجماعة»، وفي رواية قال: «هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي».

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ جاء الحديث على روايات عدّة في بعضها يقول الرسول ﷺ - واصفاً الغرباء -: «هم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنّتي من بعدي»، وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام: «هم أناس قليلون صالحون بين أناس كثيرين من يعصهم أكثر ممن يطيعهم»، فلا تزال فئة من المسلمين على هدي النبي ﷺ، وعلى سنته، وستظل كذلك حتى آخر الزمان.

التشابه بين عصر عاد الأولى وعصرنا الحالي؛

أهلك الله ﷻ عاداً الأولى معنى هذا أن هناك عاداً ثانية، فما صفات عاد الأولى..؟
يُعدّ قوم عاد من العرب العاربة، وقد كانوا في زمانهم أقوى الأمم وأعظمها، ممّا دفع بهم نحو الطغيان والتجبر وعبادة الأصنام، قال الله تعالى في بيان ذلك: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15]، ويُنسبون إلى عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ﷺ، وعاد أول من عبّد الأصنام بعد دعوة نوح ﷺ، ولما كانوا على هذا الحال من عبادة الأصنام أرسل الله ﷻ إليهم أخاهم هوداً يدعوهم ويحذّرهم من فعلهم، وكانوا يسكنون مدينة تُسمّى إرم، وقد قال الله ﷻ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر].

كان قوم عاد على درجة عالية من الرقي في العمران والبناء، وكانت بيوتهم ومساكنهم في غاية الروعة والإبداع والجمال، وكانت أراضيهم جنات خضراء ترعى فيها المواشي وتزيد، وبذلك تفيض الأموال ويكثر الأبناء، قال تعالى: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ۝٣٣ وَجَنَّدَتْ وَعُيُونِ ۝٣٤﴾ [الشعراء].

ومع اجتماع هذا النعيم كلّ لهم، عاشوا حياة من الترف والانشغال بالدنيا، وكانوا يرفعون بنيانهم ويتباهون به دون الحاجة إليه، وإنما من أجل التفاخر والتطاول، وأكثروا من بناء البروج شديدة العلو بغية تخليد اسمهم في العالمين، وعلى الرغم من كلّ ما أنعم الله ﷻ به

عليهم إلا أنهم أصروا أن يستكبروا على الله ﷻ، فأشركوا به عبادة الأصنام، كما انتشر فيهم الظلم والبطش، فأرسل الله إليهم رسوله هوداً عليه السلام ليدعوهم إلى إفراجه بالعبادة، وترك ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، وحتى يذكّرهم بنعم الله ﷻ وإحسانه إليهم، ويأمرهم بالاستغفار والتوبة عن أفعالهم، إلا أنهم كذبوه وسخروا منه، واختاروا طريق الهوى والعناد والتكذيب برسل الله ﷻ وآياته.

عذاب عاد الأولى:

لما كذب قوم عاد رسولهم هوداً وسخروا منه ورفضوا الإذعان لدعوة الله ﷻ والخضوع له كما أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: 59]، شاء الله أن ينزل عليهم العذاب، فكان عذابهم كما أخبر القرآن بالريح التي أرسلها الله ﷻ عليهم، حيث أمسك الله ﷻ المطر عنهم فترة من الزمن حتى أجذبت أرضهم وصاروا ينتظرون المطر ويطربون.

حينها ساق الله ﷻ إليهم سحابة أخذت بالاقتراب منهم، فلما رأوها ظنّوا أن المطر قد أقبل، وفرحوا واستبشروا بذلك حتى إنهم قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ غَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا غَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: 24]، إلا أن الله ﷻ وضح أن تلك السحابة لم تكن مطراً كما ظنّوا وإنما عذاباً من عنده، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24]، ونزلت بهم تلك الريح فعلاً، فسلبها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فقال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: 7]، فلم تنقطع عنهم لحظة أبداً، وكانت كلها ريحاً عقيماً ليس فيها شيء من الخير أو البركة ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات]، فلم تلقح الشجر ولم تحمل أي مطر، بل كانت شديدة البرودة، وكان صوتها مفرعاً مربعاً، فقد وصفها الله ﷻ قائلاً: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: 25]، ووصفها أيضاً بقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ [الذاريات]، فكانت نتائج هذه الريح وذلك العذاب شديدة وخيمة على قوم عاد؛ حيث أهلك كل شيء، وكانت تحمل الرجل منهم عالياً ثم تنكسه على رأسه فينقطع عن جسده، حتى أصبحوا كما وصفهم الله ﷻ: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ﴾ [الحاقة: 7]، وهكذا بادوا وقُتلوا جميعاً، فلم يبق منهم أحد، وأصبحت

مساكنهم خاوية، لا يرى من أثرهم غيرها، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسْكِنَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25]، ثم أُتبعوا في الدنيا لعنة وفي الآخرة لعنة، وكانوا عبرة لمن يعتبر بعدهم.

ومما سبق يتضح ان عاداً الأولى كانت دولة متقدمة ومتطورة علمياً وذات حضارة كبيرة، لكنهم غير مؤمنين بالله ﷻ فأزال الله حضارتهم وقوتهم وأهلكهم.

عصر عاد الثانية:

إن نموذج قوم عاد هو نموذج متكرر، وقوم عاد تشبه آية أمة استعلت وتفوقت وتغطرت وطغت وأفسدت، فالعديد من دول العالم اليوم مثل قوم عاد الأولى واليكم الدليل:

تفوق في كل شيء:

قال تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر]، تفوق في كل الاتجاهات، غنى، بلاد جميلة، سيطرة كبيرة، معامل، صناعة، زراعة، تجارة، تعليم جامعي، موانئ، مطارات، تفوق في كل المجالات، وإذا الإنسان أخذ فيز إلى هذه البلاد كأنه دخل الجنة.

تغطرس واعتداد بالذات:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: 15]، هذه الآية الثانية شعور بالتغطرس والتفوق والاستعلاء والكبر لا يحتمل إطلاقاً.

تفوق بال عمران:

قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128]، كانت عاد الأولى تنفق كل ما يأتيها من دخل وأرباح على بناء منشآت اللهو والعبث والترفيه واللعب والتسلية، مثل ما يعرف اليوم بالمنشآت الرياضية والمسارح ودور السينما ومدن الملاهي ومدن الإنتاج السينمائي وغيره، ويتضح ذلك من قوله تعالى على لسان هود عليه السلام وهو يوبخهم ويزجرهم.

مستشفيات تجويل وإعادة حياة:

قال تعالى: ﴿وَتَتَخِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء]، شيدت عاد الأولى مصانع للخلد أي مصانع لإطالة أعمار البشر طمعاً في الخلود على ظهر الدنيا، وتزخر دول عديدة الآن بمثل هذه المصانع، كمصانع لأدوية والمستحضرات الطبية الكيماوية التي تدعى أنها لإطالة العمر، وكل يوم تظهر لنا شركات أدوية بإعلان جديد عن منتج جديد تمكن فريق طبي من الوصول إليه تدعي أنه يطيل العمر أو يعيد الشباب إلى حيويته أو يقضي على

الشيخوخة.. الخ، ويوجد الآن مصانع تحنيط للجثث وثلاجات لحفظ الموتى على أمل ان يتقدّم العلم بعد سنوات حتى يستخرجون الميت ويعيدون إليه الحياة ليعود صاحبها مخلداً، وأحياناً يقوم الشخص قبل موته بدفع مبلغ لحفظ جثته ويوصي القائمين على هذا العمل باستلام جثته وحفظها بعد موته على أمل ظهور دواء جديد في المستقبل.

القوة العسكرية :

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء]، يهدمون البنية التحتية كلياً دون أن يستخدموا جندياً واحداً، تفوق في كل المجالات، اعتداد بالقوة، تفوق عمراني واقتصادي يفوق حدّ الخيال ثم تفوق عسكري، فعدة دول في العالم لديها أسلحة دمار شامل تدمر الأرض عدة مرات تهدد وتتوعد بإطلاقها على من يعارضها.

تفوق علمي :

قال تعالى: ﴿وَكَأَنَّهُمْ مُّسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: 38]، كان لدى عاد الأولى سعة وتطور في علم الفلك ومنها ما يختص برصد الرياح والطقس والأحوال الجوية والنجوم والكواكب، والآن توجد مراكز علمية وبحثية، وأصبحت لديهم معرفة بحالة الطقس المستقبلية، ومعرفة الكوارث الطبيعية قبل وقوعها كالأعاصير والزلازل والبراكين.

نشر الفساد :

قال تعالى: ﴿فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر]، فلا يوجد مكان في العالم إلا ويستطيع مشاهدة الأفلام الإباحية سواء عن طريق السينما أو عن طريق الإنترنت، وبمنتهى السهولة.

متى سينتهي عصر الجاهلية الثانية وعاد الثانية؟

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَنَاهَا أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24]، تدبر أخي المسلم وأختي المسلمة هذه الآية! فلعلّه يخطر ببالك ما خطر ببالي، وذلك أني إذا قرأت هذه الآية خطر ببالي أن هذه الحضارة المعاصرة موشكة على الانهيار والانحسار؛ لأنها قد بلغت غاية الازدهار؛ فقد أخذت الأرض بهذه الحضارة زخرفها، وتزينت بأنواع الزينة في كل وسائل الحياة؛ في المساكن والمراكب والمطاعم والمشارب والملابس وأسباب التواصل وسرعة الانتقال؛ فتقارب الزمان وتقاربت البلدان. إن أسوأ ما في هذه الحضارة الحديثة الدول الكبرى التي زادت غروراً واستكباراً وظلماً

وطغياناً وأصبحت هذه الدول متسلطة على كل الشعوب والحكومات الضعيفة التي تخافها، وصنعوا لترويع تلك الدول الضعيفة أنواعاً مختلفة من الأسلحة وأسلحة الدمار الشامل.

إنَّ قوله تعالى: ﴿وَوَظَّنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيْهَا﴾ ينطبق على أصحاب هذه الدول النووية؛ فإنهم لما بلغوه من القوة يظنون بقوتهم أنهم قادرون على التصرف في كل ما على الأرض من وسائل الحياة وما فيها من الطاقات، فما تزخرت هذه الحياة ولا تزينت من قبل مثل هذا الزخرف والزينة، ولا ظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها مثل ما ظنَّ أهل هذه الدول؛ إذاً فهي تنتظر أن يأتيها أمر الله ﷻ ليلاً أو نهاراً فيدمرها تدميراً، ويُسيِّرُها آثاراً وأحاديث، كأن لم تكن بالأمس طائراتٍ وأقماراً صناعيةً واتصالاتٍ بين شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ومصابيح الكهرباء التي حولت الليل نهاراً، فعند ذاك ذهب ذلك الزخرف والزينة، فأظلم الليل وانقطع الاتصال، فعادت الحياة إلى ما كانت عليه، وحينئذٍ تنخفض الدنيا بعد ارتفاعها، وقد نبه الله ﷻ إلى كمال قدرته على إحالة حال الدنيا وحال الأرض فقال: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝١٩﴾ [الكهف]. وفي الحديث الصحيح: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾» [رواه البخاري].

إنها سنة الله ﷻ ولا تجد لسنة الله تبديلاً، وكما قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝٢٠﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝٢١﴾ [النحل].

إذاً.. فنحن لا نأمن في كل ليلة وفي كل يوم أن يأتي على هذه الحضارة أمر الله ﷻ، بل نحن نتوقع ذلك فتصيرُ آيةً وعبرةً كما هو مذكورٌ في سورة الدخان وهو ما سنوضحه لاحقاً، نسأل الله أن يقي المسلمين شرَّ آية العذاب المقبلة.



الفصل السابع
يُتْلَوُهٗ شَاهِدٌ مِّنْهُ







يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ



قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَآلَثَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [هود].

لقد اختلف المفسرون في شخصية هذا الذي كان على بيّنة من ربه، هل هو النبي ﷺ، أم المؤمنون الذين كانوا معه، أم جميع المؤمنين؟.. واختلفوا كذلك في طبيعة هذه البيّنة، هل هي القرآن، أو العقل والوجدان، أو شيء آخر غير ذلك؟.. وكذلك اختلفوا في شخصية الشاهد هل هو القرآن، أو سيدنا جبريل عليه السلام، أو سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، أو غير ذلك من الاحتمالات؟.. وفي هذا الفصل سأجتهد بقدر الإمكان في تحديد المقصود في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فإن أصبت في تأويلي فمن الله ﷻ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

من هم الشهود؟

إنَّ الشهود في الدنيا -أيها الإخوة- على أي قضية من القضايا أو حادثة من الحوادث قد ينسون كما نسي آدم، أو يكذبون، وقد يبالغون ويزيدون، وقد يكونون شهود زور، وقد يمتنعون من الإدلاء بالشهادة على وجهها خوفاً أو طمعاً.

هذا في حال الدنيا، فتعالوا نتعرف على شهود الآخرة، إنهم شهود يوم القيامة، شهود عظام، وشهادات عظيمة، فمن هم؟.. وكيف هي شهاداتهم، ومتى، وعلى أي شيء سيشهدون، وعلى من سيشهدون؟..

1 - شهادة النفس على ابن آدم:

إنَّ من الشهداء يوم الدين نفس الإنسان حين تشهد عليه، وتكون هذه الشهادة عند الاحتضار، حيث لا ينفع الندم، ولا يجدي الأسف في تلك اللحظات التي يكون الشخص فيها في ذروة الحسرة، وشدة الألم، وتقفل أبواب التوبة ويعترف الإنسان ويشهد على نفسه بالتقصير والتفريط، فأغلى أمانيه أن يقول: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [التيسير: ١٠٠-٩٩]. ولكن الله يكذبه، ولكن الله يأبى ذلك ويقول: كَلَّا، وقد قال ﷻ في

تكذيب هذا الإنسان: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]. قال ﷺ: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: 130].

2 - شهادة الله وشهادة رسله وأمة محمد ﷺ يوم القيامة:

فإذا ما أذن الله بقيام الساعة واضطربت الأرض وانطمست النجوم وكورت الشمس وسُيِّرَتِ الجبالُ، واختلَّ نظامُ الكون عندها يتتابع الشهود بعضهم وراء بعضهم، ويظهر للعبد ما لم يكن يعهده من قبل وما لم يكن بحسبانه، وأعظمُ الشهداء يوم المعادِ على العباد هو ربهم وخالقهم وفاطرمهم - سبحانه - الذي خلقهم، ولا تحفى عليه خافية، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: 61]. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: 33]. وأيُّ شهادةٍ أعظمُ من شهادة الله على عبده وأمته، ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الإسراء: 96]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]. ولكن الله ﷻ يحب الإعذار إلى خلقه، وأن تقوم عليهم الحجة والبينة فيبعث ﷺ شهداءً إضافيين، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]. ولكن زيادة في إقامة الحجة، ﴿وَجَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: 69]. وأول من يشهد في الأمم رسُلُها، فيشهد كلُّ رسولٍ على أمته بالبلاغ، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]. ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النحل: 89]. وهم الرسلُ (صلواتُ الله وسلامه عليهم) يشهدون على أممهم بالبلاغ كما يشهدون على المكذبين بالتكذيب، ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 1]. ويكذب المكذبون، يقولون في كلِّ أمةٍ: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: 19]، فتأتي هذه الأمةُ أُمَّةُ محمدٍ ﷺ لتشهد للرسول جميعاً على أممهم المكذبين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. فنشهد نحن لنوحٍ على أنه بلغ، ولهودٍ أنه بلغ، ولصالحٍ أنه بلغ، وهكذا نشهد لسائر الأنبياء أنهم قد بلغوا وخبرهم عندنا في الكتاب، وإيماننا بذلك يؤهِّلنا أن نكون شهداءً لسائر الأنبياء على أممهم يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول الله: من



يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمته، فيشهدون أنه قد بلغ»⁽¹⁾. ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. فذلك قوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

وهكذا يكون سيدنا محمد ﷺ شهيداً وأُمته أيضاً، أي: الذين أجابوه وآمنوا به واتبعوه ولم يكفروه، يكونون شهداء على الناس، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء]. طالما حذرنا من الغيِّ والفساد، وأمرنا بالهدى والرشاد، فيكون المشهدُ فاضحاً لجميع العصاة من أُمَّةٍ محمدٍ ﷺ، والمُرائين، قال الله ﷻ في وصف ذلك المشهد: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء]. وهكذا يكون موقف الخزي والمهانة، والحسرة والندامة، عندما تتمنى قوافل العصاة، أن تنشق الأرض وتبلعهم أو ﴿تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، ولا يستطيعون أن يكتُموا الله شيئاً، يتمنى الظالم الذي ظلم، يتمنى المراي الذي رابى، والمرتشي الذي قبض أن تنشق الأرض وتبلعه، وهكذا يكون الموقفُ يومَ الدين في تلك الشهادة العظيمة.

3 - شهادة الملائكة يوم القيامة:

ومن الشهود على العباد يومَ المعاد ملائكةُ الرحمن الكرامُ الكاتبون الذين يعلمون ما تفعلون، وما هم عنَّا بغائبين، يروننا من حيث لا نراهم، ويُسجلون أعمالنا، أمانة، إنهم يكتبون بكلِّ صدقٍ وأمانة، دون زيادةٍ ولا نقصان، هؤلاء الكتبةُ وظيفتهم تسجيلُ أعمالِ العباد، الصغير والكبير، قال النبي ﷺ في وصف حال أحدِ الناس يومَ القيامة: «وتنشر له صحائفه وسجلاته، ينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كلُّ سجل مد البصر»⁽²⁾ فيها أعماله وأقواله، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ، ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق].

قال ابنُ كثيرٍ في السائقِ والشهيد: "أي ملكٌ يسوقُها إلى المحشر، وملكٌ يشهد عليها بأعمالها، فكلُّ واحدٍ منَّا يومَ القيامة سيأتي ومعه ملكان، واحدٌ يسوقه، والثاني يشهد عليه، وتُنشرُ الصحائفُ التي غفلَ عنها العبادُ، ويقول الملك: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق]. والملائكة يشهدون، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾. فتشهد الملائكة بعدما شهد النبيون".

1 رواه البخاري (4487)

2 رواه ابن ماجه (4300)

4 - شهادة النرض على الناس يوم القيامة:

وهناك شاهد آخر أسفل منّا، ونحن فوقه، نعيش على ظهره، إنّها الأرض تشهد بكل ما عمل عليها من خير أو شر، كما قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿الزلزلة﴾.

ولما أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد قال لهم النبي ﷺ: «بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم»⁽¹⁾. أي: الزموا دياركم الحالية، فقالوا: ما يسرنا أننا كنّا تحولنا. [رواه مسلم].

إذن تكتب الآثار إلى المساجد، وتشهد الأرض لمن مشى عليها إلى الخير أو إلى الشر، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس]. وعلى هذه الأرض أشجار وأحجار تشهد كذلك كما روى البخاري عن أبي سعيد، قال لعبد الرحمن بن صعصعة: "إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت في الصلاة فارفع بالنداء، أي بصوتك، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، وفي رواية: لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة.

وهكذا يمشي في صلاة العيد من طريق ويعود من طريق آخر، واستحب بعض العلماء أن يصلي النافلة في غير مكان الفريضة، وهذا الحجر الأسود الذي في الكعبة سيشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق (بحق وليس بأذية خلق الله ﷻ) بحق كما قال النبي ﷺ، فكل الآثار على هذه الأرض مكتوبة.

قال العلماء: من عصي الله ﷻ في موضع من الأرض فليطعه في نفس الموضع حتى يشهد له بالחסنات، كما سيشهد له بالسيئات، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114].

وروى الترمذي عن النبي ﷺ، لما قرأ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة]، قال: أتدرون



ما أخبارها..؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهَرِهَا، تقول (أي الأرض): عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها.

فيا له والله من منظرٍ هائلٍ، هذه الأرض التي طالما وطئناها بأقدامنا، وعملنا عليها الذنوب والمعاصي فأثقلناها بذلك بالخطايا والآثام، ولم يشعر العاصي أنها ستنتطق عليه، فتخبر بكل ما عمل عليها من زنا وقتل، وظلم وجور، وكذب وسرقة، ومقارفةٍ للحرام، كما أنها ستشهد بالصلاة، والذكر، والتسبيح، والسير في الطاعات، والطواف، والسعي، وغير ذلك من المشي إلى العلم، وزيارة الإخوان، وغير ذلك من أنواع القربات والطاعات، فلتكتب آثارك عليها يا عبد الله بالخير.

5 - شَهَادَةُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ:

شهدت النفسُ، وشهد ربُّ العزة، وشهدت الرسلُ، وشهدت الملائكةُ، وشهدت الأرض وما عليها، فمن بقي؟..! من بقي يا عباد الله..؟! لقد قال النبي ﷺ: «يلقى العبد ربه فيقول الله: ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذكرك رأساً وتربع؟ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني»⁽¹⁾. وفي رواية: «فيقول: آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول الله: ألا نبعث شاهداً عليك»⁽²⁾.

وفي رواية: «فيقول الله: ها هنا إذن، الآن نبعث شاهداً عليك، فيتفكر في نفسه، من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه: انطقي، فتنتطق فخذه وفمه ولحمه وعظامه بعمله، بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه»⁽³⁾.

[رواه مسلم].

وكما ذكر الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۖ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا

1 رواه ابن حبان (7445)

2 رواه ابن حبان (7445)

3 رواه مسلم (2968)

جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْنَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٧﴾ [فصلت]. فتتطرق الجوارح على الإنسان فيقول: تَبَّاً لَكُنْ فَعَنْكَ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ، كُنْتُ أَدَافِعُ عَنْكَ، فَإِذَا أَنْتَ تَشْهَدُنَ عَلَيَّ، فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَاصِي الْمُسْكِينُ أَنَّ جَوَارِحَهُ الَّتِي يَعْصِي اللَّهُ بِهَا، وَيَذُوقُ بِهَا، وَيُطْعَمُ بِهَا، وَيَلْمَسُ بِهَا، وَيَرَى بِهَا، وَيَسْمَعُ بِهَا، وَيَمْشِي بِهَا، وَيَبْطِشُ بِهَا أَنَّهُا سَتَكُونُ الشُّهُودَ عَلَيْهِ، وَضَدَّهُ يَوْمَ الدِّينِ.

اختلاف تأويل الآية الكريمة ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾

لقد راجعت بعض كتب التفسير في تفسير قوله ﷺ في سورة هود: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلْتَأَرُّ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: 17]، فوجدت اختلافاً في تأويل هذه الآية وفي بيان معناها لكثرة الاحتمالات واختلاف مرجع الضمائر، وقد قال عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي في كتابه (المحرور الوجيز) حول اختلاف التفسير في هذه الآية الكريمة: (اختلف المتأولون في المراد بقوله: ﴿أَفَمَنْ﴾ فقالت فرقة: المراد بذلك المؤمنون بمحمد ﷺ، وقالت فرقة المراد محمد ﷺ خاصة، وقال: المراد بذلك محمد ﷺ والمؤمنون جميعاً.

وكذلك اختلف في المراد بـ ﴿بَيِّنَةٍ﴾ فقالت فرقة: المراد بذلك القرآن، أي على جلية بسبب القرآن، وقالت فرقة: المراد محمد ﷺ والهاء في «البينة» للمبالغة كهاء علامة ونسابة. وكذلك اختلف في المراد بـ ﴿شَاهِدٌ﴾ فقال ابن عباس وإبراهيم النخعي ومجاهد والضحاك وأبو صالح وعكرمة: هو جبريل.

وقال الحسن بن علي: هو محمد ﷺ، وقال مجاهد أيضاً: هو ملك وكَلَّهُ اللَّهُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ. قال القاضي أبو محمد - رحمه الله -: ويحتمل أن يريد بهذه الألفاظ جبريل. وقال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة: هو لسان النبي ﷺ، وقالت فرقة: هو علي بن أبي طالب ﷺ، وروي ذلك عنه، وقالت فرقة: هو الإنجيل، وقالت فرقة: هو القرآن، وقالت فرقة: هو إعجاز القرآن (1).

مَنْ الْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾..؟

من سياق الآية الكريمة فإنني أعتقد - والله أعلم - أن المقصود بالشاهد فيها هو المهدي، فالذي على البينة رسول الله ﷺ كما قال ذلك (علي بن أبي طالب والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وابن عباس)، والذي يتلوه شاهداً على صدق إرساله ما هو إلا المهدي ولهذا نصَّ أنه منه، أي من ذريته، مثله في ذلك كالشاهد من بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ أَلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف].

فالمهدي هو أحد الشهود الوارد ذكرهم بالقرآن، وهو شاهد أمّة محمد ﷺ الذي سيأتي من بعده، والشاهد علي أمم الأرض في نهاية الزمان، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرِيهِ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٣ ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ١٤ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ١٥ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَبِئْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٦ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٧ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ١٨ ﴿[هود]، فلو تدبرنا الآيات الكريمة السابقة جيداً وما قبلها سنجد أن الله ﷻ يواسي سيدنا محمداً ﷺ الذي هو علي بينة من ربه بالقرآن بعد أن كذبه وشكك في نبوته أهل مكة، فيؤكد له أنه سيتلوه شاهدٌ منه، أي سيتبعه (يأتي بعده) شاهدٌ من أمته وهو (المهدي) ليصدق علي ما جاء به محمد ﷺ.

وعلى هذا فقولهُ: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ من التلو لا من التلاوة، فالتلاوة في اللغة كما جاء بقواميس اللغة العربية ك(لسان العرب، ومقاييس اللغة) هي: الاتِّباع، يُقال: تَلَوْتُهُ إِذَا تَبِعْتَهُ، ومنه تلاوة القرآن، لأنّه يُتَّبَعُ آيَةً بعد آية.

والضمير فيه راجعٌ إلى ﴿مِنْ﴾ أو إلى ﴿بَيِّنَةٍ﴾ باعتبار أنه نورٌ أو دليل، ومآل الوجهين واحدٌ فإنَّ الشاهد الذي يلي صاحبَ البينة يلي بينته كما يلي نفسه والضمير في قوله: ﴿مِنْهُ﴾ راجع إلى ﴿مِنْ﴾ دون قوله: ﴿رَبِّهِ﴾ وعدم رجوعه إلى البينة ظاهرٌ ومحصلُ المعنى: من كان

على بصيرة إلهية من أمر ولحق به من هو من نفسه فشهد على صحة أمره واستقامته. كما أكد الله ﷻ لنبيه ﷺ أنه قبل هذا الشاهد كان كتاب موسى شاهداً علي صدق نبوته أيضاً، ثم ذكرت الآيات أن هذا الشاهد الذي سيأتي بعد محمد ﷺ سيكون إماماً ورحمةً للناس، فيؤمن به من لا يريدون زينة الحياة الدنيا ولا يتحزبون في أي حزب أو مذهب، ومن يكفر به من هذه الأحزاب فالنار موعده، فلا تك يا محمد ﷺ في شك من مجيئه من بعدك أنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، ويوم القيامة سيعرض الذين أفتروا على الله ﷻ كذباً علي ربهم، ويقول الأشهاد (الشهود الأمانة لكل الأمم) هؤلاء الذين كذبوا علي ربهم.

إن من العلماء والمفسرين من يقول أن ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ في الآية السابعة عشر من سورة هود هو سيدنا جبريل عليه السلام، علي اعتقادهم أن كلمة ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ هنا بمعنى التلاوة لآيات القرآن، فهي بمعنى يقرأه جبريل علي محمد ﷺ، وهذا تفسير غير صحيح وبعيد تماماً عن سياق الآيات، فلو كان المقصود من ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ هنا القرآن لقال تعالى (ويتلوه عليه شاهد) أو يقول (ويتلوه شاهد عليه) ولا يقول ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ فلا يتبع كلمة ﴿شَاهِدٌ﴾ كلمة ﴿مِنْهُ﴾ كما هو مذكور بالآية بل كان لا بد أن يتبعها كلمة (عليه) حتى يتضح من الآية أن الشاهد هو جبريل وأن يتلوه عائدة علي القرآن.

وقد أشار القرآن إلى وجود مجددين ومصلحين في كل عصر أو حقبة زمنية هم الشهود علي أهل زمانهم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٨]. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ومن ثم سيكون المهدي الذي سيأتي بعد سيدنا محمد ﷺ أحد المجددين للدين والمصلحين للأمة الإسلامية وهو الشاهد علي نبوة سيدنا محمد ﷺ في آخر الزمان.



الفصل الثامن رسولُ البينّةِ







رسولُ البَيِّنَةِ



مفهومُ البَيِّنَةِ:

البَيِّنَةُ هي كُلُّ شَيْءٍ يُبَيِّنُ الْحَقَّ ويظهره ويدلُّ عليه، وتكون بالقرائن والعلامات التي تدلُّ على ذلك، والبَيِّنَةُ في الأصل تعني الحُجَّةَ والدليل، وقد أيدَ الله ﷻ رسله بالآيات البينات الدالة على صدقهم، وأنهم رسلُ الله حقاً، فاصطفى الله ﷻ للرسالة من الناس من يعلم أنه أهلٌ للرسالة وكفوؤها، ومستطيعٌ للقيام بأعبائها.

وما بعث الله ﷻ رسولاً إلا وأيده بالآيات الدالة على صدق رسالته وصحة دعواه قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: 25]، أي بالآيات الواضحات التي لا تدع مجالاً للشك في صدق ما جاء به الرسولُ المرسل؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ.....» [رواه البخاري ومسلم]، وهذا من حكمة الله ﷻ العليا ورحمته بعباده أن أيد رسله بالآيات البينات؛ لئلا يبقى أمرهم مشكلاً؛ فيقع الناس في الحيرة والشك ولا يطمئنون إلى ما جاءوا به، وهذه الآيات البينات التي جاء بها الرسل لا بد وأن تكون خارجة عن قدرات البشر؛ إذ لو كانت في استطاعتهم ما صحت أن تكون آيةً لإمكان أيِّ دجالٍ أن يدعي الرسالة ويأتي بمثل تلك الآية إذا كانت تحت قدرته، ولكن آيات الرسل لا يمكن لأيِّ بشرٍ أن يأتي بمثلها، وغالباً ما جاءت الآيات البينات والمعجزات المؤيدة للرسل فيما اشتهر فيه أهل قومهم الذين بُعث فيهم هؤلاء الرسل، ومثال ذلك مُعْجَزَةُ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ التي هي القرآن الكريم، حيث كان أهل قريش يبرعون في البلاغة والفصاحة وإتقان اللغة، فكانت مُعْجَزَةُ النبي ﷺ لهم كتاباً شديداً الفصاحة والبلاغة على لسان أميٍّ منهم، ومع بلاغتهم وفصاحتهم إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بجزء من مثله، هذا بالإضافة إلى أن مُعْجَزَةَ القرآن الكريم هي المعجزة الوحيدة المستمرة من بين معجزات الرسل الباقية حتى يومنا هذا وستظل هذه البينة هي المعجزة الملموسة والمقروءة والفريدة بين جميع معجزات الأنبياء والمرسلين إلى قيام الساعة إن شاء الله.

إنَّ المرءَ لو أرسل شخصاً برسالةٍ مهمةٍ من غير أن يصحبه بدليلٍ أو أمانةٍ على صحة

إرساله إياه لعد ذلك سفهاً وموقفاً سلبياً من هذا الرسول، فكيف برسالة عظيمة من أحكم الحاكمين؟! إنها لا بد أن تكون مؤيدة بالبراهين والآيات البينات، فمن رحمة الله ﷻ بالرسول الذي يرسله أن ييسر قبول رسالته بما يجريه على يديه من الآيات؛ ليتسنى إقناع الناس بطريقة لا يستطيعون معارضتها ولا يمكنهم ردّها إلا جحوداً وعناداً، فالرسول لو أتى بدون آية دالة على صدقه لكان للناس حجة في ردّ قوله وعدم الإيثار به، فإذا جاء بالآيات المقنعة الدالة على رسالته لم يكن للناس أي حجة في ردّ قوله، ولذلك يؤيد الله ﷻ رُسْله لإقامة الحجة على الناس حتى لا يحتج أحد على الله ﷻ فيقول: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: 134]، ولذلك فقد قطع الله ﷻ هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأييدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به من الرسالة، وصحة رسالتهم، وسلامة طريقتهم.

التأويل المشهور لسورة البينة:

كما ذكرنا من قبل فقد استبعد أغلب فقهاء المسلمين إمكان ظهور رسول آخر بعد سيدنا محمد ﷺ، ومن ثم فسّروا كلّ إشارة في القرآن الكريم تُشير إلى بعث رسول آخر في المستقبل على أنّها لا بد وأن تعني رسالة سيدنا محمد ﷺ. ولو أنّ الاجتهاد تجنّب الفروض المسبقة واعتنى ببيان الحقيقة المذكورة في القرآن الكريم كما وردت فيه لتجنّبت تأويلاتهم تلك الأخطاء ولأهتدي بها كثير من الناس، ومثّل ذلك تأويل أغلب الفقهاء والمفسرين لآيات سورة البينة في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ١ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ٢ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ ٣ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ ٤ ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ٥ [البينة]، حيث تم تأويلها من قبل أغلب المفسرين بأنّ الأحداث التي وعد القرآن الكريم بوقوعها في المستقبل قد وقعت في الماضي، في محاولة منهم للتوفيق بين تأويلهم لهذه الآية ومع اعتقادهم بانتهاية الرسالات السماوية. فقد ذهب أكثر الفقهاء في تأويل ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ إلى القول بأنّها إشارة إلى ظهور سيدنا محمد ﷺ، فجعلوا معنى الآية أنّ أهل الكتاب والمشرّكين ما زالوا على ما هم عليه من ضلال حتى مجيئ سيدنا محمد ﷺ الذي يبدّل حالهم، فأغلب تفسير هذه الآيات من سورة البينة لا يخرج عما يلي:

(1): ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾:

أهل الكتاب في اصطلاح القرآن هم اليهود والنصارى، والمشركون هم عبدة الأصنام والأوثان من العرب وغيرهم، قال الشيخ (الطبرسي) في جوامع الجامع: كان أهل الكتاب وعبدة الأوثان يقولون قبل بعثة النبي ﷺ تقول لا ننفك عن ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود المكتوب اسمه في التوراة والإنجيل، وهو محمد المقصود بكلمة البينة أي الحجة الواضحة.

(2): ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾: المراد برسول الله (محمد) ﷺ، وبالصحف

القرآن، والجمع باعتبار تعدد سوره، أو أوراقه، ومطهرة: منزهة عن الباطل والتحريف.

(3): ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾: ضميرٌ فيها يعود إلى الصحف، والمراد بالكتب أن القرآن فيه

تبيانٌ للكثير مما أنزل في الكتب السماوية السابقة كصحف إبراهيم وتوراة موسى

وإنجيل عيسى وزبور داود، والمراد بالقيمة المستقيمة على الحق ونهجه، وقد تلا رسول

الله ﷺ ذلك على أهل الكتاب والمشرِكين الذين سمعوا أوصاف سيدنا محمد ﷺ من

اليهود والنصارى، ولكنهم نكثوا وأخلفوا بها وعدوا إلا قليلاً.

(4): ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾: اتفق أهل الكتاب

على نبوة محمد ﷺ قبل البعثة لوجود النص عليه في التوراة والإنجيل، ولما بعث اختلفوا

فيه وتفرقوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

ولا يستقيم هذا التفسير مع قواعد اللغة العربية، ولا مع المعنى المستخلص من سياق

الكلام، فضلاً عن مناقضته للواقع، فقواعد اللغة العربية واضحة في أن الفعل المضارع لا

يُنصَبُ بعد ﴿حَتَّى﴾ إلا إذا دلَّ على حدثٍ سيَتُّمُ في المستقبل، وقد جاء الفعل ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾

منصوباً بعد ﴿حَتَّى﴾، فيكون المعنى المراد في هذه الآية أن أهل الكتاب والمشرِكين باقون على

ما هم عليه من اختلافٍ وتفرُّقٍ إلى أن تأتيهم البينة مستقبلاً، كما أن لفظ منفكِّين معناها

الدَّوام والاستمرار فإنَّ النزاع والجدال لم يتوقَّف بنزول رسالة الإسلام على سيدنا محمد ﷺ،

وزواله مرتبطٌ بظهور بيِّنةٍ أخرى في زمنٍ غير زمن النبي ﷺ، وأنَّ هذه البينة المرتقبة هي

رسولٌ جديدٌ يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عن طريق بيِّنة واضحة من البينات التي يؤيِّدُ

بها الله ﷻ رسله.

تأويل سورة البينة:

نأتي هنا لتأويل هذه السورة بطريقه واضحة ومبسطة ودون تعقيد حتى تصل الى عقولكم وقلوبكم.

❖ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾:

السؤال هنا هل تفرق المشركين وأهل الكتاب منذ زمن النبي ﷺ والى الآن؟؟؟
الإجابة بأن بعض المشركين وأهل الكتاب أسلموا بالفعل منذ ظهور الإسلام وحتى الآن، ولكن تبقى الحقيقة الوحيدة بأن أغلب سكان الأرض من مشركين ومن أهل الكتاب لا يزالون على دينهم ولم يتفرقوا بعد، فلا بد ان يأتي زمان يتفرقوا فيه ويفارقوا دينهم الى الدين الصحيح، أي ان هؤلاء اليهود والنصارى والمشركين لن ينفكوا عن تجمعهم ضد الاسلام والمسلمين ويتركوا دينهم حتى تأتيمهم البينة.

❖ ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾

هنا نقول إن كلمة ﴿حَتَّى﴾ هي فعل الشرط متحقق الحدوث وواجب التنفيذ لأنَّ القائل هو المولى ﷺ، فكلمة ﴿حَتَّى﴾ هي وقت تحقق هذا الشرط حين ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي الحادث المشروط بتحقيقه وقوع الفعل المشروط وهو ان ينفكوا عما هم فيه.

وهنا نأتي للحادث الواقع الذي أخبر به المولى ﷺ وهو ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وهي إحدى البينات التي يؤيد بها الله ﷻ رسله وهي الحجّة والمعجزة التي تثبت الرسالة التي يأتي بها الرسول الى الناس، والتي بسببها يتفرق أهل الكتاب ويتركوا دينهم.

ولا يحتاج الإنسان إلى جهد كبير ليفهم هذه الآية المباركة فقد ربّتها الله ﷻ بحيث تُصرّح بالمعنى الواضح الذي لا يقبل الالتفاف حولها، فأشارت إلى أنّه بظهور هذه البينة تنتهي حالة الشحناء بين الطوائف المختلفة.

وتواصل الآيات التالية شرح حال أهل الكتاب أثناء هذا الزمن، فتبيّن أنهم ما تفرّقوا إلا بعد أن جاءتهم هذه البينة، وأنهم منفكّين على هذا الحال حتى تأتيمهم البينة المقبلة، فما هي هذه البينة..؟ هنا تأتي الإجابة في الآية التالية.

❖ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾

وفي هذه الآية جاء لفظ الرسول كاسم نكرة لا يُشير الى النبي محمد ﷺ تحديداً، وقد

اشارت هذه الآية الى أحد البينات التي ستأتي مع هذا الرسول وهي ﴿صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾^(١) فيها كُتِبَ قِيَمَةٌ^(٢) [البينة]، فهذا -والله أعلم- هو المقصود من البينة ان سيأتي بها الرسول المنتظر، فهو سيتلو صُحُفًا وصفها الله ﷻ بأنها مطهرة - أي لم تُنَجَسْ بأقوال البشر ولم تُحَرَفْ، مع ملاحظة أن الآية ذكرت صُحُف ولم تذكر صحيفه، وهي المذكورة في آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى]، فهنا إشارة الى أنها الكتب السماوية التي انزلت من قبل والتي تشمل أيضاً القرآن الكريم، ومعنى أنها قِيَمَةٌ أي أنها من عند الله ﷻ، أي أن الرسول المنتظر المقصود في هذه السورة سيظهرُ الله ﷻ على يديه التوراة والانجيل كما أنزلت على موسى وعيسى (عليهما السلام) وستكون سبباً رئيسياً في إسلام أغلب اليهود والنصارى، أي انهم لن يتفرقوا عن دينهم ويفارقوه ويأتوا طائعين متبعين لدين الإسلام إلا بعد تأكدهم من أنه الحق من عند ربهم عندئذ سيتفرقون عن دينهم.

هذه هي البينة التي اشارت اليها هذه الآية، ومن الممكن أن تكون هناك بينات أخرى سيتفرق بسببها أهل الكتاب مثل انشقاق القمر والدخان المين كما سنوضحه لاحقاً، والله اعلم.

❖ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾
هنا كانت دعوة الرسول المنتظر وهي اتباع الدين الإسلامي بما يحتويه من أحكام وشرائع فهو دين الحق.

❖ ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾
هنا هو إظهار دين القِيَمَةِ وهو الدين الحق، وهو الدين الإسلامي الذي سيظهر على الدين كله، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١).

وترتيباً على ما سبق نقول -والله أعلم- بأن سيدنا محمداً ﷺ لم يكن هو الرسول المقصود في سورة البينة، لأن المشركين وأهل الكتاب ظلّ أغلبهم على ديانتهم ولم يتفرقوا بسبب بينة القرآن الكريم، فبينه القرآن الكريم موجوده إلى الآن ومطبوعة ومنتشرة في جميع أنحاء العالم

1 أنظر فصل المهدي شرح الآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

ومترجمة إلى جميع لغات العالم تقريباً، ولكنها لم تكن سبباً في تفرق المشركين وأهل الكتاب في جميع أنحاء العالم إلى الآن، ولم يظهر الإسلام على الدين كله حتى الآن، فهذه السورة تصف الأوضاع في العالم عند ظهور الإسلام على الدين كله، حيث سيكون الإسلام هو الدين المهيمن على العالم كله تقريباً مع تواجد القليل من الكافرين، ولكنهم لن يكونوا في موقف قوة، وتذكر السورة نوع البينة التي ستأتي مع الرسول في ذلك الزمان وهي ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: 2].

من هو الرسول المقصود في سورة البينة .؟

نحن هنا أمام رسولين بشرنا النبي ﷺ بأن الله ﷻ سيعثهما في آخر الزمان، وهما سيدنا عيسى عليه السلام والرسول المهدي، ومن خلال بحثي وجدت عدة دلائل من القرآن والسنة تؤيد أن هذه السورة تحدثت عن أحدهما، ولكنني أرجح أن الرسول المقصود في هذه السورة هو سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، ولكنني سأشير فيما يلي إلى الدلائل التي تشير هذه السورة لكل منهما، مع العلم أن كلا الرسولين سيعاصر كل منهما الآخر فكلاهما سيكمل الآخر في رسالته، وكلاهما سيهتدى الكثير من أهل الكتاب والمشركين إلى الإسلام في عهدهما، ولكن سيدنا عيسى عليه السلام سيظهر في نهاية عهد المهدي، ولذلك فإن استكمال الأدلة والبراهين الدالة على تفرق أهل الكتاب والمشركين ستكون في عهد سيدنا عيسى عليه السلام، ولذلك رجحت أن يكون سيدنا عيسى عليه السلام هو الرسول المقصود في هذه السورة.

أولاً : دلائل أن المهدي هو المقصود في سورة البينة :

ذكرت عدة أحاديث أن المهدي سوف يستخرج التوراة والإنجيل الصحيحين وسيُحاج بها اليهود والنصارى إذ ستكونان دليلاً على صدقه، ففي كتاب الفتن لـ (نعيم بن حماد) الجزء الأول: ((حدثنا أبو يوسف المقدسي عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن كعب قال المهدي يُبعث بقتال الروم يعطي فقه عشرة يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام والإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على عيسى عليه السلام يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم).

وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن مطر الوراق عمن حدثه عن كعب قال إنما سُمي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية.

وحدثنا صَمْرَةُ عن ابن شَوْذِبٍ عن مطرٍ عن كعبٍ، قال: إنما سُمِّيَ المهدي، لأنه يهْدَى إلى أسفارٍ من أسفارِ التوراة يستخرجها من جبال الشام، يدعو إليها اليهود، فيُسَلِّم على تلك الكتب جماعةً كثيرةً، ثم ذكر نحواً من ثلاثين ألفاً)).

وهؤلاء اليهود والنصارى -والله أعلم- هم الذين سيُسَلِّمون وسيَنضمون إلى جيش المهدي في الملحمة الكبرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إنَّ المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون - وذلك باطلٌ - فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فأمرهم فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانداب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته». والحديث في صحيح مسلم من كتاب الفتن وأشراف الساعة.

فالحديث يشير إلى أنه هناك من سيُسَلِّم من الروم في عهد المهدي، وسيمكثون مع المسلمين في الشام، ثم يقاتلون مع المسلمين ضدَّ الروم: «قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سُبُوا مِنَّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، كيف نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا». فهل إسلامهم سيكون بسبب ظهور التوراة والإنجيل الصحيحين أم بسبب الأسر أم بسبب بيِّنة انشقاق القمر أم بسبب بيِّنة الدخان المبين..؟ من الممكن -والله أعلم- طبقاً لما رواه بن حَمَّاد أن هناك من سيُسَلِّم من اليهود والنصارى للسبب الأول بسبب استخراج المهدي للتوراة والإنجيل كما أنزلت على موسى وعيسى (عليهما السلام) وهو ما يتَّفَق أيضاً مع التأويل الذي ذكرناه بخصوص البيِّنة المذكورة في سورة البينة.

ثانياً: دلائل أن سيدنا عيسى عليه السلام هو المقصود في سورة البينة

كما ذكرنا في الحديث السابق أنَّ سيدنا عيسى عليه السلام سينزل في عصر المهدي، وبالفعل سيكون مع المهدي الكثير من اليهود والنصارى الذين أسلموا ولكنهم ليسوا جميعاً، فالعدوُّ

الرئيسيُّ أمام المهدي لازل هم اليهود والنصارى، فالحديثُ يوضح أنهم لم يسلموا جميعاً في عهده، وتدُلُّ الأحاديثُ النبويةُ على أنَّ الأرضَ كُلَّها ستصيرُ دارَ إسلامٍ وذلك في زمنِ عيسى بنِ مريم عليه السلام فهو سيحكمُ بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزيةَ بأن يُسقطها عن أهل الكتاب والمجوس ولا يقبل منهم ومن كل الكافرين إلا الإسلام، وتهلك في زمنه كلُّ الملل إلا ملة الإسلام ويسود الأمن في الأرض قاطبة، فحينها تصير الأرضُ كُلُّها دارَ إسلام وفي حكم المسلمين، بل جاء في الحديث الطويل عند مسلمٍ عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أنَّ الكافر إذا وجد ريحَ نفسه مات قال: «إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجرد ريش نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه - أي أنه يطلب الدجال - حتى يدركه بباب لد فيقتله».

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن ابنِ المسيَّب أنَّه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩﴾.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد».

ففي عهد سيدنا عيسى عليه السلام سيظهر دين القيِّمة وهو الدين الحق وهو الدين الإسلامي الذي سيظهر على الدين كله، كما قال الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ في سورة الصف ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١﴾ [الصف]، ولذلك فأنا أرجح بأن الرسول المقصود في سورة البينة هو سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وبنسبة أعلى قليلاً من المهدي والله أعلم.



الفصل التاسع انشقاق القمر





انْشِقَاقُ الْقَمَرِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ١ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ٣ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ٤ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنْذُرَ ٥ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِرٍ ٦ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ٨ ۖ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ١٣ تَجْرِ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٧ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ١٩ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٢٤ أَعْلَقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ٢٥ سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ٢٦ إِنَّا مُرْسَلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّةَ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلٌّ شَرْبٍ فُحْتَضِرُ ٢٨ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ٣٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ٣١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٣٢ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ٣٣ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالَ لُوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ٣٤ نِعْمَةً مِنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ٣٨ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٤٠ وَلَقَدْ جَاءَ عَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ٤٢ أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ٤٤ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّوْنَ الدُّبُرَ ٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ٤٦ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْجٍ بِالْبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ٥٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٤ فِي مَقْعَدِ

صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ٥٥ [سورة القمر]

﴿صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ﴾

إنَّ اعتقادي بأنَّ آيةَ انشقاقِ القمرِ لم تحدث بعدُ ليس قولاً جديداً أو مستحدثاً، بل سبق وأن قيل من قبل مفسرين وعلماءٍ كثر، ومنهم على سبيل المثال الدكتور مصطفى محمود في برنامجه الشهير (العلم والإيمان) وكذلك هو قول الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر في أواخر الخمسينات، وقول الشيخ عبد الجليل عيسى عميد كلية أصول الدين في كتابه تيسير التفسير، وقول رشيد رضا صاحب المنار، وقول الشيخ الغزالي.

أقوال المفسرين: الرأي والرأي الآخر:

نعود هنا إلى سورة القمر حيث ورد انشقاق القمر في هذه السورة المكية في كل آياتها كما قال الجمهور، وقالوا كلها ما عدا ثلاثة آياتٍ بدايةً من آية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ إلى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾. وهي خمسٌ وخمسون آيةً، وأوّل آيةٍ في السورة تتناول الحادثة ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

وقد وردت أحاديثٌ فيها تُثبت تلك الواقعة في البخاريّ من حديث بن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس ؓ. وعن أنس قال: "سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشقَّ القمرُ بمكةَ مرتين فنزلت: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ يقول ذاهب"، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، ولفظ البخاريّ عن أنس قال: انشقَّ القمرُ فرقتين.

وقد أنكر الكثير من المفسرين حدوث انشقاق القمر، وقالوا إنَّ هذا مرهونٌ بقيام الساعة، فقال قومٌ: "لم يقع انشقاق القمر بعدُ وهو منتظرٌ أي: اقترَب قيامُ الساعة وانشقاق القمر، وأنَّ الساعة إذا قامت انشقت السماءُ بها فيها من القمر وغيره".

وكذا قال القشيري، وذكر الماوردي: أنَّ هذا قول الجمهور، وقال: لأنَّه إذا انشقَّ ما بقي أحدٌ إلا رآه لأنَّه آيةٌ والناس في الآيات سواء.

وقال الحسن: اقترَبَت الساعةُ فإذا جاءت انشقَّ القمر (بعد النفخة الثانية).

وقيل: وانشق القمر أي وضح الأمر وظهر.

وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يُسمَّى الصبحُ فلحاً لانفلاق الظلمة عنه.

وقد يُعبَّر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة: فلما أدبروا ولهم دويٌّ دعانا عند شقِّ

الصبحِ داعٍ.

إذن فالرواية في صحيح البخاري ليست محتمة القبول؛ خاصة أن الحديث الذي روى معجزة انشقاق القمر المنسوبة للنبي محمد ﷺ هو آحادٌ، وحديث الآحاد مما لا تثبت به عقيدة على قول الجمهور، ورغم صحة الحديث وعدم وجود خلاف في ذلك، إلا أن الصحابي الوحيد الذي يفهم من روايته أنه شهد (الانشقاق) عياناً هو الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أما بقية الرواة فلا بد أنهم رووا عنه (أو عن سواه ممن لم تصل روايتهم لنا مباشرة وبالتالي فنحن لا نعرفهم) فبعض هؤلاء كانوا صغاراً جداً أو لم يولدوا في الوقت الذي يفترض فيه حدوث الانشقاق، والبعض الآخر لم يكن في مكة، كما أن هناك بعض الروايات الضعيفة عن آخرين (وسياتي الحديث مفصلاً عن هذا).

لا يمكن التقليل من أهمية آية قول أغلب المفسرين، ووجود حديث صحيح في شقيها في التأثير على طريقة التفكير السائدة في كثير من الأمور المرتبطة بالدين بشكل أو بآخر، قال المفسرون وحديث صحيح، إذاً فالأمر محسوم..!

لكن السؤال هنا: هل هذه الآلية صالحة للاستخدام على الدوام؟ أم أن نفس من يستخدمها كحجة الآن ربما يتخلى عنها في سياق آخر ومع آية أخرى..؟

هل إجماع المفسرين على تفسير آية ما ووجود حديث صحيح يسند هذا التفسير، سيجعل هذا التفسير مقبولاً في جميع الأحوال اليوم..؟ أم أن هناك بعض الآيات التي ستدخل فيها معطيات أخرى تجعل إجماع المفسرين في درجة أقل أهمية، ويتم التعامل مع الحديث الصحيح تأويلاً.

إن قول جمهور المفسرين في هذه الآية هو أن الانشقاق حدث فعلاً في حياته (عليه الصلاة والسلام) في مكة، لكن الكثير من هؤلاء المفسرين نقلوا أيضاً رأياً آخر يقول إن الآية تعني أن القمر سينشق في يوم القيامة.

بعض هؤلاء نقلوا هذا القول مع ترجيح سواه، وبعضهم نقله مع نقد شديد لمن نقله، وبعضهم وهم الأقلية بلا شك - ذهب إلى أن الأرجح هو أن الآية تعني: سينشق القمر كعلامة من علامات يوم القيامة.

قال القرطبي في تفسيره: وَقَالَ قَوْمٌ: لَمْ يَقَعْ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بَعْدُ وَهُوَ مُتَظَرٌّ، أَيِ اقْتَرَبَ قِيَامُ السَّاعَةِ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَأَنَّ السَّاعَةَ إِذَا قَامَتْ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ. وَكَذَا

قَالَ الْقُسَيْرِيُّ. وَذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا انْشَقَّ مَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا رَأَاهُ، لِأَنَّهُ آيَةٌ وَالنَّاسُ فِي الْآيَاتِ سَوَاءٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ (البصري): اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ فَإِذَا جَاءَتْ انْشَقَّ الْقَمَرُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ. وَقِيلَ: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أَيَّ وَصَحَ الْأَمْرَ وَظَهَرَ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ أَيَّ سَيَنْشَقُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَتَى أَمْرَ اللَّهِ أَيَّ سَيَأْتِي، وَالنُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ إِرَادَةُ الْمُبَالِغَةِ فِي تَحْقِيقِ وَقُوعِ ذَلِكَ فَتَزَلَّ مَنَزِلَةُ الْوَاقِعِ وَالَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَصَحُّ كَمَا جَزَمَ بِهِ بَنُ مَسْعُودٍ وَحُدَيْفَةُ وَغَيْرُهُمَا

وجاء في مجمع بحار الأنوار القاضي: أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوع الانشقاق، قلت: وفي الإجماع نظر وقد قيل بأنه سينشق عند مجيء الساعة.

وقال أبو السعود في تفسيره: وروى أَنَّ الْكُفَّارَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رحمهما: انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت، وقال ابن مسعود رأيت حِراءَ بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أَنَّ مَعْنَاهُ سَيَنْشَقُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى. وقال ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير: عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعَطَاءٍ أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ يَكُونُ عِنْدَ الْقِيَامَةِ وَاخْتَارَهُ الْقُسَيْرِيُّ، وَرَوَى عَنِ الْبَلْخِيِّ. وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ لِلْجُمْهُورِ.

وَخَبَرَ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَعْدُودٌ فِي مَبَاحِثِ الْمُعْجَزَاتِ مِنْ كِتَابِ «السَّيَرَةِ» وَ«دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ». وَلَيْسَ لَفْظُ هَذِهِ الْآيَةِ صَرِيحًا فِي وَقُوعِهِ وَلَكِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَقْتَضِيهِ كَمَا فِي «الشِّفَاءِ». فَإِنْ كَانَ نَزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ وَاقِعًا بَعْدَ حُصُولِ الْإِنْشِقَاقِ كَمَا اقْتَضَاهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ» فَتَصْدِيرُ السُّورَةِ بِاقْتِرَابِ السَّاعَةِ لِإِلْهَتِمَامِ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا قَدَّمَائِهِ أَنْفَاءً إِذْ قَدْ تَقَرَّرَ الْمَقْصُودُ مِنْ تَصْدِيقِ الْمُعْجَزَةِ.

فَجَعَلَتْ تِلْكَ الْمُعْجَزَةَ وَسِيلَةً لِلتَّذَكُّيرِ بِاقْتِرَابِ السَّاعَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِدْمَاجِ بِمُنَاسَبَةٍ أَنَّ الْقَمَرَ كَائِنٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ ذَاتِ النِّظَامِ الْمُسَايِرِ لِنِظَامِ الْجَوِّ الْأَرْضِيِّ فَلَمَّا حَدَثَ تَغَيُّرٌ فِي نِظَامِهِ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا؛ نَاسَبَ تَنْبِيْهُ النَّاسِ لِإِلْغَائِهِ بِإِمْكَانِ اضْمِحَالِ هَذَا الْعَالَمِ، وَكَانَ فِعْلُ الْمَاضِي مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِيقَتِهِ. وَرَوَى أَنَّ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَرَأَ وَقَدْ انْشَقَّ الْقَمَرُ.

وَإِنْ كَانَ نَزُولُهَا قَبْلَ حُصُولِ الْإِنْشِقَاقِ كَمَا اقْتَضَاهُ حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَهُوَ إِندَارٌ بِاقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَعَ الْإِلْبَاءِ إِلَى أَنَّ الْإِنْشِقَاقَ

سَيَكُونُ مُعْجَزَةً لِّمَا يَسْأَلُهُ الْمُشْرِكُونَ. وَيَرْجِعُ هَذَا الْمُحْمَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَقِبَهُ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۖ﴾ كَمَا سَيَأْتِي هُنَالِكَ.

وَإِذْ قَدْ حَمَلَ مُعْظَمُ السَّلَفِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَمَنْ خَلَفَهُمْ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ حَصَلَ قَبْلَ نُزُولِهَا أَوْ بَقَرَبِ نُزُولِهِ فِيمَكُنَّا تَبْيَانِ إِمْكَانِيَةِ حُصُولِ هَذَا الْإِنْشِقَاقِ مُسَايِرِينَ لِإِلَاحِثَاتِ النَّاشِئَةِ عَنْ رَوَايَاتِ الْحَبَرِ عَنِ الْإِنْشِقَاقِ إِبْطَالًا لِّحُجَّةِ الْمُلْحِدِينَ، وَتَقْرِيبًا لِفَهْمِ الْمُصَدِّقِينَ.

فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ خَسْفٌ عَظِيمٌ فِي كُرَّةِ الْقَمَرِ أَحْدَثَ فِي وَجْهِهِ هُوَّةٌ لَّاحَتْ لِلنَّاطِرِينَ فِي صُورَةِ شَقِّهِ إِلَى نِصْفَيْنِ بَيْنَهُمَا سَوَادٌ حَتَّى يُحْيَلَ أَنَّهُ مُنْشَقٌّ إِلَى قَمَرَيْنِ، فَالتَّعْيِيرُ عَنْهُ بِالْإِنْشِقَاقِ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ لِأَنَّ الْهُوَّةَ انْشِقَاقٌ، وَمُوَافِقٌ لِمَا رَأَى النَّاسُ لِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ كَأَنَّهُ مُشْقُوقٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ فِي الْأُفُقِ بَيْنَ سَمَتِ الْقَمَرِ وَسَمَتِ الشَّمْسِ مُرُورُ جِسْمٍ سَمَاوِيٍّ مِنْ نَحْوِ بَعْضِ الْمَذْنَبَاتِ حَجَبَ ضَوْءَ الشَّمْسِ عَنْ وَجْهِ الْقَمَرِ بِمِقْدَارِ ظِلِّ ذَلِكَ الْجِسْمِ عَلَى نَحْوِ مَا يُسَمَّى بِالْخُسُوفِ الْجُزْئِيِّ، وَلَيْسَ فِي لَفْظِ أَحَادِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ، وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ مَا يُنَاكَدُ هَذَا.

وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِنْشِقَاقُ حَدَثًا مُرَكَّبًا مِنْ خُسُوفٍ نِصْفِيِّ فِي الْقَمَرِ عَلَى عَادَةِ الْخُسُوفِ فَحَجَبَ نِصْفَ الْقَمَرِ، وَالْقَمَرُ عَلَى سَمَتِ أَحَدِ الْجَبَلَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ فِي الْجَوِّ سَاعَتَيْنِ سَحَابٌ مَائِيٌّ اِنْعَكَسَ فِي بَرِيقِ مَائِهِ صُورَةَ الْقَمَرِ مَخْسُوفًا، بِحَيْثُ يَخَالُهُ النَّاطِرُ نِصْفًا آخَرَ مِنَ الْقَمَرِ دُونَ كُسُوفٍ طَالِعًا عَلَى جِهَةِ ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَهَذَا مِنْ غَرَائِبِ حَوَادِثِ الْجَوِّ. وَقَدْ عُرِفَتْ حَوَادِثُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ بِالنِّسْبَةِ لِأَشْعةِ الشَّمْسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَحْدُثَ مِثْلُهَا بِالنِّسْبَةِ لِضَوْءِ الْقَمَرِ عَلَى أَنَّهُ نَادِرٌ جِدًّا.

ماذا عن الحديث الصحيح؟

روى هذا الحديث عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، ومالك بن أنس، وجبير بن مطعم، وحذيفة بن اليمان رضوان الله عليهم أجمعين.

لكنَّ عبد الله بن عمر وابن عباس لم يكونا قد ولدا وقت نزول سورة القمر (وربما كان ابن عمر قد ولد قبلها بستين) وكذلك كان مالك بن أنس صغيراً وفي المدينة.

أمَّا جبير بن مطعم فسنجد روايته فيه ضعفٌ، وق كان مشركاً ولم يسلم إلا بعد ذلك بفترة

طويلة، ولم يرد عنه أي شيء في تفسير عدم إسلامه عندما شاهد الواقعة.
وحديثه بنُ اليمان لم يقل إنه قد شاهد انشقاق القمر، بل ذكر الآية كاملة في خطبة تشير إلى اقتراب الحساب وضرورة الاستعداد له.

هذا كله يجعل من الصحابيِّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الشاهد الوحيد الذي ذكر شهادته للواقعة، بينما (ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك) نقلوا عنه أو عن شخص آخر روى الواقعة (لا نعرف من هو إن لم يكن ابن مسعود).

هذا لا يقلل من صحة الحديث بكل الأحوال، لكنه يجعل شهود الواقعة أقلّ حتمًا، ويكاد ينقل الأمر من خبر الأحاد إلى خبر الواحد، وهو أمرٌ قد يملك إشكاليةً مع فكرة (المعجزة) والتي تتطلب وجود عددٍ كبيرٍ من الشهود لتحديثهم، خاصةً أنها أكبر حجمًا من أي معجزة أخرى.

ومرة أخرى هذا لا يعني تضعيف حديث صحيح متفق عليه، بل إعادة فهم متنه على نحوٍ لا يمس منظومة الحديث الشريف من ناحية السند، ولا بعدالة الصحابيِّ بأي شكلٍ من الأشكال.

لعلي هنا أنقل جانباً مما كتبه الشيخ رشيد رضا عن هذا الحديث تحديداً: وإذ قد اقتضت الحال الآن تحرير المسألة روايةً ودرايةً فإننا نبدأ بالرواية فنقول: الروايات في انشقاق القمر وعللها: زعم بعض العلماء المتقدمين أنَّ الروايات في انشقاق القمر بلغت درجة التواتر! وهو زعمٌ باطلٌ كقول ابن عبد البر الآتي أنه نقله جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وإن تلقاه الكثيرون بالقبول حرصاً على إثبات مضمونه كعادتهم في الفضائل والمناقب ودلائل النبوة، فأما الشيخان فالذي صحَّ عندهما مسنداً على شرطهما إنما هو عن واحدٍ من الصحابة رضي الله عنه يُخبر عن رؤية وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد أخرجاه عنه كأحمد وغيره من طريق سفيان بن عيينة عن أبي نجيع عن مجاهد عن أبي معمر ومن طريق الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر، وصح عندهما مرسلًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه من طريق قتادة فقط، ومن حديث بن عباس رضي الله عنه من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة، وإنما كان هذان الحديثان مُرسَلين لأنَّ الحادثة وقعت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين، ولم يكن ولد عبد الله بن عباس، وأما أنس فكان في المدينة ابن خمس سنين، والخلاف في الاحتجاج بالمرسل معروف، ومن يحتجُّ بمراسيل الصحابة مطلقاً يبنّي احتجاجه على أنهم يروون عن

مثلهم؛ ولكن ثبت أنَّ بعضَهم كان يروي عن بعضِ التابعين حتى كعب الأخبار، وعلى كلِّ حالٍ لا يصحُّ في مراسليهم ما اشترط في التواتر من الرواية المتصلة إلى من شاهد المرويَّ، وروايةُ الشيخين المتصلةُ من طريقين فقط..

ورواه مسلمٌ من طريقِ شعبةٍ عن الأعمش عن مجاهد عن ابنِ عمرَ وهي أحد الطريقين عن ابنِ مسعودٍ، وليس فيها أنه حَدَّثَ عن رؤيةٍ وقد تردد الحافظُ في هذه الرواية: هل هي إسنادٌ آخر عند مجاهدٍ (أو قولٌ من قال ابن عمر وهم من أبي معمر...؟) وقد روى الحافظُ أنَّ ابنَ عمرَ هاجر وهو ابنُ عشرِ سنين، وفي روايةٍ أخرى أنه كان سنة الهجرة ابنَ ستٍّ.

ورواه الإمامُ أحمد وتبعه ابنُ جريرٍ والبيهقيُّ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه من طريق سليمان بن كثيرٍ عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه..

فأما جبيرٌ فقد أسلم بعد عامِ الحديبية وقبل فتحِ مكة، وقيل في الفتح، وقد كان مع المشركين في غزوة بدرٍ وأسره المسلمون، فسمع النبي ﷺ يقرأ سورة الطور، قال: فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي، وليس في حديثه أنه رأى، ولكنَّ ظاهره أنه كان مسلماً، ولم يكن مسلماً، ولو رأى ذلك في حال شركه لعدَّه بعد إسلامه مما أثر في نفسه..

وأما السندُ إليه فضعيف: فسليمان بن كثيرٍ ضعفه ابنُ معين كما ضعف ولده محمدًا الذي روى هذا الحديث عنه، وقال ابنُ حبان: كان يخطئ كثيراً، وأما حصينُ بن عبد الرحمن فقد كان ثقةً إلا أنه تغير في آخر عمره، هذا أقوى ما ورد من الأحاديث في هذه المسألة، وعليها اقتصر الحافظُ ابن كثيرٍ في تفسيره، ورواه الترمذيُّ في جامعه وغيره، ولها ألفاظٌ أخرى في التفسير المأثور وكتب الدلائل غربلها الشيخان، واختارا ما أشرنا إليه وسنذكره بنصه.

وذكر السيوطيُّ في الدرِّ المنتور سائرَ مخرَّجيهَا وألفاظهم وزيادتهم على الصحيحين فيها، وزاد ما أخرجه ابنُ أبي شيبة وعبدُ بن حميد وعبدُ الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَادْنَقَ الْقَمَرُ﴾ ألا وإنَّ الساعةَ قد اقتربت، ألا وإنَّ القمرَ قد انشقَّ على عهدِ رسول الله ﷺ، ألا وإنَّ الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإنَّ اليومَ المضمارَ وغداً السباق. اهـ، وابنُ جريرٍ لم يذكر أنَّ ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ، والراوي عن أبي عبد الرحمن: عطاء بن السائب وعنه شعبة وابنِ علي، واتفقوا على أنَّ عطاء بن السائب قد اختلط في آخر عمره وتغيَّر فلا تُقبل روايةُ أحد عنه في آخرته؛ ولكن شعبة من

قدماء الرواة عنه، وقد روى ابنُ المُنذر أنه أي حذيفة قرأ (وقد انشق القمر) والرواية تدلُّ على أن هذا خطأ؛ فإنه قرأ الآية في خطبته كما رواها القراء بالتواتر، ثم قال: ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقَّ، وهذا من كلامه على أنه تفسير، على أن أمثال هذه الروايات الأحادية الغريبة لا يثبت بها القرآن، بل لا بد من تواتره.

ولعلي هنا أذكر بوجود سندٍ آخر أقلَّ صحةً بالتأكيد من السند الصحيح المتفق على صحته، لكنه سندٌ "حسن" أورده الطبراني في معجمه الكبير (11642) وعبد الرزاق في مصنفه (4941): عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كُسِفَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: سُحِرَ الْقَمَرُ فَتَزَلَّتْ ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾" إِلَى قَوْلِهِ ﴿..... مُسْتَمِرٌّ﴾".

هذه الرواية تشير إلى تزامن الكسوف مع نزول الآية الكريمة. والكسوف آية كونية لا شكَّ فيها، وهي تدلُّ أيضاً على عظمة خلقه ﷻ، فهل حدث خلطٌ بين الأمرين؟ هذا تساؤلٌ لا يقدح في صحة حديثٍ متفقٍ عليه، بل يسلط الضوء على فهمٍ آخرٍ لمتنه، فهمٌ قد يساهم في تخفيف أو إزالة التعارضات التي تشكلت عند البعض بين عموم نصوص القرآن وبين فهمٍ سائدٍ لواحدةٍ من آيات القرآن الكريم..

رأيُ الشيخ الغزالي:

ولعلَّ الشيخ الغزالي يلخص ذلك كله بما كتبه عن هذا الأمر في كتابه (الطريق من هنا): "واعلم أن من مفكري المسلمين ومفسري دينهم من اعتبر الانشقاق من أشراط الساعة، وأن من المتكلمين من توقف في أخبار الآحاد، كما قال إبراهيم النظام: «إن القمر لا ينشق لابن مسعود وحده»، وابن مسعود هو الذي روي عنه الحديث المذكور.

ربما قال لي قائل: كيف تتهاون في حديثٍ صحيحٍ على هذا النحو...؟! وأجيب: إنَّ ردَّ حديثٍ بالهوى المجرد مسلِّكٌ لا يليق بعالمٍ، وقد ردَّ أئمتنا الأولون أحاديث صحاحاً لأنها خالفت ما هو أقوى منها عقلاً ونقلًا، وبذلك فقدت مقومات صحتها، ومضى الإسلامُ بمعالمه ودعائمه لا يقفه شيء..!

وقد قلت: إنني لا أربط مستقبلَ ديننا بحديثٍ آحادٍ يفيد العلمَ المظنون، وأزيد الموضوعَ بياناً فأقول: إنني أومن بخوارق العادات، وأصدق وقوعها من المسلم والكافر والبرِّ

والفاجر، وأعلم أن قانون السببية قد يحكمنا نحن البشر، بيد أنه لا يحكم واضعه - تبارك وتعالى -!

وعندما قرأت حديث الانشقاق شرعت أفكرُ بعمقٍ في موقف المشركين، أنهم انصرفوا مكذبين إلى بيوتهم وراحلهم بعدما رأوا القمر فلقطين عن يمينِ الجبلِ وشماله وقالوا: سحرنا محمدٌ، ومضوا آمنين سالين لا عقابَ ولا عتاب، قلت: كيف هذا...؟!

في سورة الأنبياء يحكي الله سبحانه سر كفر المشركين بنبيهم محمدين مطلبهم منه: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾.

ويحكي القرآن لماذا لم يجابوا إلى طلبهم، يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿مَا آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يَوْمِنُونَ﴾!؟

إن التكذيب بعد وقوع الخارق المطلوب يُوجب هلاك المكذبين، فكيف يترك هؤلاء المكبون بدون توبيخ ولا عقوبة، بعد احتقارهم لانشقاق القمر...؟! ويؤكد القرآن الكريم هذا المنطق في سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَعَاتَيْنَا تُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

فإذا كان إرسال الآيات ممتنعاً لتكذيب الأولين بها، فكيف وقع الانشقاق...؟! بل كيف يقع أو يقع غيره، والله ﷻ يقول في سورة الحجر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾.

ثم إن المشركين في مواطنَ أخرى ألحوا في طلب الخوارق الحسية كقوله في سورة الأنعام: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فلماذا لم يقل لهم: سبق أن انشق لكم القمر فكذبتم...؟! أيمرُ هذا الحدث ليعقبه صمتٌ تامٌ...؟!

وفي سورة أخرى قيل للكافرين وهم يشدون المعجزات الحسية: حسبكم القرآن، فيه مقنعٌ لمن نشد الحق، كقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

إن مئات الآيات، في سورٍ كثيرة طوال العهد المكي، دارت في إثبات الرسالة على محور إيقاظ العقل وتعريفه بربه، واعتبار صاحب هذا الوحي إمام السائرين إلى الله ﷻ المعتصمين

بجبله، وتجاوزت مقترحات الكفار أن يروا آيةً مادية معجزة.

من أجل ذلك لم أقف طويلاً عند حديث الانشقاق وأبيت بقوة أن أربط مستقبل الدعوة به أو بغيره من أحاديث الأحاد التي تصطدم بأدلة أقوى منها، ولست بدعا في هذا المسلك فأبو حنيفة ومالك ردوا أحاديث من هذا الطراز عارضها من دلالات القرآن ما هو أقوى منها.

إننا لا ننكر الخوارق من حيث هي، وإنما نناقش الأسانيد التي جاءت بها، ونوازن بين دليل ودليل، وإيماننا بالخوارق هو الذي جعلنا نحن المسلمين نصدق بميلاد عيسى من غير أب، فالقرآن قاطع في هذه القضية، وإذا ثبت قول الله فلا كلام لأحد". انتهى الاقتباس.

المعجزة تتطلب جمهوراً كبيراً:

الإشارة إلى وجود صحابي واحد شهد الواقعة لا يعني تكذيب أو تضعيف الحديث الذي نقله، بل هو للتذكير إلى أن القلة في عدد الشهود يتعارض مع فكرة (المعجزة) بحد ذاتها، فمفهوم المعجزة كما عرضها القرآن الكريم كان يتطلب باستمرار وجود جمهور مشاهد للمعجزة حتى مع معجزات أقل حجماً بكثير من انشقاق القمر. ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ۖ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۚ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝﴾ [طه]. وهذا يخص معجزة تحول العصا إلى أفعى، وهي معجزة أقل حجماً بكثير من انشقاق القمر، لكن رغم ذلك حُشر الناس لها في يوم عيد وفي وضوح النهار لكي يراها الجميع، فكيف تحدث معجزة مثل انشقاق القمر دون أن يدعى الجميع بل ودون أن يتحدث كثيرون عن تجربتهم تلك..؟ وإذا كان أهل مكة قد شاهدوا انشقاق القمر (بعد أن طلبوا معجزة مادية) ثم استمروا في تكذيبهم للرسول ﷺ، فكيف لم يحق عليهم القول بالعذاب كما حدث مع الأقوام السابقة التي كذبت رسلها.

المعجزة الأكبر من كل معجزات الأنبياء والأقل ذكراً..؟!

اليوم نعرف عن القمر وتأثيره على الأرض ما يجعلنا نستوعب أن حدوث انشقاق في القمر سيؤدي إلى حدوث فيضانات هائلة (بحجم تسونامي) وزلازل وبراكين عظمى (كما سيأتي ذكرها في سورة الدخان) على نحو قد يؤثر على الحياة نفسها على سطح الكرة الأرضية،

لا أقول هذا لكي أستخدم هذه المعلومات للدلالة على عدم حدوث انشقاق القمر لأنه من الممكن أن يكون الجواب أن الله ﷻ قد منع حدوث تأثيرات أرضية لانشقاق القمر، ولكنني أسوق هذه المعطيات لبيان أن معجزة بحجم انشقاق القمر هي أكبر بكثير من أي معجزة أخرى لنبي أو رسول، ورغم ذلك نرى أنها ذكرت مرة واحدة فقط في القرآن (بتفسير الجمهور للآية الكريمة) بينما معجزات أصغر منها بكثير ذكرت مرات عديدة (عصا موسى 12 مرة، ناقة صالح 7 مرات، إحياء الموتى وشفاء الأكمه والأبرص على يد السيد المسيح بإذن الله مرتان) بل إن معجزة نزول المائدة من السماء مع الحوارين ذكرت مرة واحدة، لكن بتفصيل أكثر، بينما انشقاق القمر (بكل حجم وأهمية تلك المعجزة) ذكرت مرة واحدة فقط، وبأسلوب خالٍ من التفصيل الذي جاء في ذكر المعجزات الأخرى، ألا يجعلنا هذا نتفكر قليلاً..؟

هل من أحد أسلم بسبب هذه المعجزة..؟

لا يوجد أي حديث أو أثر ما يدل على إسلام أي صحابي في العهد النبوي الشريف بسبب رؤية معجزة انشقاق القمر، ولا توجد أي رواية لأي صحابي تدل على أنه كانت من ضمن أسباب إسلامه رؤية معجزة انشقاق القمر بالرغم من ضخامة حجم هذه المعجزة وتأثيرها المؤكد في إسلام ولو عدد قليل ممن يرى هذه المعجزة الكبرى. ألا يجعلنا هذا نتفكر قليلاً في حقيقة حدوث هذه المعجزة في العهد النبوي الشريف..؟!

أين عقاب المكذبين لآية انشقاق القمر..؟

إن كفار مكة لم يؤمنوا بعد هذه المعجزة على كبر حجمها، ورغم ذلك لم يصبهم العذاب بتكذيبهم لمعجزة كبرى جاءت من النبي ﷺ، بينما دفع قوم صالح ثمن ذلك ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 156]. وجاء التهديد في سورة المائدة لمن يكفر بعد تحقيق المعجزة التي طلبت ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 115].

وتقدم لنا سورة القمر نفسها أمثلة عديدة عن تكذيب الأقوام السابقة لأنبيائها وآياتهم، وتكون النتيجة في كل مرة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾. لكن أهل مكة ورغم تكذيبهم لمعجزة أضخم بكثير من كل معجزات الرسل السابقين، وهي معجزة انشقاق القمر حسب

تفسير الجمهور، فإنهم يستثنون من هذا العذاب، بل لا توجد إشارة لاحقة تذكرهم بهذه المعجزة أو تذكرهم بمنحهم فرصة أخرى، ألا يجعلنا هذا نتفكر مرة أخرى..؟ كفار مكة يطالبون بمعجزاتٍ مادية..! وتحدث لهم ولا يؤمنون بها ويعودون الى بيوتهم سالمين آمنين دون أن يمسه عذاب..؟.

فلنرجع الآن إلى سياقاتٍ مطالبة الكفار بمعجزة مادية من الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) وكيف تعامل القرآن مع هذه المطالبات، وهل يتفق هذا كله مع تفسير الجمهور للآية..؟

الآية المعنية ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ تنزلت في النصف الأول من المرحلة المكية، بينما تتوالى الآيات لاحقاً، تتحدث عن مطالبة المشركين بآية كونية دون أن تشير إلى أن الآية قدمت لهم فعلاً.

1- في سورة الاعراف وهي مكية وتسلسل نزولها 39 أي بعد سورة القمر بثلاث سور فقط. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيقول الحق ﷻ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ ولم يقل ألم تأتهم بآية وهي (شق القمر) على عظمتها.. يقول الكفار لولا اجتبيتها أي لو اخترعت أنت آية لك من أجل أن تقنعنا بنبوتك مما يدل على أنهم لم يشاهدوا آية منه.

2- في سورة طه وهي مكية وتسلسلها 45 ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بِبَيِّنَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي أن الله ﷻ يردُّ على طلب المشركين ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ألم يكفهم معرفتهم وعلمهم بالآيات التي أنزلت على الأقوام السابقة حيث أهلكوا نتيجة تكذيبهم لرسولهم وكذلك ورود علامات نبوة سيدنا محمد ﷺ في الصحف الأولى، ولم يذكرهم أو يجادلهم بمعجزة انشقاق القمر.

3- في سورة الشعراء وهي مكية وتسلسل نزولها في مكة 47 أي بعد سورة القمر أيضاً ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إن نشأ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿أي لو نشاء أن نزل على كفار قومك معجزة من السماء تلجئهم من قوتها ووضوحها وشدتها إلى الإيذان فتصير أعناق أصحابهم وجاعاتهم منقاداً لها حتماً، وهذه الآية نزلت بعد سورة القمر فهل معجزة (شق القمر) هي دون

هذا المستوى الذي تظل أعناق الكفار لها منقادة، حيث إنها لم تؤدّ إلى هذا الانقلاب في إيمان قريش..؟

4- في سورة الإسراء وتسلسل نزولها 50 نرى الكفار يطالبون بما هو أقل من انشقاق القمر ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَيْنٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلًا وَالْمَلَكُ قَبِيلًا ۖ﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ ولكن لم يأت الجواب القرآني مذكرًا لهم بانشقاق القمر وتكذيبهم له، بل كان الجواب: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾؟

5- في سورة يونس وهي مكية وتسلسل نزولها 51 ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ۖ﴾ يقول الكفار ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ﴾؟ ويأتي الجواب: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ ولم يقل لهم لقد أنزلت أو يذكرهم بحادثة شق القمر.

6- في سورة الأنعام وهي مكية وتسلسل نزولها في مكة 55 يقول تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ الكلام موجه للمؤمنين أنهم (أي الكفار) قد يؤمنوا إذا جاءتهم آية، ولم يقل إنهم لم يؤمنوا عند انشقاق القمر.

7- وفي سورة العنكبوت وهي من أواخر السور المكية وتسلسل نزولها في مكة 85 ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۖ﴾ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ ها هم يطالبون، بعد 13 سنة من بدء الدعوة، في نهاية المرحلة المكية بآية، والجواب أن هذا الكتاب (القرآن) كافٍ لمن أراد أن يؤمن وليس الآيات المادية.

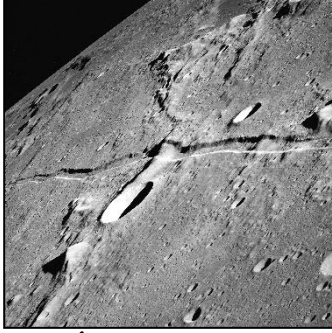
8- في سورة الرعد وهي مدنية وتسلسل نزولها في المدينة 10 يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۖ﴾، ثم يقول في آية أخرى في نفس السورة: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ ۖ﴾. الكافرون لا يزالون يطالبون بآية مادية وآيات

القرآن تقول أنَّ هذه مرحلة انتهت: أنت منذرٌ وهادٍ لقومك، أما الآياتُ المادية فهي تختصُّ بقوم محددين بزمانٍ ومكانٍ تلك الآية.

وبعد هذا كله هناك آيةٌ كريمةٌ في سورة الإسراء تشرح بوضوح السبب في عدم إنزالِ آيةٍ ماديةٍ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَآتَيْنَا مُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

ألا يجعلنا هذا كله نتفكر...؟ كيف يتسقُّ هذا الجوابُ القرآنيُّ الممتدُّ عبرَ مختلفِ السور مع التفسير السائد لآية ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾؟

الأخدود القمريُّ:



يتداول العديدُ من المسلمين صورةً لأخدودٍ قمريٍّ على أنه أثرٌ لحدوث انشقاقٍ في القمر حدث في عهدِ النبي ﷺ، ولكن مع البحث البسيط عن مصدرِ هذه الصورة سيتضح أنها عبارةٌ عن أخدودٍ موجودٍ على سطح القمر بطول 300 كم وهو نتيجةٌ آثارٍ لمجرى براكين قديمةٍ كانت موجودةً على سطح القمر منذ زمنٍ بعيدٍ جداً، وهو من ضمن أخاديد كثيرةٍ منتشرةٍ في عدَّةِ أقمارٍ وكواكب المجموعات الشمسية، فالأخدودُ أو الأخفورةُ وصفٌ عامٌّ للانخفاضات الممتدة لمسافاتٍ على سطح أيِّ جُرم سماويٍّ، والتي تأخذ أشكال قنوات، قد يمتد الأخدود عموماً لكيلومتراتٍ عرضاً ومئات الكيلومترات طولاً، والمصطلح أُستعمل أيضاً لوصف تضاريسٍ مشابهةٍ على عددٍ من كواكب النظام الشمسي، هذا بالإضافة إلى عدم وجود أيِّ دليلٍ علميٍّ لحدوث هذا الانشقاق في الماضي، كما لا توجد مخطوطاتٌ أو كتبٌ قديمةٌ تتناول هذا الحدث الكبير في دول العالم المختلفة في ذلك الوقت كالفرس والروم وأوروبا وآسيا وأفريقيا.

آية انشقاق القمر ستحدث مستقبلاً:

ذكر أحمد مصطفى المراغي في تفسيره: أنَّ آية الانشقاق خبرٌ عن حدثٍ مستقبلٍ لا عن انشقاق ماضٍ فقال: ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وسيشق وينفصل بعضه من بعض حين يخلُ هذا العالم وتبدل الأرض غير الأرض، ونحو هذا قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وقوله: ﴿إِذَا

الشَّمْسُ كُورَتْ ❶ وَإِذَا التُّجُومُ أَنْكَدَتْ ❷ وكثير غيرها من الآيات الدالة على الأحداث الكبرى التي تكون حين خراب هذا العالم وقرب قيام الساعة.

والذي يدل على أن هذا إخبار عن حدث مستقبل لا عن انشقاق ماضٍ أهور :

1- إن الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة، والظاهر تجانس الخبرين، وأنها خبران عن مستقبل لا عن ماضٍ.

2- إن انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، وبلغ حدًّا لا يمكن أحد أن ينكره، وصار من المحسوسات التي لا تدفع، ولصار من المعجزات التي لا يسع مسلمًا ولا غيره إنكارها.

3- ما ادَّعى أحد من المسلمين إلّا من شدِّ أن هذه معجزةٌ بلغت حدَّ التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواه آحادا، بل كانوا لا يُعدّون كثرةً.

4- أن حذيفة بن اليمان وهو ذلكم الصحابي الجليل خطب الناس يوم الجمعة في المدائن حين فتح فارسًا فقال: "ألا إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة" فهذا الكلام من حذيفة في معرض قُرب مجيء الساعة وتوقع أحداثها، لا في كلام عن أحداث قد حصلت تأييداً للرسول ﷺ وإثباتاً لنبوته، لأن ذلك كان في معرض العظة والاعتبار.

بماذا سيصف الناس الرسول المنتظر عند انشقاق القمر ..؟

﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إذا كانت هذه الآية الكريمة تشير إلى المستقبل، فإلام تشير الآية التالية لها ﴿وإن يروا آيةً يَعْزُبُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ألا تؤكد هذه الآية وقوع معجزة سيكذب بها الناس وسيقولون عنها أنها مجرد سحر...؟!

إن من يعتقد بأن انشقاق القمر لم يحدث بعد ويؤمن بالقرآن في ذات الوقت؛ فعليه الإيمان بالآية الثانية من سورة القمر، فالآية تتحدث بوضوح عن أن الناس عندما سيرون انشقاق القمر سيقولون إنه من أعمال السحر، وهذه الكلمة لا تُقال الا عند وقوع حدث غير عادي مع تدخل عنصر بشري في هذا الحدث، فلو افترضنا حدوث انشقاق مفاجئ في كوكب

المريخ مثلاً فيقول الناس إنَّ ما حدث هو كارثة أو حدث كونيٌّ كبير، وسيدرس علماء الفلك هذه الظاهرة وسيبررون الانشقاق بنظرياتٍ علميةٍ عديدةٍ، ولكن لن يقول أحدٌ وقتها بأن الانشقاق الذي حدث لكوكب المريخ مثلاً هو مجرد سحر.

متى سيقول الناس أن الانشقاق الذي حدث في كوكب المريخ مثلاً: إنه سحر..؟
سيقال عن هذا الحدث الكونيّ أنه سحرٌ عندما يقول شخصٌ ما للناس قبل حدوث الانشقاق إنَّ هناك آيةً كونيةً كبيرةً ستحدث، أو سيقول لهم ان كوكب المريخ سوف ينشق، عندئذ عندما ينشق كوكب المريخ سيتم اتهامُ هذا الشخص بالسحر من قبل العديد من الناس.

كذلك هو الحال عندما سينشق القمرُ، فالآية توضح أن الناس ستقول عن هذا الحدث بأنه سحرٌ وليس بسبب ظاهرةٍ كونيةٍ، فهذا يدل على وجود رسولٍ أُنذِرهم بحدوث آيةٍ كبرى، ثم وقعت فعلاً، فاتهموا هذا الرسولَ بالسحر، واعتقد أنه هو نفس الرسول الذي سيكذبه الناس والمذكور في سورة الدخان، قال تعالى: ﴿أَتَى لَهُمُ الدِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۖ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝۱۱﴾ [الدخان]، فسورة الدخان لها علاقةٌ قويةٌ -والله أعلم- بسورة القمر، فانشقاق القمر علمياً سيسببُ براكينَ كبيرةً على الأرض مما سيؤدي الى الدخان الذي سيملاً الأرض، ولذلك فأنا أعتقد أن الرسول المتهَم بأنه ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ في سورة الدخان هو نفس الرسول المتهَم بالسحر في سورة القمر -والله أعلم- فهذا هو نمطُ أغلبِ الناس في تعاملهم مع آياتِ القرآن الكريم في العموم في كلِّ زمانٍ ومكان، أمس واليوم وغدا. قال تعالى ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۖ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَتْبَعُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝۱۶﴾ [الشعراء].

مَنْ هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي سَيَتُّمُ اتِّهَامُهُ بِالسَّحَرِ..؟

إن آية انشقاق القمر -والله أعلم- ستكون آيةً رسولٍ منتظرٍ سيُحذر الناس من خلالها بحدوث آيةٍ عذابٍ بعدها (والتي أُرَجِّحُ أنها ستكون الدخان -والله أعلم-) حتى يصدِّقه الناس ليعودوا إلى طاعة الله ﷻ، ومثل هذه الآية كآية العصي التي تحولت إلى ثعبان مع سيدنا موسى ﷺ، ولكن من تفسير الآية التي تليها سيتضح بأنَّ الناس ستكذب هذا الرسول وستقول عن هذه المعجزة بأنها ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

إنَّ من خلال بحثي الدقيق عن هذه المعجزة لم أجد سوى أثرٍ واحدٍ يُشير بصورة غير مباشرة إلى أنَّ هذه الآية ستحدث في عهد المهدي المنتظر حتى تكون هذه الآية دليلاً لرسالته (لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية)، هذا بالإضافة إلى أنَّ آية انشقاق القمر مرتبطةً علمياً بآية الدخان، وهو ما يتفق مع أنَّ الرسول المبين المذكور في آية الدخان هو أيضاً المهدي المنتظر كما سأوضحه في فصل الدخان المبين، فالرسول المذكور في سورة الدخان هو نفس الرسول الذي سيحدث في عهده انشقاق القمر والله أعلم، فكلا الآيتين مترابطتين فالأولى آية إنذارٍ والثانية آية عذابٍ يجب أن تقع عند تكذيب الناس لآية الإنذار وتقع في عهد نفس الرسول المشار إليه في السورتين والله أعلم.

إنَّ آية انشقاق القمر هي آية سماويةٌ مهيبةٌ سوف تمرُّ أمامنا وسوف يُصيب الأرض منها فزعٌ كبيرٌ جداً وآلامٌ كثيرةٌ وتتجلَّى معها العظمةُ الإلهية، إنها آيةٌ تخضع لها الأعناق وتنخلع معها القلوب وتزيغ معها الأبصار، وهي ذاتها الآية التي بين يدي خروج المهدي؛ فعن عليِّ بن عبد الله بن العباس قال: "لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية"⁽¹⁾. إنَّ هذا الأثر الصحيح استوقفني كثيراً، فالآية هنا تكون مع الشمس، وهذا لا يتصوَّر إلا إذا كانت الآية هي شيءٌ متعلِّقٌ بمُذنبٍ ما أو بالقمر، وهذا يشير إلى وضوح هذه الآية حتى في وضوح النهار بحيث تكون جليةً واضحةً مع الشمس نفسها، ومن الممكن أن يكون هذا الوصفُ يتطابق مع مرور الكوكب ذي الذنب (المذنب الطارق) الذي سَيُسبب الدخان؛ وهو من ضمن الأسباب المطروحة والتي قد تسبب الدخان مثلها مثل تأثير انشقاق القمر على إحداث الدخان، أو أن يكون الآية المذكورة في هذا الأثر هو اصطدامُ المذنب بالقمر وتسببه في انشقاقه. أقل الأحوال: أنَّ الآية والحديث يتوافقان مع الموضوع ومع دلالاته بشكلٍ كبير.

ما المدة التي سيظل فيها القمر منشقاً..؟

معظمُ المفسرين فسَّروا كلمة ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ على أنَّ هذا سحرٌ باطلٌ ذاهبٌ مضمحلٌ لا دوام له حتى تتطابق هذه المعجزة مع الواقع الموجود منذ العهد النبوي وحتى عصرنا الحالي بأنَّ القمر انشقَّ واندمج مرةً أخرى مباشرة، ولكن لو عدنا للتفسير الواضح والبسيط لكلمة

1 أخرجه عبد الرازق في مصنفه برقم 20775 (11/273)؛ ونعيم في الفتن برقم 905 (230)؛ وقال عنه البستوي: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات [البستوي: المهدي المنتظر (220)]

﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ يتضح لنا بأن القمر سوف ينشقُّ، وسوف يظل منشقاً الى جزئين لفترة لا يعلمها الا الله ﷻ، فإما أن يلتحم ثانياً نتيجةً جاذبية القمر نفسه أو أن يظل منشقاً الى قيام الساعة، ومثل انشقاق القمر انشقاق السماء الذي سيحدث قبل قيام الساعة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق]، ولكن الفرق بين انشقاق القمر وانشقاق السماء أن انشقاق السماء هو من ضمن أحداث قيام الساعة، بينما انشقاق القمر آيةٌ تحذيريةٌ للناس ولكنهم سيكذبون بها ويقولون عند رؤيتهم لهذه الآية بأنها ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾. وقد فسّرنا وصف الناس لآية الانشقاق بأنها ﴿سِحْرٌ﴾، فهنا بنا نفس الوصف الآخر الذي سيصفون به مدة هذه الانشقاق بأنه ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾، ولمعرفة اعتقاد الناس في ذلك الوقت بعدد الأيام الذي سيظل فيها القمر منشقاً نذهب الى نفس الكلمة الموجودة في سورة القمر ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ ﴿١٩﴾﴾، ومن هذه الآية سنعرف عدد هذه الأيام، فقد صرّح القرآن الكريم أن أيام العذاب التي أهلك الله ﷻ فيها قوم عاد كانت ثمانية أيام، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة].

فأما قوله ﷻ في سورة القمر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ ﴿١٩﴾﴾. فيوم النحس هو اليوم الذي بدأ فيه العذاب، وكان مقدمةً لثمانية أيام مهلكة لقوم عوا في الأرض واستكبروا وقالوا من أشد منا قوة، ولذلك لم يقل الله ﷻ (في يوم نحس واحد) وإنما قال ﷻ: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ﴾، ليؤكد استمرار النحس والهلاك إلى ثمانية أيام يهلك فيها هؤلاء المستكبرون الظالمون.

يقول ابن كثير رحمه الله: "قوله: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [فصلت: 16] أي: متتابعات. ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: 7]، كقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ ﴿١٩﴾﴾ [القمر: 19]، أي: ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليالٍ وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة".

من هنا نخرج بأن الناس ستعتقد بأن انشقاق القمر مجرد سحرٍ سيستمر حوالى ثمانية أيام ثم يعود القمر لما كان عليه في السابق، هذا هو اعتقاد الناس، فالله أعلم بالمدة الحقيقية لهذا الانشقاق، هل هو ثمانية أيام فعلاً أم سيستمر هذا الانشقاق إلى قيام الساعة.

كما أن هذه الآية ستحدث -والله أعلم- حين يكون القمر بداراً وفي منتصف أي شهرٍ

عربي حتى يراه جميع البشر بوضوح، فليس من المنطقي أن يتم انشقاق القمر في مرحلة المحاق بحيث لا تُرى هذه الآية بالعين المجردة.

انشقاق القمر آية إنذار:

إن انشقاق القمر ليس من ضمن أحداث قيام الساعة كما سيحدث عند انشقاق السماء كما في سورة الانشقاق، قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۚ﴾ [الانشقاق]، فانشقاق القمر ما هو الا إنذارٌ باقتراب الساعة؛ فالوجود البشري سيظل موجوداً على سطح الأرض، وستظل الحياة قائمة على سطح الأرض والله اعلم.

وكما ذكرنا سابقاً فإن الرسل يأتون بعدة آيات من عند الله ﷻ، إما آية إنذارٍ أو آية عذابٍ أو آية هلاك، ونحن هنا أمام آية إنذارٍ قبل وقوع آية عذاب، فالسورة بأكملها تتحدث عن تكذيب أقوام الرسل للآيات التي جاءتهم سابقاً، فقد تكررت كلمة ﴿نُذِرْ﴾ في هذه السورة (11) مرةً فانشقاق القمر ما هو إلا آية إنذارٍ بعذاب بعده، والذي اعتقد -والله أعلم- بأنها آية الدخان، أي أنها تتحدث عن نمطٍ متكررٍ من تعامل الكافرين مع الإنذارات المادية، فالرسول الذي ستأتي معه هذه المعجزة سيتم تكذيبه واتهامه بالسحر كما حدث مع باقي الرسل المذكورين في هذه السورة، فهذه المعجزة ستكون من ضمن علامات يوم القيامة، ويومها سيُعرض عنها أغلب البشر أيضاً وسيقولون هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

نأتي إلى كلمة ﴿نُذِرْ﴾ فهذه الكلمة تدل على تخويف أو تخوف، ومنها الإنذار: إخبار فيه تخويف. وأكثر ما تستعمل في التخويف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَقَةِ﴾ [غافر: 18] أي خوفهم عذابي، والفاعل منذر ونذير، والجمع نذر.

فيذكر التكذيب بالنذر في المرتبة الاولى من الكفر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر].

ويذكر العذاب في متعاقب النذر وتوأمًا بتكذيبها: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ [القمر].

وفي عدة آيات من القرآن الكريم ظهر أنّ أوّل وظيفةٍ للرسول في مقام الدعوة والإبلاغ: إنذارُ الناس من عذاب الله ﷻ، وعمّا يوجب عذابه وغضبه قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْدَرُ ۝ فَمُمْ فَأَنْذِرْ ۝﴾ [المدر].

كيفية انشقاق القمر علمياً:

يُعدُّ القمرُ جسماً صخرياً كروياً جافاً، وفرضيةُ انشقاقه علمياً دونَ حدوثِ معجزةٍ إلهيةٍ فقط هي فرضيةٌ مستحيلة، إلا في حالةٍ واحدةٍ فقط وهي أن يُرسلَ اللهُ ﷻ مُذنَّباً كبيرَ الحجمِ سبيلاً فيضربَ القمرَ ضربةً تؤدي إلى انشقاقه، وهذه الفرضية التي أرجح حدوثها لوجود عدة قرائن دالة على هذه الفرضية من الأحاديث النبوية التي تشير إلى ظهورِ (المذنَّبِ الطارقِ) وما يعقب ذلك من الهزّة والصيحة والدخان وهذا ما ستحدث عنه لاحقاً في فصل الدخان.

وأنا هنا لا أنكر قدرةَ اللهِ ﷻ في أن يشقَّ القمرَ بكلمةٍ من عنده فإنَّ اللهُ ﷻ لا يتعاضمُ على قدرته شيءٌ، فإذا ما أراد فعلَ شيءٍ، فإنما يفعله ويخلقه بأمره الكونيِّ له كن فيكون، فلا يتأخَّر ذلك الشيءُ الذي أراده، بل يكون من فوره، وهذا دليلُ القدرة التامةِ لله ﷻ، فلا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ولا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ولكنني هنا أضع الأسبابَ العلمية التي سيسببها اللهُ ﷻ لانشقاقِ القمر، ومثُل ذلك كمثُل وفاةِ شخصٍ بسبب حادثٍ سيارة، ففي النهاية فإنَّ اللهُ ﷻ قدر لهذا الشخص هذا الحادث، كما قدَّر اللهُ ﷻ لهذا الشخص عمراً معيناً كتبه له لن يقدمه أو يؤخره، ولكن اللهُ ﷻ قدَّر له أسبابَ الوفاةِ فكان هذا الشخصُ أن يكون أمام هذه السيارة في المكان والوقت المحددين من أجل إنهاءِ حياة هذا الشخص بإذنِ اللهِ ﷻ، وكذلك الحال بالنسبة لحادثِ انشقاقِ القمر والله أعلم.

علاقة انشقاق القمر علمياً بأشراط الساعة الكبرى:

للجواب على هذا السؤال يجب أولاً أن نعرف ماذا سيحدث لكوكب الأرض لو خرج القمر عن جاذبية الأرض...؟ لأن حدوث أي تغير جيولوجي كبير على سطح القمر سيؤثر بالتأكيد على كوكب الأرض.

وبالرغم من أن القمر يبعد عن الأرض حوالي 400 ألف كيلومتر وتستغرق الرحلة إلى القمر 3 أيام على متن سفينة فضائية عالية السرعة، فإنه يبقى أقرب جسم فضائي إلى كوكبنا، وبالتالي يرتبط الاثنان بعلاقة تحكمها الجاذبية، فلا بد من معرفة أهمية القمر وتأثيره على الأرض:

1- الهدد والجزر:

يؤثر القمر بقوة جذب على كوكبنا، وهي تظهر بشكل واضح في جانب الأرض المواجه للقمر، وتسبب قوة الجذب بارتفاع مستوى المحيطات، ثم هبوطها فيما يعرف بظاهري المد والجزر، فأي تغير جيولوجي كبير على القمر من الممكن أن يؤدي إلى حدوث فيضانات هائلة

2- جاذبية القمر تبطئ دوران الأرض:

عدم تواجد القمر سيؤدي إلى دوران الأرض بشكل أسرع، فهذا سيقصر مدة اليوم، وبالتالي سيقُل الوقت الذي يتعرض فيه كوكبنا لحرارة الشمس، ما يؤدي لانخفاض كبير في درجات الحرارة، وبالتالي انعدام الحياة تدريجياً.

3- القمر يحمي الأرض من التذبذب والاهتزاز:

يعمل القمر كمثبت للأرض، كما يجعلها تخضع لمحور ثابت، فالواقع أن كل الأجسام في الفضاء تؤثر على الأرض بجاذبية معينة، وبدون القمر ستعاني الأرض من تذبذب عنيف نتيجة لحركتها وتأثير الأجسام الفضائية عليها.

أما بدون القمر فسيصبح دوران الأرض فوضوياً لا يمكن التنبؤ به، وهذا يؤدي إلى أن يصبح مدة اليوم في الأرض كأسبوع أو كشهر أو كسنة كما ذكرت في أحاديث علامات الساعة الكبرى.

4- يحافظ على شروق الشمس وغروبها شرقاً وغرباً:

لولا موازنة القمر للأرض وخضوعها لمحور ثابت، لوجدنا أن شروق الشمس وغروبها

يحدثان في أماكن وأوقات مختلفة، ولما حلت الفصول المنتظمة.

5- القمر يحمي الأرض من النيازك والمذنبات بشكل كبير:

يحمي القمر كوكب الأرض من اصطدام بعض النيازك بها، لكون تلك النيازك تصطدم بالقمر قبل أن تصل للأرض، وحسب نظريات علم الفضاء، فإنه تم القضاء على الديناصورات بواسطة مذنب أقوى بثلاثة مليار مرة من القبلتين النوويتين اللتين أطلقنا على اليابان في الحرب العالمية الثانية، إذ تسبب المذنب بانتشار الرماد والدخان الذي يحجب ضوء الشمس عن الأرض، ويقذف بالصخور في الفضاء لينهمر الحطام على كوكبنا وترتفع درجة حرارة الغلاف الجوي لكوكبنا فتشتعل الحرائق عبر قارات العالم.

لماذا انشقاق القمر هو أول علامات الساعة الكبرى:

إنني أرجح أن تكون هذه الآية قبل آية الدخان وباقي علامات الساعة الكبرى لعدة أسباب علمية:

السبب الأول:

أن حدوث هذه الآية علمياً سيؤدي إلى تغيرات جذرية ستحدث في الكرة الأرضية مما يؤدي إلى فيضانات كثيرة، وإلى اختلال في حركة دوران الأرض، فتسبب في النهاية أن اليوم في الأرض يصبح كشهراً أو كسنة، أو تؤدي أيضاً إلى دوران الأرض عكس اتجاهها مثلاً وهو ما يؤدي إلى شروق الشمس من المغرب، وهي إحدى علامات الساعة الكبرى، وقد تؤدي أيضاً إلى ثوران عدة براكين هائلة والتي سينتج عنها تصاعد دخان كبير يملأ سماء الكرة الأرضية، وهي تطابق الآية المذكورة في سورة الدخان، ويظل هذا السبب علمياً وبعيداً عن نطاق مفهوم المعجزة الربانية التي لا تخضع لقوانين الطبيعة، فمن الوارد أن تحدث هذه الآية بعد الدخان وخروج الشمس من المغرب والله اعلم.

السبب الثاني:

والذي سيتم شرحه في فصل آية الدخان هي الآية الكريمة المذكورة في سورة الدخان: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان]، فهذه الآية تدل بأن أثر الدخان سيظل موجوداً في سماء الكرة الأرضية وإن قل أثره مع مرور الزمن وحتى قيام الساعة، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى عدم رؤية البشر لآية انشقاق القمر بصورة واضحة بالعين المجردة، وانشقاق

القمر يُعتبر آيةً كونيةً ومعجزةً يجب أن يراها الناس جميعاً وبوضوح تام حتى تكون حجة عليهم حتى يؤمنوا بالله ﷻ.

السبب الثالث:

والذي سيتم شرحه في فصل طلوع الشمس من المغرب، حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ ٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩ [القيامة]، فهذه الآية تدل على أن القمر سينفصل عن جاذبية الأرض في يوم ما بعد ضرب المذنب له وانشقاقه وبالتالي فلن يظهر بالعين المجردة تدريجياً، حيث سيبعد عن الأرض في اتجاه الشمس حتى تبتلعه الشمس.

السبب الرابع:

في عدة رياضات مختلفة في عصرنا الحالي عند مخالفة أحد اللاعبين قواعد اللعبة يقوم الحكم بإشهار البطاقة الصفراء للمخالف كإذار بالطرده من اللعبة، وعند تكرار المخالفة يُشهر الحكم البطاقة الحمراء ويتم طرده المخالف من اللعبة، وهذا في حد ذاته نوع من أنواع العدل لإعطاء اللاعب المخالف فرصة أخرى لإتباع قواعد اللعبة.

كذلك هو الحال في الحياة الدنيا فالله ﷻ سيعطي لنا الإنذار وهو آية انشقاق القمر، فإذا استجاب البشر لهذا الإنذار فلن يكون هناك عذاب مثل الدخان وغيره من آيات العذاب المختلفة المذكورة في علامات الساعة الكبرى، وإذا ما أعرض البشر عن هذه الآية كما هو مذكور في الآية الثانية من سورة القمر فسيقع على البشر آيات العذاب المختلفة، فالله ﷻ علام الغيوب ويعلم أن البشر لن يستجيبوا لإنذاره كما هو حالهم دائماً مثل قوم نوح وعاد وثمود وفرعون.

سورة القمر:

إن تكرار آية: ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ و ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ في سورة القمر جاء محكماً ليس به أي عيوب ولم يسبب أي اضطراب أو خلل في المعنى وكل تكرار له هدف، فقد أخبر الله ﷻ عن غضبه كبرى سيعضبها على ناس أعرضوا عن آيات الله ﷻ وسخروا من رسوله الذي يسر الله ﷻ له القرآن للذكر على لسانه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، كما غضب وانتقم سابقاً من قوم نوح وعاد ولوط وثمود، وانتقامه من آل فرعون، وربط كل هذا بإعراض الناس عن القرآن الكريم وآياته بعد أن يسره الله للذكر، ولكن الناس أعرضوا

وسخروا من الرسول فحق عليهم العذاب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ لقد اشتملت هذه الآية - والتي تكررت أربع مرات في سورة القمر - على خيرٍ واستفهام، والخبر تمهيدٌ للاستفهام الذي فيها ولفَتْ للنظر إليه، وهذه دعوةٌ صالحةٌ للتأمل فيما يسوقه الله ﷻ من قصصٍ وعبرةٍ لمن سبقنا. إنَّ قصةَ نوحٍ وعادٍ وثمودٍ ولوطٍ في كلِّ واحدةٍ منها من التخويف والتحذير مما حلَّ بهم فيتعظ بها حاملُ القرآن وتاليه ويعظ غيره، وهذه القصصُ التي تم ذكرها في السورة لم تأت لمجرد سردِ لقصةٍ من سبقونا من الأمم التي حقَّ عليها عذابُ الله ﷻ، بل جاءت لتوضح أمرَ هامٍّ وخطيرٍ، فنوعيةٌ معصيةٌ هؤلاء القوم المذكورين في هذه السورة مرتبطةٌ بنوعيةِ المعصية التي يتم ارتكابها في عصرنا الحالي، وكذلك أسلوبُ تعاملِ هؤلاء القوم مع رُسُلهم في الماضي ستتكرر مع أسلوبِ تعاملِ الناس مع الرسول المنتظر، وكذلك العذاب الذي وقع على هؤلاء القوم في الماضي هو تقريباً نفسُ العذاب الذي سيقع للناس بعد انشقاق القمر كما وضحناه سابقاً بالدلائل العلمية، فكلُّ أنواعِ العذاب التي تكررت في هذه السورة ستتكرر مستقبلاً بعد انشقاق القمر، إلى أن يقول الناس كما جاء في سورة الدخان ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان].

إنَّ تكرارَ ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ في كلِّ موضعٍ من مواضع تكرارها قصةٌ عجيبةُ الشأن، وكان أول موضعٍ ذُكرت فيه عقبَ قصةِ قومِ نوح، وبعد أن صوّر القرآن مظاهر الصراع بينهم وبين نوح عليه السلام ثم انتصار الله لنوح عليهم؛ حيث سلط عليهم الطوفان، فأغرقهم إلا من آمن وعصمه الله ﷻ. ونجدُ أن الله نجَّى نوحاً عليه السلام وتابعيه، ولكن تبقى هذه القصة موضعَ عظةٍ وادِّكارٍ! ولتلفت إليها الأنظار وللتحويل من شأنها جاء قوله تعالى عقبها: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾.

وحين قصَّ علينا القرآن قصةَ عادٍ الأولى وعثوها عن أمرِ الله ﷻ، نجدُ العبارة اكتنفت القصة بدءاً ونهايةً، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۖ تَنْزِعُ النَّاسَ أَعْجَازًا يَلْوِي مَنْقَعِرٍ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۚ. وتكرارُ العبارة هكذا في البداية والنهاية مع ملاحظة أن أحداث القصة هنا صُورت في عباراتٍ قصيرةٍ ولكنها محكمةٌ وافيةٌ، وهذا يرجع لأن قصة عادٍ ستتكرر ثانية؛ فعادُ المذكورة في القرآن هي عادُ الأولى وستكون

هناك عاذاً الثانيةً وغالباً ستُعاد القصةُ معهم عند حدوثِ الدخانِ والله أعلم.

أما ثمودُ فقد عذبوا بالصيحة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ وهى الصيحةُ التي ستحدث مستقبلاً أيضاً عند انفجارِ البركانِ الهائلِ أو عند سقوطِ المذنبِ على الأرضِ والذي سِيُسبَّبُ الدخانُ الذى سيملاً سماءَ الأرضِ، وهذا ما سنشرحه في فصلِ الدخانِ.

أما في قصةِ قومِ لوطٍ عليه السلام فقد قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ بينما جاءت بعد قصصِ قومِ نوحٍ وعادٍ وحمودَ بعد كلِّ قصةٍ منها: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إن استعمالَ القرآنِ الكريمِ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ مع قومِ لوطٍ، و﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ مع قومِ نوحٍ وعادٍ وحمودَ أكيدٌ أنه لعلَّةٌ وليس مصادفةً أو بغيرِ سببٍ فالكلُّ نزلَ بهم العذابُ الأليمُ المستحقُّ بعد أن كفروا وعاندوا ورفضوا الحقَّ من أنبيائهم، فقومُ نوحٍ أغرقهم اللهُ وعَمَّهم بالطوفانِ وطَهَّرَ الأرضَ منهم وقطعَ دابرهم بعد أن استحقُّوا ذلك.

وحمودُ قومُ صالحٍ عليه السلام أرسل اللهُ عليهم الصيحةَ فبادوا عن آخرهم ولم تبقَ لهم باقية، وخمدوا وهمدوا جميعاً كهشيمِ الزرعِ اليابسِ تُسْفِيهِ الرياحُ وقومُ لوطٍ عليه السلام أتوا مع الكفرِ والتكذيبِ بفاحشةٍ لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين فاستحقوا هلاكاً من الله ﷻ لم يهلكه أمةٌ من الأمم؛ إذا أمر اللهُ ﷻ جبريلُ عليه السلام فرفعَ مدائنهم حتى وصلَ بها إلى عنانِ السماءِ، ثم قلبها عليهم، ثم تبعَ ذلك صبُّ الحجارةِ من السماءِ عليهم.

إن استعمالَ اللفظِ القرآنيِّ الكريمِ ﴿فَذُوقُوا﴾ مع قومِ لوطٍ عليه السلام في غايةِ الدقةِ والإحكامِ تتناسب مع ما كانت شهوتهم وإتيانهم فاحشةً لم يسبقهم بها من أحدٍ من العالمين، كما أنَّ اللفظَ ﴿فَذُوقُوا﴾ بهذه الصياغة يفيد الاستمرارية؛ فعذابهم دائمٌ ومستمرٌ ومستقرٌ، وهو ما أكَّدته الآية 38 من السورةِ الكريمة ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾. والفحشاء التي قام بها قومُ لوطٍ أصبحت واقعاً ملموساً الآن ومصرحاً بها في العديد من دولِ العالمِ المختلفة، بل وأصبح لهذه الفاحشةِ أفلامٌ إباحيةٌ منتشرةٌ عبرَ الإنترنت، فنفسُ الفاحشةِ موجودةٌ الآن وتبقى نزولُ عقابِ الله ﷻ كما حدث من قبل مع قومِ لوط.

لقد بدأت سورةُ القمرِ بذكرِ اقترابِ الساعةِ وانشقاقِ القمرِ، ثم تخبرنا السورةُ في الآيةِ الثانيةِ بتكذيبِ الرسولِ المنتظرِ واتهامه بالسحرِ وادِّعاء أنَّ الانشقاقَ سيستمرُّ بضعةَ أيامٍ، وتكرَّرَ في هذه السورةِ ذكرُ ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ و﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ عدةَ مراتٍ، فتحدثت عن

قوم نوحٍ وقوم عادٍ وقوم ثمودَ وقوم لوطٍ وآلِ فرعونَ، لنأخذَ العبرةَ ممن سبقونا، ولتحذيرنا من نفسِ المصيرِ الذي حدثَ لهم والذي سيحدثُ مثلهُ عندَ ظهورِ الرسولِ المنتظرِ، وما تحدّثُ عنه هذه السورةُ من آياتِ العذابِ موجودةٌ أيضاً في سورةِ الدخانِ والتي تتحدثُ عن الدخانِ الذي سيملاً سماءَ الأرضِ بسببِ انشقاقِ القمرِ، وبعد الترهيبِ تختمُ السورةُ بالترغيبِ فالمتقين في جناتٍ ونهرٍ.

إنَّ هذه السورةَ تقصُّ لنا أحداثَ ستكرر عند وقوعِ أشرارِ الساعةِ الكبرى، وما سيحدثُ للعالمِ بعد آيةِ انشقاقِ القمرِ -والله أعلم-.



الفصل العاشر

الدُّخَانُ الْمُبِينُ



الدُّخَانُ الْمُبِينُ



إنه الحدث المرتقب الذي يُسمَّى بالدخان المبين، هذا الحدث الكارثي هو الكفيل لوحده أن يعيد الأرض مدة قرنين من الزمان إلى الوراء، ويعدّل موازين القوى لصالح المسلمين. إن أكثر العلماء يرى أن آية الدخان قادمة، وهي من علامات الساعة، وما ذكرته الآيات توصيفٌ لهذه الآية، وفي ظني أن هذا الرأي أرجح، ويتفق مع ما ثبت عن النبي ﷺ من إخباره عن عشر علامات كبرى للساعة ومنها الدخان، مما يؤكد أن آية الدخان لم تقع كما يرى البعض، وفي اعتقادي -والله أعلم- وبعد دراستي لعدد كبير من الدلائل وجدت أن الدخان -والله أعلم- هو أوّل علامات الساعة الكبرى التي سيكون لها تأثيرٌ مباشرٌ على شكل الحياة على سطح الكرة الأرضية.

إن علامات الساعة متتابعةٌ فاذا ظهرت أول علامات الساعة الكبرى تتابعت بعدها الآيات يتلو بعضها بعضاً كمثل العقد الذي انفرط نظامه، مصداقاً لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الحُرُزُ في النظام»⁽¹⁾.

إن آية الدخان هي آية عذاب وآية هلاك في نفس الوقت مثلما حدث مع قوم عادٍ كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ﴾ [الحاقة]. أي أن هناك من الناس من سيعاني من عذاب الدخان قبل موته بسبب الدخان المبين الذي سيملاً سماء الكرة الأرضية، ومن الناس أيضاً من سينجو من هذا العذاب، وسيكون أيضاً هناك قتلى بسبب انفجار البركان الهائل أو بسبب سقوط مذنب وسيكون منهم المؤمنين والكافرين، هذا بخلاف ما حدث مع قوم نوح الذين هلكوا جميعاً في وقت قليل، ونجا من آمن بالله ﷻ فقط.

في القرآن الكريم يقول الله ﷻ في سورة الدخان: ﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا

1 أخرجه أبو بكر الدينوري في ((المجالسة)) (2156)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (4271) واللفظ لهما، وابن حبان (6833) باختلاف يسير.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الدِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ [الدخان].

اختلاف تفسير توقيت حدوث آية الدخان:

هناك إشكال واضح في فهم المراد بآية الدخان المذكورة في القرآن أو المذكورة في السنة كعلامة من علامات الساعة الكبرى، فهذه الآيات اختلفت في تأويلها علماء التفسير، فالبعض يسقطها على حدث يكون يوم القيامة نفسه وهذا القول لا يتفق مع كون هذه العلامة من إرهاصات يوم القيامة، ولا يتفق أيضاً مع سياق الآية القرآنية التي توضح أن الله ﷻ سيكشف عن الناس العذاب قليلاً حتى تأتي البطشة الكبرى، ولا يتفق أيضاً مع أحاديث علامات الساعة الكبرى المنتظرة، والبعض يرى أن آية الدخان في القرآن الكريم قد حصلت في العهد المكي، فبعضهم يرى أنها وقعت في العهد المكي حيث دعا النبي ﷺ على كفار قريش بأن يصابوا بسنين قحط كسنين يوسف عليه السلام، وقد وقع ذلك، وكان لشدة القحط يرون السماء غبراء كأن الدخان يلفها.

لذا لزم بيان هذا الإشكال، وإثبات أننا في انتظار علامة كبرى من علامات الساعة هي علامة الدخان، وهي المقصودة حقيقة بالآيات القرآنية المذكورة في سورة الدخان، وهي غير ما ذكره بن مسعود رضي الله عنه، أو غيره، وسيكون لنا اجتهاد في بيان المراد بها فيما يلي:

دليل بطلان الاعتقاد بأن آية الدخان كانت في عصر النبي ﷺ

في صحيح البخاري: عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةٍ، فَقَالَ: يَحْيَى دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَفَزَعَنَا فَأَنْتَبْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ مُتَكِنًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص]، وإن قريشاً أبطؤوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَنَعٍ كَسَنَعِ يُوسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا مِيتَةَ وَالْعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ

جِئْتَ تَأْمُرُ بِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، فَقَرَأَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٥) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٥)، أَفِيكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ؟ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَ ﴿لِزَامًا﴾ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿أَلَمْ﴾ (١٦) غُلِبَتِ الرُّومُ (١٦) [الروم]، إِلَى ﴿سَيَعْلَبُونَ﴾ [الروم: 3]، الرُّومُ قَدْ مَضَى (1).

وفي صحيح البخاري: عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "حَسُّ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ وَالْقَمَرُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦]" (2).

هذان الأثران يدلان على أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ المذكورة في القرآن قد وقعت، وقد فسرَها بِأَنَّ المراد بها القحطُ الذي أصاب قريش، واعتبر قول القائل بِأَنَّ المراد بها الزكام الذي يكون يوم القيامة باطلاً، ووجهُ بطلانه عند ابن مسعودٍ في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٥)؛ فالآية صريحة بِأَنَّ العذاب سيُكْشَفُ عنهم، بينما قولُ القائل مقصودٌ به دخانٌ يكون يوم القيامة، ومحالٌ أن يكشفَ الله عنهم العذاب يوم القيامة.

إِنَّ الْآيَتَيْنِ الكريمَتَيْنِ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٥) يَعْنِي النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٦) تشير إلى أَنَّ السماء ستأتي بدخانٍ مبينٍ؛ أي واضح لا يشك أو يلتبس في اعتباره دخاناً اثنان، وهذا الدخانُ تمَّ وصفه بأنه يُغشى الناس، أي يحيطهم من جميع الجوانب، وليس شيئاً يتخيَّله الرائي كما في قحطٍ قريش، وقد عبَّرت الآياتُ عن هذا الدخانِ بِأَنَّهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وهذه المعاني بهذا التوصيف لم تقع لأهل قريش؛ لذا عَمَدَ بعضُ المفسرين إلى حمل تلك المعاني من بابِ المجاز، واعتبر الغبارَ في سَنَةِ القحطِ دخاناً، أو ما يراه الجائع في السماء كأنه غمامةٌ من السحاب إلخ.

إِنَّ سِيَاقَ الآيَةِ وألفاظَها ودلالاتَها تتضمنُ قرائنَ عدةً تدلُّ على أَنَّ المقصودَ بها أمرٌ عظيمٌ مُهلك، وما وقعت به قريش أهون من ذلك بكثير.

فأما التي كانت فالتى كانوا يرون فيها كهياةً دخان، وهي غيرُ الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور آية الدخان التي هي من أشراط الساعة، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة

1 أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الروم: 8 / 511.

2 حديث رقم 4508 - من كتاب صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن

أن يقولوا ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ فيكشف عنهم ثم يعودون إلى الكفر .
ولقد جزم ابن كثير -رحمه الله- في تفسير السورة أن الدخان هو الذي يكون في آخر الزمان، ورد قول ابن مسعود رضي الله عنه المشهور في تفسير الآيات، وقد أجاد وأفاد -رحمه الله- في نقض التقليد المتبع لقول ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآيات، وقال في النهاية في تفسير ابن مسعود أن الدخان خيال حصل لقريش من شدة الجوع بسبب القحط، وهذا تفسير غريب جدا لم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره، وهذا أمر محقق وليس كما روى ابن مسعود رضي الله عنه أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع.

قال ابن كثير في (النهاية): "وقد نقل البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه فسّر ذلك بما كان يحصل لقريش من شدة الجوع بسبب القحط الذي دعا عليهم به رسول الله ﷺ، فكان أحدهم يرى فيما بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، وهذا تفسير غريب جداً، لم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره، وقد حاول بعض العلماء المتأخرين رد ذلك ومعارضته؛ لما ثبت في حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات -ذكر فيهن الدجال والدخان والدابة»، والحديثان في صحيح مسلم مرفوعان، والمرفوع مقدّم على كل موقف.

وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام، وليس كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه خيال عن أعين قريش من شدة الجوع.
وقال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٣﴾؛ أي: ظاهر واضح جلي، ليس خيالاً من شدة الجوع، ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾؛ أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء، يسألون كشف هذه الشدة عنهم؛ فإنهم قد آمنوا وأيقنوا بما وعدوا به من الأمور الغيبية الكائنة بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أنه يكون قبل يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة والإنابة، والله أعلم". انتهى.

وقد ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار بأنها آيتان ظهرت إحداها وبقيت الأخرى وهي التي ستقع آخر الزمان.

فقد قال القرطبي: "قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه".

وقال النووي في شرح مسلم تحت هذا الحديث: "هذا الحديث يؤيد قول من قال إنَّ الدخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريباً من قيام الساعة، وقال ابن مسعود: إنما هو عبارة عما نال قريشاً من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان، وقد وافق ابن مسعود جماعة، وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن ورواه حذيفة عن النبي وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، ويحتمل أنها دخانان للجمع بين هذه الآثار". انتهى.

وقال القرطبي في التذكرة: "قال ابن دحية: والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين إحداهما وقعت وكانت الأخرى ستقع وتكون، فأما التي كانت فهي التي كانوا يرون فيها كهيئة الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشرار والعلامات، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فيكشف عنهم ثم يعودون لقرب الساعة، وقول ابن مسعود ﷺ لم يسنده إلى النبي ﷺ إنما هو من تفسيره، وقد جاء النص عن رسول الله بخلافه". انتهى الاقتباس.

آية الدخان من أشرار الساعة وقبل يوم القيامة:

في مقابل الحديثين المرويين عن سيدنا ابن مسعود نجد أحاديث كثيرة تؤكد أنَّ الدخان لم يأت بعد، منها أحاديث مروية عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمرو وأبي هريرة وزيد بن علي والحسن وابن أبي مليكة وغيرهم.

وقد قال العلامة صلاح الدين العلائي: "أما قول ابن مسعود في تفسير الدخان بما حكى، فقد خالف جماعة من الصحابة منهم علي وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة ﷺ، قالوا: إنَّ الدخان كبير يوري النيران..! لم يأت بعد، بل يجيء في آخر الزمان من أشرار الساعة، وهذا هو الصحيح لما روى مسلم عن حذيفة بن أسيد، وهو نص صريح في أنَّ الدخان لم يأت بعد" (1).

ومن الأحاديث التي تدل على أنَّ الدخان من الآيات المنتظرة التي تكون قبل الساعة:

1- عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون..؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات - فذكر

1 التنبهات المجمل على المواضع المشككة المؤلف: صلاح الدين الدمشقي العلائي (المتوفى: 761هـ) (ص62)

- الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها»⁽¹⁾ [رواه مسلم].
- 2- وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آياتٍ -وذكر منها الدخان-»⁽²⁾.
- 3- وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا: الدخان؛ يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمعٍ منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال»⁽³⁾.
- 4- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «يبعث الدخان بالناس، فأما المؤمن؛ فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر؛ فينفخه حتى يخرج من كل مسمعٍ منه»⁽⁴⁾ [رواه ابن أبي حاتم].
- 5- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ الْآيَاتِ الدَّجَالُ، وَنَزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ أَبِينِ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ؛ تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَالدَّخَانُ» قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾»، يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن؛ فيصبيه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر؛ فيكون بمنزلة السكران؛ يخرج من منخريه وأذنيه ودبره»⁽⁵⁾ [رواه الطبري].
- 6- والذي أنكره ابن مسعودٍ قد جاء عن علي رضي الله عنه؛ قال: "لم تمضِ آيةُ الدخان بعد؛ يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينفذ" [رواه ابن أبي حاتم].
- 7- وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: "يبعث الناسُ يسرون إلى جمع، وتبيت دابةُ الأرض؛ تسري إليهم، فيصبحون وقد جعلتهم بين رأسها وذنبها؛ فما مؤمنٌ إلا تمسحه، ولا منافقٌ ولا

1 الحديث رواه: الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، ومسلم، وأهل السنن. وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

2 رواه: الطبراني، وابن مردويه، والحاكم وصححه هو والذهبي.

3 رواه: ابن جرير، والطبراني. قال ابن كثير في (تفسيره): (وإسناده جيد).

4 رواه الطبري وابن أبي حاتم.

5 رواه: ابن جرير، والبغوي؛ بإسناد ضعيف، وله شاهد مما تقدم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

كافرٌ إلا تخطئهُ، وإنَّ التوبةَ لمفتوحةٌ، ثم يخرج الدخان، فيأخذ المؤمنَ منه كهيئة الزكمة، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق، حتى يكون كالشيء الحنيد، وإنَّ التوبةَ لمفتوحةٌ، ثم تطلع الشمس من مغربها⁽¹⁾. [رواه الحاكم في مستدركه وصححه]، وإسناده ضعيفٌ، وقد رواه ابنُ جريرٍ مختصراً، ولفظه: قال: "يخرج الدخانُ، فيأخذُ المؤمنُ كهيئة الزكام، ويدخل مسامع الكافر والمنافق، حتى يكون الرأس الحنيد" [رواه الطبري].

8- وعن عبد الله بن أبي مليكة؛ قال: "غدوت على ابنِ عباسٍ عليه السلام ذاتَ يومٍ، فقال: ما نمت الليلةَ حتى أصبحت، قلت: لم..؟ قال: قالوا: طلع الكوكبُ ذو الذنبِ؛ فخشيت أن يكون الدخانُ قد طرق، فما نمت حتى أصبحت"⁽²⁾.

9- وقال عبد الله بنُ أبي مُليكة: "غدوت على ابنِ عباسٍ عليه السلام ذاتَ يومٍ، فقال: ما نمت الليلةَ حتى أصبحت، قلت: لم..؟ قال: قالوا طلع الكوكبُ ذو الذنبِ، فخشيت أن يكون الدخانُ قد طرق، فما نمت حتى أصبحت"⁽³⁾. قال ابنُ كثيرٍ: (وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ عباسٍ حبرِ الأمة، وترجمانِ القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها... مما فيه مقنعٌ ودلالةٌ ظاهرةٌ على أنَّ الدخان من الآيات المنتظرة).

قال الحافظ ابنُ حجرٍ في فتح الباري: (وتضافُ هذه الأحاديثُ يدلُّ على أنَّ لذلك أصلاً وهو أنَّ الدخانَ لم يأتِ بعدُ وهو من علامات الساعة الكبرى).

التأويل الشهير لآيات الدخان:

سورة الدخان سورةٌ مكيةٌ، وقد تناولت:

- 1- ذكر نزولِ جبريل عليه السلام، وإرسالِ رسولٍ لإنذارِ الناس بعذاب الدخان.
- 2- ثم انتقلت لذكرِ ما لاقاه الرسولُ من دعوةِ قومه ونزولِ عذاب الدخان.
- 3- ثم انتقلت للماضي فذكرت قصةَ سيدنا موسى مع فرعونَ وإغراقه، وأشارت لقصة قوم

1 رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه

2 رواه: ابن جرير، وابن أبي حاتم. قال ابن كثير في (تفسيره): (إسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما).

3 الراوي: ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز المحدث: ابن كثير - المصدر: تفسير القرآن - الصفحة أو الرقم:

7/ 235 خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

تبع.

4- ثم انتقلت لذكر المستقبل؛ واليوم الآخر من يوم الفصل، والنار، وما فيها من شجرة الزقوم، والجنة، وما فيها من النعيم.

إنَّ سورة الدخان آياتها واضحةٌ ومحكمةٌ وتحدث عن الفترة المستقبلية التي سينشر فيها الدخان في ساء الكرة الأرضية في المستقبل، ولذلك فإنَّ كلَّ من هو يعتقد برأي أغلب الصحابة رضي الله عنه أنَّ تأويل آية الدخان سيحدث في آخر الزمان، يلزمه على هذا الاعتقاد ببعث الله لرسولٍ في آخر الزمان لإنذار الناس بوقوع آية الدخان إن لم يعودوا إلى طاعة الله تعالى.

إنَّ الآيات صريحةٌ وواضحةٌ فاقراً أخي المسلم وأختي المسلمة هذه الآيات بتدبر، قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكََةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُّؤْمِنُونَ ۝ أَتَى لَهُمُ الدِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝﴾، إنَّ هذه الآيات تتحدث عن حدث سيحدث في المستقبل، ومن غير المنطقي تفسير بعض هذه الآيات على أنها ستحدث في المستقبل ثم نفسر آيات أخرى فيما بين هذه الآيات بأنها حدثت في الماضي، ولذلك من يقرأ تفسير هذه الآيات في الكتب المختلفة سيحтар ولن يصل إلى تفسير متسلسل وبالترتيب يشرح الأحداث التي ستحدث قبل وأثناء وبعد ظهور الدخان المبين، بل وسيجد ثغرات كثيرة في ترتيب تفسير الأحداث، لأنَّه سيجد نفسه أمام تفسيرين في كل آية، تفسير بعض الآيات يتحدث عن المستقبل، وتفسير يتحدث عن الماضي، وفي النهاية سيجد الباحث أنَّ تأويل الرسول المبين متفق عليه بين الفقهاء على أنه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، ثم يعود به تفسير الآيات التي تليه على أنه سيحدث في المستقبل وهكذا، وقد حدث هذا التضارب في تفسير هذه الآيات بسبب عدم الاعتقاد بإرسال الله تعالى لرسول بعد النبي صلى الله عليه وآله.

لنأخذ المثال التالي على ما ذكرناه ونقرأ تفسير هذه الآيات والتي لن تجد أي تفسير يخرج عنها في كتب تفسير القرآن الكريم المنتشرة حالياً:

- ❖ ﴿حَمَّ﴾ من الحروف المقطعة وهي في علم الله ﷻ.
- ❖ ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم الله تعالى بالكتاب المبين لكل ما يحتاجه الإنسان؛ من بيان وإرشاد.
- ❖ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ جواب القسم، وكان إنزال القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ مفروقاً؛ لإنذار الناس وتذكيرهم بما ينفعهم وما يضرهم.
- ❖ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وفي هذه الليلة أيضاً يفصل ويبين ويفرق من اللوح المحفوظ إلى صحف الملائكة ما سيحصل للناس في سِتِّهِمْ من أرزاق وآجال وأقدار، ومن كل أمر محكم لا يُغير ولا يُبدل.
- ❖ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أمراً شرعياً أو أمراً قدرياً أنزله الله تعالى في هذه الليلة المباركة، وأرسل به رسله، ومن حكمة إنزال الكتاب وإرسال الرسول:
- ❖ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
- 1- أن الله تعالى يرحم بذلك عباده في الدنيا والآخرة.
 - 2- ولأنه سبحانه هو السميع لحاجاتهم، العليم بما يصلحهم.
- ❖ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾
- 3- ولأنه سبحانه هو خالق الكون ومدبره والمتصرف فيه بما شاء ﷻ.
- ❖ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وغاية إنزال الكتاب وإرسال الرسول تقرير حقيقة أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ، فهو:
- 1- الذي يملك الإحياء والإماتة، وكل الخلق يموتون، فكيف يعبدون؟!.
 - 2- وهو ربنا ورب من قبلنا، فكيف يكون من الخلق إله لقوم كانوا من قبله؟!.
- ❖ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ فإذا كان المتعین باليقين بذلك، فعجب لحال قوم كانت قلوبهم منه في شك، وجوارحهم تجاهه في لعب.
- ❖ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانٍ مُّبِينٍ﴾

توعدهم الله ﷻ وهددهم وقال انتظر يا محمد يوم يأتي الدخان، واختلف في المراد بالدخان في هذه الآية على قولين (ماضي ومستقبل):

1- قال ابن مسعود ؓ: هو الدخان الذي تخيلته قريش لما دعا عليهم الرسول ﷺ بالقحط، فأكلوا من شدة الجوع العظام والميتة، وتحلوا أن السماء فوقهم كهيئة الدخان، فناشدوا الرسول ﷺ بالرحم أن يدعو الله، فيكشفه عنهم، فدعا لهم الله ﷻ، فلما كشفه الله عنهم عادوا للكفر؛ كما في الصحيحين.

2- وقال عليّ وابن عباس ؓ: هو الدخان الذي يكون من علامات الساعة آخر الزمان؛ كما في صحيح مسلم، فيتضرع الكافرون والمنافقون وقتها إلى الله ﷻ أن يكشف عنهم العذاب، واختاره ابن كثير.

وإذا تابعنا سياق الآيات نجد أن الدخان وصف بثلاثة أوصاف:

1- مبين: أي واضح، وليس مجرد خيال، ويحتمل أن المراد أنه مبين بحسب ما ظنته قريش وقتها، فقد كان الرجل يكلمه الرجل، فيسمع صوته، ولا يراه من شدة الدخان.

❖ ﴿يَعْثَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

2- والصفة الثانية: أن الدخان يشمل الناس في العموم؛ فتؤيد القول الثاني، أو المقصود بها كفار قريش؛ فتؤيد القول الأول، محتمل.

3- والثالثة: أن الدخان قد خلص وجعه إلى قلوب الناس، فوجدوا منه أشد الألم، فصاحوا: هذا عذاب أليم، وصاروا يستغيثون:

❖ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

ومن الذي يطلب ذلك؟.. محتمل:

1- على القول الأول: أن الذي طلبه كفار قريش.

2- وعلى القول الثاني: يطلبه من تقوم عليهم الساعة، وقد رأوا طلوع الشمس من مغربها؛ فآمنوا، ولن ينفعهم وقتها إيمانهم.

❖ ﴿أَنِّي لَهُمُ الدِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾

وأي إيمان هذا الذي جاء وقت رؤية العذاب؛ كيف ينفعهم التذكر والإيمان يومها..؟! وقد جاءتهم أعظم ذكرى؛ رسول مبين هو محمد ﷺ ومعه الآيات العظيمة والقرآن

الكريم فلم يؤمنوا به، بل كان موقفهم:

❖ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ (١٤)

1- أعرضوا عن أتباعه؛ بقلوبهم وجوارحهم.

2- واتهموه بالستهم بأنه:

أ- يعلمه هذا القرآن بشرًا.

ب- وأنه مجنون؛ لا يعقل، وهذا من تناقضهم، فكيف يكون متعلماً ومجنوناً في ذات الوقت...؟!.

وهذا السياق يؤكد أن المراد بالدخان ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه؛ لأن هذا إنما كان صنيع قريش برسولنا ﷺ.

❖ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٥)

وهذا الذي جرى من قريش، فبعد أن كشف الله ﷻ عنهم العذاب عادوا لكفرهم، وهو حال المعرضين في كل أمة؛ ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28]، فكشفه الله ﷻ عنهم قليلاً لإقامة الحجة عليهم، وأخبر أنهم سيعودون لكفرهم.

❖ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (١٦)

1- قال ابن مسعود رضي الله عنه: يوم البطشة الكبرى يوم بدر؛ لأن الخطاب لقريش.

2- وقال ابن عباس رضي الله عنه: هو يوم القيامة، والأقرب الأول؛ لما اخترناه أن السياق كله لقريش.

❖ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (١٧)

ونحو هذا الاختبار الذي اختبر الله به كفار قريش وقع نحوه لفرعون وقومه، فاختبرهم الله بالطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فدعوا الله وأعلنوا الإيمان، فلما كشفها الله عنهم عادوا لكفرهم، فانتقم الله منهم ببطشة كبرى؛ كما قال تعالى: (فأهلكنا أشد منهم بطشاً)، فصلتها الآيات التالية:

❖ ﴿أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٨)

أرسل الله إليهم نبياً كريماً، أميناً في إبلاغ رسالة الله ﷻ هو سيدنا موسى عليه السلام، فدعاهم إلى أمرين:

1- أن يرسلوا معه قومه بني إسرائيل الذين استعبدوهم ظلماً، وهم عباد الله، ليس

لفرعون وقومه عليهم عبودية؛ كما في قال تعالى: ﴿أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء].

❖ ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(١٩)
2- أن أطيعوا الله ﷻ وآمنوا به، ولا تتكبروا عن طاعته، وتستكبروا على عباده.

في التأويل السابق لآيات سورة الدخان ستجد أن جميع هذه الآيات تتحدث عن الماضي وهو متفق مع قول بن مسعود ﷺ عدا هذه الآيات الثلاثة التي تم تفسيرها مرتين، مرة عن حدث تم في الماضي كما في قول بن مسعود ﷺ، ومرة يتم تفسيرها عن حدث سيحدث في المستقبل بناء على قول سيدنا ابن عباس ﷺ وسيدنا علي ﷺ وهذه الآيات هي:

- ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾^(٢٠)
 - ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾^(٢١)
 - ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾^(٢٢)
- إننا هنا أمام تضارب في تفسير هذه الآيات، فلو تم تفسيرها كلها على أنها وقعت بالماضي وهو قول بن مسعود ﷺ فإننا بذلك ننفي أن يكون الدخان من أشرار الساعة وأنه سيحدث مستقبلاً.

وإذا أخذنا بتفسير باقي الصحابة وبتفسير تلك الآيات الثلاثة (16، 12، 10) المتفق عليها بأنها تشير إلى أن الدخان المبين سيحدث مستقبلاً الذي هو من أشرار الساعة، فيلزمنا حينها تفسير باقي الآيات التي بينها بناءً على الحدث المستقبلي، وهذا لن تجده للأسف في كتب التفسير المختلفة.

تأويل آيات الدخان بما يتفق مع قول ابن عباس وعلي عليه السلام

الآن سنستكمل تأويل آيات الدخان إذا اتفقنا مع رأي باقي الصحابة ﷺ عدا رأي بن مسعود ﷺ، بأن الدخان المذكور في السورة هو من أشرار الساعة وأن الآيات السابقة تفسيرها تتحدث جميعها عن أحداث مستقبلية، ومع الاعتقاد في ذات الوقت ببعث الله ﷻ رسولا منذراً بآية الدخان، ونرى هل سيكون التفسير منطقياً ومتسلسلاً أم سيكون فيه تضارب واختلاف ونقص كما في التفسير السابق..؟

➤ ﴿حَمَّ﴾^(٢٣)

من الحروف المقطعة وهي في علم الله ﷻ.

- ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(٢)
 أقسم الله ﷻ بالكتاب المبين لكل ما يحتاجه الإنسان؛ من بيان وإرشاد.
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾^(٣)
 جواب القسم، وهو إنزال جبريل ﷺ على رسولٍ منتظرٍ؛ لإنذارِ الناسِ وتذكيرهم بما ينفعهم وما يضرهم ولإنذارهم بعذاب الدخان الذي سيقع عليهم إذا لم يطيعوا الله ويكونوا مسلمين، وفيما يخص تلك الليلة المباركة فهي تشير إلى ليلة القدر أو ليلة الجمعة أو ليلة من الليالي العشر من ذي الحجة أو غيرها من الليالي المباركة، وهذه الليلة في الغالب هي ليلة إصلاح الرسول المنتظر والله أعلم.
- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٤)
 وفي هذه الليلة أيضاً يُفصلُ ويُنزلُ ويُفرق من اللوح المحفوظ إلى صحف الملائكة ما سيحصل للناس في سنتهم من أرزاق وأجالٍ وأقدار، ومن كل أمر مُحكم لا يُغيَّر ولا يُبدل.
- ﴿أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(٥)
 أمراً شرعياً أو أمراً قديراً أنزله الله ﷻ في هذه الليلة المباركة، سيرسل به رسوله لإنذارِ الناس بعذاب الدخان.
- ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٦)
 1- أن الله ﷻ يرحم بذلك عباده في الدنيا والآخرة.
- 2- ولأنه سبحانه هو السميع لحاجاتهم، العليم بما يصلحهم.
- ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾^(٧)
 3- ولأنه سبحانه هو خالق الكون ومدبره والمتصرف فيه بما شاء ﷻ.
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٨)
 وغاية إنزال الكتاب وإرسال الرسول تقرير حقيقة أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ، فهو:
- 1- الذي يملك الإحياء والإماتة، وكلُّ الخلق يموتون، فكيف يعبدون...؟!.
- 2- وهو ربنا ورب من قبلنا، فكيف يكون من الخلق إله لقوم كانوا من قبله!.
- ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾^(٩)
 سيبلغ الرسول المنتظر الرسالة التي أنزلت إليه إلى الناس وسيحذرهم من العذاب القادم، ولكن ستكون قلوبهم منه في شك، وجوارحهم وأفعالهم تجاهه في لعب.

➤ ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾^(١٠)
توعدهم الله ﷻ وهددهم وقال انتظروا يا أيها الرسول يوم يأتي الدخان (كما قال علي وابن عباس رضي الله عنهما): هو الدخان الذي يكون من علامات الساعة آخر الزمان؛ كما في صحيح مسلم) فيتضرع الكافرون والمنافقون وقتها إلى الله أن يكشف عنهم العذاب.
وإذا تابعنا سياق آيات نجد أن الدخان وُصف بثلاثة أوصاف:

1- مبين: أي واضح لكل سكان الأرض، وليس مجرد خيال مثلما ظنته قريش وقتها.

➤ ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١١)
2- والصفة الثانية: أن الدخان يشمل الناس في العموم؛ أي أنه سيشمل الناس جميعاً في جميع أنحاء الأرض.

3- والثالثة: أن الدخان قد خلص وجعه إلى قلوب الناس، فوجدوا منه أشد الألم.

➤ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾^(١٢)
سيقول الناس بعد انتشار الدخان هذا عذاب أليم فأزله عنا يا الله.
➤ ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^(١٣)
وأي إيمان هذا الذي جاء وقت رؤية العذاب: كيف ينفعهم التذكر والإيمان يومها!، وقد جاءهم رسول واضح معه آيات مبينة تثبت كونه رسول من عند الله ﷻ، فلم يؤمنوا به، بل كان موقفهم مع الرسول قبل وقوع الدخان:

➤ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾^(١٤)
1- سيعرضون عن اتباعه؛ بقلوبهم وجوارحهم.
2- وسيتهمونه بالستهم بأنه:

أ- يعلمه أحد ما (ولنا في هذه الكلمة شرح طويل كما سيأتي لاحقاً).

ب- وأنه مجنون؛ لا يعقل، وهذا من تناقضهم، فكيف يكون متعلماً ومجنوناً في ذات الوقت!.

➤ ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾^(١٥)
وهو حال المعرضين في كل أمة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28]، فسيكشف الله ﷻ عنهم العذاب قليلاً لإقامة الحجة عليهم، وأخبر أنهم سيعودون لكفرهم بعد ذلك.

➤ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾^(١٦)

قال ابن عباس رضي الله عنه: هو يوم القيامة. وأنا متفق مع قوله هذا.

- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾
ونحو هذا الاختبار الذي اختبر الله ﷻ به الناس من تعذيبهم بالدخان وقع نحوه لفرعون وقومه، وتشبيه الرسول المنتظر بسيدنا موسى عليه السلام، فقد اختبرهم الله ﷻ بالطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فدعوا الله وأعلنوا الإيمان، فلما كشفها الله ﷻ عنهم عادوا لكفرهم، فانتقم الله ﷻ منهم ببطشة كبرى؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾، فصلتها الآيات التالية:
- ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيَّ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾
أرسل الله إليهم نبياً كريماً، أميناً في إبلاغ رسالة الله ﷻ؛ هو سيدنا موسى عليه السلام، فدعاهم إلى أمرين:

- 1- أن يرسلوا معه قومه بني إسرائيل الذين استعبدهم ظلماً، وهم عباد الله، ليس لفرعون وقومه عليهم عبودية؛ كما في قال تعالى: (أن أرسل معنا بني إسرائيل).
 - ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾
2- أن أطيعوا الله ﷻ، وآمنوا به، ولا تتكبروا عن طاعته، وتستكبروا على عباده.
- وقد اختص الله ﷻ قوم فرعون بإهلاكهم بالغرق بعد آيات سورة الدخان وهذا لم يكن مصادفةً بل لأخذ العبرة ولإثبات أن سنن الله ﷻ لن تتغير، فما حدث مع آل فرعون سيحدث للمكان التي سينفجر فيها البركان الهائل أو سيقع عليها المذنب، ولذلك قال الله ﷻ في سورة الدخان بعد الآيات التي ذكرناها سابقاً: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾
﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾
﴿وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ﴾
﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾
﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾
﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾
﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾
﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

وبناءً على هذا التفسير وعلى قول أغلب الصحابة عدا بن مسعود رضي الله عنه فإن القول بأن تأويل آيات سورة الدخان إنما سيقع في آخر الزمان وأن الرسول المذكور في الآيات هو الرسول المنتظر الذي بشر به النبي ﷺ الأمة بأن خروجه يكون آخر الزمان عند اختلاف وزلازل وفتن، وإذا كان في علم الله ﷻ أن الدخان المذكور في السورة ليس هو الدخان الذي ذكره ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان خيال خيل لكفار قريش من شدة الجوع، بل هو دخان مبين في

الحقيقة وليس بخيال، وأنه سيكون في آخر الزمان، فعند ذلك لا يمكن أن يكون هذا الرسول إلا رسول قادم ومُبشر ببعثه في آخر الزمان، فهو المستحق لهذا الوصف.

هل حدث من قبل أن أنذر رسول قوم سيأتون بعده بعدة قرون بعذاب أليم؟

قال تعالى: ﴿أَتَى لَهُمُ الدِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ^(١٢) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ^(١٣)﴾ الآيتين واضحتين وضوح الشمس فالمخاطب في تلك الآيتين هم الناس الذين سيعاصرون الدخان المبين القادم، وهذا على قول علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمرو وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن وابن أبي مليكة وغيرهم الذين قالوا أن الدخان سيحدث مستقبلاً، ﴿أَتَى لَهُمُ الدِّكْرَىٰ﴾ كيف ينفعهم التذكر والإيمان يومها!، ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ^(١٣)﴾ أي ان هؤلاء الناس قد أرسلنا إليهم رسول معه بينات تؤكد رسالته، وسبق أن تحدثنا عن آيات القرآن التي تأتي بصيغة الماضي فلا حاجة لنا لتكرارها الآن⁽¹⁾، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ^(١٣)﴾ هؤلاء الناس الذين سيعاصرون الدخان القادم أعرضوا عن هذا الرسول واتهموه بالجنون؛ إن كل هذه الآيات تخاطب الناس الذين سيعاصرون الدخان المبين القادم بناء على قول أغلب الصحابة؛ فلماذا تم تفسير الآية ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ^(١٣)﴾ بأنه النبي محمد ﷺ؟

إنَّ القول بأنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ هو الرسولُ المبينُ المذكور في سورة الدخان يناقض سُنَّةَ الله ﷻ في خلقه، فإنَّ الله ﷻ ذكر في كتابه أنه لا يهلك القرى من دون أن يرسل إليهم رسولا من بينهم وفي عصرهم لينذرهم وليس قبلهم بقرون، وأن تلك سنته في جميع القرى من غير استثناء، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا^(١٥)﴾ [الإسراء: 15]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ^(١٦)﴾ [الفصل]، فأرسال الرسول قبل الإهلاك أو العذاب سُنَّةٌ من سُنَنِ الله ﷻ، فقد قال الله ﷻ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا^(١٦)﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^(١٧)﴾ [فاطر: 43]، والآيات في هذا المعنى كثيرة كما ذكرناها في فصل (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

1 أنظر فصل خاتم النبيين وليس خاتم المرسلين (الآيات القرآنية التي تذكر الرسل المنتظرين بصيغة الماضي).

إِنَّ تَأْوِيلَ الفقهاءَ أَنَّ الآيةَ الكريمةَ ﴿أَنَّى لَهُمُ الدِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ تقصد سيدنا محمداً ﷺ يُخالف آياتٍ عديدةً في القرآن الكريم، وليس لهذه الآية تفسيرٌ منطقيٌّ يطابق بقيةَ آياتِ عذابِ الدخانِ سوى وجودِ رسولٍ آخرٍ وقتَ حدوثِ آيةِ الدخانِ، فإرساله ستَحَقُّ سُنَّةَ اللَّهِ ﷻ في أنه لا يَعَذِّبُ اللَّهُ ﷻ الناسَ إلا بإرسالِ رسولٍ للناسِ في عصرهم ليُنذِرهم بعذابِ اللَّهِ ﷻ فيروه ويسمعوه، أمّا أن يُصَبِّحَ النَّاسُ فجأةً من نومهم وقد ملأ سماءَ الأرضِ دخانٌ مبينٌ دون إنذارٍ ويقول قائلٌ لهم: لقد أنذركم سيدنا محمدٌ ﷺ من عذابِ الدخانِ منذ أربعةَ عشرَ قرناً وهذا مكتوبٌ في القرآن الكريم، فأين العدالةُ في ذلك؟! فهناك ملايينٌ من البشر لم يقرؤوا القرآن ولم يسمعوا عن النبي ﷺ ولا يعرفون شيئاً عن الدخان ولا عن أشرار الساعة، فمن الذي سينذرهم بهذا العذاب..؟! وذلك لأنَّ عدمَ إرسالِ رسولٍ نذيرٍ إلى الظالمين والغافلين، يجعل لهم حجةً على اللَّهِ ﷻ بأنهم ما كانوا يعلمون بعقابه..! لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٥﴾ [الشعراء]. واللَّهُ ﷻ لن يظلمَ أكثرَ من سبعِ مليارِ شخصٍ على سطحِ الكرةِ الأرضيةِ بأن يعذبهم بالدخانِ المبينِ دون إنذارٍ وإلا فستصبح هذه الآيةُ الكريمةُ خاطئةً والعياذُ بالله، وهذا شيءٌ مستبعدٌ تماماً ونهائياً.

سُرُّ الْآيَةِ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ﴿١٦﴾

القرآن الكريم يخبرنا أَنَّ الدخانَ لن يأتي فجأةً أو بغتةً لأنَّ اللَّهَ ﷻ يأمرنا بِتَرْقُبِ حدوثِ علامةِ الدخانِ بالذاتِ دون غيرها من العلاماتِ الكبرى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٧﴾، بل إن اللَّهَ ﷻ يعيد التأكيدَ مرةً ثانيةً على أمرِ الترقبِ في آخر آيةٍ من سورةِ الدخانِ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ﴿١٨﴾.

إذن بما أنه يطلب منَّا التَرْقُبَ (مرتين) فهذا يعني أنه لن يأتي الدخان دون سابق إنذار بل ستسبقه إنذار شخص ما وإرهاصات وإشارات يفهمها الناس وعلماء الفضاء، وعلماء الجيولوجيا، وفهمها أيضاً المؤمنون وأصحاب البصائر وهذا من رحمة اللَّهِ ﷻ بالمؤمنين، وبكل الناس لأن الدخان هو الإنذار الأخير، أو يوم القيامة المصغر قبل البطشة الكبرى. وهذا هو سببُ الأمرِ الإلهي لنا بِالتَرْقُبِ كي نحتاطَ ونُجهِّزَ أنفسنا روحانياً ونفسياً ومادياً للمرحلة القادمة كي نخرج بأقل قدر ممكن من الأضرار.

في سورة الدخان فَإِنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَقُ بِآيَةٍ تَقَعُ تَحْتَ المِرَاقِبَةِ أَوَّلًا، والمِرَاقِبَةُ هُنَا تُوْحِي بِمِلَاحِظَةٍ حَذَرَةٍ لشيءٍ يَرْتَقِبُ حِصُولُهُ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾.

إذا الارتقاب في هذه الآية من جهتين، الأولى: من الرسول المُنذِر بالدخان، والجهة الثانية: من الناس، ولكنْ أَخَذَ الارتقابُ من الجهة الثانية صِفَةَ الثَّبَاتِ والاستمرارية ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ وهذا يدل على أَنَّ هذه الآيةَ لَن تَكُونَ مَفَاجِئَةً، بَلْ سَيَسَنَّى لِلْجَمِيعِ مِرَاقِبَتُهَا قَبْلَ حِصُولِهَا، والمِرَاقِبَةُ الْحِسِّيَّةُ يَشْتَرِكُ فِيهَا أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ، لَذا جَاءَتِ الآيةُ هُنَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾.

وموقف الناسِ قَبْلَ حَدُوثِ الدخانِ وَهُمْ فِي حَالَةِ التَّرَقُّبِ لَهَا احْتِمَالَانِ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِيٍّ وَاللَّهُ اعْلَمُ:

الاحتمال الأول: أَنْ يَكُونَ الرِّسُولُ قَدْ لَفَتَ انْتِبَاهَهُمْ وَكَانُوا فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِهِ كَمَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي الآيةِ الْكَرِيمَةِ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ وَأَنَّ هَذَا الرِّسُولَ قَدْ جَاءَهُمْ بَيْنَةً كَبِيرَةً تُثَبِّتُ رِسَالَتَهُ كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَيْنَةِ وَالْقَمَرِ، فَجَعَلَتِ النَّاسَ فِي حَالَةٍ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّرَقُّبِ مِنْ انفجارِ بَرَكَانٍ هَائِلٍ يَنْتِجُ عَنْهُ دُخَانٌ يَمَلَأُ سَمَاءَ الأَرْضِ كَمَا حَذَّرَهُمْ هَذَا الرِّسُولُ، وَلَكِنْهُمْ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ بِرِسَالَتِهِ وَفِي انْتِظَارِ عَدَمِ حَدُوثِ شيءٍ مَا حَتَّى يَتِمَّ اتِّهَامُهُ رَسْمِيًّا بِالْكَذِبِ، وَقَوْلُهُمْ لَنْ يَخْتَلِفَ كَثِيرًا عَنْ قَوْلِ (مَدِينٍ) لِسَيِّدِنَا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء]. وَمَا قَدْ قِيلَ لِسَيِّدِنَا لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29]. فَهَذَا الأسْلُوبُ مُتَكَرِّرٌ وَلَنْ يَتَغَيَّرَ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43]. وَلِهَذَا فَقَدْ سَرَدَتْ فِي الْفُصُولِ السَّابِقَةِ تَارِيخَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ الَّتِي وَقَعَ عَلَيْهَا الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ حَتَّى يَتَسَنَّى لَكُمْ اسْتِيعَابُ مِثْلِ تِلْكَ الآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ أَحْدَاثٍ مُشَابِهَةٍ سَتَحْدُثُ مُسْتَقْبَلًا.

الاحتمال الثاني: أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مِرَاصِدُ فَلَكَيَّةٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ رَصَدَتْ مَذَبًّا يَقْتَرِبُ مِنَ الأَرْضِ أَوْ رَصَدَ عِلْمَاءُ الْجَيُولُوجِيَا بُوَادِرَ لَاحْتِمَالَاتِ انفجارِ بَرَكَانٍ هَائِلٍ يَتَزَامَنُ مِنْ إِنْذَارِ هَذَا الرِّسُولِ، وَلِذَلِكَ فَهُمْ مُرْتَقِبُونَ حَدُوثَ الدخانِ.

من هو الرسول المبين الذي سيصفه الناس بأنه معلّم مجنون؟

وحتى نصلَ إِلَى مَنْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالرِّسُولِ الْمُبِينِ فِي سُورَةِ الدخانِ، فَانْهَ يَتَحَتَّمُ عَلَيْنَا فَكُّ

رموز الوصف الذي سيصف الناس به هذا الرسول بأنه ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.

﴿مَّجْنُونٌ﴾ وَصَفُ (مجنون) هو وصفٌ اتُّهِمَ به أغلبُ الأنبياء والمرسلين، فما أتى نبيٌّ أو رسولٌ قومه بدعوة التوحيد إلا نشطت ضده الدعاية المضادة المضللة للرأي العام متهمَةً إياه بالجنون تارةً، وبالسفه والضلال والسحر تارةً أخرى، فنوحٌ عليه السلام على سبيل المثال اتُّهِمَ بالجنون: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۖ﴾ [القمر]. فوصفُ مجنونٍ لن نصلَّ به إلى مَنْ هو الرسول المبين المذكور في سورة الدخان.

﴿مُعَلَّمٌ﴾ وصف (مُعَلَّمٌ) تُطلق على شخصٍ لم يكن لديه عِلْمٌ ما ثم تعلَّمه من أحدٍ آخر، فالرسولُ المذكورُ في سورة الدخان سيصفه الناس بأنه مُعَلَّمٌ، وأنَّ هناك أحداً ما علَّمه علماً هم يعرفون أنَّ هذا الرسول لم يكن يدرس هذا العلم من قبل.

من النبيِّ الآخر الذي تمَّ وصفه في القرآن بأنه مُعَلَّمٌ؟ إنه سيدنا محمدٌ ﷺ حين اتهمه المشركون بأنه يعلمه بشرٌ (هذا الذي يتلوه عليهم من القرآن) وأرشدوا إلى غلام أعجميٍّ وادَّعوا أنه تعلم منه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ۝﴾ [النحل]، وذلك أن العلوم التي جاء بها النبيُّ ﷺ لم تكن تُعرف بين أغلب العرب.

من خلال ما سبق يتَّضح لنا أنَّ الرسولَ الموصوفَ بأنه ﴿مُعَلَّمٌ﴾ جاء للناس بعلمٍ لم يكن يعرفه في الماضي وأيضاً لم يسبق إليه أحدٌ من الناس، وكأنَّ هذا العلم هو إحدى البيِّنات الكبرى التي سُنِّت رسالته للناس، ولذلك تمَّ وصفه بأنه ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ أي رسولٌ واضحٌ معه آياتٌ بيِّناتٌ تُثبت كونه رسولاً من عند الله ﷻ، ومع ذلك سيُقر الناس وسيُعرفون بهذا العلم ولكنهم سيُعرضون عنه وسيتهمونه بأنَّ هناك أحداً ما علَّمه، ووصفه بالجنون يدلُّ على أنَّهم سيُعتقدون أنَّ من علَّم هذا الرسول هو الجنُّ أو الشياطين والله أعلم.

أنَّ وصف ﴿مُعَلَّمٌ﴾ أيضاً له علاقةٌ بآخر آيتين في سورة الدخان ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ۝﴾ فالعلم الذي سيخبره الرسول المذكور في سورة الدخان سيتحدث به هذا الرسول إلى الناس بلسانه، وهي إحدى البيِّنات الكبرى لرسالته إليهم، وهو يتفق أيضاً مع آيات سورة النمل عن الرسول الدابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝﴾ وَيَوْمَ نَخَشُّ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ قَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝﴾ [النمل].

ما هو هذا العلم الذي سيأتي به هذا الرسول المبين المذكور في سورة الدخان؟

طالما أيد الله ﷻ رُسُلَهُ بالمعجزات التي تناسب زمنهم وقومهم فقد أيد الله ﷻ سيدنا موسى عليه السلام بمعجزة العصى والثعبان وغيرها من المعجزات في عصرٍ ينتشر فيه السحر والسحرة، وكذلك أيد الله ﷻ سيدنا محمداً ﷺ بالقرآن الكريم وسَطَ قومٍ يشتهرون بالبلاغة والشعر، ونحن الآن في عصر العلوم بكافة أنواعها، فيجب أن يكونَ هذا العلم الذي سيُؤيد به الله ﷻ الرسولَ المنتظرَ علماً شاملاً لكلِّ الدياناتِ وليس خاصاً بالمسلمين فقط، فهذا الرسولُ سيأتي لإنذارِ الناس جميعاً بعذابِ الدخان، ولن يُرسله الله ﷻ لإنذارِ المسلمين فقط، ومن خلالِ ربط أحداثِ علاماتِ الساعةِ في القرآن لم أجد هذا النوعَ من العلم سوى في سورة البينة التي شرحناها من قبل، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قَيِّمَةٌ ۚ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۚ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۖ﴾ [البينة]، إن هذه الآيات هي الرابطُ الوحيد الذي وجدته في القرآن الكريم ويُطابق الوصفَ الذي سيوصف به الرسولُ المذكور في سورة الدخان، فالرسولُ المذكور في سورة البينة هو في الغالبِ الرسولُ المذكور في سورة الدخان -والله أعلم- وسبق أن استنتجت خلال شرحي لسورة البينة أنَّ الرسولَ المقصودَ في هذه السورة إمَّا أن يكونَ المهدي أو سيدنا عيسى عليه السلام وبالتالي فأنا أستنتج أنَّ أحدهما هو الرسولُ المشارُ إليه بالرسولِ المبين في سورة الدخان مع ترجيح القولِ هنا في هذه السورة بأنه المهدي -والله أعلم- لأن سيدنا عيسى عليه السلام لديه علمُ الكتاب في الأساس، فمن غير المنطقيِّ وصفُ الناس لسيدنا عيسى عليه السلام بأنه «مُعَلَّمٌ»، بل المنطقيُّ وصفُ رسولٍ جديدٍ بهذا الوصف، لأنهم يعرفون عنه أنه لم يكن على علم بالكتاب من قبل أن يأتيهم ويحذّرهم من عذابِ الدخان، هذا إذا افترضنا أنَّ البينة التي مع الرسولِ المبين المشارِ إليه في سورة الدخان هي علمُ الكتاب وليست بينةً أخرى.

ففي كتابِ الفتنِ لنعيم بن حمادٍ الجزء الأول: ((حدثنا أبو يوسف المقدسي عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشرٍ الخثعمي عن كعب قال: المهدي يُبعث بقتالِ الروم يُعطي فقهَ عشرةٍ يستخرج تابوت السكينة من غارٍ بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام والإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على عيسى عليه السلام يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل

الإنجيل بإنجيلهم))، إِنَّ جَمَلَةً (يُعْطِي فَقَةً عَشْرَةً) لَهَا دَلَالَةٌ تَوَافُقٌ وَصَفَ النَّاسِ لِهَذَا الرَّسُولِ بِأَنَّهُ «مُعَلِّمٌ» فَهَلْ سَيُعْطِيهِ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَوَازَى عُلُومَ عَشْرَةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ قَبْلُ...؟! هَذَا بِالتَّأَكِيدِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ، وَلَكِنَّا نَرْبِطُ الْخِيُوطَ حَتَّى نَصِلَ لِأَقْرَبِ تَأْوِيلٍ لِهَذَا الْوَصْفِ.

نَأْتِي إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ الْمُبِينَ الْمَذْكُورَ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ هُوَ الْمَهْدِيُّ، فَمَعْظَمُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآثَارِ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمَهْدِيَّ سَيُظْهِرُ قَبْلَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَنَّ الْمَهْدِيَّ سَيَمْلِكُ سَبْعَ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعَ سِنَوَاتٍ وَمِنْ عِلَامَاتِ خُرُوجِ الدَّجَالِ أَنْ تَسْبِقَهُ سِنِينَ شَدِيدَةٍ وَقَحْطٍ، فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، وَصَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ، وَمُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنْ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ شَدَادٍ، يَصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثَلَاثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تَحْبِسَ ثَلَاثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسَ ثَلَاثِي مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثَلَاثِي نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسَ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضِرَاءً، فَلَا يَبْقَى ذَاتٌ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ؛ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، قِيلَ: فَمَا يَعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ..؟ قَالَ: التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيَجْزِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْزَاةُ الطَّعَامِ»⁽¹⁾. وَهَذِهِ السَّنَوَاتُ الشَّدَادُ تَوَافُقٌ مَا سَنَذْكُرُهُ لَاحِقًا مِنْ تَدَاعِيَاتِ الدُّخَانِ الْمُبِينِ النَّاتِجِ عَنْ انْفِجَارِ الْبَرْكَانِ الْهَائِلِ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى وَجُودِ عِدَّةِ آثَارٍ رُبِطَتْ بَيْنَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ وَظُهُورِ مُذَنَّبٍ وَصِيحَةٍ، وَهَذِهِ سَتَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ سَنَذْكُرُهَا فِيهَا بَعْدَ، وَلِذَلِكَ فَأَنَا أَرْجَحُ مِنْ خِلَالِ رِبْطِ كُلِّ هَذِهِ الدَّلَائِلِ بِأَنَّ انْفِجَارَ الْبَرْكَانِ الْهَائِلِ الَّذِي سَيَسَبِّبُ الدُّخَانَ الْمُبِينَ وَسَنَوَاتِ الْقَحْطِ سَيَكُونُ فِي عَهْدِ الْمَهْدِيِّ، وَسَوْفَ يَظْهَرُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ بَعْدَ انْفِجَارِ هَذَا الْبَرْكَانِ الْهَائِلِ بِثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعِ سِنَوَاتٍ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ هُوَ الرَّسُولُ الْمُبِينُ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ الدُّخَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

مَا هُوَ سِرُّ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ «رَسُولٍ مُبِينٍ» وَ«بَدُخَانٍ مُبِينٍ»؟

لَقَدْ وَصَفَ ﷻ اللَّهُ كَلَّامًا مِنَ الرَّسُولِ وَالدُّخَانِ فِي آيَاتِ سُورَةِ الدُّخَانِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَهُوَ «مُبِينٌ»، وَهَذَا اللَّفْظُ مَقْصُودٌ وَلَمْ يَأْتِ مِنْ فِرَاقٍ؛ فَالرَّسُولُ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي سَيُعِثُّهُ اللَّهُ ﷻ

سيكون واضحاً لجميع سكان العالم بما سيتناسب مع وضوح آية الدخان التي ستغشى سكان العالم أيضاً، أي أن وصول رسالة هذا الرسول في أي بقعة من بقاع سطح الأرض ستتناسب مع وصول الدخان الي نفس تلك البقاع، ولذلك فإنني أعتقد -والله أعلم- بأن الله ﷻ سيؤيد هذا الرسول ببيئة كبرى تكون آية إنذارٍ كانشقاق القمر مثلاً حيث يراها العالم أجمع أو خسفٍ بالجيش الذي سيقبض على هذا الرسول فيسمع أو يرى هذا الخبر العالم أجمع عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، أو أي بيئة إنذار أخرى يسمع بها أو يراها أو يلمسها العالم أجمع، وتكون هذه البيئة هي دليل على أن هذا الشخص هو رسول من عند الله ﷻ وحتى يلتفت إلي كلامه وتحذيره كل الناس الذين سيصيبهم الدخان فيما بعد.

إن هذه البيئة لن تكون خاصة بالمسلمين فقط، فإذا ادعى أحد المسلمين بأنه هو الرسول المبين وأن البيئة التي لديه هي تفسير الحروف المقطعة أو تفسير الآيات المتشابهات أو تفسير سورة لم تكن مفهومة بالشكل الصحيح من قبل كما نفعل نحن الآن، فما شأن غير المسلمين بهذه البيئة؟ هل سيصدق شخص يهودي مثلاً بأن هناك رسولاً قد ظهر وأن آية صدقه هي تفسير الحروف المقطعة في القرآن الكريم...؟! بالطبع لا، فالبيئة التي ستكون مع هذا الرسول ستكون واضحة للعالم أجمع، وليست خاصة بمجموعة معينة من الناس، المسلمين مثلاً.

ولذلك فإن الله ﷻ وصف الرسول بأنه ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ١٣ لأنه سيتناسب مع وصف الدخان بأنه ﴿يَذْخَانٍ مُبِينٍ﴾ ١٤ الذي سـ ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٥، وبالتالي لا ينطبق هذا الوصف على أي شخص ادعى سابقاً بأنه المهدي أو سيدنا عيسى عليه السلام، وبالتالي فمن غير المنطقي أن يقول شخص ما بأنه رأى في المنام بأنه المهدي مثلاً وعلى هذا الأساس فإنه يندُر الناس بأنه هو النذير بآية الدخان فيصدق الناس وفي النهاية لا يحدث شيء، ثم يقول آخر أنه المهدي ورأى سيدنا الخضر مثلاً فيصدق الناس وينتظرون الدخان ولا يحدث شيء، حتى يظهر المهدي الحقيقي فلا يصدق أحد...!

فلو صدقنا كل شخص يقول بأنه المهدي بأي دليل يُقدّمه لنا فلا بد وأن يكون هذا الدليل معجزة كبرى حتى يتحقق وصف الله ﷻ له بأنه ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ١٣، فالله ﷻ لم يتركنا العوبة في أيدي الدجالين أو الموهومين، فقد أشار لنا الله ﷻ بأن هذا الرسول سيكون (مبيناً) أي (واضحاً) لديه (بيئة واضحة) تؤكد صدقه (كبيئة العصي والشعاب التي كانت مع سيدنا موسى على سبيل المثال) وذلك حتى يلتفت إليه أغلب الناس حول العالم، وتكون آيته



واضحَةٌ ومعجزةٌ سواءٌ كانت ملموسةً أو مسموعةً أو مرئيةً لعددٍ كبيرٍ جداً من سكان الكرة الأرضية حتى تتناسبَ هذه البينة مع حجم الكارثة التي سينذر بها الناس.

فهذا الرسول سيعلنها مثل ما أعلنها الرسل من قبله بأنه رسولٌ من عند الله ﷻ وأنه سيُطالِبنا بطاعة الله واتباع الشريعة الإسلامية، وإلا فسينزل بنا عذابُ الدخان، وسوف يؤيده الله ﷻ ببينةٍ تؤكد صدقه وتتناسب مع حجم رسالته، فهذا الرسول سيعلنها على الملأ وبمنتهى الثقة بأنه رسولُ الله دون الخوف من الاعتقال أو القتل أو اتهامه بالجنون إلخ الخ.

هل مصدرُ الدخان من الفضاء أم من الأرض..؟

قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾

من خلال هذه الآية ظنَّ أغلبُ المفسرين خطأً ولزمنٍ طويلٍ أنَّ مصدرَ الدخان في الآية الكريمة سيكون من السماء عن طريق جرم سماويٍّ أو من عالمٍ مجهولٍ خلف الشمس، وهذا احتمالٌ لا نستبعده؛ فمن الممكن أن يسقطَ مذنبٌ كبيرٌ على الأرض ويتصاعد بسببه من الأرض الغبار الذي يملأُ سماء الكرة الأرضية، ولكن دعنا نجتهد قليلاً ونضيف إلى هذا الخيار خيار انفجارٍ بركانيٍّ هائلٍ ينتج عنه دخانٌ مبينٌ يملأُ سماء الكرة الأرضية.

قال الطبراني في "المعجم الأوسط": حدثنا أحمد بن رشدين قال حدثنا زيد بن بشرٍ الحضرميُّ قال حدثنا بشر بن بكرٍ قال حدثني أمُّ عبد الله ابنةُ خالد بن معدان عن أبيها عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم عموداً أحمرَ قبَلَ المشرق في رمضان فادخروا طعام سنتكم فإنها سنةٌ جوع». لم يرو هذا الحديث عن أمِّ عبد الله ابنة خالد إلا بشر بن بكرٍ تفرد به زيد بن بشر (1).

العمودُ الأحمرُ في هذا الحديث من الممكن أن ينطبق وصفه مع الحمم البركانية التي تصعد إلى السماء عند انفجار بركانٍ، ومن الممكن أن ينطبق وصفه أيضاً على ما يُخلِّفه المذنب وراءه من نارٍ نتيجة احتكاكه بالغلاف الجوي أو اقترابه من الشمس.

إن فرضية أن تأتي السماء بدخانٍ مبينٍ بسبب مذنبٍ من الفضاء يشبه فرضية أن تأتي السماء بدخانٍ مبينٍ بسبب الدخان المنبعث من بركانٍ هائلٍ، فاذا انفجر بركانٌ هائلٌ في أقصى

الأرض وأنت تعيش في مكانٍ بعيدٍ تماماً عن موقع الانفجار؛ فبمجرد ان تصل السحابة البركانية الهائلة إلى بلدك أو مكانك فستنظر إلى السماء وتجد دخاناً هائلاً يغطي كل سماءك، وللوهلة الأولى ومنطقياً لن تصف ما تراه عينك لأي شخصٍ بأن الدخان قادمٌ من الأرض ولن تقول إن الأرض أتت بدخانٍ عظيم، ولكن من الطبيعي أن تصف الأمر بأن الدخان قادمٌ من السماء لا الأرض.. أليس كذلك...؟!

والدليل على ذلك أننا نجد أن الله ﷻ قال: ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ أي أن سماء الكرة الأرضية هي حاملٌ وموصلٌ للدخان، وليس شرطاً أن يأتي الدخان من الفضاء الخارجي، قال تعالى:

1- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: 65].

2- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَزَنِينَ﴾ [الحجر: 22].

3- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 32].

4- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17].

5- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس: 24].

فقياساً على هذه الآيات نجد أن الماء يُنزل من سماء الكرة الأرضية بالرغم من خروجه من البحار والمحيطات، ثم تسوقه الرياح في السماء ومنها تسقط الأمطار.

وهو نفس قياس قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ حيث من الممكن خروج الدخان من فوهة بركانٍ ثم تسوقه الرياح في السماء الى أماكنٍ مختلفةٍ في العالم.

فظاهرة حدوث المطر عبارة عن تبخر مياه البحار والمحيطات وتشكل الغيوم من خلالها وتعود الرياح وتحمل تلك الغيوم المشبعة بالماء وينزل المطر، أي أن الماء المنزل من السماء مصدره الأرض.

نعم السماء تأتي بالمطر ولكن المصدر هو الأرض، ونعم ستأتي السماء بدخانٍ مبينٍ ولكن مصدره سيكون الأرض لا من السماء، ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان].

ولذلك فإننا سنشرح فيما يلي احتمالين لحدوث الدخان المبين، فإما أن يحدث الدخان بسبب مذئِبٍ من السماء، أو أن يحدث الدخان بسبب انفجارٍ بركانيٍّ هائلٍ من الأرض، مع العلم أن احتمال حدوث الفرضيتين الواحد تلو الآخر احتمالٌ واردٌ أيضاً، فمن المعلوم أن أيَّ مذئِبٍ ضخيمٍ لو اقترب من الأرض بصورةٍ قريبةٍ جداً سيسبب ضغطاً شديداً على جوف الأرض وصهارتها الداخلية بسبب جاذبيته مما يُحفِّز البراكين على الثوران بشكلٍ غيرٍ معهودٍ، فكيف بأكبر فوهةٍ بركانيٍّ في العالم مثل فوهةٍ بركانيٍّ (يولستون) الكفيلة بتغطية كلِّ العالم بالدخان.

المذئِبُ الطَّارِقُ

إنَّ ظهورَ الطَّارِقِ النَّجْمِ الثَّاقِبِ أو الكَوْكَبِ ذِي الذَّنْبِ أو الذي سمَّيته في هذا الكتاب بالمذئِبِ الطَّارِقِ هي إحدى العلامات التي تشير إلى اقتراب آية الدخان والدجال، ففي الحديث الذي أورده الحاكم في مستدركه بسنده عن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رحمهما الله ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: "مَا نِمْتُ الْبَارِحَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ"، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: "قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنْبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدَّجَالُ قَدْ طَرَقَ". قال الحاكم حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، وفي روايةٍ أخرى قد أورد أن جرير وابن أبي حاتم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: "مَا نِمْتُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ"، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: "قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنْبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ قَدْ طَرَقَ، فَمَا نِمْتُ حَتَّى أَصْبَحْتُ". قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباسٍ حَبْرٍ وترجمان القرآن.

ويمكن الجمعُ من هذه الرواية والرواية الأخرى التي رواها الحاكم في مستدركه عن ابن عباسٍ برواية ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، والذي أشار إلى أن طلوعَ الكوكبِ ذي الذنبِ علامةٌ لخروج الدجال، بأنَّ الدخان قد ينسبهم خروجَ الدجال، وأنَّ طلوعَ الكوكبِ ذي الذنبِ علامةٌ لهاتين العلامتين اللتين هما من العلامات العشر الكبرى التي وردت الأحاديث الصحيحة بوقوعها، وأنها إذا وقعت واحدة منها تتابعت مثل الخرز.

والمعلومُ هنا أنَّ المراد بالكوكبِ أو النجم في كتب الأولين أنه أيُّ جسمٍ يلمعُ في السماء، وقد ورد بسندٍ ضعيفٍ رواياتٌ تتحدث عن ذاتِ النجم ذي الذنبِ فعنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: "يَطْلُعُ نَجْمٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَبْلَ خُرُوجِ الْمُهْدِيِّ، لَهُ ذَنَابٌ". أخرجه نعيم بن

حماد واسناده ضعيف.

قال الطبراني في "المعجم الأوسط": حدثنا أحمد بن رشدين قال حدثنا زيد بن بشر الحضرمي قال حدثنا بشر بن بكر قال حدثني أم عبد الله ابنة خالد بن معدان عن أبيها عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم عموداً أحمر قبل المشرق في رمضان فادخروا طعام سنتكم فإنها سنة جوع». لم يرو هذا الحديث عن أم عبد الله ابنة خالد إلا بشر بن بكر تفرد به زيد بن بشر (1).

ومن كتاب الفتن لنعيم بن حماد عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: "إني لانتظر ليلة الحدّثان في رمضان منذ سبعين سنة"، قال عبد الرحمن بن جبير: "علامة تكون في السماء، يكون اختلاف بين الناس، فإن أدركتها فأكثّر من الطعام ما استطعت".

ومن كتاب الفتن لنعيم بن حماد عن كثير بن مرة، قال: "آية الحدّثان في رمضان، والهيش في شوال، والنزائل في ذي القعدة، والمعمعة في ذي الحجة، وآية ذلك عمود ساطع في السماء من نور".

ومن كتاب الفتن لنعيم بن حماد عن ابن مسعود، قال: "تكون علامة في صفر، ويبدأ نجم له ذناب".

إن هذه المجموعة من الآثار وردت عن صحابة أو تابعين، ولست بصدد تحكيمها هنا، لكن أقول هنا: أن هذه الفكرة لم تأت من فراغ خاصة بهذه الأوصاف الغريبة المطروحة في هذه الآثار، وهذه الآثار بمجملها تحمل الزيادة والنقصان أو أن يكون هناك تبديل وتغيير في بعض مدلولاتها؛ لذا أنا أتعامل معها بمجموعها كفكرة مطروحة في الرعيّل الأول تدور في فلكها، ليس فقط هذه الآثار بل هناك عشرات الآثار تحمل نفس الدلالات بما يوحى بقوة أن هذه الفكرة كانت حية واضحة المعالم في الرعيّل الأول، ولم يصلنا منها إلا القليل الكافي بإذن الله، وتتلخص الدلالات في هذه الآثار فيما يلي:

1- عمود من نار من جهة المشرق وعلامة في السماء، وهذا المعنى يتوافق تماماً مع فكرة الكوكب ذي الذنب؛ حيث إن النواة أو الرأس والذيل البلازمي يكون فيه توهج ناري أحمر كأنه نار، وهنا الفكرتان توافقتا.

1 تحقيق الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم: 514 في ضعيف الجامع

2- السياق يشير إلى أنَّ بعض التابعين كان يتعامل مع هذه الآية بجديّة عاليةٍ وأسماها آيةَ الحدثان، وكان ينتظرها من سبعين سنة، وهذا يشير إلى عظمة الحدث في تصوّر الأولين، فهو ليس أمراً هيناً، بل هو أمرٌ محوريٌّ فيصُلُّ عظيمٌ جداً، وهذا يتوافق مع ذاتِ التصورات العلمية عن نتائج مرور هذا المذنب بالقرب من الأرض.

3- نلاحظ من الآثار أنَّ الحدث لن يكون مفاجئاً، بل يبدأ بشكلٍ تدريجيٍّ؛ لذا بداية دخول المذنب في مرحلة الرؤية العيانية والتي تمتدُّ لثلاثة أشهر قد تعطي فرصةً للبعض للإعداد له؛ لذا نلاحظ في الآثار الربط بين عمود النار والإعداد والتخزين للطعام لمدة عام، ممَّا يشير إلى أنَّ هناك مساحةً من الوقت بين بداية الأمر ونقطة الصفر، هنا الآثار تتوافق مع طبيعة المذنب ذي الذنب والمساحة الزمانية بين رؤيته وآثاره الكبرى.

4- نلاحظ من الآثار السابقة وغيرها من الآثار أنها ذكرت لذات الحدث أشهراً مغايرةً، بما يوحي بالاضطراب في الروايات، فبعضها ربطه بـ(صَفَر) وبعضها بـ(جمادى) الأولى والآخرة وبعضها بـ(رجب) وبعضها في (رمضان) هذا الاضطراب يمكن تصوُّره لو كان الحدث عادياً، لكن مع حدث كهذا ووفق ما طرحته من توصيف له أنه يستمر لأشهر من بداية رؤيته حتى نقطة الصفر، ثم في انطلاقه الجديد في مداره، فوق هذا التوصيف للحدث تكون الروايات هنا قد نقلت الحدث بكامل تفاصيله، هذا مع جعل مساحة للخطأ والاضطراب فيها طبيعياً، خاصةً في تحديد الشهور، لكنها بمجموعها تتحدث عن حدث له امتدادٌ زمنيٌّ قرابة الستة أشهر، وكلُّ روايةٍ تحدثت عن حدث متعلق به، وهنا أنقل الرواية الأخيرة لكي نفهم المراد، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "تَكُونُ عَلَامةً فِي صَفَرٍ، وَيَبْتَدَأُ نَجْمٌ لَهُ ذَنَابٌ" هنا الرواية تحدثت عن بداية الحدث؛ لذا العلامة أوَّل إشاراتٍ قد تكون في صَفَرٍ ونضع احتمالاً للخطأ في الأشهر في الرواية حيث جاءت الرواية بإشارةٍ عجيبةٍ، وهي يبتدأ نجم له ذنبٌ، إذا هذه الرواية تتحدث عن بداية الأمر، وبداية انتباهنا له، أما الروايات الأخرى فتبرز آثاره.

5- نلاحظ أيضاً أنَّ بعض الروايات ربطت بين الصوت والهدّة مع الحدث، وسياق الآثار كلّها يشير إلى أنَّ حجراً عظيماً في الفضاء سيقترّب من الأرض وسيُنتج عنه صيحةٌ وهدة.

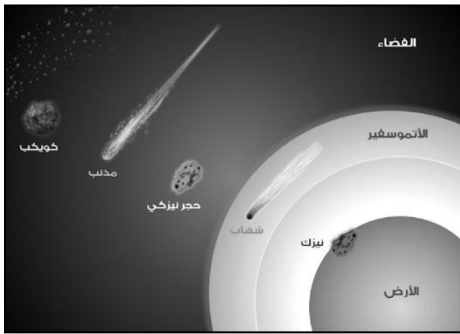
كلُّ هذه الدلائل ترشدنا إلى ما يسمّى في القرآن بأنه الطارق الذي أشار إليه ابن عباسٍ

هذه في الحديث وأشار إلى أنَّ هذا الجرم السماويَّ (قَدْ طَرَقَ) أي أنه طارَقَ نجمٌ ثاقبٌ كما هو موصوفٌ في القرآن الكريم في سورة الطارق، فعن ابنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ههنا ههنا دَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: "مَا نَمْتُ الْبَارِحَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ"، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: "قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنْبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدَّجَالُ قَدْ طَرَقَ". إذا الحديث يشير إلى مذنبٍ، وفيه خشية ابن عباس من هذا الطارق بقوله فخشيت أن يكون الدخانُ قد طرق، ففي هذا الحديث إشارة تربط بين الطارق وبين النجم ذي الذنب وبين آية الدخان. فهل يكون هذا المذنب هو الطارق المذكور في سورة الطارق؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣ ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويًا ١٧﴾ [سورة الطارق].

إن هذه السورة تدعونا للتدبر بكل ما فيها من آيات ودلالات مختلفة، فهذه السورة أعتقد بأنها متعلقة بسورة الدخان وسورة القمر، وبها من الآيات التي تصف لنا هذا الحدث الكبير الذي سيؤثر على شكل الحياة على كوكب الأرض.



التسمية العلمية للنجم ذو الذنب

كثُرَ الجدلُ حولَ الشهبِ والنيازكِ والمذنباتِ، وتباينت الآراءُ حولها من حيث أصلها وكيف تكونت وهل جميعها متشابهة من حيث التكوين وهل هي مختلفة من ناحية التسمية؟ وهل يوجد فرقٌ بينهم؟

أولاً: الشهبُ:

الشهبُ: مفردُها شهابٌ وهي عبارة عن أضواء تتكون عندما تصطدم النيازكُ بالغلافِ الجويِّ لكوكبِ الأرضِ، وبالطبع نظراً لقوة الجاذبية الأرضية وبالذات عند دخولها الغلافِ الجويِّ تتسارعُ سرعةُ الشهبِ مما يؤدي إلى احتراقها في طبقة الأتوموسفير بالغلافِ الجويِّ بفعل

باكورة الحياة. أما بالنسبة للأضرار فلا تشكّل النيازك أضراراً كبيرةً مثل ما تشكله المذنبات، وعادةً ما تسقط هذه النيازك في المناطق النائية في الكرة الأرضية، إلا أنه إذا سقط مذنبٌ كبير على الأرض فسينتج عنه أضرار كبيرة جداً مثلما حدث قبل ملايين السنين عندما أنهى حياة الديناصورات فتلك هي الأضرار التي قد يخلفها ورائه المذنب⁽¹⁾.



إذاً قد تبين لنا الاختلاف والفرق الشاسع بين الشهب والنيازك والمذنبات ومن هنا يتضح لنا أنّ الأوصاف التي ذكرت في الأحاديث والآثار التي تقول نَجْمٌ لَهُ ذَنَابٌ أَوْ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنْبِ أَوْ النَجْمُ الثَّاقِب تنطبق على اسم المذنب بتسميتهما في زماننا الحالي وهو الذي يسبب دمار هائل.

ثلاث فرضيات علمية ستسبب الدخان؛

إنّ أغلب الأحاديث النبوية تربط بين ظهور مذنبٍ من السماء وبين حدوث هذه وصيحةٍ ورجفةٍ ثم انتشارٍ للدخان، ومن خلال دراستي المتواضعة عن هذا الحدث وجدتُ أنّ هناك ثلاث احتمالاتٍ علمية لحدوث الدخانِ ألخصّها فيما يلي:

الفرضية العلمية الأولى: مرور مذنبٍ كبيرٍ جداً بالقرب من الأرض مما يؤثرُ على باطن الكرة الأرضية؛ فيسببُ انفجاراً بركانٍ هائلٍ، ومن ثمّ ينتشر الدخانُ في سماء الكرة الأرضية. كما سيؤثر أيضاً في اتجاه دوران الأرض في الاتجاه المعاكس بعد فترة من الزمن.

الفرضية العلمية الثانية: سقوط مذنبٍ على الأرض ومن ثمّ سيتسبب في انتشار الأتربة والدخان في سماء الكرة الأرضية، بشرط أن لا يكون حجمُ هذا المذنب كبيراً جداً؛ فيسببُ فناء الجنس البشري، وبالتالي لا يعاصر البشر باقي أشرار الساعة، فلا بد وان يكون تأثير سقوط هذا المذنب متوسط التأثير نسبياً بحيث يسمح باستمرار الحياة على سطح الكرة الأرضية. ولكن من وجهة نظري فإن احتمال وقوع هذه الفرضية هو احتمال ضعيف، لأنّ

1 الشهب والنيازك والمذنبات. المصادر: برنامج الكون لنيل ديغراس تايسون. التدقيق اللغوي: أ. السيد عبد الله كامل القرشي

المذنب الذي أنهى حياة الديناصورات لم يتسبب في تغيير اتجاه دوران الكرة الأرضية في الاتجاه المعاكس.

الفرضية العلمية الثالثة: هو اصطدام مذنب كبير الحجم بالقمر مما يؤدي الى انشقاقه فيتأثر باطن الكرة الأرضية بهذا الانشقاق مما سيؤدي إلى انفجار بركان هائل ومن ثم سينتشر الدخان في سماء الكرة الأرضية، ثم بعد ذلك سيبعد القمر عن الأرض بصورة تدريجية نتيجة الاصطدام والانشقاق حتى ينفصل عن جاذبية الأرض فيتجه باتجاه الشمس في نهاية المطاف، فلا يرى القمر بالعين المجردة من الأرض، ثم يتلعه الشمس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة]⁽¹⁾، وهذه الفرضية التي أميل لها لأن تأثيرها يشمل جميع أشرار الساعة التالية لها، ولكنني سأعرض فيما يلي باقي الفرضيات العلمية.

فرضية سقوط مذنب على الأرض واحداث الدخان

إن علاقة الكوكب ذي الذنب أو النجم ذي الذنب أو المذنب الطارق بالدخان واضحة، فنزول مذنب كبير الحجم كفيل بإحداث غبار كثيف يغطي السماء كاملة، ويذهب معها نور الشمس، وقرب المذنب أيضاً كفيل بالضغط على الأرض بما يفجر كثيراً من البراكين التي تقذف ملايين الأطنان من الغبار في الغلاف الجوي، إضافة للغبار الموجود في ذيل الكوكب.

وإذا أردنا إجراء تقييم واقعي لخطر الاصطدامات المستقبلية على حضارتنا في الكرة الأرضية، فلنا أن نتوقع أن يظل الوضع على ما هو عليه إلى أن يسقط على الأرض جرم سماوي قطره 50 متراً فمن المحتمل أن يدمر مدينة كبيرة بأكملها، في حين أنه لو سقط على الأرض جرم سماوي قطره نصف كيلومتر من شأنه أن يدمر دولة صغيرة، أما لو سقط على الأرض جرم سماوي قطره كيلومتر واحد من شأنه أن يؤثر على العالم أجمع، مثل ذلك الاصطدام الذي وقع بين الأرض وجرم سماوي قطره عشرة كيلومترات، والذي أنهى عهد الديناصورات قبل 65 مليون سنة.

ويمكننا القول أنه كلما كبر حجم الجرم الذي سيصطدم بالأرض كان أشد تدميراً،

1 أنظر لماذا انشقاق القمر أول علامات الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر

وكانت آثاره أوسع نطاقاً، أكرر أنَّ جرماً كونياً يتراوح قطره بين 50 و 100 متراً من شأنه أن يحمل قوةً تدميريةً تكفي لإبادة مدينة كبرى أو دولةً أوروبيةً صغيرةً أو ولايةً أمريكيةً، ومستوى الدمارِ المصاحب لذلك ومداه يزدادان باطرادٍ مع ازدياد حجم الجرم الذي سيصطدم بالأرض إلى أن يصل الأمر إلى الحدِّ الحرج حين يصير قطره كيلومترين، بالإضافة إلى التسبب في الدمارِ المروع على نطاقٍ إقليميٍّ أو شبه قاريٍّ، فإنَّ وصولَ جرمٍ كونيٍّ بهذا الحجم من شأنه أن يؤثرَ على كوكب الأرض بأسره عن طريق توليد فترةٍ صقيعٍ ونقصٍ في نموِّ النبات؛ فإذا كان قطرُ الجُرمِ الذي سيصطدم بالأرض يفوق كيلومترين، فإنَّ تبعات اصطدامه على النظم البيئية للكوكب تشدّد تدريجياً إلى أن يحدث الانقراضُ الشامل فيمحو نسبةً كبيرةً من جميع أنواع الكائنات الحية.

أما الجرم الكونيُّ الذي يبلغ قطره 10 كيلومترات، فله تأثير هائل ومثال ذلك المذنب الذي ضرب الأرض قبالة الساحل المكسيكي في نهاية العصر الطباشيريِّ قبل خمسة وستين مليون سنة؛ حيث اصطدم كويكبٌ أو مذنبٌ قطره 10 كيلومترات بالمياه فغيَّر وجه العالم إلى الأبد في غضون أجزاءٍ من الثانية، حيث أطلق انفجاراً لا يمكن تصوُّره قدرًا من الطاقة يعادل ما تطلقه ملياراتٌ من قنابل هيروشيما إذا انفجرت في آنٍ واحد، ونشأت عنه كرةٌ ناريةٌ عملاقةٌ أكثر سخونةً من الشمس بحُرَّت المحيط وتترك في قشرة الأرض فوهةً قطرها 180 كيلومتراً، انطلقت موجاتُ الصدمة صعوداً لتمزق الغلاف الجويَّ وتطلق أكثر من مائة تريليون طنًّا من الصخور المنصهرة في الفضاء، التي سقطت بعدها على الأرض. وفي لمح البصر سُوِّيت مساحةٌ تفوق مساحةً أوروبا بالأرض، وأُبيدَ كلُّ ما عليها من أشكال الحياة، في حين هزت الزلازل الضخمة أرجاء الكوكب، وقد أطلق الغلافُ الجويُّ أصوات انفجاراتٍ مدويةً تزامناً مع قيام أعاصيرٍ عملاقةٍ (تفوق في قوتها أعتى الأعاصير بمقدار خمس مرات)، مصحوبةً بمواج تسونامي عاتيةً ضربت سواحل على بُعد عدة آلافٍ من الكيلومترات.

لم يكن الأسوأ قد حدث بعد، فعندما بدأت الصخورُ التي قُدِّف بها في الفضاء بقوةٍ خارقةٍ تعود لتنهمر على جميع أنحاء الكوكب، تسببت الحرارةُ المتولدة عن عودة تلك الصخور إلى الغلاف الجويِّ في توهُّج السطح وشواء الحيوانات حيةً وكأنها وُضعت في أحد الأفران، واندلعت حرائقٌ كبيرةٌ دمرت غابات العالم ومراعيه، وحوَّلت ربع الموارد المعيشية إلى رمادٍ، حتى عندما استقر الغلافُ الجويُّ والمحيطاتُ، وتوقفت قشرة الأرض عن

الاهتزاز، وتوقف قصفُ الحطامِ من الفضاء، لم تكن النهايةُ قد حانت بعد؛ ففي الأسابيع التالية، حجب الدخانُ والغبار الموجودان في الغلاف الجويّ الشمسَ لتتخفَضَ درجاتُ الحرارة بنسبةٍ تصل إلى 15 درجةً مئويةً، وفي ظل الظلام المتزايد والبرد القارس قلَّت الحياة النباتية، بينما تضررت الديناصوراتُ الباقيةُ التي تقنَّت بالعشب جوعاً، ولم تكن الحياة في المحيطات أفضلَ حالاً؛ إذ امتلأت المحيطات بالسموم الناجمة عن حرائق الغابات العالمية والمطر الحمضيّ الناتج عن الكميات الهائلة من الكبريت التي تُضخ في الغلاف الجويّ من الصخور في موقع الاصطدام، فانقرضت ثلاثة أرباع الحياة البحرية، وبعد سنواتٍ من الصقيع، انقشعت في نهاية المطاف العتمةُ التي تلت اصطدام مذنب تشيكسولوب (كما أُطلق عليه) لتكشف عن شمسٍ حارقةٍ من بين فتحاتٍ في طبقة الأوزون الممزقة بسبب التفاعل الكيميائيّ لأكاسيد النيتروز المتكونة داخل الكرة النارية التي نتجت عن الاصطدام؛ وهكذا حلَّ (ربيع فوق بنفسجيّ) في أعقاب شتاءٍ كونيٍّ فأحرق الكثير مما تبقى من الكائنات الحية التي كانت تصارع من أجل البقاء على قيد الحياة، كان اختلال التوازن الطبيعي للأرض هائلاً؛ إذ يقول البعض إنَّ الأرض بعد اصطدام مذنب (تشيكسولوب) ربما تكون قد استغرقت مئات الآلاف من السنين للعودة إلى وضعها الطبيعيّ..! وعندما حدث ذلك كان عصر الديناصورات قد انتهى.

إن سقوط مذنب كبيرٍ بمثل هذه السرعة والحجم يحقق هدةً قويةً في الأرض وصوتاً وتفرغاً هوائياً ضخماً جداً، والأمر نسبي يتعلق بحجم المذنب وسرعته، ولكننا هنا نستبعد احتمالية سقوط مذنب كبير جداً بحجم 10 كيلومتر لأنَّه بذلك سيُنهي الوجودَ البشريَّ بصورةٍ سريعةٍ وتامةٍ من على سطح الكرة الأرضية، ولكن من الممكن أن يكون حجم المذنب أقلَّ من 10 كيلومتر بحيث يسمح ببقاء الحياة على كوكب الأرض لفترةٍ قليلةٍ من الزمن بحيث يشهد جزءٌ من البشر علامات الساعة الكبرى التي تم ذكرها في الكتاب والسنة.

هذا ينقلنا للآثار والاحاديث التي تربط بين الصوت والهدّة، وهي آثارٌ ضعيفةٌ، حتى لو حسنَ البعض أحدها إلا أنني سأنظر إليها إلى أنها كلّها آثارٌ ضعيفة، لكن يستوقفني سؤالٌ مهمٌّ جداً وهو أنه بالرغم من ضعفها إلا أنها فكرةٌ غريبةٌ على المسلمين، فمن أين أتت لهم هذه المعلومة حتى تداولتها الألسنُ والكتب، فالآثارُ وإن كانت ضعيفةً إلا أنها بمجموعها تشير إلى حدثٍ ما كان في الذاكرة وتناقلته الألسن، وهذا الحدثُ غريبٌ عن السياق العام للذاكرة

الإسلامية، مما يشير إلى أنَّ أصلَ الفكرة المتداولةِ صحيحٌ، لكن طريقة التعامل معها قد تعثر بها بعضُ الزيادات في التفاصيل.

إنَّ سياقَ الفكرة المطروحة في الآثار تربط بين هدَّةٍ وبين صوت، ويترتب عليه موتٌ عظيم، وهذا الصوت يسمعه الجميع، هنا اختلط الأمر بين الهدَّة، لذا أوَّدُّ هنا أن أذكرَ بعضَ هذه الآثار وأعقَّبَ عليها:

1- عن شهر بن حوشبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكونُ في رمضانَ صوتٌ، وفي شوالٍ معمةٌ، وفي ذي القعدة تحاربُ القبائلُ، وعلامته ينهب الحاج، وتكون ملحمةٌ بمنى، يكثر فيها القتلى، وتسيل فيها الدماء حتى تسيلَ دماؤهم على الجمرة، حتى يهرب صاحبُهم، فيؤتى بين الركنِ والمقام، فيبايعُ وهو كاره، ويقال له: إن أبيت ضربنا عنقك، يرضى به ساكنُ السماء وساكنُ الأرض»⁽¹⁾.

2- وعن أبي هريرة ؓ أحسبه رفعه، قال: "يُسمع في شهرِ رمضانَ صوتٌ من السماء، وفي شوالٍ همهمةٌ، وفي ذي القعدة تحزب القبائلُ، وفي ذي الحجة يسلب الحاجُّ، وفي المحرم الفرج" ⁽²⁾.

3- وعن شهر بن حوشبٍ، قال: "كان يقال: في شهرِ رمضانَ صوتٌ، وفي شوالٍ همهمة، وفي ذي القعدة تميز القبائلُ، وفي ذي الحجة تُسفكُ الدماء، ويُنهب الحاجُّ في المحرم، قيل له وما الصوت..؟ قال: هادٍ من السماء يُوقظُ النائم، ويُفزعُ اليقظان، ويخرج الفتاة من خدرها، ويسمع الناس كلُّهم، فلا يجيئ رجلٌ من أفق من الآفاق إلا حدث أنه سمعه" ⁽³⁾.

4- وعن كعب الأحمري ؓ قال: "تكون في رمضان هدَّةٌ توقظ النائم، وتُفزع اليقظان، وفي شوالٍ مهممة، وفي ذي القعدة المعمة، وفي ذي الحجة يُسلب الحاجُّ، والعجب كلُّ العجب، بين جمادى ورجب" ⁽⁴⁾.

5- وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «تكونُ هدَّةٌ في شهر رمضانَ، توقظ النائم، وتفزع

1 أخرجه الإمام أبو عمرو الداني، في سننه. [عقد الدرر (168)]

2 [عقد الدرر (168)]

3 أخرجه الإمام أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي، في كتاب الملاحم. [عقد الدرر (169)]

4 [عقد الدرر (172)]

اليقظان، ثم تظهر عصابةً في شوال، ثم معمعةٌ في ذي الحجة، ثم تُهتك المحارمُ في المحرم، ثم يكون موتٌ في صفر، ثم تنازع القبائل في ربيع، ثم العجب كلُّ العجب بين جمادى ورجب، ثم نافقةٌ مقتبةٌ خير من دسكرة تغل مائة ألف»⁽¹⁾.

إنَّ هذه المجموعة من الآثار نلحظ فيها توقيتاً للأحداث من رمضان إلى رجب السنة التي بعده، وموضوعُ التوقيت لا يعنيني كثيراً هنا، لكنَّ المهمَّ أنَّ الآثار هنا تربط بين هدَّةٍ وصوتٍ، والصوت ملاً الآفاق، ثم تشير النصوصُ إلى تغيُّر الحال بعد الصوت أو الهدَّة، وسرعةً ربطها ببيعة المهدي.

وعن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: "انظروا الفرجَ في ثلاث"، قلنا: يا أمير المؤمنين، وما هي..؟ قال: "اختلافُ أهلِ الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والقرعة في شهر رمضان". ف قيل: وما القرعة في شهر رمضان..؟ قال: "أوما سمعتم قول الله ﷻ في القرآن: ﴿إِنْ دَشَأْ نُتْرِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء]، وهي آيةٌ تُخرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان"⁽²⁾.

نلحظ أنَّ هذا الأثر يسير بذات السياق والفكرة، لكنَّ الإمام عليّاً عليه السلام يربط بين الحدث وبين الآية القرآنية الرابعة في سورة الشعراء، فالآية صريحةٌ في إمكانية نزول آية تظلُّ أعناقُ الناس لها خاضعةً وناظرةً إلى السماء.

وعن أبي جعفر محمد بن عليٍّ أنه قال: "إذا رأيتم ناراً من المشرق، ثلاثة أيامٍ أو سبعةً، فتوقعوا فرجَ آلِ محمدٍ، إن شاء الله تعالى - ثم قال: ينادي منادٍ من السماء باسم المهدي، فيسمع من المشرق ومن المغرب، حتى لا يبقى راقداً إلا استيقظ، ولا قائماً إلا قعد، ولا قاعداً إلا قام على رجله، فزعاً من ذلك، فرحم الله عبداً سمع ذلك الصوت فأجاب؛ فإنَّ الصوت الأول هو صوتُ جبريل الروح الأمين، عليه السلام"⁽³⁾.

وعن كعب قال: "إنَّه يطلعُ نجمٌ من المشرق، قبل خروجِ المهدي، له ذنبٌ يضيءُ"⁽⁴⁾. نلحظ أنَّ الآثار ما زالت في ذات السياق وهي تتوافق مع الأثر الصحيح عن عبد الله بن

1 أخرجه الحافظ الإمام أبو عبد الله الحاكم، في مستدركه. [عقد الدرر (172)]

2 [عقد الدرر (169)]

3 [عقد الدرر (171)]

4 [عقد الدرر (175)]

عبّاس عليه السلام، قال: "لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية" (1).

إذاً النصوص بمجموعها تعطينا فكرة متكاملة لبداية الحدث، لكن رواية محمد بن عليّ ربطت بين الصوت وبين صيحة جبريل عليه السلام، وهذا يُذكرنا بالمهمة الملائكية الخاصة (النذارة والبشارة) وجاءت نصوص كثيرة تُرشد إليها في ذات السياق، منها عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال: "إذا نادى مناد من السماء، إنَّ الحقَّ في آل محمدٍ، فعند ذلك يظهر المهدي" قال الزهري: وقالت أسماء بنتُ عميسٍ: "إنَّ أمارَةَ ذلك اليوم، أنَّ كفّاً من السماء مدّلاً، ينظر إليها الناس" (2).

ربما تكون هذه الآثار كلّها سرّ وصية النبي ﷺ ادخلوا بيوتكم واغلقوا ابوابكم بإحكام وسدّوا كواكم أي نوافذكم ودثّروا أنفسكم، وإذا أصبح الاحساس بالكارثة متيقّناً سجدوا وسبحوا لله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام، ووصفه سيّدنا وحبيّبنا المصطفى ﷺ ابلغ وصفٍ (الهدّة الصيحة- الرجفة) وهي وبألّ وعذابٌ على الكافرين ورحمةٌ للمؤمنين، فهي تثبيتٌ لهم وزيادةٌ في هداهم وهي تحقيقٌ لمعجزة النبي ﷺ، وربما -والله اعلم- تكون سبباً لحدوث التغيّر البيئي الذي يؤدي إلى أن تعود أرض العربِ مُروجاً وأنهاراً بحسبِ بشارَةِ النبي ﷺ، وقد تكون سبباً طويلاً الأمد -والله اعلم- في أن تؤدي في يومٍ من الايام إلى طلوع الشمس من مغربها.

فرضية حدوث الدخان بسبب بركان هائل؛

تختلف تقديرات عدد البراكين النشطة على سطح الكرة الأرضية، ولكن عددها لا يقل عن 1500 بركاناً وربما يزيد عن 3000 بركاناً، في كلّ عام يثور نحو 50 بركاناً بعضها (مثل بركان كيلوا في هاواي أو بركان سترومبولي في إيطاليا) يكاد يكون نشطاً باستمرار، ومع ذلك فهناك براكين أخرى هائلة هامة منذ قرونٍ أو في بعض الحالات منذ آلاف السنين، وهذا النوع من البراكين الخاملة الهائلة منذ آلاف السنين هو الأكثر تدميراً!! وتحدث أعنف البراكين عند حدود الصفائح الهادمة؛ حيث تبعد إحدى الصفيحتين الأخرى.

ونادراً ما يُسفر ثوران هذه البراكين الهائلة عن تدفقات هائلة من الحمم البركانية الحمراء، بل تطلق في الأغلب أعمدة هائلة من الرماد والحطام إلى مسافة تبلغ 20 كيلومتراً أو

1 أخرجه الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي [عقد الدرر (170)]

2 [عقد الدرر (170)]

أكثر داخل الغلاف الجوي، والدخانُ أو بما نطلق عليه علمياً الرماد البركانيّ هو الذي تحمله الرياحُ فوق مناطق شاسعةٍ يمكن أن يكونَ مدمراً للغاية؛ إذ يعيق حركةَ السفر، ويتلف المحاصيل الزراعية، ويسمّم الثروة الحيوانية، ويلوث موارد المياه، إنّ سقوط طبقةٍ سُمكها 30 سنتيمتراً أو نحو ذلك من الرماد الرطب يكفي لانهيار السقوف، في حين أنّ العنصر الدقيقَ المكوّن للرماد الجافّ قد يسبب مشكلاتٍ في التنفس، ويصيب بأمراضٍ مثل السُّحار السيليسي⁽¹⁾. قد يصل عمقُ الرمادِ المتراكم على مقربةٍ من أحد البراكين الثائرة إلى عدة أمتار، وهو ما يكفي لدفن مبانٍ من طابق واحد.

جديرٌ بالذكر أنّ المقذوفات البركانية أكثرُ ترويعاً وتدميراً من التدفقات الطينية البركانية، وهذه المقذوفات التي تضارع قوّتها قوّة الأعاصير والتي تتكون من غازٍ متوهّجٍ وشظايا حمٍ منصهرةٍ وكتلٍ صخريةٍ قد يساوي حجمُها أحياناً حجمَ بيتٍ كاملٍ، لديها القدرةُ على أن تحوّل أيّ شيءٍ في طريقها.

في عام 1902، وفي أسوأ كارثةٍ بركانيةٍ شهدها القرنُ العشرون، تدفقت المقذوفاتُ البركانيةُ من بركان (مونت بيليه) في جزيرة (مارتينيك) بالبحر (الكاريبي) لتبيدَ بلدةً (سانت بيير) وكأنها ضُربت بقنبلةٍ نوويةٍ؛ ففي غضون بضع دقائق لم ينبُج من سكانِ البلدة البالغ عددهم 29 ألف نسمة تقريباً سوى أربعة ناجين فقط.

ولا يتوقف خطرُ البراكين عند هذا الحد؛ فسقوط كتلِ الصخور المنهارة من جوانب تلك البراكين قد تُسفر عن حدوث موجاتٍ (تسونامي) هائلة، في حين أنّه بإمكان الأبخرة السامة أن تقتلَ آلاف البشر والحيوانات.

إنّ أكبرَ خطرٍ يخيف العالمَ هو ما يثار حول سيناريو ارتطام أجرامٍ سماويةٍ أو كويكباتٍ بكوكب الأرض ومن ثمّ ينشأ عنه تدميرُ الحياة على الأرض، ولكن على ما يبدو هناك خطرٌ

1 سُحَارٌ سِيلِيسِيّ (بالإنجليزية: Silicosis) هو مرض رئوي مهني يسببه استنشاق جسيمات غبار ثنائي أكسيد السيليكون-السليكات والمرو والغسطر (حجر من السيليكون) والأردواز التي تؤدي إلى التهاب وتكوين عقيدات من النسيج الندبي في الفُصُوص العليا للرئة. وتراكم هذا النسيج يحد من أداء الرئتين وظيفتهما على نحو خطر. ويعتبر مرض السحار السيليسي المرض المهني الأكثر شيوعاً في العالم. وهو نوع من امراض السُّحار أو تغبّر الرئة. والمعرضون لخطر هذا الداء هم عمال المحاجر والبناءؤون بالحجر المنقوش وعمال مناجم الفحم وغيرهم. وقد لا تظهر في المصاب أعراض مرضية كضيق التنفس على مدى عدة سنوات لكن المرض قد يؤدي في النهاية إلى سرطان الرئة، بخاصة إذا كان المصاب من المدخنين.

آخر أكبر وأشدّ ضرراً وهو انفجارُ بركانٍ هائلٍ خامدٍ منذ قرون، فنقلًا عن صحيفة (الدائلي ستار) البريطانية أنّ وكالةَ بحوثِ الفضاءِ الأميركية (ناسا) نبهت على أنّ هناك خطرًا محققًا يهدد البشرية أكثر من أيّ وقتٍ مضى، وهو المرتبطُ بسيناريو حدوثِ انفجارٍ بركانيٍّ هائلٍ قد يكون سبباً في القضاء على حياة البشر على سطح الأرض..!

والخطيرُ في الموضوع هو توصُّلُ (ناسا) في دراسةٍ أجرتها حولَ هذا الأمر إلى أنّ احتمالَ إبادةِ البشر بانفجارٍ بركانيٍّ يُقدر في الواقع بضعفِ احتمالِ ارتطامِ جرمٍ سماويٍّ بالأرض كهذا الارتطام الذي كان سبباً في تدمير وإبادة معظم الديناصورات من قبل.

وأشارت (ناسا) في بيانٍ لها حول تلك الدراسة إلى أنّ الانفجاراتِ البركانية الهائلة تحدث بشكلٍ متكررٍ أكثر من تأثيراتِ الكويكباتِ أو المذنباتِ الكبيرة التي سيكون لها تأثيرٌ كارثيٌّ مماثلٌ على الحضارة الإنسانية.

وصنّفت (ناسا) في دراستها تلك البراكين فائقة الحجم بأنها براكينٌ هائلةٌ للغاية (12, 13, 14, 15)، وأنّ انفجارها سيؤدي لقذف أكثر من ألف كيلو متر مكعبٍ من الموادّ في الغلاف الجويّ، وهو ما يُبيّن مدى وحشيتها وقسوتها.

ونوهت بهذا الخصوص صحيفة (الدائلي ستار) البريطانية إلى أنّ هناك أدلةً جيولوجيةً تبيّن أنّ بركانَ (حديقة يلوستون) سبق له أن ثار وانفجر قبل 60 ألف سنة ومرةً أخرى قبلها بـ 60 ألف سنة.

ورغم أنّ هذا النمط ليس ضماناً، لكن يمكن الاعتماد عليه كمؤشرٍ دالٍّ على أنّ هذا البركان الهائل على وشك أن يثور الآن مجدداً.

ووجد الباحثون أنه عند انفجار بركانٍ هائلٍ، فيمكن لـ (الشتاء البركاني) الذي ينجم عن ذلك أن يتجاوز بسهولة كلّ ما تمتلكه الحضارة من موادّ غذائيةٍ مخزنةٍ بكافة أنحاء العالم، لذا حتى إن كان البشرُ محظوظين بما فيه الكفاية وعاشوا في قارةٍ أخرى، فإنهم لن يكونوا في مأمنٍ من الآثار والتبعاتِ الخاصة بالانفجارِ البركانيِّ الهائلِ الكارثي.

والمثير للقلق في الأمر أيضاً هو اكتشافُ الباحثين أنه حتى وإن صدر عن البركان الهائل بعض العلامات التحذيرية، فمن المتوقع أن تقدّر تكلفة تهدة صهارة البركان قبل أن يتسبّب في انفجارٍ كارثيٍّ بـ 3 مليارات من الدولارات باستخدام التكنولوجيا الحالية.

إنّ البركانَ العاديَّ له فوهةٌ وهي عبارةٌ عن ثقبٍ صغيرٍ أو شقٍّ تخرج منه الحمم المنصهرة

تبردَ بعد خروجها للهواء البارد نسبياً وتتصلَّب على هيئة جبلٍ أو نتوء.
أما البركانُ الهائلُ فهو عبارةٌ عن منطقةٍ كبيرةٍ قد تنهار فجأةً ويصحب ذلك صيحةٌ عظيمةٌ قد تسمعها الأرضُ قاطبةً، لتخرجَ من هذه المنطقةُ الغازات والحُمم وترتفعَ الى عشراتِ الكيلومترات في السماء، ومن هناك تنقلُ إلى سائرِ الغلافِ الجويِّ للأرض فتتسبَّبُ في إغراقِ الكوكبِ كُلِّهِ في (شتاءٍ بركانيٍّ) قارسِ البرودةِ وإتلافِ المحاصيلِ في جميعِ أنحاء العالم، ومشكلاتٍ صحيَّةٍ لجميعِ أنواعِ الكائنات الحية والبشر على سطح الأرض.
وسوف نستعرض فيما يلي مثالا على بركانٍ مصنَّفٍ على أنه بركانٌ عاديٌّ إلى حدٍّ ما حدث في 2010 وهو بركانُ (إيافيالايوكل) بـ (أيسلندا) لنعرفَ حجمَ التأثيراتِ التي نتجت ثورانه، مع العلم بأنَّ بركانَ (أيسلندا) يظلُّ طفلاً صغيراً جداً بجوارِ بركانٍ هائلٍ في حالة انفجاره مثل بركانِ (حديقة يلوستون) بأمريكا وبرانِ (توبا) بإندونيسيا.

بركانُ (إيافيالايوكل) بأيسلندا :



انفجرَ بركانُ (أيسلندا) في إبريل عام 2010 مما تسبَّب في تصاعد الرمادِ البركانيِّ لارتفاعٍ بين ستةٍ وأحدَ عشرَ كيلومترا في الجوِّ، ورغم أنَّ البركانَ قد هدأ لكن استمرَّ الرمادُ البركانيُّ في سماءِ أوروبا لعدةِ أسابيع، ويعتبر هذا البركانُ صغيراً نسبياً حيث إنَّه يعتبر في مؤشرِ رقمِ أربعةٍ

في مقياسِ مؤشرِ التفجُّرِ البركانيِّ، ويعد مؤشر التفجُّرِ البركاني (٣ ٧) مقياساً مهماً لقوة التفجير، وهو مقياسُ القوَّة يتراوح ما بين 0 إلى 8 ويرتبط غالباً بأنواع الانفجارات، وقد جُعِلت نهايةُ المقياسِ مفتوحةً مع أكبرِ البراكين في تاريخ الأرض بقيمة 8، ويتم إعطاءُ القيمة 0 للثوراتِ غير المتفجرة.

وأظهرت تحاليلُ عينةٍ من الرمادِ البركانيِّ الأيسلندي أنَّ حوالي 25٪ من هذه الجسيماتِ هي دونَ عشرةِ ميكرونات، مما يعني سهولةَ حملها في الهواء لمسافاتٍ طويلةٍ حيث غطَّى الدخانُ أوروبا بالكامل تقريباً وأجزاءً من آسيا، وامتدت تداعياتُ الشلل الذي أصاب حركة النقلِ الجويِّ في أغلب بلدانِ أوروبا إلى باقي القارات، حيث قررت شركاتُ الطيران في عددٍ

من بلدان العالم إلغاءً أو تأجيل رحلاتها إلى أوروبا، بسبب الخطر الذي تُمثله سحبُ الرماد المنبعثة من بركان (إيسلندا) على محركات الطائرات.

فقد ألغيت عشرات الرحلات الجوية المتجهة إلى أوروبا من آسيا وأفريقيا، فيما أُجّلت رحلات إلى أوروبا في كلٍّ من أستراليا ونيوزيلندا، إثر إغلاق أكثر من عشر دولٍ أوروبيةٍ مجالها الجويّ بسبب سحابة الرماد البركانيّ الآتية من إيسلندا، والتي ظلت تعرقل حركة الملاحة الجوية في هذه الدول لعدة أيام.

وألغت شركة طيران الإمارات جميع رحلاتها إلى بريطانيا وغالبية محطاتها في القارة الأوروبية في ذلك الوقت، وقال المتحدث باسم الشركة إنّ عدد ركاب طيران الإمارات الذين ألغيت رحلاتهم -إثر إغلاق بريطانيا وغالبية الدول الأوروبية لمجالها الجويّ- وصل إلى أكثر من 40 ألف مسافر.

وفي أفريقيا ألغت شركة مصر للطيران 12 رحلة إلى المطارات الأوروبية، وقامت بتبديل طراز طائراتها المتجهة إلى المطارات المفتوحة في أوروبا بأخرى أكبر لاستيعاب زيادة الطلب على هذه المطارات.

كما تأثر بركان إيسلندا الطيران العسكري الأميركي، حيث أعلن متحدث باسم وزارة الدفاع (البنتاغون) أنّ الجيش الأميركي اضطر لإعادة تغيير مسار عدة رحلات جوية، بما في ذلك رحلات إجلاء الجرحى من أفغانستان والعراق.

لقد كانت حركة النقل الجويّ الأوروبيّ في حالة فوضى عارمة بسبب قرار عدة بلدان إغلاق مجالها الجويّ خوفاً من مخاطر الدخان المنبعث من بركان إيسلندا.

وازداد الأمر سوءاً بالنسبة لحركة الملاحة الجوية الأوروبية مع تحرك سحابة الدخان نحو الجنوب والشرق، حيث وصلت تلك السحب إلى الحدود الفرنسية الإسبانية واليونان جنوباً وروسيا شرقاً، وتم إيقاف بعض الأقمار الصناعية وسبب ذلك مشاكل في الاتصالات اللاسلكية.

وقالت المنظمة الأوروبية لسلامة الملاحة الجوية إنّ هبوط وإقلاع الطائرات المدنية غير ممكن في معظم أنحاء شمال ووسط أوروبا بسبب غبار البركان، وقد تبع ذلك من الخسائر المادية التي فاقت مئات الملايين، مع ما ألحقه الدخان من أضرار بالمحركات، وقد اضطر عشرات الألوف أن يظلوا عالقين في صالات المطارات ثلاث ليالٍ أو يزيد، وهم مطروحون

على الأرض، لا يرتاحون في نومٍ أو يقظة، كأنهم النازحون الذين أُخرجوا من ديارهم، أو الهاربون من هزة أرضية، فهم يقيمون في العراء. إنَّ أضرار ذلك البركان لم تقتصر على قارة أوروبا، فقد تأثر به أكثر البشر المحتاجين إلى الترحال والضرب في الأرض يبتغون من فضل الله ﷻ، أو يطلبون العلم، أو يقضون الإجازات، وغير ذلك.

كما ثبت احتواء الرماد البركاني على جزيئات الزجاج التي كانت أكثر تأثيراً على هذه الدول، ومن أعراضها تدمير الجهاز التنفسي وخاصة الرئتين لكل من يتنفس هواءً ملوثاً بهذا الرماد البركاني الخطير حيث تؤدي هذه الجزيئات الزجاجية لإحداث جروح بالقنوات التنفسية بالرئتين والبلعوم والمريء، وقد ماتت أنواع كثيرة من الطيور وفسدت أنواع كثيرة من الفواكه والخضروات، وأنه آية عذاب وليس آية إهلاك فلو خرَّج هذا البركان كل الذي بداخله لماتت ابقار الدنمارك جميعها ولسوف تنعدم الرؤية في أوروبا تماماً.

لقد وقفت أوروبا صاحبة التكنولوجيا الخارقة والجيوش العتيدة عاجزة أمام هذا البركان؛ فلم تتحرك لها طائرة لمدة أسبوع كامل، وتسبب الدخان في ضيق تنفسي لعدد كبير من سكان أوروبا وأدى إلى شلل في الاتصالات اللاسلكية كلفتهم المليارات.

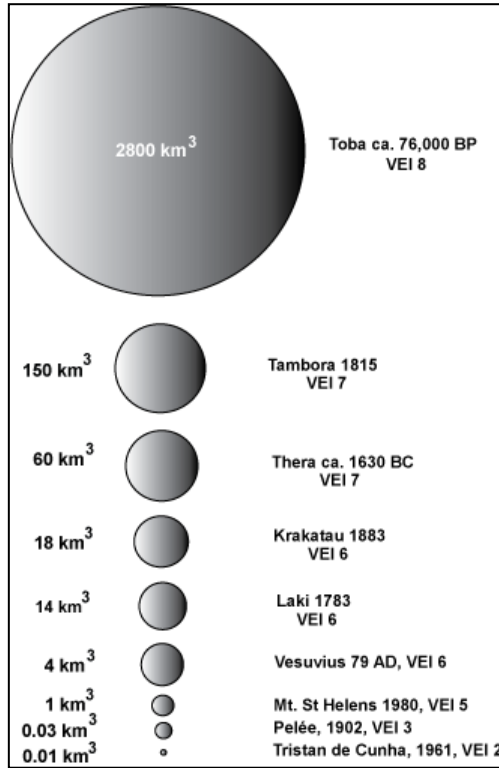
البركان الهائل؛

الانفجارات البركانية الهائلة ليست شائعة، وتشير التقديرات إلى أنه طوال المليون سنة الأخيرة من تاريخ الأرض لم تشهد الأرض من تلك الانفجارات سوى انفجارين كل مائة ألف سنة، أسفرت آخر كارثة من هذا النوع عن تحطيم القشرة الأرضية في (تاوبو) بالجزيرة الشمالية في (نيوزيلندا) قبل 26500 سنة، لكن لا يعني ذلك أننا سنكون في مأمن مدة أربعة وعشرين ألف سنة أخرى؛ فالظواهر الطبيعية (مثلها مثل الحافلات) لا تبالي كثيراً بجدول المواعيد؛ ومن ثم فقد يقع انفجار بركاني هائل خلال 10 سنوات أو 100 ألف سنة.

المفزع في الأمر أن الانفجارات البركانية الهائلة (خلافًا للثورات البركانية العادية) حين تقع لن تكون هناك إمكانية لتفادي عواقبها المدمرة، فمن يعيش منا في بلدان أبعد ما تكون من موقع انفجار البركان الهائل سيجد عالمنا الدافئ ينقلب رأساً على عقب بسبب هذا الانفجار، حتى لو كان سيحدث في أراضٍ بعيدة على الجانب الآخر من الكوكب، وهذا

يرجع إلى ما سيكون له من أثر هائل على المناخ؛ فما يتصاعد من دخانٍ وغازٍ عاليًا في الغلاف الجويّ سيقبل كثيرًا من كمّ الأشعة الشمسية التي تصل إلى سطح الأرض، ويتسبب في قدوم شتاءٍ بركانيّ شديد البرودة يشمل العالم بأسره.

دعونا نلقي نظرة أكثر تفصيلًا على مقياس الانفجارات البركانية الهائلة مقارنةً بالثورات البركانية العادية، حيث وُضعت عددٌ من المقاييس في السنوات الأخيرة للمقارنة بين أحجام الثورات البركانية، ومن أقدم تلك المقاييس وأكثرها شيوعًا «مؤشر التفجر البركاني» الذي وضعه عالمًا البراكين (كريس نيوهال) و(ستيف سيلف) عام 1982، وكان هدفه في الأساس تقدير حجم الثورات البركانية التاريخية وشدها والمقارنة بينها.



ويشير حجم الانفجار إلى كتلة المواد التي يطلقها، بينما شدة الانفجار مقياس للمعدل الذي تُطلق به تلك المواد، ويتميز هذا المؤشر بأنه لوغاريتمي (مثل مقياس ريختر المعروف لقياس شدة الزلازل)، وهو ما يعني أن كل نقطة على المقياس تمثل انفجارًا أكبرَ عشر مراتٍ من الانفجار الأدنى منه مباشرةً، وهكذا يكون ثوران بركانيّ قوته 5 درجات على مؤشر التفجر البركانيّ أكبرَ عشر مراتٍ من ثوران بركانيّ

قوته 4 درجات على مؤشر التفجر البركانيّ مثل بركان (أيسلندا) الذي تحدثنا عنه سابقًا، في حين أن ثورانًا بركانيّ قوته 6 درجات يكون أكبرَ مائة مرةٍ من بركان أيسلندا، وثورانًا بركانيّ قوته 7 درجات يكون أكبرَ ألف مرةٍ من بركان أيسلندا، فما بالك أخي المسلم ببركان هائل بقوة 8 درجات؟

عند قاعدة المؤشر، تسجّل التدفقات الطفيفة للحمم البركانية التي تميّز معظم الثورات البركانية مثل بركان (كيلوا وماونا لوا) في هاواي درجة صفر، في حين أن الثورات البركانية



الطفيفة التفجّر التي تطلق من الرماد ما يكفي لتغطية لندن أو نيويورك بطبقة خفيفة من الغبار تسجّل درجة أو درجتين، ولا يستهوي المؤشر خبراء علم البراكين إلا حين يرتفع إلى قيم أعلى من ذلك؛ فهم يصفون الثوران البركانيّ الذي يسجل 3 درجاتٍ على مؤشر التفجّر البركانيّ بأنه «متوسط».

البركان الذي يسجل 4 درجات يتم وصفه بأنه «كبير». وهذه النوعية من الثورات البركانية تُسفر عن دمارٍ شاملٍ في البقعة المحيطة بها، مطلقة أعمدة من الرماد يصل ارتفاعها إلى 20 كيلومترًا في الغلاف الجويّ، وتدفن المناظر الطبيعية المحيطة بها تحت أكوام من الحطام البركانيّ يبلغ سُمكها مترًا أو أكثر. ففي عام 1994 دُمّرت بلدة رابول في بريطانيا الجديدة (بابوا غينيا الجديدة) بسبب ثوران بركانيّ بهذا الحجم، وما هي إلا سنوات قليلةً وتحديداً في عام 1997 حتى عانت مدينة بليموث عاصمة جزيرة مونتسيرات الكاريبية من المصير نفسه. الثورات البركانية التي تسجّل 5 درجاتٍ على المؤشر مثل بركان جبل سانت هيلين (بولاية واشنطن الأمريكية عام 1980 الذي نال حظاً وافراً من التغطية الإعلامية) عادةً ما تُسبب حالة من الفوضى على نطاقٍ محليّ.

أما الثورات البركانية التي تسجّل 6 درجات فقد تسبب دماراً على المستوى المحليّ وتكون لها آثارٌ طويلة الأمد، وربما تكون ثورة بركان بيناتوبو في الفلبين عام 1991 أكبر ثورة بركانية عرفها القرن العشرون؛ فقد أطلق من الرماد والحطام ما يكفي لدفن وسط لندن تحت طبقة يبلغ ارتفاعها كيلومترًا واحدًا وتشريد مئات الآلاف. ولسنواتٍ بعد تلك الكارثة ظلت التدفقات الطينية التي يغذيها الرماد تنصبّ على جانبيّ البركان الذي عاد إلى الخمود من جديد، وتسبّب ذلك في انسداد الأنهار، ودفن الأراضي الزراعية، وإغراق البلدان والمدن.

أما إن تحدثنا عن ثوران بركانيّ يسجل 7 درجاتٍ على مؤشر التفجّر البركانيّ، فعلينا أن نعود بالزمن إلى ما يقرب من قرنين من الزمان؛ تحديداً عام 1815 حيث دارت رحى معركة ووترلو الشهيرة، فبينما كان جيشا ويلينجتون ونابليون يتنافسان للهيمنة على أوروبا، ثار بركان يُسمّى تامبورا كان خاملاً منذ فترة طويلة على جزيرة سومباوا الإندونيسية، حيث ثار ثورة عارمة فيما قد يُعدّ الثوران الأكبر منذ نهاية العصر الجليدي قبل 10 آلاف سنة، تحدّث السير ستامفورد رافلز (الذي كان يشغل حينها منصب نائب الحاكم البريطانيّ لجزيرة جاوة) عن سلسلة من الانفجارات الهائلة دوى صداها في سومطرة على بعد 1600 كيلومتر،

وعندما انتهت تلك الثورة البركانية بعد 34 يوماً، كانت قد خلّفت وراءها 12 ألف قتيل، ومع ذلك: ففي الأشهر التالية، وقع 80 ألف إندونيسي فريسةً للمجاعات والأمراض بينما كانوا يصارعون من أجل العثور على الغذاء والمياه الصالحة للشرب في الأماكن التي فُتِكَ بها الرماد البركاني.

لا شكَّ أنَّ بركان تامبورا قد ألحق الدمارَ الشاملَ بشعب إندونيسيا، لكنَّ آثاره المباشرة كانت مقتصرةً على قطاع واحدٍ من جنوب شرق آسيا، أما عن آثاره غير المباشرة، فقد عانى منها كثيرٌ من دول العالم، فإلى جانب نحو 50 كيلومتراً مكعباً من الرماد، أُطلق بركان تامبورا نحو 200 مليون طنٍّ من الغازات المشبعة بالكبريت إلى طبقة الستراتوسفير، لتحملها الرياح إلى الارتفاعات العالية سريعاً إلى جميع أنحاء الكوكب، وسرعان ما امتزجت الغازاتُ بالماء في الغلاف الجويّ لتشكل 150 مليون طنٍّ من إيروسولات حامض الكبريتيك؛ وهي جزيئات دقيقةٌ من السائل قادرةٌ على حجب الإشعاع الشمسيّ عن الأرض، وفي غضون أشهرٍ بدأ مناخُ نصف الكرة الشماليّ في التدهور، وانخفضت درجات الحرارة إلى حدٍّ عُرف معه عام 1816 بأنه «عام بلا صيف». تشير التقديرات إلى أنَّ درجات الحرارة العالمية حينها انخفضت نحو 0.7 درجة مئوية (أي ما يساوي تقريباً سُبع الانخفاض المطلوب لدخول الكوكب في عصر جليديٍّ كامل) ليتسبب ذلك في موجةٍ صقيعٍ صيفيٍّ، وثلوج، وأمطارٍ غزيرة.

بالتأكيد كانت الأحوال الجوية في أوروبا وأمريكا الشمالية عام 1816 سيئةً للغاية، لكن هل يمكن لثورانٍ بركانيٍّ في جزءٍ بعيدٍ من العالم أن يغيّر المناخَ لدرجةٍ ينهار معها المجتمع ويتنهي العالم الذي نعرفه..؟ نعم يحدث هذا في حالة انفجار بركان هائل بقوة 8 درجات على مؤشر التفجير البركاني، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فيما يلي.

بركان توبا الهائل

نتحدث هنا عن بركانٍ بقوة 8 درجاتٍ على مؤشر التفجير البركانيّ، فقبل 74 ألف عام (أي منذ زمنٍ بعيدٍ وإن كان لا يزال ضمن الفترة الزمنية للتواجد الإنساني) أسفر عمّا يمكن القول عنه بأنه أكبرُ ثورانٍ بركانيٍّ عرفه التاريخُ عن حفرةٍ قطرها 100 كيلومتر في توبا شمال سومطرة بإندونيسيا، وهذه الفتحةُ الشاسعةُ (التي صارت الآن بحيرةً) منطقةٌ جذبٍ سياحيٍّ كبيرٍ، لكن هناك أدلةٌ على أنَّ وراءها تركةٌ أشدَّ سوءاً، ربما كان ثورانُ بركان توبا قاب قوسين



أو أدنى من القضاء على الجنس البشري. تختلف تقديرات حجم الانفجار، لكن ما من شك في أن انفجار توبا (جنباً إلى جنب مع انفجارات يلوستون بأمريكا الذي سنتحدث عنه لاحقاً) يرقى لأن يكون انفجاراً بركانياً هائلاً قوته 8 درجات على مؤشر التفجّر البركاني، فيعتقد العلماء أن

إجمالي الحطام المنبعث من انفجار بركان توبا ما يقارب 3000 كيلومتر مكعب من الحطام، وهو ما يكفي لتغطية الهند بطبقة من الرماد سُمكها مترٌ واحدٌ، ومع ذلك فالأدلة التي ظهرت مؤخراً من دراسة العينات الجيولوجية المأخوذة من قاع البحار تشير إلى أن ذلك الثوران البركاني قد استغرق وقتاً أطول مما كان العلماء يعتقدون سابقاً، وأنه قذف من الحطام ما يفوق بكثير ما سُجِّل عنه؛ بنحوٍ قد يصل إلى 6000 كيلومتر مكعب، ولعلك لا تصدق إن قلنا إن هذا الكم يكفي لدفن الولايات المتحدة بأسرها تحت طبقة سُمكها ثلثا متر.

لا شك أن أسلافنا الذين كانوا يعيشون في سومطرة في ذلك الوقت كان مصيرهم الفناء، ومع ذلك: لكي يتعرض الجنس البشري ككل لخطر الانقراض، فلا بد لآثار الثوران البركاني أن تكون شديدة الوطأة في جميع أنحاء الكوكب، ويبدو أن الأمر كان كذلك، فبالإضافة إلى كميات الرماد الهائلة، فإن انفجار بركان توبا قد أطلق من غازات الكبريت ما يكفي لإنتاج ما يصل إلى 5000 مليون طن من إيروسولات حامض الكبريتيك في طبقة الستراتوسفير. ربما كان هذا كافياً لتقليل كمية أشعة الشمس الساقطة على سطح الأرض بنسبة 90 بالمائة، وهو ما يؤدي إلى ظلام عالمي وبرد قارس.

ربما انخفضت درجات الحرارة في المناطق الاستوائية سريعاً بنسبة تصل إلى 15 درجة مئوية، فأتى ذلك على النباتات الاستوائية الحساسة، في حين أنه من المرجح أن درجات الحرارة في أنحاء الكوكب ككل قد انخفضت بمقدار نحو 5 أو 6 درجات مئوية، وهو تقريباً المعدل المطلوب لإدخال كوكب الأرض في ظروف العصر الجليدي الكامل في غضون بضعة أشهر فقط.

وتشير سجلات درجات الحرارة التي استُخلصت من عينات الجليد المأخوذة من

جرينلاند إلى أن ذلك الانفجار أعقبته ست سنواتٍ على الأقل من الشتاء البركانيّ، تلتها بدورها فترةٌ صقيع «عابرة» امتدت ألف عام، وبعد ذلك بوقتٍ قصيرٍ دخل كوكبُ الأرض العصرَ الجليديّ الأخير، وهناك بعضُ التكهّنات التي تشير إلى أن أثر التبريد الناتج عن انفجارِ بركانِ توبا الهائل قد يكون القشة التي قصمت ظهر البعير؛ حيث أخرج الأرض التي كانت صقيعاً بالفعل حينها من الفترة الجليدية ليدخلها في مرحلة جليدية أخرى لم تستكمل خروجها منها إلا منذ نحو 10 آلاف سنة قبل هذا الانفجار.

بركان يلوستون الهائل:



سنأخذ مثلاً آخر على بركانٍ قوته 8 درجات وهو بركان حديقة يلوستون الوطنية، فقد تمّ اكتشافه عن طريق التصوير الفضائيّ بالأشعة ما تحت الحمراء عن طريق الاقمار الاصطناعية في عام 1960 وبدأت دراسته ومراقبته منذ ذلك الحين، ولا توجد

الكثير من هذه البراكين الهائلة في العالم، فبالقرب من هذا البركان يوجد شبيه له في شرق ولاية كاليفورنيا وآخر في نيوزيلندا، ويوجد آخرٌ أصغرُ حجماً في إيطاليا، وهناك بركانٌ هائلٌ آخرٌ موجودٌ في جزيرة سومطرة بإندونيسيا وهو بركان توبا الذي تحدثنا عنه بالتفصيل سابقاً. أن بركان حديقة يلوستون الوطنية عبارةٌ عن مساحةٍ تصل إلى 30 كم عرضاً و70 كم طولاً وعمقها عدة كيلومترات، وهناك من يقول إنها تصل إلى 65 كيلومتر عرضاً و80 كيلومتر طولاً، ولهذا السبب فإنه من الصعب التعرف على هذه النوعية من البراكين الضخمة لعدم وجود الفوهة الظاهرة أو الجبل الواضح ذي الفوهة البركانية، فعندما ينفجر بركانٌ ويثور فإن أولَ مشهدٍ نشاهده هو تصاعدُ أدخنةٍ عظيمة مضغوطةٍ من آلاف وملايين السنين في الأسفل يتبعها نيرانٌ وحجارةٌ تقذف إلى عنان السماء ثم تهبط مرةً أخرى بالمطر البركانيّ المليء بالكربون الخانق الملوّث الذي يؤدي إلى الاختناق لمساحاتٍ كبيرةٍ حول مصدر الانفجار، فما بالك بما سيحدث حين انفجارِ بركانٍ هائلٍ فوهته مساحةٌ كبيرةٌ من الأرض مساحتها تعادل مساحة القاهرة الكبرى تقريباً..!

إنَّ الحممَّ المنصهرة الموجودة تحت المنطقة تضغط على السطح العلويّ مع استمرار ذوبان الصخور في هذه القشرة، وعندما تسقط قطعة كبيرة في الحجم لدرجة أنَّ تضعف القشرة العلوية فيحدث الانفجار الكبير ولن يكون هناك أيُّ تحذيرٍ مسبق. هذا الانفجار سيرسل الحمم لمسافة عدة كيلومترات في الهواء مع الغازات الكبريتية والحمضية، وفي المساحة التي يبلغ قطرها حوالي 1000 كم (600 ميل) المحيطة بالبركان لن يعيش أحد سوى من رحم ربك...! ويُقدَّر حجمُ الحمم بملايين الاطنان ما يكفي لتغطية الولايات المتحدة الأمريكية بطبقة سمكها حوالي 12 سم، ولن تنمو الخضروات ولا الفواكه ولا الاشجار في منطقة أوسع من المنطقة السابقة، بل إنَّ الامطار الحمضية قد تصل إلى مناطق أبعد بكثير مما سيهلك كلُّ ما هو حيٌّ ويؤدى الى تآكل العربات والآليات، وسيصل تأثير هذه الامطار الحمضية إلى البحار أيضا. مما سيؤدى إلى انقراض عددٍ من المخلوقات.

يُقدر العلماء المساحة التي سيغطيها الانفجار بنحو ألف كيلومتر ولك الان أن تتخيل أنَّ القنبلة النووية تغطّي مساحة انفجارها نحو بضعة كيلو مترات فقط، فما بالك بكمية الدخان والغازات المنبعثة من كتلة انفجار مساحتها 100 كيلو متر، كيف ستكون اثرها على البشرية كلها؟! إنَّ البركان المرتقب سيكون مساويا لانفجار ألف قنبلة نووية كلَّ دقيقة بقوة قنبلة هيروشيما التي ألقتها أمريكا على اليابان، وستكون أثاره تقريبا عشرة ملايين ضعف ما تركته أحداث 11 سبتمبر 2001 م.

ومن المقدّر لهذه الغازات والرماد والأتربة أن تبقى في الغلاف الجوي وتلف الارض مما ستؤدى إلى حجب أشعة الشمس، وبالتالي ظهور عصرٍ جليديٍّ وشتاءٍ بركانيٍّ قد يستمر عدة سنوات، ويشير علماء الجيولوجيا إلى أن درجة حرارة الأرض ستخفض 12 درجة مئوية بسبب حجب الدخان لأشعة الشمس وسيعمُّ الظلام الكرة الأرضية بدرجات متفاوتة، ويمكن ان يغطي الجليد مساحة كبيرة في العالم لعدة سنوات، يقول البروفسور (بل ماك قواير) المتخصص بأخطار الجيولوجيا في جامعة لندن: "لا يوجد مكان للاختباء من البركان الهائل إنه مثل الشتاء النووي ولكن بدون الاشعاع".

يرى العلماء أن بركان يلوستون خطيرٌ وضخمٌ وهائلٌ سيزيل ثلاثة أرباع الولايات المتحدة من خارطة الوجود، ويدللون على ذلك بأنَّ فوهة هذا البركان هي من اكبر الفوهات البركانية في العالم، وللإنسان ان يتخيل كم من الحمم تندفع من مثل هذه الفوهة لتلتهم

مساحاتٍ من الأرض وما عليها (الإنسان والحيوان والنبات والجماد والحضارة) إضافةً إلى إشارات العلماء أنَّ هناك أكثر من 20 ألف كم مكعبٍ من الصخور المنصهرة تحته، ما يوازي حجمَ مدينةِ نيويورك ثلاث مرات، ولذلك ترجح توقعاتُ العلماء أنَّ الرماد البركانيَّ الطينيَّ سيُودي بحياة نصف مليون شخصٍ على الأقل، فالأدخنةُ التي تخرج من البراكين مضغوطةٌ من آلاف وملايين السنين في الأسفل يتمُّ قذفُها إلى عنانِ السماء ثم تهبط مرةً أخرى بالمطر البركانيَّ المليء بالكربون الخائق الملوث الذي يؤدي إلى الاختناق، وله تأثير على الجهاز التنفسي، ونعود هنا إلى الحديث الشريف الذي أخبرنا عن هذا النوع من الدخان فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يهيج الدخانُ بالناس، فأما المؤمنُ؛ فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر؛ فينفخه حتى يخرج من كلِّ مسمع منه» رواه الطبري وابن أبي حاتم].

وقد توقَّع العلماء قبل سنواتٍ أنَّ يندلعَ بركانٌ حديقة يلوستون ولكنه تأخر ويرون أنَّ تأخره يشير إلى خطورته، فهو بتأخره يجمع قوته حتى إذا انفجر سيكون حدثاً هائلاً جداً وسيُحدثُ صيحةً أو صوتاً يسمعه كلُّ من في الأرض، وهذا يتفق مع وصية النبي ﷺ أن ادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم بإحكامٍ وسُدُّوا نوافذكم ودثروا أنفسكم وإذا أصبح الإحساس بالكارثة متيقناً اسجدوا وسبحوا الله، ووصف سيدنا وحبيبتنا المصطفى ﷺ هذا الحدثَ أبلغ وصفٍ (الصيحة - الرجة - الهدة). وقد أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس، فما تزال ترتفع في السماء حتى تملأ السماء، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس، فيقبل الناس بعضهم على بعض: هل سمعتم؟ فمنهم من يقول: نعم. ومنهم من يشك. ثم ينادي الثانية: يا أيها الناس، فيقول الناس: هل سمعتم؟ فيقولون: نعم. ثم ينادي: أيها الناس ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾». قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفسي بيده، إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه، وإن الرجل ليملاً حوضه فما يسقي فيه شيئاً، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه ويشغل الناس». فهل السحابة السوداء المنبعثة من قبل المغرب كان يقصد بها النبي ﷺ الدخان المنبعث من بركان يلوستون بأمريكا؟

إنَّ من الظواهر المصاحبة لانفجار البراكين ظاهرةُ الجحيم الطائر، وهي سحبٌ سوداءٌ عظيمةٌ من بخارِ الماء المخلوط بالرماد البركانيَّ المسحوق المنصهر بوهج شديد، وحين تتكثف هذه السحبُ تهطل الأمطارُ الغزيرة ومعها جلا ميدُ الطين اللزجةُ وهي تحيي بلدةً ميتاً أراد الله

ﷻ لها الحياة وتهلك قريةٌ حقَّ عليها القولُ فيدمرها الله ﷻ تدميراً، فإذا سقطت خارجَ مناطقِ العمرانِ في منطقةٍ جافةٍ تكونُ سبباً في بثِّ الحياةِ فيها فتكون سهلاً طينياً صالحاً للزراعة من الطين الزاحف، وإذا نزلت على مناطقِ العمرانِ وخصوصاً تلك التي تقع عند أسفلِ المرتفعات ينزل عليها المطرُ وابلأً من الماءِ والطينِ فيكتسح كلَّ شيءٍ يقف في طريقِ الانحدارِ العام للأرض.

الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع

تخيل معي أخي القارئ عذابَ الدخانِ الذي سيقع على الناس وبسببه سيدعون الله ﷻ أن يكشفه عنهم ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان].

إن انفجارَ بركانٍ هائلٍ سيقضي على ملايين البشر، أما من تبقى منهم أحياءً فسيصل لهم العنصرُ الدقيقُ المكوّن للرماد البركانيّ الجافّ الذي قد يسبب مشكلاتٍ في التنفس، ويصيب بأمراضٍ مثل الشُّحار السيليسي (أحد الأمراض الرئوية والتي ذكرناها سابقاً).

إن هذا العذابَ المذكورَ في القرآن والحديث النبويّ الشريف هو الرائحة الكريهة للغاز الكبريتي التي ستملأُ عالمنا الذي سيكون مظلماً لا يشق ظلمته سوى وهجٍ أحمر باهتٍ في أفقٍ بعيدٍ غير مرئيٍّ؛ رماً ثقيلٍ ينهمر من أعلى كالثلج الحبيبي يسد العينين والأنف والأذنين بأسرع مما يمكن إزالته. ها أنت ذا تختنق وتحاول التقيؤ، فتدخلُ أصابعك في فمك محاولاً دون جدوى إخراج اللعاب الرمادي الذي يقتحم جهازك التنفسي اقتحاماً مع كلِّ نفسٍ تلتقطه بصعوبةٍ بالغة، فجأةً يكشف برقٌ يخطف الأبصارَ عن المشهد المرعب للأرض حولك وقد اندثرت كلُّ معالمها المألوفة تحت رمادٍ يتراكم بمعدلِ نصف متر في الساعة، ويُعلن صوتُ رعدٍ يصمُّ الأذان عن عودة الظلام وبداية طوفانٍ عارمٍ، وفي غضون ثوانٍ تتحول انجرافاتُ الرمادِ إلى سيولٍ مندفعة من الطينِ تكاد تطرحك أرضاً، وحين يجتمع المطرُ المتساقط والرماد معاً، تقصفك السماءُ بكُرَيَّاتٍ لزجةٍ من الطين يزداد سُمُكُها فوقك لتعيقك عن الحركة، وستجد أن جسدك يُشوى شيئاً فشيئاً وسط الحرارة الخانقة المتصاعدة من فرنِ الطبيعة، والعرق يتصبَّب من كلِّ فتحةٍ مسامٍ في جسدك ليختلطَ مع أنهارِ الوحل التي تغطي كلَّ شبرٍ من جلدك.

لقد وصف النبي ﷺ تلك الأعراض بالتفصيل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يهيج الدخان بالناس، فأما المؤمن؛ فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر؛ فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه» رواه الطبري وابن أبي حاتم.

توقيت وموقع انفجار البركان الهائل أو سقوط المذنب الطارق:

من تتبّع الآيات الكثيرة التي تشير ضمناً لآية الدخان فيحصل لديه تصوّر كامل للحدث من كلّ جوانبه، ومن حيث أثره على البشرية، ويظهر أن سورة المدثر حددت لنا وقت حدوثه حيث ربطت بين إدبار الليل وإسفار الصبح كوقت لحصول إحدى الكبر التي تكون نذيراً للبشر، إن توقيت هذا الحدث يظهر في سورة المدثر وهي سورة الإنذار: ﴿يَنذُرُهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝﴾ [المدثر]، وقد جاء توقيت إيقاع العذاب على الناس بعد أن أقسم الله ﷻ بالقمر: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا أُدْبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَفْطَر ۝ إِنَّهَا لَإِحدى الْكُبرِ ۝ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝﴾ [المدثر]. إذاً ستكون الضربة التي ستسبب الدخان بعد إدبار الليل وإسفار الصبح أي بعد الفجر مباشرة وقبل الشروق بتوقيت المكان الذي ستقع فيها الهدّة، وهي إحدى العلامات الكبر العظام المندرة للبشر.

والمدثر هي سورة الإنذار الأولى في تجربة النبي ﷺ الدعوية عبر مسيرته العطرة، فهذه السورة لم تخل من ذكر توقيت الحدث بأنه مع بداية الفجر وإسفار الصبح تكون هذه الضربة، وهذا التوقيت يتوافق مع بعض الروايات الضعيفة التي تشير إلى الهدّة أو الصيحة التي تحدث صبيحة يوم الجمعة.

أما لماذا هذا التوقيت وهو بعد الفجر مباشرة، فذلك السنن في القرآن خاصة فيما يتعلق بالرجم من السماء، وهي ذاتها اللحظات التي أهلك الله بها قوم لوط، وأغرق فرعون مع الشروق، وذاتها المتعلقة بجانب النذارة في المهمة الملائكية ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81].

فهذا في ظني هو توقيت الحدث، لكن متى يحصل...؟ فالمعلوم أن ضربات العقاب تتميز أنها تأتي بغتة، لكن أهل الله أو المؤمنين لن يُجرموا من إشارات تنبيهية قبل الحدث، كما في حادثة الطوفان وفوران التنور، ولكن هذا الحدث أعتقد أنه سيحدث في نهاية فتنة الدهماء التي سنتحدث عنها لاحقاً، فإذا كنا الآن في هذه الفتنة بالفعل فإننا في انتظار هذه الكارثة

الكبرى خلال سنواتٍ قليلةٍ جداً.

أما عن موقع انفجارِ البركانِ الهائلِ أو سقوطِ المذنبِ؛ فهذا -والله أعلم- في أكثرِ الأماكنِ فساداً في الأرض، فهذا المكانُ كما ذكرناه سابقاً سيكون أكثرَ مكانٍ ينطبق عليه عصرُ الجاهلية الثانية وعادِ الثانية، وقتئذٍ سيحقُّ على هذا المكانِ قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24].

شكلُ الحياةِ على كوكبِ الأرضِ بعد انتشارِ الدخانِ المبينِ:

قبل آيةِ الدخانِ ستكون الحضارةُ البشرية في أقصى ازدهارها وسيكون التعدادُ السكانيُّ للبشرية في أعلى نقطةٍ في الرسمِ البيانيِّ، ومن بعد آيةِ الدخانِ سيختلف شكلُ الحياةِ على كوكبِ الأرض، وستعود الحضارةُ البشرية إلى القرنِ الثامنِ عشرِ الميلاديِّ على أقصى تقدير، كما أنَّ الكثيرَ من علومِ الحضارةِ الحديثة ستكون مدونةً في الكتبِ وموجودةً في المكتباتِ والجامعات، ولكنَّ أكثرَ هذه العلومِ لن تكون صالحةً لزمنِ الدخانِ، وستبقى الكثيرُ من العلومِ موضوعَةً في الكتبِ دون الاستفادة منها، وبناءً على تحليلِ آثارِ الدخانِ المبينِ سواءً كان مصدره سقوطُ مذنبٍ على الأرضِ أو انفجارِ بركانٍ هائلٍ نستطيع تصوُّرَ الحياةِ في كوكبِ الأرض منذ انتشارِ الدخانِ في سماءِ الكرة الأرضية وحتى قيام الساعة في النقاط التالية:

1- مركزُ سقوطِ المذنبِ أو انفجارِ البركانِ الهائلِ سيتمُّ تدميره بصورةٍ شبه تامةٍ وغالباً ستصبح عليه الحياةُ شبه مستحيلةٍ منذ هذا الانفجارِ وحتى قيام الساعة والله أعلم.

2- بعد الانفجارِ البركانيِّ الهائلِ سيتساقطُ المطرُ البركانيُّ المليءُ بالكربونِ الخانقِ الملوَّث الذي يؤدي إلى الاختناقِ ويهيج الدخانِ بالناس، فأما المؤمن؛ فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر؛ فينفخه حتى يخرج من كلِّ مسمعٍ منه، فهذا سيحدث خلال الأسابيع الأولى بعد الانفجارِ البركانيِّ، وبعد ذلك سيقلُّ هذا التأثيرُ مع مرور الوقتِ على حسب مدةِ الثورانِ البركانيِّ، فتأثيرُ ثورانِ بركانٍ هائلٍ لمدةِ أسبوعٍ تختلف عن مدةِ ثورانِ بركانٍ هائلٍ لمدةِ شهرٍ، ولهذا سيكون دعاءُ الناس في ذلك الوقتِ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ٢٠]، وذلك حتى يتوقف ثورانُ البركانِ الهائلِ والله أعلم.

3- هناك مدنٌ عديدةٌ سيكسوها الرمادُ البركانيُّ، وستكون هناك صعوبةٌ في إزالةِ طبقاتِ

كثيفة من هذا الرماد، فتكون النتيجة أن تصبح هذه المدن مهجورة وغير صالحة للحياة مرة أخرى.

- 4- ستتأثر التربة الزراعية بسبب الأمطار الحامضية وتقل المحاصيل الزراعية لعدة أشهر.
- 5- ستدخل الأرض في عصرٍ جليديٍّ بسبب الشتاء البركاني.
- 6- ستبدل الحياة في مناطق عديدة في الكرة الأرضية، فهناك مناطق سيكسوها الجليد بعد أن كانت زراعيةً، وهناك مناطق صحراوية ستصبح زراعيةً، وهناك مناطق زراعية ستصبح عبارة عن رمادٍ او صحراء ولن تكون صالحة للحياة.
- 7- درجة حرارة الأرض ستخفض عمّا كانت عليه بسبب حجب الدخان لأشعة الشمس وسيعم الظلام الكرة الأرضية بدرجات متفاوتة، وسيقل تركيز الدخان مع الوقت، ولكن سيظل أثر الدخان موجودًا في سماء الكرة الأرضية الى قيام الساعة -والله أعلم- إنني أسمّي هذا العصر بعصر الدخان المين.
- 8- العديد من المصانع التي تعتمد على الهواء النقي ستوقف عن العمل أو ستتأثر بالدخان.
- 9- سيحدث كساد اقتصادي عالمي أو من الممكن أن يكون انهيار اقتصادي عالمي نتيجة حجم الخسائر التي ستسببها هذه الكارثة العالمية.
- 10- أجهزة التكيف ستتأثر بالدخان أو ستتعمل عن العمل.
- 11- الأجهزة التي تعمل بالطاقة الشمسية ستتأثر بالدخان أو ستوقف عن العمل.
- 12- سيتهي عصر غزو الفضاء وعصر التلسكوبات والمراصد الفلكية لعدم وجود سماء صافية تسمح بمراقبة الفضاء.
- 13- سيتهي عصر السفر بالطائرات وعصر الحروب الجوية والمحركات النفاثة.
- 14- سيحل عصر السفر البري والبحري فقط في حالة إيجاد حلول لتشغيل محركات السيارات والسفن مع وجود هواء مخلوط بالدخان.
- 15- أسلحة عديدة ستوضع في المتاحف دون الاستفادة منها، وأعتقد أن شكل الحروب في هذا العصر مشابه لشكل الحروب في القرن الثامن عشر أو لشكل الحرب في الحرب العالمية الأولى على أقصى تقدير لعدم الاستفادة من أسلحة عديدة والله اعلم.
- 16- سيتهي عصر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية أو ستتأثر تكنولوجيا الاتصالات



بصورة كبيرة جداً.

- 17- هناك مرضٌ من نوع ما خاصٌّ بالجهازِ التنفسيّ سيتشرّ في بدايةِ عصر الدخان (المؤمن فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر؛ فينفخه حتى يخرج من كلّ مسمع منه).
- 18- من الممكن إضافة تأثيرات انشقاق القمر على الأرض إلى هذه التأثيرات إذا حدثت آية انشقاق القمر قبل آية الدخان المبين⁽¹⁾.

هذه بعضُ النقاطِ التي توصلت لها من خلالِ دراستي المتواضعة لنتائج انفجارِ بركانٍ هائلٍ أو سقوطِ مذنبٍ كبيرٍ إلى حدٍّ ما بحيث لا يدمر الأرض نهائياً، ومن الممكن أن يكون هناك تأثيرات أخرى لا يعلمها إلا الله ﷻ، ولكنَّ شكلَ الحياة على كوكب الأرض بالتأكيد سيكون مختلفاً عما نحن عليه الآن، ولك أن تتخيلَ شعورَ الناس ومعاناتهم في التأقلم على شكل الحياة الجديد بعد أن ذاقوا حياة الرفاهية التي نعيشها الآن، ولذلك كان وصفُ الله ﷻ محكماً عندما قال ﷻ: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان]، فكان ردُّ فعلِ الناس في الآية التي تليها مباشرة: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان]، فمن هذه الآية يتضح لنا حجمُ الكارثة التي سيعيشها هذا الجيلُ المتقل من مرحلة الرفاهية إلى مرحلة الشقاء والتعب لم يعتادوا عليها من قبل والله أعلم.

كم يدوم تأثير الدخان على الأرض؟ وما هو دعاءُ الناس في ذلك الوقت؟

إن دخولنا في آية الدخان معناه أننا دخلنا في نهاية الحياة الدنيا، وتكون الأحداث الأخيرة هي من بابٍ إنهاء قصة البشرية بما حملته من ترسيباتٍ عبر التاريخ، حيث تنتهي الأديان ويسود الإسلام على الدين كله، فتكونُ تجربةٌ أخيرةٌ ينتصر فيها الحقُّ خلال مرحلة المهدي وعيسى عليه السلام ويتم فيها إنهاءُ كلِّ الملفات العالقة عبر التاريخ، والمسلمون بصفة عامة تفرقوا فرقاً كثيرةً عبر التاريخ عبر عنها النبي ﷺ بأنهم يفترقون ثلاثة وسبعين فرقةً أي زيادةً عن اليهود والنصارى بفرقة، فهذه ترسُّباتٌ كبيرةٌ جداً عبر التاريخ الإسلامي، يأتي المهدي الحقُّ فيحسم هذه المسألة وتتساقط الدعاوى من هنا وهناك ولا يبقى للأدعياء أيُّ حيلةٍ، واليهود والنصارى ينتظرون مسيحهم، فعندما سيأتي سيدنا عيسى عليه السلام العابد لله ﷻ تحت لواء

1 أنظر علاقة انشقاق القمر علمياً بأشراط الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر

الإسلام عندها تنتهي كل دعاويهم وحججهم وسيخوض المعركة النهائية التي تُنهي وجودهم إلا من أسلم منهم قبل تلك المعركة واختار طريق الحق، فمعركة الدجال ستنتهي كل الديانات وسيظهر الإسلام على الدين كله.

إنَّ هذا الحدث العظيم لم يُذكر فقط في سورة الدخان، بل كثيرٌ من الآيات التي حملها بعضُ المفسرين على أنَّ المراد بها يوم القيامة، ولكن هي من الدرجة الأولى تتحدث عن أولِّ علاماتها وهو الحدث الكونيُّ أو آية الدخان، فسورُ النجم وغافر والطارق مهدت للأمر بذكر الآيات العظام، فتناولت جانباً من هذا الحديث الذي عبرت عنه تلك السورُ باسم الآزفة أي القرية أو الضربة القرية بين يدي الساعة نفسها، فالآزفة هي العلامة الأعظم والأقرب التي تمسُّ البشرية وتؤذن بالنهاية.

إنَّ الله ﷻ ذكر لنا وبطريقة إعجازية مراحل حياة الناس بعد الهدية وعذاب الدخان في ثلاث مراحل مختلفة من خلال ثلاث آيات قصيرة جداً في سورة الدخان توضح لنا أنَّ الحياة على كوكب الأرض لن تستمرَّ طويلاً:

1- المرحلة الأولى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾

ان مرحلة الدخان تمثل مرحلة عقوبة عظيمة ومرحلة حصاد كبيرة جداً قبل مرحلة القيام الحقيقي للساعة (البطشة الكبرى) وذلك لأنَّ الهدية وما سيعقبها من الدخان سيقع والبشرية في أعلى مجدها الديني في مرحلة تكون أعداد البشرية كبيرة جداً، فهو القيامة الصغرى بحق بين يدي القيامة الكبرى، لذا ما يتبقى من الدنيا هو تحقيق فقط لهذه السنة المهمة بحيث ينتهي مسرح الحياة بإحقاق الحق وإبطال الباطل من كل الوجوه؛ فبعد انتشار الدخان مباشرة سيؤمن الناس وسيدعون الله ﷻ بكشف العذاب ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وستنذكر الناس وقتها الإنذارات المتكررة التي حذرهم فيها المهدي من وقوع العذاب إذا لم يطيعوا الله ﷻ ويسلموا ﴿أَلَيْسَ لَهُمُ الدِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿لذا فإنَّ مرحلة ما بعد الهدية والصيحة وانتشار الدخان هي مرحلة المهدي وعيسى بن مريم ﷺ لتحقيق ذلك بانتصارها على الباطل بالأرض، وإبطال كل شبهاته على مدار التاريخ، فأيام المهدي وعيسى عليهما السلام ﷺ هي لإنهاء ملفات وشبهات لها امتداد تاريخي ضارب في القدم يمتدُّ من السبي البابلي إلى يومنا هذا.

2- المرحلة الثانية: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ١٥

أنها مرحلة تتكون من طرفين، الطرف الأول: هو الله ﷻ حين يكشف قليلاً من العذاب ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾، والطرف الثاني: هم الناس حيث سيعودون إلى ما كانوا عليه قبل الهدية وعذاب الدخان ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ١٥.

ان هذه المرحلة تكررت مع سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ أَذْغُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ ١٩ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ٢٠ [الزخرف]. وفي تفسير البغوي لهذه الآيات: ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى لما عاينوا العذاب ﴿يَتَّيْنُهُ السَّاحِرُ﴾ يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له، لأنَّ السحر عندهم كان علماً عظيماً وصفة ممدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره، وقال الزجَّاج: خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. ﴿أَذْغُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب، فاسأله يكشف عنا العذاب ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ ١٩ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا ونقضوا عهدهم وأصروا على كفرهم ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ٢٠ [الزخرف].

ولذلك جاءت آيات التذكير بفتنة قوم فرعون بعد آيات الدخان مباشرة في سورة الدخان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان]. فالفتنة التي حدثت مع قوم فرعون ستتكرر، ولكن على نطاقٍ واسعٍ ليشمل العالم كله، فهذه المرحلة سيتشعر عذاب الدخان في العالم كله وليس مصر فقط كما حدث في عهد سيدنا موسى عليه السلام، وسيؤمن الكثير من الناس فمنهم من سيسلم وسيكون في صفوف جيش المهدي في الملاحم، ولكن الجزء الثاني من هذه المرحلة وهي ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ١٥ [الدخان]، تدل على تكرار ما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام من قوم فرعون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف]، ولذلك فإنني أعتقد أنَّ جزءاً كبيراً من الناس سيعودون الى سابق عهدهم قبل آية الدخان سواء في عهد المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام، أو فيما بعدهم، فعند طلوع الشمس من المغرب سيكون هناك كفارٌ لن تُقبل توبتهم، ومن علامات الساعة ارسال الله ﷻ رجلاً طيبةً تقبض أرواح المؤمنين صيانةً لهم عن الفرع والخوف الذي يكون عند قيام الساعة، فالساعة لا تقوم الا على شرار الناس.

هذا يدل على إصرار العديد من الناس على كفرهم بالرغم من انتشار الدخان في سماء

الأرض، ولذلك لم يذكر الله ﷻ كلمة الناس في الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فهذا الدعاء يدل على أن عدم دعاء الناس جميعاً لكشف العذاب، بعكس آية العذاب التي قبلها التي ذكرت الناس ولم تستثنى أحداً، قال تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾.

3- المرحلة الثالثة: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾

لقد جاءت هذه الآية مباشرة بعد الآية الكريمة ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾، فلا توجد أي إشارة بين الآيتين بكشف العذاب بصورة تامة، وهذا يدل على أن الدخان سيظل في سماء الكرة الأرضية الى قيام الساعة -والله أعلم- سيقبل تأثير وتركيز هذا الدخان كما وضحت الآية ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾، ولكن لن تعود سماء الأرض صافية كسابق عهدها إلى أن تقوم الساعة أو أن هناك من آثار الدخان سيستمر -والله أعلم-.

هناك أجيال قليلة، ستولد بعد الجيل الذي سيعاصر الهدى وآية الدخان، ولكن حضارتهم لن تكون على نفس مستوى الحضارة التي كانت موجودة قبل آية الدخان، فسيكون هناك على سبيل المثال العلوم التي تتناول كيفية صناعة الطائرات ولكن لن يتم الاستفادة بهذا العلم لأن السماء المليئة بالدخان لن تسمح بطيران الطائرة التي سيصنعونها، وهذا ينطبق على علوم كثيرة ستصل لها الحضارة قبل آية الدخان.

إن الآيات التي تتحدث عن علامات الساعة إنما تتحدث عن مراحل متتابعة، فدخولنا بالآيات العظام هو بمثابة دخولنا في الساعة نفسها، بمعنى أن حدوث آية الدخان تشير إلى انتهاء الزمان بأول علامة عظيمة مؤثرة على الأرض كلها، فبعدها ستستمر الدنيا مدة قليلة جداً كما بينت أحاديث النبي ﷺ ثم تأتي البطشة الكبرى وهي يوم القيامة -والله أعلم- بتلك المدة فمن الممكن أن تدوم هذه المدة قرنين من الزمان أو خمسة قرون أو أكثر من ذلك، فهذا في علم الله ﷻ، ولكنها في كل الأحوال هي مدة زمنية قليلة جداً جداً بالمقارنة بعمر البشرية على سطح الكرة الأرضية.



الفصل الحادي عشر الرسولُ المَهدي







الرسول المهدي



يُعرف المهدي المنتظر بين أغلب المسلمين بأنه رجلٌ مسلمٌ سيكون ظهوره بمثابة كونه الفاصل بين علامات الساعة الصغرى وعلامات الساعة الكبرى، وهو رجلٌ من ذرية المصطفى ﷺ من ولدِ فاطمة، ومهمّة المهدي أنّه سوف يبعثه الله ﷻ حتى يكون خليفة للمسلمين يقودهم نحو العدل والرّشاد، وتكون من أجلّ مهامّه وافضلها أن يحارب الظلم والظالمين ويطبّق العدل والمساواة بين الناس حتى تمتلئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت من قبل ظلمًا وجوراً، كما تؤدّي سياسات المهدي المنتظر إلى كثرة المال بين الناس ببركة العدل وظهور النعم والخيرات ونمائها، وأنّه يخرج على اختلاف بين الناس وفتن كثيرة حتى يبايعه الناس بالخلافة والإمامة، وأنّه سيستقر في بيت المقدس، وفي عهده ينزل المسيح عيسى ﷺ، ويدخل عليه المسجد وهو يؤمّ المسلمين فيتأخّر الإمام المهدي حتى يؤمّ سيّدنا عيسى ﷺ المسلمين، فيثبت سيّدنا عيسى ﷺ إماماً بقوله لك أقيمت الصلاة، وسائر الاعتقاد بين المسلمين بأنّ المهدي أمره لن يتعدّى كونه قائداً وفرداً عادياً كسائر الأفراد في هذه الأمة.

لقد جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي، وأنّه سيكون في آخر الزمان وهو علامة من علامات الساعة وشرط من أشراطها، وقد تواترت الأحاديث بظهور المهدي تواتراً معنوياً، كما نصّ على ذلك بعض الأئمة والعلماء وفيما يلي ذكر طائفة من أقوالهم:

1- قال الحافظ أبو الحسن الأبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنّ عيسى ﷺ يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤمّ هذه الأمة ويصلي عيسى ﷺ خلفه.

2- وقال محمد البرزنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة: الباب الثالث في الأشراف العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي كثيرة منها المهدي وهو أولها، وأعلم أنّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر، وقال أيضاً: قد علمت أنّ أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عتره رسول الله ﷺ من ولد فاطمة (عليها السلام) بلغت حدّ التواتر المعنويّ فلا معنى لإنكارها.

3- وقال العلامة محمد السفاريني: وقد كثرت بخروجه -أي المهدي- الروايات حتى بلغت التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عدّ من معتقداتهم، ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي وأسماء بعض الصحابة ممن رواها ثم قال: وقد روي عن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم عليه السلام بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعته العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومُدَوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة.

4- وقال العلامة المجتهد الشوكاني: الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك.

5- وقال العلامة الشيخ صديق حسن خان: الأحاديث الواردة فيه - أي المهدي - على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حدّ التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد.

6- وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: والحاصل أنّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم (عليهما السلام)⁽¹⁾. هذا وينبغي العلم بأنّ عدداً من الكذابين قد وضعوا أحاديث في المهدي أو في تعيين أشخاص من الكذابين على أنهم المهدي أو أنّه على غير ملّة أهل السنة والجماعة، كما حاول ادّعاء المهدوية عدد من الدجالين مخادعة لعباد الله تعالى ولنيل شيء من حُطام الدنيا ولتشويه صورة الإسلام وقام بعضهم بحركات وثورات وجمعوا من استغفلوهم من الناس أو ساروا معهم منتفعين ثمّ هلك أولئك وتبين كذبهم وانكشف زيفهم ونفاقهم، وكلّ ذلك لا يضرّ بمعتقد أهل السنة والجماعة في المهدي وأنّه خارج لا محالة ليحكم الأرض بشريعة الإسلام والله تعالى أعلم.

لقد شرحنا من خلال الفصول السابقة مقتطفات من حياة المهدي قبل البيعة وفي هذا

الباب سنشرح دلائل الرسالة من خلال تسليط الضوء على بعض الأحاديث النبوية الشريفة حتي نستخلص منها باقي الحلقات المفقودة في حياة المهدي، وإني هنا لا أدعى معرفة الغيب بل انني أحاول جاهداً ربط الخيوط بعضها ببعض من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية حتى أصل لمعرفة حقيقة هذه الشخصية التي بشرنا بها النبي ﷺ، ومن الوارد أن أخطئ في بعض نقاط البحث عن سيرة المهدي؛ فأنا لست بنبي أو رسول معصوم من الخطأ، ولكنني أحاول جاهداً استخلاص سيرة المهدي المنتظر من وسط عشرات الأحاديث النبوية والآثار المختلفة سواء كانت صحيحة أو ضعيفة والتي تتحدث عن سيرة المهدي المنتظر.

تبشير النبي ﷺ بالمهدي؛

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدَلاً كَمَا مَلَأَتْ جَوَراً وَظُلْماً، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صَاحِحاً. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا صَاحِحاً؟ قَالَ: السُّوْيَةُ بَيْنَ النَّاسِ»⁽¹⁾.

ولقد نصَّ القرآن على أن إخبار المسيح ﷺ بالتبشير بالنبي ﷺ كانت بنفس الصيغة التي اختارها النبي ﷺ لحفيده المهدي وذلك في قوله ﷺ على لسان المسيح ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: 6]. وعليه لما بشر المصطفى ﷺ بالمهدي بعده إنما كان هذا متبعاً على عادة الرسل كل يبشر بالذي بعده، كما قال الله ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: 48]. وهناك نوع آخر من التبشير مثل تبشير زكريا ﷺ بولده يحيى ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 39].

وهكذا هي سنة الأنبياء ما بشروا بذرية إلا وكانت البشرية واقعة على رسول أو نبي، وهل بشر النبي ﷺ بأحد من بعده إلا بالمهدي وسيدنا عيسى ﷺ متبعاً بذلك سنة من سبقه من أنبياء الله ﷺ.

السري اسم المهدي

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُهْدِيُّ مِنْ عِثْرَتِي»⁽¹⁾ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ⁽²⁾. فكلمة المهدي اسمٌ مفعولٍ من الفعل هدى، يُقال هداه الله ﷻ الطريق أي عرفه ودلّه عليه، ويُنهه له، فهو مهديٌّ، وقد ورد واشتق منه في (305) موضعاً في القرآن الكريم، في اثنتين وستين سورة من سور القرآن الكريم، ذكر فيها علماء الوجوه والنظائر ثمانية وعشرين وجهاً، مع اختلافٍ بينهم في معنى اللفظ في الآية الواحدة، ومنها: (البيان - التوفيق - الإرشاد - الدليل - الدعاء - دين الإسلام - الإيمان - التوحيد - الرسل والكتب - القرآن - التوراة - السنة - الإلهام - الإصلاح - الثبات - المعرفة - الاستبصار - التعليم - التقديم - الفضل - الثواب - الصواب - التوبة).

إن سرّ هذا الرجل هو في لقبه (المهدي) فهناك إشاراتٌ إلى أنه يُلقب بهذا اللقب لأنه يُهدى لأمرٍ خفيٍّ أو يُرشد لأمرٍ طوته الذاكرة البشرية بالنسيان، أو يُهدى لمكان أسفار التوراة والإنجيل كما أنزل على موسى وعيسى (عليهما السلام) فهذه الأمور محتملة لكن مسألة هدايته لا بدّ - والله أعلم - أن تكون هداية خاصة تميّز بها على مستوى البشرية، هدايةً يدركها الأتباع ويجدونها أصدق وصفٍ له، كما أن أصدق وصفٍ لعمر بن الخطاب هو الفاروق لأنه فرّق بين الحقّ والباطل، وأصدق وصفٍ لأبي بكر هو الصديق، وكذلك أصدق وصفٍ لإمام آخر الزمان هو المهدي، فما هو نوعُ الهداية الخاصة التي سيميز بها...؟ ليس بين أيدينا إشارة قطعية تدلّ على ذلك، لكن ما يفهم من مجموع الأدلة أنها هدايةٌ لأمرٍ عظيمٍ يغيب عن المسلمين فقط أو عن البشرية بأكملها.

ويأتي تساؤلٌ هنا: هل لهذه الهداية علاقةٌ بليلة الإصلاح..؟

إنني أعتقد - والله أعلم - أن للهداية علاقةً قويةً جداً بليلة الإصلاح، وفي الغالب ستأتي الهداية في ليلة الإصلاح أو قبلها والله أعلم.

أما عن اسمه الحقيقيّ فالثابت أن اسمه يواطئ اسم النبي ﷺ كما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَذْهَبُ أَوْ لَا تَنْقُضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ

1 عِثْرَتِي: أي من نسبي وأهل بيتي

2 سنن أبي داود 373/11. وسنن ابن ماجه 2/1368، وقال الألباني في صحيح الجامع: صحيح 6734



مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»⁽¹⁾. فهناك من يرى أنه يلزم أن يوافق اسمُ المهدي اسمَ النبيِّ محمدٍ ﷺ، دون الأخذ في الاعتبار اسمَ أبيه، وهناك من يرى أنَّ اسمَ المهدي يجب أن يكونَ (محمد بن عبد الله) فكلمةُ المواطأةِ تحتملُ معانيَ عديدةً، ولذلك فأنا أعتقد -والله أعلم- أنَّ النبيَّ ﷺ تعمَّدَ عدمَ التصريح باسمِ المهدي الحقيقي خوفاً عليه من سلاطين الجور وأئمة الضلال، لئلا تبيسَ معرفته فيسهل تمييزه للطالبيين لقتله والساعين للإمساك به والله أعلم.

وصف النبيِّ ﷺ للمهدي بصورةٍ شبه مفصلة..١

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المُهْدِيُّ مِنِّي أَجَلِي الْجُبْهَةِ»⁽²⁾ أَقْتَى الْأَنْفِ⁽³⁾ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»⁽⁴⁾.

إن النبيَّ ﷺ لم يصف أيَّ شخصٍ على نحوٍ مُفصَّلٍ كما وصف المهدي، كما أنه دعمه وقَدَّمه لنا بوصفه حتى نعرفه، وهكذا فإنَّ النبيَّ ﷺ ساعد المهدي من خلال وصفه بطريقةٍ مُفصَّلةٍ جداً، ووصف الأحداث التي ستحدث في أثناء أو بعد ظهوره، وهناك أحاديثٌ كثيرةٌ جداً تتناول ذلك من الممكن أن يكونَ منها الصحيح أو الضعيف، وسنذكر باختصار خلاصة ما جاء في أوصاف المهدي في النقاط التالية، مع الأخذ في الاعتبار أنَّ من هذه النقاط من الممكن ألا تتوافر في المهدي عند ظهوره، فالأحاديث الكثيرة التي تتحدث عن وصف المهدي وصفاته سيتبين صدقها أو كذبها عند ظهوره على أرض الواقع، ومن هذه الأوصاف والصفات ما يلي:

- 1 - المهدي من أهل البيت من ولد السيدة فاطمة الزهراء.
- 2 - اسمه يواطئ اسمَ النبيِّ.
- 3 - أجلى الجبهة (الخفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته).

1 مسند أحمد 5/ 199 ح 3573 .

2 أَجَلِي الْجُبْهَةِ انحسار الشعر عن مقدمة الجبهة

3 أَقْتَى الْأَنْفِ: أي أنفه طويل رقيق في وسطه حذب

4 سنن أبي داود كتاب المهدي 11/ 375 ح 4265 . ومستدرک الحاكم 4/ 557 وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وهو في صحيح الجامع 6736 .

- 4- أفتى الأنف - طولاً ودقة ورقّة - وفي أرنبتة حدبٌ في وسطها.
- 5- وجهه كالكوكب الدرّي.
- 6- لونه لونٌ عربيّ (أي حنطي أو أبيض).
- 7- كث اللحية.
- 8- في خده الأيمن خالٌ أسود.
- 9- براق الثنايا، أفرق الثنايا (يعني انفراجها وتباعدها عن بعضها).
- 10- عنده ثقلٌ في لسانه (كسيدنا موسى عليه السلام في لسانه رته وثقل).
- 11- إذا أبطأ عليه الكلام يضرب بيده اليمنى فخذة اليسرى.
- 12- مربع أي وسط بين الطول والقصر.
- 13- انفراج فخذه وتباعده ما بينهما.
- 14- جسمه جسم إسرائيلي (أي طويل مملوء الجسم كأبناء يعقوب عليه السلام).
- 15- مبدح البطن (أي واسع البطن).
- 16- يُبعث بين الثلاثين والأربعين.
- 17- جواد بالمال (يحشوه حثياً ولا يعده عدّاً)
- 18- خُلِّقه كخُلُق النبي (أي يشبه النبي ﷺ في خُلُقِه أي في معاملته).
- 19- يعمل بسنة النبي ﷺ.
- 20- يرضى عنه ساكن الأرض والسماء.
- 21- يُبعث في الأمة في وقت اختلاف وفتن وزلازل.
- 22- يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.
- 23- تكون مدة حكمه سبع سنين والله أعلم

ما هي نوعية الإصلاح التي ستحدث للمهدي؟

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «المُهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ»⁽¹⁾.
 نلاحظ في هذا الحديث إشارةً نبويةً إلى أن المهدي يصلحه الله ﷻ في ليلة واحدة وهذا الامر في

1 مسند أحمد 2/ 58 ح 645 تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح وسنن ابن ماجه 2/ 1367. والحديث صحيحه أيضاً الألباني في صحيح الجامع الصغير 6735.

حدّ ذاته معجزة، فكيف يؤهل إنسان نفسياً أو علمياً أو بدنياً في ليلة واحدة في اثنتي عشرة ساعة فقط...؟ ومن الذي يقوم بعملية الإصلاح...؟ إنه الله ﷻ القادر على كلّ شيء، فإذا أراد أن يقضى أمراً فإنها يقول له كن فيكون.

قال ابن كثير في كتابه "النهاية في الفتن والملاحم": "أي يتوب عليه ويوفقه، ويلهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك".

ولم يتبين في هذا الحديث ماهية الإصلاح...؟ هل هو جسدي أم علمي أو ما هو هذا الإصلاح بالتحديد...؟ فهذا الإصلاح يحتمل أن يكون تهيئة المهدي للقيام بأعباء قيادة الأمة، فالإنسان قد يكون صالحاً في نفسه، لكنه لا يكون كفواً لإصلاح أمة أو قيادتها، وهذا معلوم فإن قيادة أمة تتطلب مؤهلات كثيرة، خاصة إذا كانت هذه الأمة غارقة في الفتن والمتاهات والضلالات وتسلط الغير عليها، ففي مثل هذه الحالة لا تحتاج الأمة إنساناً صالحاً فقط ليرشدّها سبيل النجاة مما هي فيه فقط، بل تحتاج قائداً ملهماً تتوفر فيه كلّ مؤهلات القيادة لكي يوقظها من غفلتها.

لذا فأنا أعتقد بأنّ المراد بالإصلاح هنا هو تأهيل المهدي بكلّ مؤهلات القيادة التي تتناسب مع المهمة التي سيكلف بها في تلك الليلة، فهذه الليلة -والله أعلم- هي إحدى الليالي المباركة وهي ليلة نزول الوحي عليه وليلة التكليف بالرسالة كما أشرنا سابقاً في فصل الدخان، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ﴿١﴾ فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٢﴾ [الدخان].

إنّ الإصلاح لا يعني بالضرورة كون المهدي قبل تلك الليلة صاحب معاصٍ وسيغفر له الله ﷻ له تلك المعاصي، فالتوبة تكفي لذلك، ولكنني أعتقد بأنّ الإصلاح هنا يراد به الترقية والترقية في الصفات وتدعيم المهدي بالبينات التي تثبت بأنه رسول من عند الله ﷻ، ولا تعني بالضرورة رفع المعاصي وتنحيها، ويعززه قول سيدنا علي ؑ عن المهدي أنه يشبه النبي ﷺ في الخلق، وفي رواية أنه لم تلبسه فتنة، مما يؤكد أن المراد بالإصلاح هو التأهيل والتهيئة لقيادة الأمة، وذلك بتبصيره بمواطن الخلل في الأمة وطرق العلاج والمنهج الحكيم للخروج من الفتن التي عصفت بها، ووسائل تجديد معاني الإيمان فيها، والقدرة على تأليف القلوب، والاستبصار بمعالم الرسالة كاملة لكي يعززها في أتباعه... إلخ، فالمهدي بالتأكيد رجل صالح، لكن هذا شيء وحمل أمانة أمة بأكملها في أشدّ مراحل الفتن والظلمة التي مرت بها

البشرية شيء آخر، فهذا لا محالة يحتاج إلى إصلاح لا يعلم حقيقته إلا العليم الخبير، وتأخير الإصلاح حتى اللحظة الأخيرة قد يكون لدواعي الحفظ من جهةٍ ولدواعي الاصطناع من جهةٍ أخرى في خضمّ الفتن والابتلاءات.

إنني لم اجد سوى إشارة واحدة لنوعين من البينات التي ستُعطى للمهدي في ليلة الإصلاح -والله أعلم- وهي إعطاؤه فقه عشرة وهي إشارة -والله أعلم- بأنه سيحصل على علوم الدين التي يكافئ بها علم عشرة رجالٍ من فقهاء الدين في ليلة واحدة حتى يكون مؤهلاً للرسالة، فليس من المنطقي أن يكون المهدي رسولا وهو لا يفقه الا القليل في الدين، كما أن هناك إشارة أخرى بأنه سيستخرج تابوت السكينة بما فيه من التوراة التي أنزلها الله ﷻ على موسى ﷺ والإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على عيسى ﷺ، تلك الإشارات موجودة في كتاب الفتن لنعيم بن حماد الجزء الأول ((حدثنا أبو يوسف المقدسي عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر الخثعمي عن كعب قال المهدي يُبعث بقتال الروم يُعطي فقه عشرة يستخرج تابوت السكينة من غارٍ بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى ﷺ والإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على عيسى ﷺ يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم)) ومن الممكن أن يؤيد الله ﷻ المهدي بيناتٍ أخرى لم تصل إلينا أي آثار أو أحاديث توضح لنا هذه البينات، ولكنني أعتقد -والله أعلم- بأن الله ﷻ سيؤيد المهدي بيناتٍ كبرى ستتناسب مع حجم رسالته التي سيتم تكليفه بها لإنذار العالم أجمع بعذاب الدخان الممين كما حدث من قبل مع سيدنا موسى ﷺ.

المهدي سيبعثه الله ﷻ إلى الأمة:

عن عبد الرحمن بن عوفٍ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبعثن الله من عترتي رجلا أفرق الشنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلا، يفيض المال فيضا»⁽¹⁾.
وعن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يخرج المهدي في أمّتي يبعثه الله غياثاً للناس، تنعم الأمم، وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا»⁽²⁾.
وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي، يُبعث في أمّتي على

1 أخرجه الحافظ أبو نعيم، في عواليه، عقد الدرر في أخبار المنتظر (1/71)

2 المستدرک علی الصحیحین: 4 / 601 ح 8673، مسند أحمد 3 / 21 - 22، عقد الدرر: 155.

اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً». فقال له رجل: وما صحاحاً...؟ قال: «السوية بين الناس»⁽¹⁾.

كانت هذه بعض الأحاديث النبوية التي أشار فيها النبي ﷺ بأن الله ﷻ سيبعث المهدي إلى الأمة، وكلمة البعث هنا لها دلالات مهمة جداً وأهمها الإرسال، ففي أكثر الأحاديث المروية عن النبي ﷺ جاءت كلمة البعث بمعنى الإرسال فعن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة هكذا»، ويشير بإصبعيه فيمُدُّ بهما⁽²⁾، وقال رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتم صالح الأخلاق» [رواه أحمد]؛ وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «خيرُ القرونِ القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه.

ونفس اللفظ استخدمه النبي ﷺ مع عودة سيدنا عيسى ﷺ في آخر الزمان ففي صحيح مسلم بعد ذكر فتنة الدجال: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّهُ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ...»⁽³⁾.

فاللفظ إذاً واضحٌ ومستخدمٌ في زمن النبي ﷺ بكثرةٍ وأكثر استخداماً يكون بمعنى الإرسال، أي يرسله الله ﷻ أو يرسله فلانٌ، فيكون المبعوث اسمه رسول، ولو كان النبي ﷺ يعلم أن في هذا اللفظ المشهور بمعنى الإرسال سيتسبب في فتنة للمسلمين فيما بعد لما استخدمه مع ذكر المهدي وسيدنا عيسى ﷺ مرفقاً باسم الله ﷻ، ولما جعلنا في حيرةٍ في معنى البعث، فكان من الممكن أن يقول النبي ﷺ (سيظهر أو سيأتي من عترتي رجلٌ) ولا يقول «ليبعثنَّ الله من عترتي رجلاً...» فلفظ البعث ورد كثيراً في أحاديث المهدي، فهناك تواترٌ لفظيٌّ بأن الله ﷻ سيبعث المهدي في أكثر من حديث نبويٍّ، وكذلك نفس الحال مع سيدنا عيسى ﷺ «...إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ...».

وحتى نصلَ للمقصود من حديث النبي ﷺ عن لفظ بعث الله ﷻ للمهدي يجب علينا أن

1 انظر: مسند أحمد 3 / 37 و 52، عقد الدرر: 164.

2 [متفق عليه]

3 رواه مسلم (2937)

نفهم معني البعث في اللغة ومنه تستطيعون أنتم الحكم ما المقصود بعبارة يبعث الله ﷻ المهدي أو يبعث الله سيدنا عيسى ﷺ، ففي كتاب الموسوعة العقدية⁽¹⁾ جاء مفهوم البعث ما يلي:

يختلف تعريف البعث في اللغة باختلاف ما علق به، فقد يطلق ويراد به:

1- الإرسال: يقال بعثت فلاناً أو ابتعثته أي أرسلته، عن عمار بن ياسر ﷺ قال: "بعثني النبي ﷺ في حاجة فأجبت فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة....." [متفق عليه].

2- البعث من النوم: يقال: بعثه من منامه إذا أيقظه (وهذا المعنى لا يستقيم مع حال المهدي ومهمته).

3- الإثارة: وهو أصل البعث، ومنه قيل للناقة: بعثتها إذا أثرتها وكانت قبل باركة، وفي هذا يقول الأزهري في تهذيب اللغة: (قال الليث: بعثت البعير فانبعث إذا حللت عقله وأرسلته، لو كان باركاً فأثرته).

وقال أيضاً: والبعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الإرسال كقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس]، معناه أرسلنا.

والبعث أيضاً الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله جل وعز: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 56]، أي أحييناكم.

وقال أبو هلال في الفروق: بعث الخلق: اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس].

فالبعث ضربان:

1- بشري كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة.

2- بعث إلهي وذلك ضربان:

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس، وذلك يختص به البارئ تعالى، ولم

1 كتاب الموسوعة العقدية إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت [212] [213] [214]



يقدر عليه أحداً.

والثاني: إحياء الموتى، وقد خَصَّ بذلك بعض أوليائه كعيسى عليه السلام، والثاني، ومنه قوله ﷺ: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 56]، يعني الحشر. وقوله ﷺ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 31]، أي قيضه. وقوله ﷺ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف]، وذلك إثارة بلا توجيه إلى مكان.

يظهر المهدي والأمة في حالة من الفتنة فيملك ويملا الأرض عدلاً؛

علامات ظهور المهدي المنتظر وفق السنة النبوية أنه يظهر حين لا يكون للناس خليفة جامع يطبق شرع الله ﷻ، فلقد غابت الخلافة الإسلامية بعد ثلاثين عاماً من وفاة المصطفى ﷺ، وبدأ الملك العاص مع بني أمية إلى نهاية الدولة العثمانية، ثم بدأ الحكم الجبري على يد مصطفى كمال أتاتورك سنة 1924 م ونحن الآن في انتظار الخلافة على منهاج النبوة، فعن سيدنا حذيفة بن اليمان: قال سيدنا رسول الله ﷺ: «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مَنِهَاجِ النَّبُوءَةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مَنِهَاجِ نُبُوءَةٍ»⁽¹⁾.

وروى الحافظ العراقي من طريق أحمد حديثاً صحيحاً مرفوعاً عن حذيفة عليه السلام: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاها شيئاً إلا أخرجه».

1 رواه الإمام أحمد في مسنده، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح.

إن تاريخ الأمة الإسلامية ينقسم إلى خمسة مراحل كما ذكرها رسول الله ﷺ في هذا الحديث:

- 1 - النبوة (العهد النبوي الشريف).
 - 2 - خلافة على منهاج النبوة (عهد الخلفاء الراشدين).
 - 3 - ملكاً عاصراً (منذ بداية الخلافة الأموية حتى انتهاء الخلافة العثمانية).
 - 4 - ملكاً جبرياً (منذ عهد كمال أتاتورك الذي ألغى الخلافة العثمانية حتى الآن).
 - 5 - خلافة على منهاج النبوة (تبدأ بالمهدي والله أعلم).
- وقد عاشت الأمة الإسلامية حتى الآن أربعة مراحل من الذي ذكرهم النبي ﷺ ولم يتبقى إلا آخر مرحلة والتي سكت بعدها والتي تدل أن بعدها نهاية الأمة الإسلامية وأحداث يوم القيامة.
- ومن المعلوم أنه في كل مرحلة تنتقل فيها الأمة الإسلامية إلى المرحلة التي تليها تُصاب الأمة بفتنة شديدة تجعلها تنتقل من مرحلة إلى أخرى.
- فعند وفاة النبي ﷺ انتقلت الأمة إلى مرحلة الخلافة على منهاج النبوة بتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة وما صاحبه ذلك من فتنة الردة وارتداد معظم شبه الجزيرة العربية عن الإسلام ماعدا المدينة ومكة والطائف وما أعقب ذلك من حروب الردة.
- وأيضاً تم انتقال الأمة الإسلامية من الخلافة على منهاج النبوة إلى الملك العضوض بعد الفتنة الكبرى بين الصحابة الكرام والذي انتهى إلى عام الجماعة بتولي معاوية الخلافة وما تلاه من توارث الخلافة حتى انتهاء الخلافة العثمانية وهي مرحلة الملك العضوض.
- ثم بعد ذلك انتقلت الأمة الإسلامية من مرحلة الملك العضوض إلى مرحلة الحكم الجبري بعد قيام الثورة العربية وتحالفها مع الغرب ضد الخلافة العثمانية فكانت هذه فتنة بين العرب المسلمين والترك المسلمين، والتي انتهت بهزيمة الخلافة العثمانية وما أعقب ذلك من إلغاء الخلافة بواسطة مصطفى كمال أتاتورك سنة 1924 م، ومنذ ذلك التاريخ انتقلت الأمة الإسلامية إلى مرحلة الحكم الجبري.

والآن فنحن على أعتاب نهاية الحكم الجبري وما نراه الآن -والله أعلم- ما هو الا فتنة الدهماء التي بدأت من أواخر العام 2010 مع اندلاع الثورة التونسية ثم المصرية واليمنية والليبية والسورية وما تلاها من ثورات في دول عربية أخرى. إنني أعتقد أن ما تمر به البلاد

العربية الآن من ثوراتٍ متتاليةٍ ما هي إلا فتنةُ الدهيماء التي أخبرنا عنها النبي ﷺ حين قال: «ثم يكون فتنة الدهم كلما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته يقاتل فيها لا يدري على حقٍ يقاتل أم على باطل، فلا يزالون كذلك حتى يصيروا إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجال اليوم أو غدا». والحديث واضح وينطبق على حالنا الآن فعندما تنتهي هذه الفتنة وتجتمع الأمة على الخلافة على منهاج النبوة بقيادة المهدي ثم سيظهر المسيح الدجال، وما يعقب ذلك من قتله بواسطة سيدنا عيسى عليه السلام ثم استمرار الخلافة على منهاج النبوة إلى قبل قيام الساعة بقليل والله أعلم.

فتنة الدهيماء التي سيعت الله ﷻ أثنائها المهدي تُعتبر أول مؤشِّر لظهور أشرار الساعة الكبرى، ففي أثناء تلك الفتنة سيظهر المهدي وتعود الخلافة على منهاج النبوة وتكون الصيحة والدخان والملحمة الكبرى وظهور المسيح الدجال ثم نزول سيدنا عيسى عليه السلام و قتله للدجال، كلُّ هذا سيحدث في سنواتٍ قليلةٍ، فهناك من الناس من سيعاصر فتنة الدهيماء وسيظلُّ على قيد الحياة إلى أن يعاصر سيدنا عيسى عليه السلام، فإذا كنا الآن بالفعل في تلك الفتنة فنحن في انتظارٍ ظهور المهدي وتوالى علامات الساعة الكبرى بما فيها الدخان والمسيح الدجال، وإذا لم تكن الأحداث التي نعاصرها الآن ليست بالفتنة التي تسبق ظهور المهدي وأشرار الساعة الكبرى فالله أعلم متى ستكون هذه الفتنة التي ستسبق ظهور المهدي، هل ستكون بعد خمسين عاماً أو مائة عام..؟ الله أعلم، وهل لو كنا الآن بالفعل نعيش في زمن فتنة الدهيماء التي تسبق ظهور المهدي فكم المدة التي ستطول فيها هذه الفتنة..؟ هل سيكون امامنا عشر سنوات أخرى أم عشرون سنة..؟ هنا نجد أنَّ الروايات اختلفت في مدة هذه الفتنة فهناك روايات تقول إنها (اثنا عشر عاماً) وروايات أخرى تقول (ثاني عشر عاماً) وإننا لو حاولنا التوفيق بين المُدتين لوجدنا الأمر صعباً فالفرق هو (ست سنوات).

فهناك أثرٌ ورد في كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزازي عن أبي هريرة رضي الله عنه وكأنه يتحدث عن أحداث زماننا..! يقول الأثر: حدثنا عثمان بن كثير عن محمد بن مهاجر وحدثني جنيد بن ميمون عن صفوان بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " الفتنة الرابعة عمياء مظلمة تمور مور البحر لا يبقى بيتٌ من العرب والعجم إلا ملأته ذُلًا وخوفًا، تطيف بالشام وتعشى بالعراق وتحبط بالجزيرة بيدها ورجلها، تعرك الأمة فيها عرك الأديم، ويشدُّ فيها البلاء حتى

ينكر فيها المعروف ويعرف فيها المنكر، لا يستطيع أحدٌ يقول مهٍ مهٍ، ولا يرفعونها من ناحيةٍ إلا تفتقت من ناحيةٍ، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ولا ينجو منها إلا من دعا كدعاء الغرق في البحر، تدوم اثني عشر عاماً تنجلي حين تنجلي وقد انحسرت الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ فيقتلون عليها حتى تقتل من كلِّ تسعةٍ سبعة" (1).

إن الفتنة هي الأمور والشدائد التي يُجرىها الله ﷻ على عباده، وهي تعني الابتلاء والامتحان، وكل أمرٍ يختلط فيه الحقُّ بالباطل فهو فتنةٌ، يقول الله ﷻ: ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) [العنكبوت].

فالفتنة نوعان: فتنٌ خاصةٌ وفتنٌ عامةٌ

1- فتنٌ خاصةٌ وهي الأمور التي تقع على الإنسان في خاصةٍ نفسه من خيرٍ أو شرٍ، يمتحن الله ﷻ بها العبدَ في ماله أو زوجه أو أولاده أو جاره.

2- فتنٌ عامةٌ وهي الفتن التي تصيب عامة الأمة، فيصبح الإسلام وأهله في بلاءٍ عظيمٍ، فهي فتنٌ عامةٌ تعصف بالعباد والبلاد، فيضعف الإسلام ويهون شأنُ أهله وتنداعى الأممُ عليهم كما تنداعى الأكلةُ على قصعتها.

والأمة حالياً -والله أعلم- في خضم فتنة الدهيَاء الذي حذرنا منها رسولُ الله ﷺ والتي كانت بدايتها ثورة تونس، وأنا هنا لا أستنكر أو أعاتب الثوارَ الذين شاركوا في تلك الثورات فأنا ممن شارك في هذه الثورة ولا زلت أؤمن بمبادئها ولم ولن اندم على مشاركتي فيها، ولكنني هنا لا أتكلم عمَّن شاركوا في هذه الثورة في سبيل تحقيق أهدافٍ نبيلة، ولكنني أتكلم عمن يوجّه هؤلاء الثوارَ أو من يستغل نضالهم في سبيل تحقيق أهدافٍ شخصية، أو لخدمة أهدافٍ صهيونيةٍ لتدمير الأمة.

اننا الآن في خضم فتنة الدهيَاء التي تعقب الحكم الجبريَّ وتسبق الحكم على منهاج النبوة، ففتنة الدهيَاء وتعني السوداء أو المظلمة أو الفتنة العظمى أو الطامة العمياء، وقيل

1 رواه نعيم بن حماد في "كتاب الفتن" (676). رجاله ثقات غير جنيد أو حميد بن ميمون أبو عبد الحميد لم يُترجم له غير الدولابي وخرج له الضياء في المختارة محتجا به، وقد ذكر أبو حاتم أن بقية روى عن أبي عبد الحميد، فالله اعلم، وصفوان بن عمرو الحمصي ثقة صدوق، وقد ورد هذا الحديث عن ضرار بن عمرو أيضا وضرار ضعيف.

المراد بالدهيَاء الداهية.

قال رسول الله ﷺ فيها «ثم يكون فتنة الدهم كلما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته، يقاتل فيها لا يدري على حقٍّ يقاتل أم على باطلٍ..؟ فلا يزالون كذلك حتى يصيروا إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا هما اجتمعاً فأبصر الدجال اليوم أو غداً». وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ «ثم فتنة الدهيَاء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه، فإذا قيل انقضت؛ تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده» (رواه أبو داود واحمد).

إذا فهو اصفات تلك الفتنة تتلخص في التالي:

- 1- لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه.
 - 2- كلما قيل انقطعت تمادت.
 - 3- يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً.
 - 4- يقاتل فيها لا يدري على حقٍّ يقاتل أم على باطل.
 - 5- يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه.
 - 6- نهايتها ظهورُ المسيح الدجال (وبالتالي يكون بين هذه الفتنة وظهور المسيح الدجال ظهورُ المهدي والدخان وسيدنا عيسى عليه السلام والله اعلم).
- إن فتنة المسيح الدجال ستعقب فتنة الدهيَاء مباشرةً وتفصل بينهما سنواتٌ قليلةٌ جداً فمعظمٌ من سيشهدون فتنة الدهيَاء هم من سيشهدون فتنة المسيح الدجال، فالمهدي والدجال وسيدنا عيسى عليه السلام سيظهرون على التوالي في أوقاتٍ متقاربةٍ جداً والله اعلم.
- إنَّ هناك دلائلَ كثيرةً من السنة النبوية المطهرة تشير إلى أنَّ المهدي هو الذي سيظهر في هذا الوقت الذي تغيب فيه الشريعة عن الحياة والمجتمع، فقد روى الحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ بَأَمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ لَمْ يُسَمَعْ بَلَاءٌ أَشَدُّ مِنْهُ، حَتَّى تَضِيقَ عَنْهُمْ الْأَرْضُ الرَّحْبَةَ، وَحَتَّى يُمَلَأَ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ رَجُلًا مِنْ عِزَّتِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، لَا

تَدْخُرُ الْأَرْضُ مِنْ بَدْرِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْرَجْتُهُ، وَلَا السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا إِلَّا صَبَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، يَعِيشُ فِيهَا سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعَ، تَتَمَنَّى الْأَحْيَاءُ الْأَمْوَاتِ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ ﷻ بِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَيْرِهِ». (قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

وما رواه الطبراني من طريق قيس بن جابر الصديقي، عن أبيه، عن جده: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي خُلَفَاءُ، وَمِنْ بَعْدِ خُلَفَاءِ أُمَرَاءُ، وَمِنْ بَعْدِ أُمَرَاءِ مُلُوكٌ، وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ جَبَابِرَةٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا».

وعن جابر بن عبد الله قَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجِبِي إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ». قُلْنَا مَنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِنْ قَبْلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ». ثُمَّ قَالَ: «يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجِبِي إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدٌّ». قُلْنَا: مَنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِنْ قَبْلِ الرُّومِ». ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَخْثِي الْمَالَ حَثِيًّا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا». قَالَ قُلْتُ: لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَا.

والقفيز: مكيال الحبوب، وهو كناية عن منع الطعام عنهم، والدرهم السلعة وجباية الأموال... أي الحصار الاقتصادي، قال الإمام النووي في شرحه للحديث: "أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَجَمَ وَالرُّومَ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْبِلَادِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ".

وقد وقع الجزء الأول من هذا الحديث وقد حوَّصَ العراقُ ومن بعده غزوةً وسوريا بالشام فنحن الآن في انتظار ظهور المهدي.

وروى الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي عن حذيفة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «وَيَحْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ مُلُوكٍ جَبَابِرَةٍ كَيْفَ يَقْتُلُونَ وَيَخِيفُونَ الْمَطِيعِينَ إِلَّا مَنْ أَظْهَرَ طَاعَتَهُمْ، فَاَلْمُؤْمِنُ التَّقِي يُصَانِعُهُمْ بِلِسَانِهِ وَيَفَرُّ مِنْهُمْ بِقَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَعِيدَ الْإِسْلَامَ عَزِيزًا قَصَمَ كُلَّ جَبَّارٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ أَنْ يَصْلَحَ أُمَّةً بَعْدَ فَسَادِهَا، يَا حَذِيفَةَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي تَجْرِي الْمَلَا حَمَّ عَلَى يَدَيْهِ وَيُظْهِرُ الْإِسْلَامَ، لَا يَخْلِفُ وَعْدَهُ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

معجزة الخسف بالجيوش الذي سيعارب المهدي:

جاء في كتاب الفتن: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ثُبَيْعٍ، قَالَ: "سَيَعُودُ بِمَكَّةَ عَائِدٌ فَيَقْتُلُ، ثُمَّ يَمَكْتُ النَّاسَ بُرْهَةً مِنْ

دَهَرِهِمْ، ثُمَّ يَعُودُ آخَرُ، فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ فَلَا تَغْزُوْنَهُ، فَإِنَّهُ جَيْشُ الْخُسْفِ".

وفي هذا الأثر جاء ذكر رجل سيعود بمكة فيقتل ثم بعده ببرهة من الزمان سيأتي رجل آخر ويعود، وهنا يوصي الراوي بعدم الانضمام للجيش المسلم الذي سوف يغزوه لأنه سوف يخسف به، علماً بأن خبر يعوذ عائذ بمكة ليس بحديث ولم يقل أحد من العلماء انه حديث، ولكن لو سلمنا بأن هذا الأثر ضعيف فإني أرى أن الواقع يقويه والله وحده أعلم.

يقوي هذا الحديث ويعضده حديثان صحيحان رواهما مسلم في صحيحه:

الحديث الأول :

عن عبيد الله ابن القبطية قال دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معها على أم سلمة أم المؤمنين عليها السلام فسألاها عن الجيش الذي يُخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت قال رسول الله ﷺ: «يَعُودُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ بَمَنْ كَانَ كَارِهَاً؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَبِيٍّ». وقال أبو جعفر هي بيداء المدينة، حدثناه أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا عبد العزيز بن رفيع بهذا الإسناد وفي حديثه قال فلقيت أبا جعفر فقلت إنها إنما قالت بيداء من الأرض فقال أبو جعفر كلاً والله إنها لبيداء المدينة.

الحديث الثاني :

عن عبد الله بن الزبير أن عائشة عليها السلام قالت: عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فقال: «فَقَالَ الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ»، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ؟ قَالَ: «نَعَمْ فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمُجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا وَيَصْطُرُّونَ مَصَادِرَ شَتَّى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

أَمَّا (الْمُسْتَبْصِرُ) فَهُوَ الْمُسْتَبِينُ لِذَلِكَ الْقَاصِدُ لَهُ عَمْدًا.

وَأَمَّا (الْمُجْبُورُ) فَهُوَ الْمُكْرَهُ، يُقَالُ: أَجْبَرْتُهُ فَهُوَ مُجْبَرٌ.

وَأَمَّا (ابْنُ السَّبِيلِ) فَالْمُرَادُ بِهِ سَالِكُ الطَّرِيقِ مَعَهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

فدلّ حديث العائدين أن هناك عائذين يلوذان بمكة فيقتل أحدهما والثاني يتعلّق به الخسف، ممّا يعني أنّه المهدي الذي بشرنا به نبينا ﷺ والله أعلم، بدليل أن الجيش الذي سوف يغزوه سوف يُخسف به، كان اهل التفسير والمهتمين بعلم الحديث قبل احتلال جهيمان

العتيبي للحرم واستباحته حرمة يُضعفون هذا الحديث وأحاديث أخرى مشابهة تواترت حول المهدي المنتظر، ثم اثبتت الاحداث على أرض الواقع أن هذا الأثر وهذه الاحاديث التي كان الكثير يُضعف من صحتها قد وقع جزء مما جاء فيها كما نصت عليه تماماً وأثبتت صحتها الاحداث على أرض الواقع.

لنتأمل هذا الحديث جيداً ونتوقف عنده ونرى هل ما جرى على أرض الواقع من احداث يصدق ما جاء فيه أم لا...؟
 «سَيَعُوذُ بِمَكَّةَ عَائِدٌ فَيَقْتُلُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِمْ، ثُمَّ يَعُوذُ آخَرُ، فَإِنْ أَدْرَكَتْهُ فَلَا تَغْزَوْنَهُ، فَإِنَّهُ جَيْشُ الْحُسَيْنِ».

وقد وقع على أرض الواقع فعلاً ما ذكره أول الحديث، ففي الأول من محرم من العام 1400 هـ الموافق 20 نوفمبر 1979 دخل جهيمان وجماعته التي تبلغ حوالي 200 شخص مسلح المسجد الحرام في مكة المكرمة لأداء صلاة الفجر يحملون نعوشاً للصلاة عليها صلاة الجنازة بعد صلاة الفجر، وكانت بداخل هذه النعوش أسلحة، وما أن انفصت صلاة الفجر حتى قام جهيمان العتيبي الى ميكروفون المسجد الحرام ليعلن للناس ظهور المهدي المنتظر وهو صهره محمد بن عبد الله القحطاني الذي كان معه في هذا الاعتصام، وقد انتهت هذه الاحداث سريعاً بعد اقتحام القوات السعودية للحرم والقضاء على هذا الاعتصام بعد انقضاء أسبوعين على الحصار وذلك في يوم الثلاثاء 14 محرم 1400 هـ الموافق 4 ديسمبر 1979 م وقد تسببت هذه الأحداث الى سفك للدماء في باحة الحرم المكي، وأودت بحياة بعض رجال الأمن والكثير من المسلحين المتحصنين داخل الحرم بمن فيهم محمد بن عبد الله القحطاني الذي قالوا عنه أنه المهدي، وتم أسر من تبقى على قيد الحياة ومن بينهم جهيمان العتيبي، وقد نُفذ في المسلحين الناجين حكم الإعدام يوم الأربعاء 21 صفر عام 1400 هـ الموافق يوم 9 يناير 1980 م.

لقد انتهى هذا الاعتصام سريعاً بعد أسبوعين وكما نص الحديث «سَيَعُوذُ بِمَكَّةَ عَائِدٌ فَيَقْتُلُ» وقد صدق الواقع هذا الحديث حيث نجد أن حرف الفاء في كلمة «فَيَقْتُلُ» يفيد العطف مع التعقيب وفيه إشارة إلى سرعة قتل هذا العائد بمكة وهو ما صدقه الواقع وتم قتل العائد الأول بعد اسبوعين من اقتحام جماعته للحرم المكي.

الان نعود لبقية الحديث حيث لايزال هناك الجزء المتبقي الذي لم يقع بعد «ثُمَّ يَمْكُثُ

النَّاسُ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِمْ». والبرهه من الزمن مقدارها 40 عاما تقريبا تزيد او تنقص قليلا والله اعلم، وهذا هو تعريفها فالبرهه يساوي مقدارها عمر جيل تقريبا، فيكون الزمن المتوقع للعائد الثاني والله أعلم هو بين عامي 1440 الى 1445 هجرية تقريبا والله أعلم.

وبالعودة لبقية النص في الحديث أعلاه نجد «ثُمَّ يَعُودُ آخِرُ»، أي بعد مكوث الناس البرهه من زمنهم المذكورة أعلاه، ولاحظ هنا حرف العطف «ثُمَّ» هنا يعود إلى العائد الأول أي المعنى هو يعود بمكة عائداً فيقتل على عجل ثم يعود آخر بفترة زمنية ليست بالقصيرة حوالى أربعين عاماً كما ذكرنا والله أعلم «فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ فَلَا تَغْزُوهُ» ولاحظ هنا أن التحذير موجّه إلى فئة معينة من الناس كما هو واضح في هذه العبارة، وهو توجيه للناس الذين أدركوا زمن العائد الأول بأنه سيكون منهم من سيدرك العائد الثاني بحسب طول أعمارهم لأن هناك مسلمين أحياء يرزقون وبصحة جيدة عاصروا العائد الأول، وقد يمتد بهم العمر ليروا العائد الثاني، ولهذا كانت الوصية في الحديث أنه عند إدراككم للعائد الثاني يُنصح بعدم الانضمام للجيش الذي يغزوه لأنه سوف يكون جيش الخسف.

إن من يقول إن عبد الله بن الزبير هو العائد الأول فهو مخطئ لأن الأحداث والأدلة تفند هذا القول والادعاء، فلو كان العائد الأول هو عبد الله ابن الزبير لكان مهدي جهيمان المزعوم هو المهدي الحقيقي، وهذا ما لم تصدقه وتثبت صحته الاحداث، كما أنه من الملاحظ مرور فترة زمنية طويلة أقل قليلاً من أربعة عشر قرناً بين مقتل عبد الله بن الزبير وبين حادث جهيمان، وهذا يناقض زمن البرهه المذكورة في الأثر.

إننا هنا أمام حدث جليل إذا تحقق بالفعل مع الجيش الذي سيطارد المهدي فستكون هذه المعجزة تكراراً لما حدث مع جيش فرعون الذي أغرقهم الله ﷻ حتى يُنجي سيدنا موسى عليه السلام وبني إسرائيل، والفرق هنا أن فرعون وجنوده أغرقهم الله ﷻ في البحر، أما الجيش الذي سيطارد المهدي سيخسف الله بهم الأرض، وهذه معجزة لا تحدث الا مع الأنبياء والمرسلين، فكلمة المعجزة هي أمرٌ خارقٌ للعادة يؤيد به الله ﷻ أنبياءه ورسله، ويكون مخالفاً لطبيعة الكون وسنن الحياة التي اعتاد عليها الناس، والهدف من ذلك إظهار صدقهم وصدق نبوتهم ورسالتهم، ويكون ذلك الأمر مقروناً بالتحدي للناس بأن يأتوا بمثله أو بما يقاربه، وتأتي المعجزة كبرهانٍ ودليل على صدق النبي أو الرسول الذي أرسله الله ﷻ، فلو ادعى إنسان أنه رسول من عند الله ﷻ ثم لم يُقيم بينة أو برهاناً على صدق دعواه لما صدقه أحد.

البيعة:

جاء في الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ - فَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى الثَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمُهْدِيُّ»⁽¹⁾.

وقد وقع الخلاف في تفسير المراد بالكنز في هذا الحديث، فمن قائل إنه كنز الكعبة، ومن قائل إنه الكنز الذي ينحسر نهر الفرات عنه كما أخبرت عنه الأحاديث الصحيحة، كما أن عبارة «وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى الثَّلَجِ» غريبة، ويفترض بها أن تكون (حبوا على الرمال أو الكثبان الرملية أو في الحر الشديد) لأن ذلك أقرب لأذهان الصحابة وبيئة جزيرة العرب، لكن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وهو ينتقي ألفاظه بعناية، فمن الممكن أن يكون هذا وصفاً صحيحاً للشتاء البركاني وحالة الطقس البارد التي ستخفض سريعاً بسبب انتشار الدخان في سماء الكرة الأرضية مما سيقلل درجات الحرارة كما ذكرنا في فصل الدخان المبين⁽²⁾.

يبقى جزء مبهم في هذا الحديث وأحاديث أخرى كثيرة عن كيفية معرفة الناس للمهدي وكيفية بيعته، فدائماً ما نجد أن هذا الجزء مفقود وغير معروف وغير موجود أو لم يصلنا هذا الجزء من الأحاديث النبوية التي تتحدث عن بيعة المهدي ولهذا قال ثوبان رضي الله عنه في الحديث السابق (ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ) إنَّ هذا الجزء المنسي في هذا الحديث ربما يكون هو الجزء الجوهرى والفيصل في معرفة حقيقة المهدي، فمن غير المنطقي أن يرى مجموعة من الأشخاص رجلاً مسلماً أجلى الجبهة وأقنى الأنف وبه عدة صفات مذكورة في أحاديث المهدي ويباعونه ويقولون له أنت المهدي فتعال نبايعك!!

أنا أعتقد -والله أعلم- أن هذا الجزء المجهول من هذه الأحاديث يتعلق بالآيات القرآنية الدالة على أن المهدي هو الرسول المبين المذكور في سورة الدخان، فهو رسول من عند الله ﷻ سيدعو الناس للعودة إلى طاعة الله ﷻ وذلك قبل بيعته بعدة أيام أو شهور أو سنوات -والله

1 رواه ابن ماجه في "السنن" (رقم/4084)، والبخاري في "المسند" (2/120)، والحاكم في "المستدرک" (4/510)، ومن طريقه البيهقي في "دلائل النبوة" (6/515) وقد صحح هذا الحديث الكثير من العلماء.

2 أنظر فصل الدخان المبين

أعلم - بمدتها، ولكنه سيتم اتهامه من أغلب الناس بأنه ساحر⁽¹⁾ أو مُعلمٌ مجنون⁽²⁾، ولكن سيحدث وفي وقتٍ ما أنه سيؤمّن برسالته عددٌ من الناس فيبايعونه على الحكم أو سيجمعون حوله، ومن ثمّ سيتوجّه جيشٌ للقضاء عليه وعلى أتباعه وذلك بعد انتشار الدخان وما يعقبه من مناخٍ شديد البرودة «وَلَوْ حَبُوءًا عَلَى الثَّلْجِ»، فيخسفُ الله ﷻ بهذا الجيش الذي يريد القضاء على المهدي وبمن آمنَ معه - والله أعلم - فهذا في اعتقادي هو الجزء المجهول في أسباب وكيفية بيعة المهدي من خلال ربطها بالدلائل التي ذكرتها في فصل الدخان والتي تتحدث عن الرسول المبين النذير بعذاب الدخان والله أعلم.

المهدي والملحمة الكبرى:

إنّ الملحمة الكبرى بحسب الأحاديث الصحيحة ستقع بين المسلمين والروم، فستكون هذه الملحمة وهي تتألف من عدة حروبٍ عبارة عن معركة الحقّ مع الباطل؛ وفي هذه المعركة سيتحقق قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة].

ودعونا نلق نظرةً على هذه المحطة المصيرية التي تنتظرنا في آخر الزمان، وهي محطة الملحمة الكبرى، التي ستلتحم فيها الصفوفُ في قتالٍ عظيمٍ لم تشهد مثله الأرض، بل ولمثل مواعده تتجهز.

إنها الملحمة التي يؤمن بها المسلمون واليهود والنصارى معاً، ولكن وفق رواياتٍ مختلفةٍ منسوجةٍ بخيالٍ المخلص المنتظر.

إنّ أوّل تلك الملحمة طبقاً لنصوص بعض الأحاديث ستكون بالإسكندرية بمصر فقد روى نعيم بن حماد في كتاب الفتن بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بمصر رجلٌ من بني أمية أحسن، يلي سلطاناً، ثم يغلب عليه، أو ينزع منه، فيفرّ إلى الروم، فيأتي بهم إلى الإسكندرية، فيقاتل أهل الإسلام بها، فذلك أول الملاحم»⁽³⁾. وروى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "إذا رأيت أو سمعت برجلٍ من أبناء الجبابرة بمصر له

1 أنظر فصل انشقاق القمر

2 أنظر فصل الدخان المبين

3 رواه أبو ذر الغفاري، نقله السيوطي في الجامع الصغير وحكم عنه بأنه: ضعيف

سلطانٌ يُغلب على سلطانه ثم يفرُّ إلى الروم فذلك أول الملاحم يأتي الروم إلى أهل الإسلام".
ثم يأتي في ترتيب الملاحم بعد ذلك -والله اعلم- تحرير فلسطين من الصهاينة فاليهود لم تكن لهم دولة ولا جيش بعد جلائهم عن الجزيرة العربية حتى نزلوا فلسطين سنة 1948 م، وبدأوا في تأسيس كيانهم في الأرض المقدسة، وهاهم اليوم يعيشون فيها فسادا ويقتلون الأطفال والنساء ويهدمون المساجد، ويهلكون الحرث والنسل في علوٍّ وفسادٍ لم يسبق مثيل له من قبل، وقد بشرنا النبي بالنصر على اليهود في ذلك العلو، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْعَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»⁽¹⁾. وهذا الحديث يفسر قوله ﷺ في سورة الإسراء: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٥]، فهذا هو وعد الآخرة الذي سيتحقق في عهد الخلافة الثانية والآخرى على منهاج النبوة بقيادة المهدي والله أعلم.

ثم تأتي بعدها -والله أعلم- الملحمة الكبرى مع الروم، فعن ذي مخبر، رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَتَصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عُدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتَنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجِ ذِي ثُلُولٍ، فَيَرْفَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدْفَعُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ، وَيُثَوِّرُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ، فَيَقْتُلُونَ، فَيَكْرِهُمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ»⁽²⁾. فالمحمة الكبرى ستكون بعد أن تُبرم هدنة بين المسلمين والروم، يقاتلون خلالها عدوًّا ثالثًا لم تعينه النصوص بدقة، ولكن غدر الروم ونكبتهم يكون بعد الانتصار على هذا العدو -والله اعلم- ما هو الزمن المقصود بهذا التحالف..؟ هل هو الزمن الذي نعيش فيه الآن وهو الاحتمال الأكبر، أم زمن سيعقب تحرير فلسطين؟، فعند الاستراحة من القتال في مرج ذي ثُلُولٍ من أرض لبنان، يرفع أحد

1 رواه الإمام مسلم في صحيحه

2 رواه أبو داود (4292)، وابن ماجه (4089)، صحيحه الألباني في صحيح أبي داود.

جنود الروم الصليب ويقول انتصر الصليب فيوقد الغيرة في قلوب المسلمين يومئذ فيصيحون إنما النصر من عند الله ﷻ، فتحصل مقتلة بين الفريقين وهذا ما سيشعل فتيل الملحمة الكبرى، حيث سيجمع الروم جيوشهم ويجمع المسلمون لهم، ثم يلتقي الجيشان في الملحمة الكبرى التي ستدور رحاها في الشام.

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنّ المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أُقيمت الصلاة، فینزل عيسى ابن مريم، فأثمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك»⁽¹⁾. ولهذا الحديث الصحيح معانٍ ودلالات عظيمة ترسم مشهد معركة كبرى ستجري رحاها على أرض الشام، تتلاحم فيها جيوش المسلمين والروم في نهاية الزمان، وقد قسّم هذا الحديث جنود المسلمين في هذه الملحمة إلى ثلاثة أقسام، سيهزم ثلث جنود المسلمين فلا يتوب الله عليهم أبداً لأنهم خونة فروا من أرض المعركة وخانوا الله ورسوله والمؤمنين، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ﷻ، ويبقى ثلث يفتح الله ﷻ له وينصره على الروم ولا يفتنون أبداً. ويبدو أنّ هذه المعركة ستأتي بعد سلسلة من المعارك والملاحم يُسلم أثناءها أو قبلها الكثير من الروم ما شاء الله ما يكون، ولهذا يطالب الروم بقتال أصحابهم قبل انطلاق المعركة، إلا أنّ المسلم لا يُسلم أخيه، فيرفض المسلمون حينها تسليمهم وتنطلق فصول الملحمة، ثم تتوالى فصول المعركة كما لحّصها هذا الحديث بالقتال على ثلاث مراحل يكون الفوز في الثالثة لصالح المسلمين، ثم لا يلبثون أن يحققوا البشارة الأخرى من أحاديث النبي ﷺ، فيفتحون القسطنطينية، ولكن بينما ينشغلون في تقاسم الغنائم سيخرج الدجال.

1 الحديث في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة.

وقد ذكر موقع قيادة جيش المسلمين فيها في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فُسطاطُ المسلمين يوم المَلحمة الكبرى بأرض يُقال لها: الغُوطَة، فيها مَدِينَةٌ يُقال لها: دِمَشق، خير منازلِ المسلمين يومئذٍ»⁽¹⁾؛ فيظهر واضحاً أن منطقة الغوطة القريبة من دمشق ستكون المكان الذي يعسكر فيه مركز قيادة المسلمين ويتجمع فيه النافرون للتجهيز للملحمة الكبرى لمواجهة جيوش الروم التي ستنزّل في دابق بعد أن تجهزت بدورها واجتمعت تحت ثمانين راية، تحت كلّ راية اثنا عشر ألفاً بما يُقدر بحوالي مليون جنديٍّ بحسب بعض الروايات.

وروى أحمدٌ والدراميُّ في حديثٍ صحيحٍ يقول أبو قبيل: كنّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل أيّ المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية..؟ فدعا عبد الله بصندوقٍ له حلق، فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبدُ الله بينما نحن حول رسول الله، فكتب إذ سُئل رسولُ الله ﷺ أيّ المدينتين تُفتح أولاً يعني القسطنطينية أو رومية..؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «مدينة هرقل أولاً» أي القسطنطينية أما رومية فهي روما كما هي في معجم البلدان وهي عاصمَةُ النصرانية.

وبهذا بعد انتصار المسلمين في الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية ستتابع أشراطُ الساعة الكبرى بشكلٍ سريعٍ كتتابع الخرز في النظام إذا انفرط عقده، وينزل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذي سيصلّي خلف المهدي إمام المسلمين آنذاك فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويرفع الجزية ويقتل الخنزير، وبعدها ستحلُّ أهوالٌ يأجوج ومأجوج وما يلحقها من أشراطٍ كبرى. إنَّ وعدَ الله بإظهارِ هذا الدين يتطلّب من المسلمين أن يقوموا بما يُرضي الله ﷻ عنهم ليستحقّوا أن يمنّ عليهم بنصره، ونسأل الله أن يجعلَ بشارَةَ النصر تتحقّق على أيدينا حتّى يشفي صدورنا ويذهب غيظُ قلوبنا ويُخزي الكافرين، إنّه على ما يشاء قدير.

ظهور الإسلام على الدين كلّ في عهد المهدي؛

لقد كان لتكرار الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ثلاث مراتٍ في القرآن الكريم حكمةٌ من الله ﷻ، وقد أخذتُ وقتاً طويلاً أثناء

تألفني لهذا الكتاب أفكر في السر وراء تكرار هذه الآية ثلاث مرات في ثلاث سور مختلفة، في سور الفتح وسورة الصف وسورة التوبة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف].

إن تكرار هذه الآيات ثلاث مرات في القرآن، يوحي بزيادة جدية في القول، وتأکید وعد الله ﷻ للمؤمنين الذين يدينون دين الحق، ويحرمون ما حرم الله ﷻ، بأن الغلبة ستكون لهم، والإظهار سيكون لدينهم على الدين كله، وفي هذه الآيات بشارة على أن الدين الإسلامي هو الوحيد الباقي القادر على قيادة البشرية إلى قيام الساعة وفي جميع الأحوال.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "﴿لِيُظْهِرَهُ﴾" فيه إشارة واضحة إلى أن الدين الإسلامي يعلو على سائر الأديان ولا يقضي عليها أو يمحوها من الوجود؛ لأنه ليس من طبيعته إزالته ما يخالفه من الوجود بالقوة، وإنما إخضاع المخالفين المعاندين لحكمه مع تركهم وما يعتقدونه وما يعبدونه، إذ إن من طبيعة هذا الدين أنه يقوم بالنسبة لسائر الأديان على قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

وجاء تكرار دين الحق مرة أخرى في سورة التوبة في الآية الكريمة: ﴿قَتِلُوا الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة].

لقد أصبت بالحيرة لفترة طويلة: لماذا تكررت الآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ في السور الثلاثة..؟ ومتى سيظهر الإسلام على الدين كله..؟ لقد توصلت بعد تدبر للآيات في الثلاثة السور إلى أن كل آية في الثلاثة السور (الفتح الصف التوبة) تشير إلى ظهور الإسلام في ثلاثة عهود مختلفة، فتعالى معي أخي المسلم نتدبر كل سورة من السور الثلاثة حتى نحدد التوقيت الزمني والبعاد المكاني في قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

سورة الفتح :

نُزلت سورة الفتح في أعقاب (صُلح الحديبية)، في السنة السادسة للهجرة؛ إذ كان النبي ﷺ متجهاً إلى المدينة المنورة، لإتمام شَعَائِرِ العمرة، فوقفَ المشركونَ في طريقه ومنعوه، فنزلت السورة ليلاً جملةً واحدةً، بدأت بأسلوبٍ توكيدٍ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح]، وقد ورد فيها بشارةٌ من الله ﷻ للنبي محمد ﷺ ووعدُه بالنصر والفتح، وأُثنت هذه السورة على صحابته الكرام وبشَرَّتْهم بالفتح. وسميت سورة الفتح بهذا الاسم لورود كلمة (الفتح) فيها، ومقصود السورة دلالة اسمها، فصُلح الحديبية قد تبعه فتح مكة وفتح خيبر، وفتح مكة المكرمة كان سبباً لإسلام أهل جزيرة العرب، فكان قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح]، فتؤول هذه الآية بظهور الإسلام في عهد النبي ﷺ في نطاق الجزيرة العربية، وجاء قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح] مختلفة عن الآية المشابهة لهذه الآية في سورتي الصف والتوبة لأن الكفار أبوا أن يكتبوا: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله في صلح الحديبية، فتفسيرها: أي كفى الله شهيداً لنبيه ﷺ، أو شهيداً على ما أرسل به، وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات.

سورة الصف :

وسببُ تسمية السورة بهذا الاسم وقوعُ لفظ ﴿صَفًّا﴾ [الصف: 4] فيها وهو صف القتال، وذكر السيوطي في (الإتقان): أنها تسمى (سورة الحوارين) ولم يسنده، وقال الألوسي تسمى (سورة عيسى) ولم أقف على نسبته لقائل، وأصله للطبرسي فلعله أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ (سورة عيسى) وهو حديثٌ موسومٌ بأنه موضوع.

إن سورة الصف تُعنى بالأحكام الشرعية، وهذه السورة تتحدث عن جهاد أعداء الله ﷻ والتضحية في سبيل الله ﷻ لإعزاز دينه وإعلاء كلمته وعن التجارة الرباحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة، ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو القتال ولهذا سُميت سورة الصف، لأن المراد به اصطفاة المجاهدين للحرب.

وقد أمرت هذه السورة بوحدة الأمة ووقوفها صفّاً واحداً تجاه الأعداء، وحرضت هذه السورة على الجهاد ورغبت فيه بسبب العدوان، وأثبت التاركين للقتال وشبهتهم ببني إسرائيل الذين عصوا سيدنا موسى عليه السلام حين ندمهم للقتال، ثم عصوا سيدنا عيسى عليه السلام

حين أمرهم باتباعه بعد إتيانه بالبينات والمعجزات، واتباع النبي محمد ﷺ الذي بشر به. ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف].

وختمت السورة بدعوة أهل الإيمان إلى نصره دين الله ﷻ، كما فعل الحواريون أصحاب عيسى، حين دعاهم إلى نصره دين الله ﷻ، فاستجابوا ونصروا الحق والرسول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف].

ولذلك ومن أجل كل تلك الإشارات السابقة في سورة الصف فإنني أعتقد بان تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف]، تعني -والله أعلم- ظهور الإسلام على الدين كله في جميع أنحاء العالم في عهد سيدنا عيسى عليه السلام وليس في عهد سيدنا محمد ﷺ.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى أي محمدا بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله أي بالحجج، ومن الظهور الغلبة باليد في القتال؛ وليس المراد بالظهور ألا يبقى دين آخر من الأديان، بل المراد يكون أهل الإسلام عالين غالبيين، ومن الإظهار ألا يبقى سوى الإسلام في آخر الزمان، قال مجاهد: وذلك إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام، وقال أبو هريرة: ليظهره على الدين كله بخروج عيسى، وحينئذ لا يبقى كافر إلا أسلم، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لينزل ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسر الصليب، وليقتل الخنزير، وليضع الجزية، ولتترك القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد». وقيل: ليظهره أي ليطلع محمد ﷺ على سائر الأديان، حتى يكون عالماً بها عارفاً بوجوه بطلانها، وبما حرفوا وغيروا منها، على الدين أي الأديان؛ لأن الدين مصدر يُعبر به عن جمع".

وقال الطبري في تفسيره: "عن أبي هريرة في قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قال: حين

خروج عيسى ابن مريم⁽¹⁾.

وقال السَّمْعَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح]، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هَذَا عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا أَسْلَمَ"⁽²⁾.

وَفِي سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ: "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، قَالَ: خَرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ"⁽³⁾.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَلِكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا».

وَوُرِدَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالطَّبْرَانِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرَكَ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ هَذَا الدِّينَ بَعَزَّ عَزِيزٍ أَوْ بَذَلَّ ذَلِيلٍ، عَزًّا يَعْزُّ بِهِ الْإِسْلَامُ وَذَلًّا يَذَلُّ بِهِ الْكُفْرُ». قَالَ الْهَيْثَمِيُّ رَجَالَهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ.

فَكُلُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ تَدُلُّ عَلَى ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَقَطْ كَمَا هُوَ مَشَارٌّ إِلَيْهِ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ.

سورة التوبة:

سورة التوبة آخر السور القرآنية نزولاً من الوحي على سيدنا محمد ﷺ، ولها أسماء عدّة منها: براءة، والتوبة، فهذا ما هو متعارفٌ عليه عند جمهور العلماء، ولها أسماء أخرى منها: المَقْشَقْشَةُ؛ لأنها تَبَرُّئٌ مِنَ النِّفَاقِ، والمَبْعَثَةُ، لأنّها تَبْحَثُ عَنْ أَخْبَارِ الْمُنَافِقِينَ وَتَفْضَحُهُمْ وَتَنْكُلُ بِهِمْ وَتَشَرِّدُهُمْ وَتُخْزِيهِمْ، بِالإضافة إلى الفاضحة، وسورة العذاب، والمُخْزِيَّةُ، والمُشَرِّدَةُ، والمُثِيرَةُ، والحافرة، والبُحْوثُ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ أَطْلَقَتْ لِتَصِفِ الْمُنَافِقِينَ.

هذه السورة الكريمة هي من أواخر ما نُزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَبَ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَيَّ بَعْدَ 22 عَامًا مِنْ بَدْءِ الرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ، وَكَأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تَمَثِّلُ الْبَيَانَ الْخَتَامِيَّ لِلدَّعْوَةِ وَالرِّسَالَةِ وَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي وَقْتٍ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْخُرُوجِ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى خَارِجِ الْجَزِيرَةِ

1 [تفسير الطبري 10 : 150].

2 [تفسير السمعاني 2 : 304].

3 [السُّنَنُ الْكُبْرَى 9 : 180].

العربية والانفتاح بهذه الرسالة على العالم كله، لذا فإن توقيت نزول سورة التوبة في غاية الدقة والحكمة.

وهي السورة الوحيدة في القرآن التي لم تبدأ بالبسملة، فالبسملة هي بمثابة بوابة تنقل القارئ من عالم إلى آخر تحت اسم الله ﷻ، والسر في عدم افتتاح السورة بالبسملة هي أن السورة نزلت في فضح الكفار وأعمالهم وقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سئل عن عدم كتابة البسملة في سورة التوبة: "إن (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان، وبراءة (أي سورة التوبة) نزلت بالسيف ليس فيها أمان. والسورة نزلت في المنافقين ولا أمان للمنافقين وكأنها حرّمهم الله ﷻ من رحمته بالبسملة". وقد روي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: "إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً من المنافقين إلا نالت منه".

وسُميت السورة بِـ (التوبة) لأنها كانت آخر ما نزل من القرآن على النبي ﷺ، وبما أنها النداء الأخير للبشرية أراد الله ﷻ بعد أن فضح الكفار والمنافقين والمتخاذلين وحذر المؤمنين، كان لا بد من أن يعلمهم أن باب التوبة مفتوح؛ فليعلموا أن يُعجلوا بها قبل أن يأتيهم الموت، وتتوالى الآيات في سورة التوبة بسياق رائع غاية في الحكمة فتبدأ الآيات بالتهديد وتحريض المؤمنين وفضح المنافقين، ثم تفتح باب التوبة ثم التهديد ثم التوبة، وهكذا سباق كل آيات السورة، وحتى المؤمنون تطالبهم السورة بالتوبة؛ فهي تتحدث عن أخطاء وصفات ثم تفتح باب التوبة، ثم أخطاء أخرى ثم توبة، ثم تدعو المؤمنين للقتال ونصرة الدين وتحفيز المنافقين على التوبة، ونلاحظ أن في سورة النساء القتال الذي أمر به الله ﷻ كان لنصرة المستضعفين، والقتال في هذه السورة لتحفيز المنافقين على العودة إلى الله ﷻ والتوبة، والسورة بشكل عام فضحت المنافقين وكشفت أعمالهم وأساليب نفاقهم وألوان فتنتهم وتحاذلهم عن نصره المؤمنين لتواجههم بها حتى يتوبوا، وكذلك حرّضت المؤمنين على قتال المنافقين ليدفعوهم للتوبة أيضاً، ودعوة المؤمنين للتوبة خاصة المتخاذلين منهم فالتخاذل عن نصره الدين يحتاج للتوبة تماماً كما يحتاج المؤمن للتوبة من ذنوبه.

وقد تناولت هذه السورة من الموضوعات، أولاً تحديد الدستور الأخير في معاملة الكافرين ومعاملة المنافقين، حيث يحدد الله ﷻ في هذه السورة آخر نظام يتعامل به المؤمنون مع الكافرين والمنافقين، لأن الله ﷻ شرع ذلك كغيره من الأحكام على مراحل، كان يعذر المنافقين في البداية ويؤخر تعذيبهم ويأمر النبي ﷺ بالصبر عليهم والإعراض عنهم وعدم

المواجهة بالقتال، ليركّ لهم فرصة ليتوبوا ويرجعوا ويفهموا ويعقلوا، فلما لم يفقهوا ذلك كانت آخر كلمة الأمر بالجهاد، ولكن لا يُقاتل كلّ كافر، إنما يُقاتل من يستحق القتال، وملخص ذلك أنّ الكافر المسالم له حقّ الحياة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون]، عيشوا بدينكم ونعيش بديننا والحساب يوم القيامة، أما الكافر الذي يطغى بالصدّ عن سبيل الله ﷻ، فهذا لابدّ من أن يُقاوم وعليه الحرب، وعلى المسلمين أن ينظموا قتالهم في مواجهته، بامرة أميرهم كما نظم الله ﷻ هذا الأمر.

لقد تحدثت السورة عن أصناف الناس الموجودين في مجتمع المدينة فمنهم مؤمنون مخلصون، ومنهم منافقون يندسّون في وسط المؤمنين، ومنهم أعراب يسكنون الصحراء فيهم غلظة وفظاظة، ومنهم من آمن وكان إيمانه قويّاً، ومنهم من نافق وكفر فكانوا أشدّ كفراً ونفاقاً، لما فيهم من القسوة الفطرية بحكم طبيعة حياتهم، ومنهم قوم لا يعرفون لهم هويّة يتقلّبون كالحرباء لا يعرف لهم لون ولا هويّة ولا شخصيّة، ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً تراه يفعل هذا ويفعل هذا، أصناف وأشكال مجتمع يموج بأصناف الناس، فحدد الله ﷻ معاملة كلّ صنف ليعاملهم النبي ﷺ والمسلمون من بعده إلى يوم القيامة، كلّ له معاملة، وهكذا يعطي الإسلام لكلّ ذي حقّ حقّه، ويعامل كلّ إنسان بقدره، ليست فيه عشوائية ولا همجيّة.

كما أنّ سورة التوبة ذكر الله ﷻ فيها ذكراً طويلاً كما عرفنا يفضح به المنافقين فيقول: ومنهم، ومنهم، ومنهم، ومنهم، ففي هذه السورة أوقع الله ﷻ اللوم على المؤمنين الذين يتخاذلون عن الجهاد في سبيل الله، وعلمهم أنّ هذا الأمر وهذا السلوك إنما هو سلوك المنافقين الجبناء، كما علمهم أنّ النصر من عند الله فلا حاجة له ﷻ فيهم ولا في خروجهم، ولو أراد الله ﷻ نصر دينه بدونهم لنصره، ولكن يريد أن يتخذ منهم شهداء فيفتح لهم باب الشهادة، ويريد أن يعزّز منهم من يعزّز فينصره على رؤوس الأشهاد وعلى رايات الناس، وهكذا الله ﷻ حكمة في تشريع الجهاد.

كما ذكرت أواخر هذه السورة توبة الله ﷻ على النبيّ والذين آمنوا، والتوبة على التائب زيادة في الرضا عليه، وزيادة في الرحمة له، وتاب الله على المؤمنين لأنّ بعضهم كان قد تخاذل عن رسول الله ﷺ وخاصة توبة الله ﷻ على الثلاثة الذين تخلفوا عنه ﷺ في تلك الغزوة لما رأوا من شدة الحرّ ولجأوا إلى بيوتهم فرأوا الظلّ والماء البارد والطعام والنساء فأغراهم هذا

الجَوَّ عن الخروج إلى تلك الغزوة مع يقينهم أن الله ناصرٌ رسوله ﷺ، فكان خاطرهم يقول لهم: ماذا تفعلون أنتم للنبي ﷺ لو خرجتم، وماذا تحسرونه لو قعدتم، يعني لا فائدة فينا، ولكن ينبغي أن يعلم كل فرد أنه لو فكر كل إنسان بهذا التفكير لقعد الجيش كله، وما خرج أحدٌ للقاء العدو، ولهذا قال الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: 120]، ما كان لهم أن يتخلفوا ولا أن يؤثروا أنفسهم بالراحة ورسول الله ﷺ هناك في شغلٍ وفي عملٍ شاقٍ في جهادٍ في سبيل الله، ونحن نعم بالنساء والظلِّ والراحة والطعام والشراب، لا يجوز لنا هذا، عتب الله ﷻ عليهم في ذلك.

وختمت السورة بمِنَّةِ الله ﷻ على العالمين ببعثة الرسول ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] أي بشرٌ مثلكم منكم يعرفكم وتعرفونه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

إن أحوال المسلمين المذكورة في سورة التوبة هي نفس أحوال المسلمين في وقتنا الحاضر والتي سيكون عليها نفس الوضع في عهد المهدي، وما سيكون في عهده من توبة عدد كبير من المسلمين بعد آية الدخان، قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان]؛ فمقاصد سورة التوبة تتشابه مع أحوال المسلمين قبل ظهور المهدي وبعد دعوته للمسلمين للعودة إلى طاعة الله ﷻ والجهاد في سبيله.

ولذلك ومن أجل كل تلك الإشارات السابقة في سورة الصف فإنني أعتقد بأن تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة]، تعني ظهور الإسلام على الدين كله على مستوى جميع أنحاء العالم في عهد المهدي وليس في عهد سيدنا محمد ﷺ.

لقد قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "قال أبو هريرة والضحاك: هذا عند نزول عيسى عليه السلام. وقال السدي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقى أحدٌ إلَّا دخل في الإسلام أو أدَّى الجزية. وقيل: المهدي هو عيسى فقط وهو غير صحيح لأن الأخبار الصحاح قد تواترت على

أَنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى عِيسَى "(1).
 وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ أَيْضًا: "أَنَّ جَمِيعَ مَلُوكِ الدُّنْيَا كُلَّهَا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ
 سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَإِسْكَندَرُ، وَالْكَافِرَانِ نَمْرُودُ وَبَخْتَنْصَرُ، وَسَيَمْلِكُهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَامِسٌ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وَهُوَ الْمَهْدِيُّ "(2).
 وَقَالَ الْأَلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: "إِنَّ تَمَامَ هَذَا الْإِعْلَاءِ عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حَيْثُ لَا يَبْقَى حِينَئِذٍ دِينٌ سِوَى الْإِسْلَامِ "(3).

وجه التشابه بين سورة الصف وسورة التوبة

لقد جاءت كل من آيتي التوبة والصف بعد آيتين متشابهتين في المعنى. تقول الأولى:
 ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة]،
 وتقول الثانية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ﴾ [الصف]، فكانت آيتا الإظهار في التوبة والصف بياناً وتوكيداً لما سبقهما.
 إن الفرق بين الآيتين كما ذكر ابن عاشور رحمه الله تعالى: "أَنَّ آيَةَ التَّوْبَةِ فِي الْكَفَارِ، وَآيَةُ
 الصَّفِّ فِي الْمُنَافِقِينَ؛ فَالْكَفَارُ يُجَارِبُونَ الْإِسْلَامَ صِرَاحَةً ﴿أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ
 فَحَرَبُهُمْ غَيْرُ مُبَاشَرَةٍ فَهُمْ يَعْمَلُونَ مَشَارِيعَ ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾. فَلَمَّا كَانَتْ إِرَادَةُ الْكَفَارَةِ
 صَرِيحَةً قَبِلُوا بِإِرَادَةِ صَرِيحَةٍ ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾. وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَلَمَّا كَانَ قَصْدُهُمْ بِمَشَارِعِهِمْ
 إِنْقَاصَ الدِّينِ قَبِلُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، وَفِي هَذَا بَشَارَةٌ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ
 بِالْإِنْتِصَارِ الدَّائِمِ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ سِوَاءَ كَانُوا ظَاهِرِينَ أَوْ مُنْهَسِينَ".

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ بِالْآيَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ يَرِيدُونَ إِطْفَاءَ نُورِ دِينِ اللَّهِ ﷻ، دَعَا الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَى مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى التَّضَحِّيَةِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ
 أَنَّهَا التَّجَارَةُ الرَّابِحَةُ لِمَنْ أَرَادَ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ، وَهَذَا مَا سَيَحْدُثُ فِي عَهْدِ الْمَهْدِيِّ وَسَيَدُنَا عِيسَى
 عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

كَمَا أَنَّ كِلَا الْآيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الصَّفِّ وَالتَّوْبَةِ تَنْتَهِي بِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾،
 فَفِي سُورَةِ التَّوْبَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ

1 [تفسير القرطبي 8: 122].

2 [تفسير القرطبي 11: 48].

3 [تفسير الألوسي 26: 123].

كُلِّهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ [التوبة]. وفي سورة الصف قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ [الصف]. وهذا يختلف عن الآية المذكورة في سورة الفتح، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهٖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح].

فالإسلام سيظهر في عهد المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام بطريقتين مختلفتين عن ظهور الإسلام في عهد سيدنا محمد ﷺ، ويشهد لذلك أيضاً ما أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية. وأخرج أيضاً بسند حسن عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها».

ومن تأمل أيضاً سورة الصف فإنه لا يذكر القتال أو الجهاد أو الأمر بالنصرة إلا ويسبق ذلك الإيمان بالله ﷻ. فذكر الإيمان في سورة الصف متلازماً مع كل آية يطلب فيها من الإنسان أن ينتصر وأن يكون صفاً واحداً في مواجهة العدو، فالسورة كلها قتال من أولها، كسورة التوبة وقد بدأت بقوة بالغية فجاء هذا الاسم (الصف) مناسباً لهذه القوة، لأن النصر لا يمكن أن تكون إلا باجتماع الكلمة التي ظاهرها وهيأتها هي وجود الصف الواحد بين أهل الاسلام ولذلك سُميت هذه السورة بسورة الصف.

المهدي يسقيه الله ﷻ الغيث

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حجاجاً - أي سنين -» (1).

1 مستدرک الحاكم 4/ 557-558 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: هذا سند صحيح رجاله ثقات، سلسلة الأحاديث الصحيحة مجلد 2 ص 336 ح 771.

ومن صفات المهدي أنه يحثي المال حثيًا، ولا يعده عدًا، كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، تحدث بدعة، وتحدث فتن، سألوه احتياطًا، فسألنا نبي الله ﷺ فقال: «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعة أو تسعًا»، زيد الشاك -أحد الرواة- قال: وقلنا: وما ذاك؟ قال: «سنين، قال: فيجئ إليه رجل، فيقول: يا مهدي أعطني، قال: فيحثي له في ثوب ما استطاع أن يحمله من الدنانير، أو الدراهم، أو الذهب، والأموال»⁽¹⁾.

وقد ورد في صحيح مسلم قوله عليه الصلاة والسلام: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عدًا»⁽²⁾. فيحتمل أن يكون هو المهدي.

صفة الشخص الذي يصلي خلفه سيدنا عيسى عليه السلام

لقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة بأن المهدي من هذه الأمة من ذرية المصطفى ﷺ وأن سيدنا عيسى عليه السلام سيصلي خلفه، وهذه الأحاديث متواترة وكثيرة وتنفي أن يكون المهدي هو نفسه سيدنا عيسى عليه السلام، وسنذكر على سبيل المثال من الأحاديث النبوية ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه»⁽³⁾. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة»⁽⁴⁾. والحديث في صحيح مسلم بلفظ أميرهم فقط: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَى صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةً لِّلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»⁽⁵⁾.

وعن أبي أمانة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، وذكر الدجال، وقال فيه: «إن المدينة لتنفى خبثها، كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص». قالت أم شرك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ..؟ قال: «هم يومئذ قليل، وجلهم بيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن

1 [رواه الترمذي: 2232، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه: 3299].

2 [رواه مسلم: 2913].

3 رواه أبو نعيم في أخبار المهدي وقال الألباني: "صحيح" انظر الجامع الصغير 5/ 219 ح 5796.

4 أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، وقال ابن القيم في المنار المنيف (1/ 147) إسناده جيد.

5 رواه مسلم 225

مريم، حين كبر للصبح فرجع ذلك الإمام ينكص. ليتقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه فيقول: تقدم فصلها، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم⁽¹⁾.

أن هذه الأحاديث هي عدد قليل جداً من الأحاديث النبوية التي تخبرنا بأن المهدي سيكون إمام المسلمين في الصلاة وسيكون خليفة النبي عيسى عليه السلام.

إن في زمننا هذا من المعتاد أن يكون رؤساء الدول والزعماء السياسيين خلف الأئمة والفقهاء في الصلاة فهم حكام سياسيين وليسوا أئمة وفقهاء، ولكن في عهد المهدي ستجتمع في يد المهدي السلطان السياسية والدينية كما كانت في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، وهذا من الممكن أن يحدث أيضاً في زمننا هذا مع حكام ليسوا من الرسل في دولة دينية كإيران على سبيل المثال، ولكن من الملاحظ من هذه الأحاديث النبوية أن سيدنا عيسى عليه السلام قبل نزوله سيكون المهدي بمثابة الحاكم السياسي وأيضاً إمام المسلمين في الصلاة وهنا يتضح لنا أن المهدي سيجمع لديه السلطان السياسية والدينية في ذات الوقت.

فهل المهدي رجل دين في الأصل حتى يؤم المسلمين في الصلاة قبل أن يكون حاكماً أم أنه يؤم المسلمين لأنه رسول الله..؟

ونأتي للسؤال الثاني: لماذا رفض سيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله إمامة المسلمين في الصلاة وهو نبي الله وصاحب المعجزات والذي سينزل من السماء لنصرة المسلمين..؟ فإذا كان المهدي شخصاً عادياً أو -إذا جاز التعبير- لدى البعض بأفضل الأحوال بأنه في الأصل رجل دين مؤهل لإمامة المسلمين في الصلاة قبل أن يكون حاكماً للمسلمين، أليس من الطبيعي أن يكون النبي عيسى عليه السلام هو إمام المسلمين وأن يكون المهدي هو الحاكم السياسي والقائد العسكري للمسلمين..؟ هل يجوز لأي شخص عادي مهما كان منصبه وسلطته وقوته وعلمه الديني في هذا العالم أن يكون إماماً وخلفه نبي..؟ هل هذا يُعقل..؟

إن الإجابة الوحيدة المنطقية على هذه الأسئلة هي أن يكون المهدي رسولاً أيضاً فحينئذ يكون من المقبول منطقياً وعقلياً ودينياً استيعاب فكرة أن يكون المهدي إمام المسلمين في الصلاة وخلفه النبي عيسى عليه السلام.

1 أخرجه الحافظ أبو نعيم، في كتاب الحلية. وأخرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة؛ في سننه أتم من هذا. (294 / 1) وأخرجه الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد، في كتاب الفتن. بمعناه.

هل سيظهر الغضر وأصحاب الكهف في عهد المهدي؟

لن يكشف شخصية الدجال ويقف أمامه بثبات وبشجاعة منقطعة النظير سوى رجل وحيد لا أعرف بالتحديد من هو، فلم يذكر النبي ﷺ أن المسيح الدجال سيقتل أحداً سوى رجل وحيد، أخبرنا عنه النبي ﷺ وذكر لنا قصة شهادته فوصفها بأنها أعظم شهادة عند رب العالمين، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يُخْرَجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهَ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَتَلَقَّاهُ الْمَسَاحُ: مَسَاحُ الدَّجَالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبَّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبَّنَا خَفَاءَ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُم رَبُّكُم أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ، فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيَشْبَحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشَجُّوهُ، فَيُوسِعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، فَيَقُولُ: أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤَسَّرُ بِالْمِنْشَارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رَجْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْنِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَزِدُّكَ فَيْكَ إِلَّا بَصِيرَةً، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقَوْتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَدَفَةٌ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ»، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين» [رواه مسلم]. وروى البخاريُّ بَعْضَهُ بِمَعْنَاهُ.

إنه مما لا شك فيه بأن هذا المؤمن بما وصفه هذا الحديث من قصة مواجهته للدجال رجلٌ غيرٌ عاديٍّ للأسباب الآتية:

1- هذا الرجل خالف نصوص الأحاديث النبوية التي نصح فيها النبي ﷺ المسلمين بالابتعاد عن مواجهة الدجال، فبال تأكيد إن هذا الرجل الموصوف بأنه مؤمنٌ يعرف جيداً هذه الأحاديث، وبالرغم من ذلك توجه للمسيح الدجال، فلا يجوز للمسلم أن يتوجه للدجال وإن كان واثقاً من نفسه، فإن مع المسيح الدجال من الشبهات ما يزلزل الإيَّان، لما روى أبو داود وغيره، عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال فليأمن عنه فوالله إن الرجل ليأتيه، وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات». فلا بأس على الذين لا يطيقون مقاومته أن يفروا من طريقه،

وهذا ما سيفعله كثيرٌ من الناس في ذلك الزمان، ففي صحيح مسلمٍ عن أمِّ شريك، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «ليفرنَّ الناس من الدجال في الجبال». فإن اضطرَّ المؤمنُ إلى مواجهته، فعليه قراءة فواتح سورة الكهف كما أمر النبي ﷺ.

2- بالرغم من أن فتنة المسيح الدجال هي أعظم فتنة على وجه الأرض إلا أن هذا الرجل لم يُفتن بفتنته، فعن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثاً حَدَّثناه عن الدجال، وحَدَّثناه، فكان من قوله أن قال: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حَذَرَ أُمَّتَهُ الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتُم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة». الحديث رواه ابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

3- هذا المؤمن سيذهب للدجال وهو يعلم كيفية موته وبالرغم من ذلك فهو يملك ثقةً بالنفس وثبات منقطع النظير.

4- لم يراجع هذا المؤمن عن موقفه بالرغم من كل ما فعله به الدجال، بل أصرَّ على موقفه وحذر الناس علانيةً منه.

5- ستحدث معجزةٌ ألهيةٌ مع هذا المؤمن حيث سيجعل الله ﷻ ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع الدجال أن يشقَّه نصفين مرةً أخرى.

6- هذا المؤمن يعلم أن الدجال سيقتل واحداً فقط وبعد ذلك لن يقتل أحداً، فهو بذلك وكأنه يقدم نفسه للشهادة في مقابل ألا يحدث ما حدث له لغيره من الناس.

7- على ما أعتقد أن المسيح الدجال لن يظهر بصورة الكائن الشرير الظاهر شره للناس والذي يُنفّر منه الناس؛ فلن تتضح سيرته لأغلب الناس، بل سيظهر أمام الناس بأنه عادلٌ ورحيمٌ فلا يريد قتل أحد، وهذا يتضح من تعليماته لأتباعه، فقد قال أتباعه عندما قابلوا الرجل المؤمن وكانوا يريدون قتله «أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه»، كما أن في هذه العبارة إشارةً إلى أن أتباع الدجال يتحدثون مع بعضهم البعض ويصفون المسيح الدجال بالربِّ دون خجلٍ أو ذرةٍ من الشك في أنه المسيح الدجال، وهذا يدلُّ على فتنته الشديدة، فمن الواضح أنه من الصعب تمييزُ المسيح الدجال في هذا الوقت، ولذلك فإنَّ هذا الرجل المؤمن سيكشف للناس حقيقته بشجاعةٍ حين يقول له أمامهم: «يا أيُّها النَّاسُ إِنَّ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

كُلُّ هذه الأسباب جعلت من هذا المؤمن مثار بحثٍ لي عن من يكون هذا الرجل...؟ فوجدت أن العلماء قد انقسم رأيهم حول هذا المؤمن إلى رأيين، فقال بعضهم أنه الخضر عليه السلام وقال البعض الآخر أنه أحد أصحاب الكهف...! هل يُعقل هذا...؟

أقول نعم فكلُّ شيءٍ جائزٌ في ذلك الزمان الذي ستظهر فيه عجائبٌ مخالفةٌ للمنطق وللعلم، فالمسيح الدجال ويأجوج ومأجوج وغيرها من أحداثٍ في هذا الزمن أشبه بأفلام الخيال العلمي التي لا يصدقها عقلٌ أو يُفسرها علمٌ، ولكن يبدو لي أن هذا الزمن ستحدث عجائبٌ ومعجزاتٌ لا يصدقها عقلنا في زمننا الحالي، ولهذا سنسير وراء تلك الآراء ونحقق في مصداقيتها.

هل سيكون سيدنا الخضر عليه السلام من أعوان المهدي؟

قال بعض أهل العلم: إنَّ الرجلَ المشار إليه في الحديث هو الخضر عليه السلام، ففي صحيح مسلم عقب رواية عبد الله بن عبد الله بن عتبة قال أبو إسحاق: يقال إنَّ هذا الرجل هو الخضر، وأبو إسحاق هو إبراهيم بن محمد بن سفيان الزاهد راوي صحيح مسلم عنه لا السبيعي كما ظنَّه القرطبيُّ قال في الفتح: ولعلَّ مستنده في ذلك ما في جامع معمرٍ بعد ذكر هذا الحديث قال معمرٌ: بلغني أنَّ الذي يقتله الدجال هو الخضر، وكذا أخرجه ابن حبانٍ من طريق عبد الرزاق عن معمرٍ قال: كانوا يرون أنه الخضر.

وقال ابنُ العربي: سمعت من يقول إنَّ الذي يقتله الدجال هو الخضر وهذه دعوى لا برهان لها، قال الحافظ ابن حجرٍ: قد يتمسك من قاله بما أخرجه ابن حبانٍ في صحيحه من حديث أبي عبيدة بن الجراح رفعه في ذكر الدجال لعلَّه يدركه بعض من رأي أو سمع كلامي الحديث ويُعكِّر عليه قوله في رواية لمسلم شابٌ ممتلئٌ شباباً ويمكن أن يُجاب بأن من جملة خصائص الخضر أن لا يزال شاباً.

وفي كتاب الفتن لنعيم بن حماد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمرٌ قال: "بلغني انه يجعل على حلقة صفيحة من نحاسٍ وبلغني أنَّ الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحييه".

هل سيكون أصحاب الكهف من أعوان المهدي؟

قال القرطبيُّ في تذكرته: "يقال: إنه الخضر وفيه بُعدٌ بعيدٌ، وقيل: رجلٌ من أصحاب الكهف وورد أنهم يكونون من أصحاب المهدي، ولهذا الرأي دليلٌ في تفسير القرطبيِّ في

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف].

قوله تعالى: ﴿وَأْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ قيل: هو من تمام قصة أصحاب الكهف، أي اتبع القرآن فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف.

وقال الطبري: لا مغير لما أوعده بكلماته أهل معاصيه والمخالفين لكتابه.

﴿وَلَنْ تَجِدَ﴾ أنت ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ إن لم تتبع القرآن وخالفته. ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجأ.

وقيل موثلاً وأصله الميل ومن لجأت إليه فقد ملت إليه.

قال القشيري أبو نصر عبد الرحيم: وهذا آخر قصة أصحاب الكهف.

ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس فأنتهى إلى الكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فننظر إليهم، فقال ابن عباس: قد منع الله من هو خير منك عن ذلك، فقال: ﴿لَوْ أَظْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ [الكهف: 18]، فقال: لا انتهى حتى اعلم علمهم، وبعث قوما لذلك، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم، ذكره الثعلبي أيضاً.

وذكر أن النبي ﷺ سأل الله أن يريه إياهم، فقال إنك لن تراهم في دار الدنيا ولكن أبعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الايمان، فقال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «كيف أبعثهم؟» فقال: ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الآخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن أبي طالب، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليان؛ فإن الله تعالى يأمرها أن تطيعك، ففعل فحملتهم الريح إلى باب الكهف، فقلعوا منه حجراً، فحمل الكلب عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصّب بذنبه وأوماً إليهم برأسه أن ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردّ الله على الفتية أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقالوا لهم: معشر الفتية، إن النبي محمد بن عبد الله ﷺ يقرأ عليكم السلام، فقالوا: وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض، وعليكم بما أبلغتم، وقبلوا دينه وأسلموا، ثم قالوا: أقرئوا محمداً رسول الله منا السلام، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقبتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي.

فيقال: إِنَّ المَهْدَى يُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ فَيَحْيِيهِمُ اللَّهُ ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَقْدَتِهِمْ فَلَا يَقُومُونَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَأَخْبَرَ جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ، ثُمَّ رَدَّتْهُمُ الرِّيحُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ وَجَدْتُمُوهُمْ؟» فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَاغْفِرْ لِمَن أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَأَصْحَابِي».

وقيل: إِنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ دَخَلُوا الْكَهْفَ قَبْلَ الْمَسِيحِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى - الْمَسِيحَ بِخَبَرِهِمْ ثُمَّ بَعَثُوا فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ.

وقيل: كَانُوا قَبْلَ مُوسَى ﷺ وَأَنَّ مُوسَى ذَكَرَهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَلِهَذَا سَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وقيل: دَخَلُوا الْكَهْفَ بَعْدَ الْمَسِيحِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ."

انتهى الاقتباس من تذكرة القرطبي

وفي تفسير ابن مردويه عن ابن عباسٍ: "أَصْحَابُ الْكَهْفِ أَعْوَانُ الْمَهْدِيِّ" وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ، فَإِنَّ ثَبْتَ حُمَلٍ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَمُوتُوا بَلْ هُمْ فِي الْمَنَامِ إِلَى أَنْ يَبْعَثُوا لِإِعَانَةِ الْمَهْدِيِّ.

وفي تفسير القرطبي أيضاً ذكر أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ سَيُحْيَوْنَ مَعَ سَيِّدِنَا عِيسَى ﷺ، ففِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف]. قال القرطبي: "إِخْتَلَفَ فِي أَصْحَابِ الْكَهْفِ هَلْ مَاتُوا وَفَنَوْا، أَوْ هُمْ نِيَامٌ وَأَجْسَادُهُمْ مُحْفُوظَةٌ؛ فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَرَّ بِالشَّامِ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ مَعَ نَاسٍ عَلَى مَوْضِعِ الْكَهْفِ وَجَبَلَهُ، فَمَشَى النَّاسُ مَعَهُ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عِظَامًا فَقَالُوا: هَذِهِ عِظَامُ أَهْلِ الْكَهْفِ، فَقَالَ لَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُولَئِكَ قَوْمٌ فَنَوْا وَعَدِمُوا مِنْذُ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ؛ فَسَمِعَهُ رَاهِبٌ فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَعْرِفُ هَذَا؛ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّنَا ﷺ.

وروت فرقة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لِيُحْجَنَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَمَعَهُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَحْجُوا بَعْدَ». ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ.

قلت: وَمَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَأَنَّهُ يَمُرُّ بِالرُّوحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ يَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ فَيَجْعَلُ اللَّهُ حَوَارِيَهُ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ، فَيَمُرُونَ حَاجًّا فَإِنَّهُمْ لَمْ يَحْجُوا وَلَمْ يَمُوتُوا، وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْخَبَرَ بِكَمَالِهِ فِي كِتَابِ (التَّذَكُّرَةِ) فَعَلَى هَذَا هُمْ نِيَامٌ وَلَمْ يَمُوتُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَلْ يَمُوتُونَ قَبِيلَ السَّاعَةِ "انتهى الاقتباس.

تلك الآراء تشير إلى أن المؤمن الذي سيقتله الدجال شخصيةٌ غيرٌ عادية بل لديه علمٌ وما يشبه الوحي الذي أخبره بأنَّ يذهب إلى الدجال دون الخوف من فتنته، ومن الممكن إضافة احتمالٍ ثالثٍ غيرِ كونِ هذا المؤمن الذي سيقتله الدجال هو الخضر عليه السلام أو أحد أصحاب الكهف، فهناك شخصيةٌ واحدةٌ ستكون على قيد الحياة في عصر الدجال وهذه الشخصيةُ تمتلك جميع المقومات الروحية والنفسية لمواجهة الدجال دون الخوف من فتنته ألا وهو المهدي نفسه وذلك بعد نزول سيدنا عيسى عليه السلام، والدليل على ذلك عدم وجود أيِّ حديثٍ نبويٍّ أو أثرٍ من بين عشرات الأحاديث والآثار التي تتحدث عن المهدي وتذكر فيه أنَّ هناك مشاركةً في الحكم بين المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام، فبعد أن يصلى سيدنا عيسى عليه السلام خلف المهدي عند نزوله لم أجد أيَّ أثرٍ أو حديثٍ يتناول لقاءً ثانيًا جمع بين المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام سوى هذا اللقاء الأول بعد نزول سيدنا عيسى عليه السلام، فكلُّ ما جاءت به الأحاديث والآثار عن قصة المهدي انقطعت بعد صلاة سيدنا عيسى عليه السلام خلف المهدي، فمن الوارد أن يقوم المهدي بآخر مهمةٍ له على الأرض، وهي مواجهة الدجال وجهًا لوجه وأن يجعل نفسه الشهيد الوحيد الذي سيقتله الدجال وذلك بعد أن يطمئن على أن قيادة المسلمين ستكون لسيدنا عيسى عليه السلام من بعده، وعلى الجانب الآخر فلو افترضنا بأن المسيح الدجال يعرف أنَّ هناك شخصًا واحدًا سيقتله بتلك الطريقة البشعة فبال تأكيد سيختار أن يكون هذا القتل هو المهدي قائد المسلمين في ذلك الوقت.

تشابه حياة المهدي مع بعض الأنبياء:

قال النبي ﷺ: «لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: من هم يا رسول الله..؟ اليهود والنصارى.؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «فمن الناس..؟!» [متفق عليه]، وكما ذكرنا سابقاً فإن هناك تشابهٌ كبيرٌ في حال الأمة الإسلامية مع حال الأمم السابقة، وسيكون هناك تشابهٌ آخرٌ بين سيرة أنبياء الأمم السابقة مع سيرة المهدي، فمن خلال متابعة حياة المهدي من خلال الأحاديث النبوية والآيات القرآنية والآثار نجد أنَّ سيرة المهدي مشابهةٌ لسيرة سيدنا موسى في بعض المعجزات التي أيدها الله ﷻ كالخسف بالجيش الذي يريد قتله أو القبض عليه، كما أنَّ كليهما كانا مخلصاً لأمةٍ مستضعفةٍ فنهضا بها، وتشابهت دعوتها أمام حكامٍ جبابرةٍ دون الخوف من عقابهم.

وهناك تشابه آخر بين سيرة المهدي وسيدنا سليمان عليه السلام وذو القرنين، فقد قال السيوطي في (العرف الوردی في أخبار المهدي): وأخرج ابن الجوزي في "تاريخه" عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ملك الأرض أربعة؛ مؤمنان، وكافران. فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، والكافران: نمرود وبخت نصر، وسيملكها خامس من أهل بيتي» وهذا ما سيحدث مع المهدي بعد انتصاره في الملحمة الكبرى.

وهناك تشابه آخر بين بلاء المهدي وبين بلاء باقي الأنبياء والمرسلين، وذلك في ابتلائه الشديد في بداية دعوته عندما يدعو الناس فيكذبونه ويتهمونه بأنه ساحر أو مجنون أو أن أحد يُعلمه ما يقوله، كما سيتم تكذيبه عندما يخبرهم بأنه رسول الله لأن عامة المسلمين لديها اعتقاد منذ قرون بانقطاع الرسالة، ولذلك فإنني أعتقد بأن المهدي سيتم تكذيبه وبشدة في بداية دعوته مثله في ذلك مثل باقي المرسلين من قبله.

كما أن المهدي سيكون له بلاء آخر بفقدان فتوحاته الكبيرة بعد ظهور المسيح الدجال فلن يكون حاكماً الا على مكة والمدينة والقدس فقط، يُضاف إلى ذلك فتنة عدد كبير من الناس بالمسيح الدجال وذلك بعد كل ما حققه في سبيل عودة الناس إلى طاعة الله ﷻ.

وهناك تشابه آخر بين تمهيد المهدي لدعوة سيدنا عيسى عليه السلام، وبين تمهيد سيدنا يحيى عليه السلام لدعوة سيدنا عيسى عليه السلام، فالمهدي سيكون رسولاً قبل نزول سيدنا عيسى عليه السلام وسيمهد له الدعوة ويؤهل الناس لاستقباله، وهذا ما فعله أيضاً سيدنا يحيى عليه السلام مع سيدنا عيسى عليه السلام، ومن الممكن أيضاً إضافة التشابه في قتل سيدنا يحيى عليه السلام من قبل الملك هيرودس أحد ملوك ذلك الزمان مع قتل المهدي من قبل الدجال، كما افترضنا من احتمال لذلك من قبل -والله اعلم-.

لماذا الاعتقاد بأن المهدي رسول؟

لقد اعتبر العديد من المسلمين أن موضوع ظهور المهدي خرافة لا تتفق والعقل الصحيح، كما أن هناك علماء مسلمين تجاهلوا ذكر المهدي في كتبهم وهذا يعود من وجهة نظري إلى أن فكرة وجود شخص عادي يؤيده الله ﷻ بالعديد من البينات والمعجزات كالخسف بالجيش الذي يريد القضاء عليه أو أن يسقيه الله الغيث أو أن يصلي سيدنا عيسى عليه السلام خلفه أو أن يصلحه الله في ليلة واحدة، غير مقبولة عقلاً؛ فكل هذه الأمور إذا تدبرها

العديد من المسلمين ستتناقض مع اعتقادهم بعدم إرسال الله ﷺ رسولاً جديداً بعد نبينا سيدنا محمد ﷺ فليس من المنطقي أن يؤيد الله ﷻ شخصاً عادياً بكل هذه المعجزات، مع الوضع في الاعتبار أننا هنا نتحدث عن المعجزات التي ذكرت بالاحاديث النبوية الصحيحة فقط فلم نذكر المعجزات التي ذكرت في الاحاديث النبوية الضعيفة كإعطاء المهدي فقه عشرة أو الوصول لتابوت السكينة والعلامات التي ستصاحب ظهور المهدي والتي سبق وأن ذكرناها في فصل الدخان وغيرها من الآثار والروايات التي تدل على أن المهدي رسول مؤيد من الله ﷻ بعدة معجزات لم تُعط للعديد من الأنبياء من قبل، كما اننا لم نذكر الدلائل والمعجزات الموجودة بالقرآن الكريم كالرسول المبين الذي ستحدث في عهده آية الدخان المبين.

إن هذه الأسباب ستتلاشى عند أي شخص يشكك في حقيقة كون المهدي رسولاً لو غير اعتقاده بظهور رسول جديد، فعندئذ سيكون مقبولاً لعقله وقلبه حدوث كل تلك المعجزات مع رجل بشر به النبي ﷺ من قبل، فالأحاديث النبوية التي تتحدث عن المهدي تشكل بمجموعها تواتراً معنوياً يثبت بعث الله ﷻ المهدي كرسول لمن تدبر تلك الأحاديث.

الدلائل العديدة التي تثبت اعتقادي بأن المهدي رسول من عند الله ﷻ ومنها :

1- لقد اهتم النبي ﷺ بتجلية أمر المهدي، وبيان صفاته وخصائصه، حتى إذا ظهر كانت الأمة معه على موعد، فتنصره ولا تحذله، لاسيما أن وقت خروجه وقت فتن وبلاء وفساد، وهذه الصفات التي أخبرنا بها النبي ﷺ لم تحدث مع قادة مسلمين آخرين مثل (صلاح الدين الأيوبي) الذي وحّد الأمة ونهض بها وانتصر على الصليبيين وحرّر الأقصى الشريف، وأيضاً (قطز) الذي نهض بالأمة وهي في اضعف حالاتها بعد أن غزا التتار نصف العالم الإسلامي واستطاع أن يوحد المسلمين ويوقف زحف التتار وانتصر عليهم، وهناك الكثير من القادة الذين كانت لهم بصمة في الصحوة الإسلامية، فلماذا ذكر النبي ﷺ المهدي ووصفه في كل هذه الأحاديث ولم يذكر (صلاح الدين، وقطز) ومثلهم من القادة المسلمين..؟

2- هناك عدة أدلة ذكرتها الأحاديث النبوية تثبت أن المهدي ليس رجلاً عادياً بل هو رسول يؤيده الله ﷻ بالعديد من البينات والمعجزات كالخسف بالجيش الذي يريد القضاء عليه أو أن يسقيه الله الغيث أو أن يصلي سيدنا عيسى عليه السلام خلفه أو أن يصلحه الله في ليلة واحدة أو أن يبعثه الله ﷻ للأمة، فكل هذه الدلائل مجتمعة تثبت أن المهدي رسول لله،

ولا يجوز للمشككين في هذا الاعتقاد الردُّ على دليلٍ واحدٍ دون الردِّ على باقي الأدلة مجتمعة، كأن يردَّ أحدُ المشككين على دليلٍ واحدٍ فقط مثل بعث الله ﷺ المهدي للأمة ويقول أنَّ مثل المهدي كمثل المجدد الذي يحدد الله ﷻ الدين كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»⁽¹⁾، فسأرد عليه وقتئذٍ وأقول له فما قولك في باقي الدلائل مجتمعة..؟ فمن الوارد أن يؤيِّدَ الله ﷻ عبداً من عباده بينةً أو معجزةً واحدة، ولكن أن يؤيِّدَ الله ﷻ شخصاً عادياً بكلِّ تلك البينات والمعجزات المتتالية التي لم تُعطَ للعديد من الرُّسل من قبل..! فهنا يجب الردُّ على هذه الأدلة مجتمعةً ولا يكون الردُّ على دليلٍ واحدٍ فقط أو دليلين مع ترك جميع الأدلة المذكورة في الأحاديث النبوية الشريفة مجتمعةً والتي تدل بمجمليها بأن المهدي رسولُ الله ﷻ في زماننا نحن أو في زمن أحفادنا.

3- كما ذكرنا في الفصول السابقة فإننا أثبتنا بأنَّ النبي ﷺ هو خاتم النبيين وليس خاتم المرسلين، هذا بالإضافة الى تبشير النبي ﷺ بالمهدي مُتبعاً بذلك سنة من سبقه من أنبياء الله ﷻ.

4- ذكر النبي ﷺ أنَّ الله ﷻ سيصلح المهدي في ليلة؛ فكيف يُؤهل إنساناً عادياً نفسياً أو علمياً أو بدنياً في ليلةٍ واحدةٍ في اثنتي عشرة ساعةً إلا إذا كان رسولاً..؟!

5- من غير المقبول منطقياً وعقلياً ودينياً استيعابُ فكرة أن يكون المهدي إمام المسلمين في الصلاة وخلفه النبي عيسى عليه السلام إلا إذا كان رسولاً مثله.

6- معجزة الخسف التي ستحدث مع الجيش الذي سيطارد المهدي وهذه معجزة لا تحدث عادة إلا مع الأنبياء والمرسلين.

7- لا يوجد غير المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام الذين بشرنا بهما النبي ﷺ بأنهم سيظهران آخر الزمان، أما المهدي فجاءت به الأحاديث بالإشارات والتلميحات التي تدل على أنه رسولُ الله، وأما سيدنا عيسى عليه السلام فسيتم إثباتُ بأنه سيعود إلينا كنبيٍّ في فصل نزول سيدنا عيسى عليه السلام، هذا بالإضافة إلى أنَّ بالقرآن الكريم آياتٌ عديدةٌ كما ذكرناها في

1 رواه أبو داود (رقم/ 4291) وصححه البخاري في "المقاصد الحسنة" (149)، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/ 599)

الفصول السابقة تشير إلى ظهور رسولٍ قادمٍ معه بيناتٌ تؤكِّدُ رسالته، كالرسولِ المذكور في سورة البينة، والرسولِ المبين المذكور في سورة الدخان، فهذه الآيات لم تأتي بأسماء المهدي أو سيدنا عيسى عليه السلام، ولا يُوجد أمامي سوى المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام اللذين بشرنا بهما النبي ﷺ، فهل هناك شخصٌ آخرٌ غيرهما لم يُبشِّرنا به النبي ﷺ يكون في عصره آية الدخان مثلاً...؟ هذا بالنسبة لي احتمالٌ ضعيفٌ مع كلِّ القرائن التي استعرضناها من قبل..!

قصة حياة المهدي من خلال ربط آيات القرآن الكريم بالحديث الشريف

من خلال ربط آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الرسول القادم بالأحاديث النبوية والآثار التي تتحدث عن المهدي من الممكن أن نستعرض ترتيباً مبسطاً لسيرة حياة المهدي بصورة تقريبية وليست نهائية، مع العلم بأن ترتيب الأحداث التي سنعرضها من الممكن أن يتغير ترتيبه، ومن الممكن أن تكون الآيات القرآنية التي تُشير إلى رسولٍ قادمٍ لا تشير إلى المهدي بل إلى رسولٍ آخرٍ سواءً كان سيدنا عيسى عليه السلام أو رسولاً غيرهما، فما نضعه هنا هو ربط أحداثٍ مستقبليةٍ مذكورة في القرآن ومذكورة أيضاً في الأحاديث النبوية والآثار، وهي في النهاية في علم الله ﷻ، وما نحاول الاجتهاد فيه هو ترتيب وربط هذه الأحداث بعضها ببعض بما توافر لدينا من علومٍ حديثة وتفسير لآيات قرآنية ولأحاديث نبوية حتى نصل إلى سيرة حياة المهدي، وفيما يلي ترتيبٌ للأحداث منذ ظهور المهدي إلى وفاته من وجهة نظري ومن المحتمل أن يختلف ترتيب الأحداث التي سنذكرها فيما يلي، فكل هذه الأحداث التي ستحدث هي في علم الغيب ولكننا نجتهد في ترتيبها والله أعلم:

1- فتنة الدهيماء في نهاية الحكم الجبري وهي أول إشارة باقتراب ظهورِ أشرار الساعة الكبرى -والله أعلم- هل نحن الآن في هذه الفتنة أم ستكون هناك فتنة أخرى في زمنٍ لاحقٍ لهذا، وهي الفتنة التي سيظهر في نهايتها المهدي وما يعقب ذلك من توالي علامات الساعة، ولكنني أرجح أننا الآن نعاصر تلك الفتنة المشار إليها في عدة أحاديث نبوية مختلفة والتي سيظهر في نهايتها المهدي والله أعلم.

2- إصلاح المهدي في إحدى الليالي المباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٢﴾ [الدخان]. حيث

- ستكون هذه الليلة هي ليلة نزول الوحي على المهدي بما قد ذكرناه سابقاً في ليلة الإصلاح، كما سيتم تكليفه في هذه الليلة بإنذار الناس بعذاب الدخان.
- 3- سيبدأ المهدي دعوته للمسلمين للعودة إلى طاعة الله ﷻ ودعوته لغير المسلمين للإسلام، والا سيقع عليهم عذاب الدخان، ولكنه سيُقابل من أغلب الناس بالتكذيب والسخرية، وسيقال له من أغلب المسلمين أنه لا رسول بعد النبي ﷺ.
- 4- سيكون مع المهدي بنات تلقاها أثناء ليلة الإصلاح تُثبت رسالته وسيعرضها على الناس جميعاً لإثبات أنه رسول من عند الله ﷻ (1).
- 5- يُقال عن المهدي بأنه مجنون وأن هناك أحداً ما يُعلمه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان] (2).
- 6- سيظهر المذنب الطارق (النجم ذو الذنب) في السماء وسيقترب من جاذبية الأرض.
- 7- في حالة ضرب المذنب للقمر سينشق القمر لإنذار الناس بعذاب الدخان وسيتم إتهام المهدي بأنه ساحر أو دجال، قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (3) (احتمال أن تكون آية انشقاق القمر في زمن المهدي أو فيما بعده، ولكن الاحتمال الأكبر أنها ستكون قبل آية الدخان بناءً على النظريات العلمية التي قدمناها من قبل والله أعلم).
- 8- ستكون هناك حالة من الشك والترقب لتحذيرات المهدي بعذاب الدخان، ولكن الناس لن تستجيب لدعوته من قبل الدول غير الإسلامية أو من المسلمين المنافقين، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (4) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ [الدخان] (4).
- 9- إما أن ينفجر بركان ضخم نتيجة تأثير انشقاق القمر - وهذا الاحتمال الأكبر من وجهة نظري، أو أن يسقط مذنب على الأرض مما يؤدي إلى انتشار الدخان في سماء الكرة الأرضية وهذا احتمال أقل، مما سينتج عن كلا الاحتمالين عذاب أليم لملايين البشر،

1 أنظر فصل رسول البينة.

2 أنظر فصل الدخان المبين.

3 أنظر فصل انشقاق القمر مع العلم أن هذه الآية من الممكن أن تكون خاصة بالمهدي أو رسول آخر والله أعلم.

4 أنظر فصل الدخان المبين

وسيؤدي إلى إسلام عددٍ كبيرٍ من غير المسلمين، قال تعالى: ﴿يَعْشَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَلَيْسَ لَهُمُ الدِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [الدخان]. (1)

10- أحدُ الحُكام المسلمين سيرسل جيشًا للقبض على المهدي أو قتله للقضاء على دعوته في البداية، حيث سيؤمن عددٌ من الناس بدعوة المهدي وسيجتمعون حوله، ولكن سيتم الخسْفُ بهذا الجيش.

11- بيعه المسلمين للمهدي كقائدٍ لهم وستتحد دولٌ إسلاميةٌ كثيرةٌ تحت راية المهدي فتعودُ الخلافةُ الإسلاميةُ مرةً أخرى إلى خلافةٍ على منهاج النبوة.

12- من المحتمل أن يكون المهدي هو الدابة، فيكونُ معه عصي سيدنا موسى ﷺ فيلمسُ بها وجهَ المؤمن فيخرجُ منه نورٌ يميزُه عن الكافر، كما يحتمل أن يكونَ معه خاتمُ سيدنا سليمان ﷺ فيلمسُ به وجهَ الكافر فتعتليه الغبرةُ وتميزُه عن المؤمن، وينادي الناسُ على بعضهم: (يا مؤمن، يا كافر). ولنا شرح طويل بخصوص الرسول الدابة في فصلٍ منفصلٍ فيما بعد.

13- ستندلع ملحمة الإسكندرية وسيتمُّ تحريرُ فلسطين، ثم تندلع الملحمة الكبرى وما يعقبها من انتصارٍ المسلمين.

14- فتحُ القسطنطينية وظهورُ الإسلام على الدين كله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣)﴾ [التوبة].

15- ظهورُ المسيح الدجال وما يسبقُ ظهورَه ثلاث سنوات من الجفاف نتيجةً لتأثير انفجارِ البركان الهائل، وسوف تتقلصُ دولةُ المهدي حيث ستكون دولته عبارةً عن مكة والمدينة والقدس، وسيكون مقرُّ إقامة المهدي في القدس أو بالقرب منها ومعه من تبقى من جنوده وأتباعه محاصرين فيها، وسيتبع المسيح الدجال عددٌ كبيرٌ من الناس، وما يعقبُ ذلك من فرارِ المؤمنين من فتنة الدجال.

16- اضطرابٌ في زمن حركة دوران الأرض حول نفسها حيث سيلبثُ المسيح الدجال في

الأرض لمدة أربعين يوماً: يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامه كأيامنا الطبيعية، كلُّ ذلك والمهدي محاصرٌ في القدس⁽¹⁾.

17- سينزل سيدنا عيسى عليه السلام ويظهرُ عند المنارة الشرقية شرقيَّ دمشق.

18- سيدخل سيدنا عيسى عليه السلام إلى أحد المساجد في صلاة الفجر؛ فيعلم جميع المسلمين أنه المسيح عليه السلام فيرجع المهدي للخلف ليقدّم المسيح عليه السلام ليوم المسلمين في الصلاة فيعيدّه المسيح عليه السلام ويقول له تقدّم فصلّها، فإنها لك أقيمت.

19- خروج رجلٍ من المسلمين للمسيح الدجال ليكشف حقيقةً للناس، وسيقول لهم أنه الدجال الذي أخبر به النبي ﷺ وسيحذّر الناس من فتنته، ولكنّ الدجال سيُشقه نصفين، ثم يقول قم فيقوم، فيقول أتؤمنُ بي..؟ فيقول: لا، ما زدت فيك إلا بصيرةً، ثم يريد أن يقتله فلا يستطيع، ثم يلقيه فيما يُسمّيه ناراً، وهو ليس بنارٍ! وإنما هو فيما يرى الناس ناراً، وهو جنة.

20- يتوجّه سيدنا عيسى عليه السلام للمسيح الدجال، فعندما يرى المسيح الدجال سيدنا عيسى عليه السلام يبدأ بالدوبان كأنه ملحٌ، فيهرب الدجال حين أن يُدرّكه سيدنا عيسى عليه السلام على باب مدينة الدّ في فلسطين ويقتله.

21- وفاة المهدي في عهد سيدنا عيسى عليه السلام.

1 أنظر علاقة انشقاق القمر علمياً بأشراط الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر



الفصل الثاني عشر المسيح الدجال





المسيح الدجال



يُعدُّ خروجُ المسيح الدجالِ من علامات الساعة الكبرى، التي تُنذرُ باقتراب يوم القيامة، وهو ذلك الرجلُ الكذاب الذي يُضلُّ الناسَ ويخدعهم، ليصدهم عن سبيل الله ﷻ ويجعلهم يكفرون بالله ﷻ ويتبعونه ويعبدونه؛ فالمسيح الدجال يُعدُّ أكبرَ فتنةٍ ظهرت على الأرض منذ نزول آدم عليه السلام بها، لقد وردت الكثيرُ من الأحاديث النبوية الشريفة التي يحذر فيها النبي ﷺ الأمة من هذه الفتنة الكبيرة؛ حيث ذكر نبينا الكريم ﷺ الكثير من المعلومات التي يجب علينا جميعاً العلمُ بها، ومعرفةُ الفتن التي يمتلكها هذا الدجال الكبير، ومعرفةُ القدرات التي يُعطيها الله ﷻ له؛ فهذه الفتنة ما هي الا اختبارٌ من الله ﷻ لعباده، فعن هاشم بن عامرٍ عن رسول الله ﷺ قال: «ما بينَ خلقِ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ خلقُ أكبرَ مِنَ الدَّجَالِ»، وفي رواية أخرى: «أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ»⁽¹⁾. وفي هذا الحديث دلالةٌ على أن الدجال هو أعظمُ فتنةٍ ستحدث على وجه الأرض من يوم نزول آدم عليه السلام بها.

معنى المسيح:

المسيح أصلها مَسَحَ، والمسيحُ تأتي بدالتين متناقضتين، فالدلالة الإيجابية هي التي تُطلق على سيدنا عيسى بن مريم (عليهما السلام) فهو مسيحُ الهدى الذي يُرى الأكمه، والأبرص، وهو الذي يقتل المسيح الدجال، وفي هذا المعنى يكون المسيح هو الذي يمسخ الباطل. أما الدلالة السلبية لهذه اللفظة هي أن يمسخ الأرض وما عليها من خير، وهدى، ويشيع الفساد فيها، وهذا المعنى المقصود به المسيح الدجال، كما أنه يُسمى المسيح لأنه أعورٌ ممسوحُ العين.

وفي آخر الزمان يقضي مسيحُ الهدى سيدنا عيسى عليه السلام على المسيح الدجال.

معنى الدجال:

دَجَلَ بمعنى غطَّى، والدجال هو المضلُّ الكاذب المدَّسُّ، الذي ينشر الباطل. ويُسمَّى الشخصُ الدجال هكذا؛ لأنه يُغطي الحقَّ بالباطل بسحره، والمسيح الدجال

يُسمى هكذا؛ لأنه يدّعي الألوهية، ويغطي الحقّ بأعمال سحره التي يُبهر بها الناس في آخر الزمان.

علامات خروج الدجال:

من علامات خروج الدجال أن يسبق ظهوره حوالي ثلاث سنواتٍ من الجفاف، ففي سنن ابن ماجة، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرک الحاكم، عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنواتٍ شدادٍ يُصيبُ النَّاسَ فيها جُوعٌ شديدٌ يأمرُ اللهُ السَّمَاءَ في السَّنةِ الأولى أنْ تَحْبِسَ ثُلثَ مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثُلثَ نَبَاتِهَا ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ في السَّنةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسَ ثُلثَى مَطَرِهَا وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ ثُلثَى نَبَاتِهَا ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ في السَّنةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسَ مَطَرِهَا كُلَّهُ فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةً وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسَ نَبَاتِهَا كُلَّهُ فَلَا تُنْبِتُ حَضْرَاءً فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ». قيل: فما يعيش النَّاسُ في ذَلِكَ الزَّمانِ؟ قَالَ: «التَّهْلِيلُ وَالتَّكْيِيرُ وَالتَّسْيِخُ وَالتَّحْمِيدُ وَيَجْرِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَى الطَّعَامِ»⁽¹⁾.

مكان خروج الدجال:



عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الدَّجَالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ، يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةُ»⁽²⁾.

وخرسان هي بلادٌ في شرق إيران، وسوف يتبعه اليهودُ وأقوامٌ من شرق

آسيا، والمجان المطرقة هي تروسٌ مغطاةٌ بالجلد، والمقصود أن رؤوسهم قصيرة، ووجوههم بيضاويةٌ أو مدوّرة، وفي نفس الوقت مسطحةٌ بسبب بروزٍ وارتفاعٍ عظامِ الخدود، والمجان جمعٌ مجنٍ وهو الترس، والمطرقة هي صفةٌ لهذه التروس، وهذه الأوصاف الشكلية تنطبق تقريباً على سكان وسط وشرق آسيا.

1 رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع.

2 أخرجه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد، وصححه الألباني.

صفات الدجال الخلقية :

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إني قد حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت ألا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا حجراً، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور» (1).

وفي الحديث وصف رسول الله ﷺ الدجال بأنه قصير القامة، «أفحج» بمعنى أنه يباعد بين رجليه في مشيته، «جعد» بمعنى أنه خشن الشعر، «أعور مطموس العين» ليس بناتئة أي أن عينه مطموسة؛ فهي غير موجودة لدرجة أنه لا يوجد بروز، ولا نتوء في مكان العين، «إن ألبس عليكم» أي إذا حدث لبس، واختلط عليكم أمر معرفته نتيجة لكثرة الفتن التي يأتي بها؛ فقط تذكروا أنه أعور، وأن الله ﷻ ليس بأعور.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي إلا قد أندر أمته الدجال الأعور الكذاب، ألا وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عيني كافر، يقرؤه كل مؤمن» (2).

وفي هذا الحديث ذكر لبعض السمات الشكلية للمسيح الدجال يُحذرنها بها رسول الله ﷺ؛ فهو أعور، حيث سرى المؤمنون بإذن الله كلمة (كافر) مكتوبة على جبين المسيح الدجال، سواء كانوا متعلمين أو أميين، فقدره الله ﷻ تسع كل شيء، بينما ضعفاء الإيمان والمشركون الذين سيتبعونه ويفتنون بفتنته، لن يروا كلمة كافر حيث أعماهم الضلال والكفر عنها.

ومن صفاته كما أخبر عنها النبي ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف - أو يهراق - رأسه ماء قلت من هذا قالوا ابن مريم، ثم ذهبت ألثفت، فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين، كأن عينه عنبة طافية قالوا هذا الدجال، أقرب الناس به شبها ابن قطن» (3).

وقد ذكرت بعض الأحاديث أنه قصير القامة، ذو شعر مجعد غزير، وله ساقان

1 رواه أبي داود، وصححه الألباني.

2 رواه البخاري.

3 رواه البخاري ومسلم.

منفرجتان، يمشي بطريقة غريبة، وأن لون بشرته أبيض مختلطاً باحمرار، ذو ظهرٍ منحنيٍّ مقوّسٍ، وجبهة عريضة مميزة.

سرعة انتقال المسيح الدجال:

ينتقل المسيح الدجال في الأرض بشكلٍ سريعٍ جداً؛ فيجوب الأرض بأكملها ويمسحها إلا مكة المكرمة والمدينة المنورة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من بلدٍ إلا سيطّوه الدجال، إلا مكة، والمدينة، ليس له من مقامها نقبٌ، إلا عليه الملائكة صافين يخرجونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافرٍ ومُنَافِقٍ»⁽¹⁾. فلن يستطيع الدجال دخول مكة والمدينة فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»⁽²⁾.

يأتي المسيح الدجالُ ومعه جنةٌ ونارٌ:

المسيح الدجالُ سيكون معه جنةٌ ونارٌ، فمن يدخله الدجال النارَ؛ فذلك يكون قد دخل الجنة، ومن يدخله الدجال جنته؛ يكون هكذا قد أدخله النار، ففي الصحيحين: عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنّا أعلمُ بما مع الدجالِ منه، معه نهرانِ يجريان أحدهما رأيَ العينِ ماءٌ أبيضٌ، والآخر رأيَ العينِ نارٌ تاججٌ، فإما أدركنَّ أحدُ فليأتِ النهرَ الذي يراه ناراً، وليغمضْ ثم ليطأطأ رأسه فيشرب منه، فإنه ماءٌ باردٌ»⁽³⁾. وفي لفظٍ مُسلمٍ: «إن معه ماءً وناراً، فناره ماءٌ باردٌ، ومأوه نارٌ، فلا تهلكوا».

يستجيب الجهاد والحيوان لأمره:

في جزءٍ من حديثٍ طويلٍ عن النّوّاسِ بنِ سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «فيأتي القومَ فيدعوهم فيستجيبونَ له، ويؤمنونَ به، فيأمرُ السماءَ أنْ تمطرَ فتُمطرَ، ويأمرُ الأرضَ أنْ تُنبِتَ فتنبِتَ، وتروحُ عليهم سارحتهم أطولَ ما كانت دُرّى، وأسبغهُ ضروعاً، وأمدّه خواصرَ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردّونَ عليه قوله، فينصرفُ عنهم فيصبحونَ مُحمّلينَ، ما

1 رواه البخاري.

2 رواه البخاري ومسلم.

3 متفق عليه: أخرجه البخاري (3450)، ومسلم (2934) واللفظ له.

بأيديهم شيء، ثم يمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فينطلق، فتبعه كنوزها كيحاسب النحل⁽¹⁾. فتخيل أخي المسلم بعد ثلاث سنوات قحط وجفاف يسود الأرض بسبب الدخان الممين، يأتي الدجال للناس وهم في هذه الحالة السيئة فيغيّر حالهم من حال إلى حال فجأة، فكيف سيكون موقفهم منه وهو يقول لهم إنه ربهم...؟! إنها لفتنة شديدة اللهم نجنا منها.

يقتل شاباً مؤمناً ثم يحييه :

في جزء من حديث طويل عن أمانة الباهلي⁽²⁾ عن رسول الله ﷺ قال: «وإن من فتنة أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله، أنت الدجال، والله ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم⁽³⁾». فمن قدرات الدجال التي يضعها الله ﷻ فيه أنه يحيي الموتى.

كيفية الوقاية من فتنة المسيح الدجال :

1- التعوذ من فتنة الدجال وخاصة في الصلاة:

لقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ومنها حديث السيدة عائشة⁽⁴⁾، أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم⁽⁵⁾». وحديث أبو هريرة⁽⁶⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال⁽⁷⁾».

2- حفظ فواتح سورة الكهف:

ففي حديث النواس بن سميان⁽⁸⁾: «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة

1 رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

2 أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني. وقد استعرضنا في فصل الرسول المهدي قصة هذا المؤمن.

3 متفق عليه: أخرجه البخاري (832)، ومسلم (589).

4 متفق عليه: أخرجه البخاري (1377)، ومسلم (588).

الكهف»⁽¹⁾. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»⁽²⁾.

3- الفرار من الدجال وعدم مواجهته:

تساءل المسلمون ماذا يفعلون إذا خرج عليهم المسيح الدجال، وهم أحياء فأخبرهم النبي ﷺ بأن يفروا من الدجال ويتعدوا عنه إلى الجبال والصحاري، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة، التي قد يفتتن بها الناس، والأفضل الإقامة في مكة أو المدينة لمن استطاع ذلك، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالْدَّجَالِ فَلْيَنَازِلْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»⁽³⁾.

المسيح الدجال والمهدي وسيدنا عيسى عليه السلام:

في آخر الزمان سيجعل الله نصرته الإسلام والمسلمين على يد المهدي المنتظر الذي يظهر الأرض من الظلم والطغيان، ويقوم بنشر السلام والعدل في جميع الأنحاء، فيأتي المسيح الدجال ليحاصر المهدي في القدس، أملاً في أن يقوم بقتله؛ ليستولي على القدس ويجعلها عاصمة له وللإهود أتباعه، فيبعث الله ﷻ سيدنا عيسى عليه السلام عند منطقة المنارة البيضاء بدمشق، ليستكمل الجهاد وليحرر البلاد من المسيح الدجال وظلمه وطغيانه حتى يفر الدجال إلى بلد اللد بفلسطين، ولا يتركه سيدنا المسيح حتى يطعنه بسن الرمح، فيقتله في الحال وتتطهر بلاد المسلمين من فتنة المسيح الدجال.

لماذا ستقع فتنة الدجال في ذلك التوقيت..؟

سيخرج الدجال بعد ثلاث سنوات تقريباً من الدخان المبين وما يسببه هذا الدخان من قحط وجفاف، وعودة عدد كبير من الناس لطاعة الله ﷻ، وسيخرج الدجال بعد ظهور الإسلام على الدين كله، فبعد انتشار الدخان المبين وما يسببه ذلك من عذاب أليم سيدعو

1 أخرجه مسلم (2937).

2 أخرجه مسلم (809).

3 أخرجه أبو داود (4319)، وأحمد (19761)، وصححه الألباني في "المشكاة" (5488)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

الناس الله ﷺ بأن يكشف عنهم العذاب، وأنهم قد أصبحوا مؤمنين بالله ﷻ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الدخان]، حينئذ سيستجيب لهم الله ﷻ وسيخفف عنهم العذاب، بل وسينصرهم في الملاحم الكبرى وسيظهر الإسلام على الدين كله.

إذن: فلم بعد كل هذا سيبتليهم الله بأشد فتنة على وجه الأرض منذ أن خلق الله ﷻ سيدنا آدم عليه السلام؟

الإجابة في قوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت]، فالفتنة تعني الاختبار وإن من أعظم الاختبارات التي تظهر حقائق المؤمنين، وتبين مواقف الأبطال هي الصبر على الأذى والابتلاء في سبيل الله؛ فكثير من الذين لا يفهمون حقائق الإسلام يفضلون أن يصلوا في اليوم مائة ركعة، ويذكروا الله ﷻ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ولكن ليس عندهم أي استعداد لأن يتجلدوا للمصائب، وأن يصبروا على الأذى في سبيل الله ولو لحظة، وإذا أودوا تضجروا وانهمزوا وقعدوا في جحورهم مع القاعدين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت]. فتنة المسيح الدجال ستكون اختباراً كبيراً للناس بعد أن قالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الدخان]، فهناك من سينجح في هذا الاختبار وهناك من سيفشل فيه والله اعلم.

علامات خروج الدجال وربطها بالفرضيات العلمية لأشراط الساعة:

من علامات خروج الدجال أن يسبق ظهوره سنين شدة وقحط، وهي كما ذكرت في فصل الدخان المبين الآثار الناتجة عن انفجار البركان الهائل الذي سيسبق ظهوره بثلاثة أو أربعة سنوات -والله اعلم- ففي سنن ابن ماجة، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرک الحاكم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شدة يضرب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله». قيل فما يعيش الناس في

ذَلِكَ الزَّمَانِ قَالَ «التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَى الطَّعَامِ» (1). وهذا ينقلنا أيضاً الى الحديث الشريف الذي أشار الى أن المهدي سيظهر في مناخ قارس البرودة «حَبُوءًا عَلَى النَّلَجِ» كما جاء في الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ - فَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبُوءًا عَلَى النَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمُهْدِي» (2).

إنَّ كلا الحديتين مرتبطانِ بعضُهما ببعضٍ علمياً من حيث أثر انفجار بركانٍ هائلٍ وما يعقب ذلك من شتاءٍ بركانيٍّ قارسٍ البرودة وسنواتٍ قحطٍ وجفافٍ، ولذلك ربطت هذه الإشارات العلمية المذكورة في السنة النبوية مع الآيات القرآنية في سورة الدخان. وتتبقى الإشارة العلمية الثالثة التي تتعلق بالاضطراب الذي سيحدث في زمن دوران الأرض حول نفسها فهي أولُ إشارةٍ لحدوث اضطرابٍ في حركة دوران الأرض حول نفسها حيث ستحدث في أثناء فترة ظهور المسيح الدجال، فحين سأل الصحابة النبي ﷺ عن المدة التي يمكنها في الأرض فقالوا: وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوماً كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجمعةٍ وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذاك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةً يوماً؟ قالوا: لا اقدروا له قدره» (3).

سيمكث الدجال في الأرض أربعين يوماً، يكون فيها يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كأسبوعٍ، وباقي الأيام مثل الأيام الطبيعية، فمجموعُ مدة فتنته في الأرض تُقدر بسنةٍ وشهرين تقريباً، حيث ستبتاطاً فيها حركة دوران الأرض حول نفسها فتصبح أول أيام ظهور الدجال تستغرق مدة زمنية تُقدر بستة أشهر ليلاً تقريباً في نصف الكرة الأرضية، يقابله نهارٌ بمدة زمنية تُقدر بستة أشهر في النصف المقابل للشمس من الكرة الأرضية، وذلك مع استمرار في حركة دوران الأرض حول نفسها ببطءٍ شديدٍ، حتى ينعكس الحال في النصف الآخر من الكرة الأرضية الذي سيقابل الشمس فيصبح النهار فيه بطول ستة أشهر، أي بمدة

1 رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع.

2 رواه ابن ماجه في "السنن" (رقم/4084)، والبخاري في "المسند" (2/120)، والحاكم في "المستدرک" (4/510)، ومن طريقه البيهقي في "دلائل النبوة" (6/515) وقد صحح هذا الحديث الكثير من العلماء

3 رواه مسلم (2937)

زمنية تُقدر تقريباً بثلاثة أشهر بين آذان الفجر وآذان الظهر، وثلاثة أشهر تقريباً بين آذان الظهر وآذان المغرب، وبالعكس في النصف الآخر من الكرة الأرضية حيث ستُقدر بمدة زمنية تستغرق ستة أشهر تقريباً بين آذان المغرب وآذان الفجر، وهذا كله هو مقدار اليوم كسنة، وعلى هذا القياس يمكن حساب المدة الزمنية لليوم كشهر واليوم كأسبوع، أي أن المسيح الدجال سيمكث في الأرض مدة سنة وشهرين تقريباً بمقياس عدد ساعات أيامنا المعتادة في وقتنا الحاضر والتي تُقدر بأربعة وعشرون ساعة.

إنَّ الاضطرابَ الذي سيحدث في زمنِ دورانِ الأرضِ حولِ نفسها سيستمر إلى أن تتوقَّفَ الأرضُ عن الدورانِ حولِ نفسها ثم تدور في الاتجاهِ المعاكس كما هو مذكورٌ في الحديث النبويِّ الذي يشير إلى طلوع الشمس من المغرب، ولذلك فقد وضعت تلك الآية بعد المسيح الدجال في الترتيب الزمني، ففي حديث عبد الله بن أبي أوفى، أنَّ النبي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ لَيْلَةٌ تَعْدِلُ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ لَيَالِيكُمْ هَذِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ يَعْرِفُهَا الْمُتَقَلِّوْنَ، يَقُومُ أَحَدُهُمْ فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ، ثُمَّ يَنَامُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ، ثُمَّ يَنَامُ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ صَاحَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَيَفْرَعُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا هُمْ بِالشَّمْسِ قَدْ طَلَعَتْ، مِنْ مَغْرِبِهَا، فَضَجَّ النَّاسُ ضَجَّةً وَاحِدَةً حَتَّى إِذَا صَارَتْ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ رَجَعَتْ وَطَلَعَتْ مِنْ مَطْلِعِهَا قَالَ: حِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا»⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث حقيقةٌ علميةٌ أخرى لها علاقةٌ علميةٌ بالأحداث السابقة، فحركة دوران الأرض حول نفسها ستصبح غير مستقرة إلى أن يتبع ذلك تباطؤٌ شديدٌ لحركة دوران الأرض حول نفسها لليلةٍ بطولِ ليلتين أو ثلاثٍ في نصفِ الكرة الأرضية الذي يتوسطُهُ الشرقُ الأوسطُ يقابله نهارٌ بطولِ ثلاثة أيامٍ في النصفِ المقابلِ من الكرة الأرضية، ثم تدور الأرض عكس اتجاهها، فتطلع الشمس من المغرب.

إنَّ انفجارَ بركانٍ هائلٍ بمفرده لن يسبب اضطراباً في حركة دوران الأرض حول نفسها فقد انفجرت براكين هائلةٌ من قبل، وفي عصورٍ سابقةٍ كما ذكرنا في فصلِ الدخان المبين ولم يحدث هذا الاضطراب، كما أنَّ سقوطَ مذنبٍ كبيرٍ الحجم على الأرض كالذي أدَّى إلى انقراض الديناصورات لم يؤدِّي أيضاً إلى اضطرابٍ في حركة الأرض حول نفسها (هذا مع

استبعاد هذا الاحتمال لأنه سيؤدي بالتالي إلى فناء الجنس البشري في مدة قصيرة جدا وهذا سيناقض الأحاديث النبوية التي تُشير إلى استمرار الحياة البشرية فترةً من الزمن بعد انتشار الدخان المبين).

كلُّ هذه الإشارات العلمية تنقلنا في النهاية إلى أنَّ هناك حدثًا كونيًا كبيرًا آخر بخلاف البركان الهائل هو ما سيؤدي إلى اضطرابٍ في حركة دوران الأرض، فالمسيح الدجال سيظهر في بداية حدوث اضطراب في زمن حركة دوران الأرض حول نفسها وأيضًا يسبق ظهوره ثلاث أو أربع سنواتٍ جفافٍ وقحطٍ بسبب ثوران البركان الهائل (الذي لن تكون له علاقة باضطرابٍ في حركة دوران الأرض حول نفسها).

إنَّ كِلَا هاتين الكارثتين المتزامنتين ليس لهما رابطٌ علميٌّ سوى تأثير انشقاق القمر وبداية خروجه من مجال جاذبية الأرض، وذلك بسبب اصطدام المذنب الطارق بالقمر أو بسبب تأثير اقترابه منه، فبانشقاق القمر ستتأثر حركة دوران الأرض حول نفسها وفي نفس الوقت ستثور عدة براكين، ومنها سيكون هناك انفجارٌ في بركان هائل، وهذا ما سيحدث في سنواتٍ قليلةٍ جدا وهو ما سيحدث في زمن المهدي والمسيح الدجال كما هو مَشارٌ إليه في الأحاديث التي ذكرناها سابقًا.

ولذلك فإنني وضعت آية انشقاق القمر قبل الدخان المبين وبعد ظهور المذنب الطارق، وهذا هو التفسير العلمي للكارثتين البيئيتين اللتين سيعاصرهما المهدي والمسيح الدجال وهما الشتاء البركاني وما يسببه من قحطٍ وجفافٍ لمدة ثلاث سنواتٍ، وأيضًا اضطرابٌ في زمن حركة دوران الأرض حول نفسها وصولاً إلى تغييرٍ في اتجاه حركة الأرض حول نفسها وطلوع الشمس من المغرب بعد ذلك والله أعلم.



الفصل الثالث عشر

نزولُ سَيدُنَا عيسى عليه السلام



نَزُولُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ



سيدنا عيسى عليه السلام أحد أنبياء الله الكرام، وواحد من أولي العزم من رسله، وقد وُلد من أمِّ بلا أب، ولذا ينسب إلى أمِّه مريم (عليها السلام) وليس في الناس من ليس له أب إلا سيدنا عيسى بن مريم، وأما حواء فليس لها أم، وآدم ليس له أب ولا أم، وبقية الناس من أم وأب، فالأحوال أربعة، والله ﷻ جعل سيدنا عيسى عليه السلام بلا أب آية للناس حيث خلقه بكلمته، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم]، ويُسمَّى أيضًا سيدنا عيسى عليه السلام بالمسيح، حيث قال تعالى: ﴿مَا أَلْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة: 75]، واختلف لم سُمِّي بهذا..؟ فقيل: لكونه ممسوح أسفل القدم فلا أخص له، وقيل: لأنه لم يمسح ذا عاهة إلا برئ. وقيل: لكثرة سياحته وتنقله في الأرض، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن.

وجاء في القرآن الكريم ذكر نزوله في آخر الزمان، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: 159]، أي قبل موت عيسى عليه السلام. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف]. ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي علامة على اقتراب الساعة، قال ابن كثير (رحمه الله): "وقرئ ﴿عِلْمٌ﴾ بالتحريك أي إشارة ودليل على اقتراب الساعة وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال" (1).

وقال الشنقيطي (رحمه الله): "ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ على القول الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة هو أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حياً عِلْمٌ للسَّاعَةِ، أي علامة لقرب مجيئها؛ لأنَّه من أشرطها الدالة على قربها" (2). وعن عبادة بن الصَّامِتِ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ».

1 [تفسير القرآن العظيم (2/ 465)].

2 [أضواء البيان (7/ 128)].

وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ» [رواه البخاري ومسلم].

وتدل الأحاديث النبوية على أَنَّ الإسلام سيظهر على الدين كله وذلك في زمن نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام حيث سينزل في آخر الزمان على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق فيصلي معهم ويقاتلون معه وسيحكم بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية بأن يُسقطها عن أهل الكتاب والمجوس ولا يقبل منهم ومن كل الكافرين إلا الإسلام، وتهلك في زمنه كل الملل إلا ملة الإسلام، ويسود الأمن في الأرض قاطبة فحينها تصير الأرض كلها دار إسلام وفي حكم المسلمين.

وصف سيدنا عيسى عليه السلام:

جاء وصف سيدنا عيسى عليه السلام في عدة روايات أنه رجل، مربوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، أحمر، جعد، عريض الصدر، سبط الشعر، كأنما خرج من ديباس⁽¹⁾ له لمة⁽²⁾ قد رَجَلَهَا تَمَلًّا ما بين منكبيه.

والأحاديث الواردة في ذلك منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْلَةٌ أُسْرِي بِي لَقِيتُ مُوسَى... (فنعتني إلى أن قال): وَلَقِيتُ عِيسَى... (فنعتني فقال): رُبْعَةً، أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْبَاسٍ»⁽³⁾. وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى؛ فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ».

وفي روايات أخرى جاء وصف سيدنا عيسى عليه السلام بأنه آدم أي أسمر اللون، ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ أَدُمٌ، سَبَطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ يَهْرَأُقُ رَأْسُهُ مَاءً - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدٌ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهَا ابْنِ قَطَنِ»⁽⁴⁾.

1 ديباس أي حمام

2 لمة أي شعر الرأس

3 رواه البخاري ومسلم

4 رواه البخاري (3441) ومسلم (171).

إِنَّ لَوْنَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ فِي كُلِّ حَدِيثٍ فِي مَقَابِلَةِ لَوْنٍ آخَرَ.

ففي حديث الإسراء، وصف سيدنا عيسى (عليه السلام) بالْحُمْرَةِ فِي مَقَابِلَةِ الْأُدْمَةِ الَّتِي فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. «فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى، فَأَدَمُ جَسِيمٌ». وأما في حديث المنام ذكر أَنَّ عِيسَى لَوْنُهُ أَدَمٌ، فِي مَقَابِلَةِ الدِّجَالِ الَّذِي لَوْنُهُ أَحْمَرُ. «فَإِذَا رَجُلٌ أَدَمٌ، سَبَطَ الشَّعْرَ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْظِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ يَهْرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرٌ...».

وقد فسّر أغلب أهل العلم هذا الاختلاف من كونه في أحدها أحمر، والآخر آدم، وما جاء أنه سبط الشعر، وفي الآخر بأنه جعد: بأن وصف الأُدْمَةِ والحُمْرَةِ كلاهما ثابت لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا يشير إلى أَنَّ لَوْنَهُ مَائِلٌ إِلَيْهِمَا وَلَيْسَ هُوَ خَالِصُ الْأُدْمَةِ، وَلَا خَالِصُ الْحُمْرَةِ.

إن هذا الرأي من الممكن أن يكون صحيحاً ولكن من الممكن أن أضيف لهذا الرأي رأياً آخر من وجهة نظري، وهو أَنَّ سيدنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَصْلِ أَحْمَرُ سَبَطَ الشَّعْرَ عِنْدَمَا كَانَ نَبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعِنْدَمَا رَفَعَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ عِنْدَ نَزُولِهِ آخِرَ الزَّمَانِ سَيَخْتَلِفُ وَصْفُهُ حَيْثُ سَيَكُونُ أَسْمَرَ جَعْدَ الشَّعْرَ، أَوْ أَنَّ الْوَصْفَ الْمَذْكُورَ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي هُوَ رَمْزٌ لِحَالِهِ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -.



كَيْفِيَّةُ نَزُولِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

سَيَنْزِلُ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، وَعَلَيْهِ مَهْرُودَتَانِ لَابِسَهُمَا⁽¹⁾، وَاضِعاً كَفِيهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ، ففِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بَعْدَ ذِكْرِ فِتْنَةِ الدِّجَالِ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعاً كَفِيهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسُهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَحِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ⁽²⁾ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابٌ لَدِّ فَيَقْتُلُهُ...».

[رواه مسلم 2937].

1 مَهْرُودَتَانِ لَابِسَهُمَا أَيِ ثَوْبَيْنِ مَصْبُوغَيْنِ بَوْرَسَ ثُمَّ زَعْفَرَانِ.

2 فَيَطْلُبُهُ أَيِ يَبْحَثُ عَنِ الدِّجَالِ.

نزل سيدنا عيسى عليه السلام في عهد المهدي

من المعلوم أن نزل سيدنا عيسى عليه السلام سيكون في عهد المهدي، كما يشهد لذلك البخاري وغيره. فقد روى البخاري في صحيحه: عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»⁽¹⁾. وقال ابن حجر في "فتح الباري": «وكلهم أي المسلمون بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول تقدم فإنها لك أقيمت»، وقال أبو الحسن الخسعي الأبي في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه⁽²⁾.

الأعمال التي سيقوم بها سيدنا عيسى عليه السلام وما يكون في عهده

هناك أحاديث نبوية عديدة تذكر الأعمال التي سيقوم بها سيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله، ومنه أنه يحكم بالعدل، ويُطْل اليهودية والنصرانية، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية؛ فلا يقبل إلا الإسلام حينئذ، ويكثر المال ويفيض ويكون ممتناً عند الناس حتى لا يقبله أحد، بل يزهد بأنفس المال من ذلك (القلاص) وهي أنفس الإبل فتكثر الخيرات وتنزل البركات، ويذهب الشحناء والتحاسد من قلوب الناس، بحيث تصلح السرائر لانشغال كل امرئ بشأنه وشأن أخراه، ويتوجه الناس للعبادة حتى يكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، ويكون عيسى عليه السلام مأموماً وإمام الناس يومئذ هو المهدي المنتظر، وأعظم أعمال عيسى عليه السلام أنه يلحق الدجال فيدركه عند باب لد⁽³⁾ فيقتله وبهذا تنتهي فتنة عظيمة.

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء].

1 [صحيح البخاري 4: 143].

2 [فتح الباري 6: 358].

3 باب لد [وهي بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس. انظر معجم البلدان 5/ 15].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد».

يأجوج ومأجوج؛

يُعدّ قوم يأجوج ومأجوج من الأقوام الذين مروا في التاريخ البشري، فأجوج ومأجوج في الواقع قومان ورد ذكرهما في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، ويقترن ذكرهما عادةً مع القوة والجبروت والكثرة، كما يُعتبر ظهورهما علامةً من علامات الساعة الكبرى. وقد سُمّي قوم يأجوج ومأجوج بذلك: من الأجيح، أي أجيح النار، والنار إذا اضطربت اضطربت وصار لها يتداخل بعضه في بعض، وقيل: لكثرتهم وشدتهم، وقيل: من الأجاج: وهو الماء شديد الملوحة، وقيل: اسمان أعجميان، وقيل: وهم لكثرتهم هكذا، وهم من ولد (يافث) ابن نوح باتفاق النسابين.

والله أعلم كيف يعيشون الآن وماذا يأكلون، وأما ما يروى من أن آذانهم طويلة ينامون على واحدة ويتغطون بالأخرى وأنهم قصار القامة فغير ثابت، ويأجوج ومأجوج في الأصل قبيلتان من بني آدم من البشر كلهم كفاراً، وأما مكائهم فهو محجوب عن الناس في طرف من أطراف الأرض في شبه كهف.

والله ﷻ حجزهم عن البشر، فلا يراهم الناس، فلا هم يأتون إلينا ولا نحن نذهب إليهم، وقد حجزهم ذو القرنين عليه السلام عن البشر حين بنى سداً جبلاً شامخاً من حديد ثم أذيب عليه النحاس فصار أمّتن، ولا يستطيع أحد من البشر أن يرتقيه بطريق العادة، فالله ﷻ أعطى ذو القرنين عليه السلام من كل شيء سبباً.

وقد ورد ذكر "يأجوج ومأجوج" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا يَبْنَؤُا الْفَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ فَمَا اسْطَظَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَعَلْنَاهُمْ جَمْعًا ۚ﴾

[الكهف]. وهذه الآيات تبين لنا كيف كان يأجوج ومأجوج في قديم الزمان أهل فسادٍ وشرٍ وقوةٍ لا يصدّهم شيءٌ عن ظلم من حولهم لقوّتهم وجبروتهم، حتى جاء الملك الصالح ذو القرنين، فاشتكى له أهل تلك البلاد ما يلْقون من شرهم، وطلبوا منه أن يبيّن بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدّاً يحميهم منهم، فأجابهم إلى طلبهم، وأقام ردماً منيعاً من قطع الحديد بين جبلين عظيمين، وأذاب النحاس عليه، حتى أصبح أشدّ تماسكاً، فحصرهم بذلك الردم تحت الارض واندفع شرّهم عن البلاد والعباد.

وقد تضمّنت الآيات السابقة إشارةً جليةً إلى أن بقاء يأجوج ومأجوج محصورين تحت الردم إنما هو إلى وقتٍ معلوم، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف]. وهذا الوقت هو ما أخبر عنه النبي ﷺ في أحاديثه من أن خروجهم يكون في آخر الزمان قرب قيام الساعة في زمن سيدنا عيسى عليه السلام.

إنّ يأجوج ومأجوج يحاولون أن يخترقوا هذا الجبل كلّ يومٍ فلا يستطيعون ويقولون كلّ يومٍ بعد طولٍ عملٍ وجهدٍ غدا نكمل، فيعودون في اليوم التالي فيجدون ما فتحوه قد سدّ إلى أن يقولوا: غداً نكمل إن شاء الله فيعودون في اليوم التالي فيجدون ما بدّأوا به قد بقي على حاله فيكملون الحفر حتى يتمكنوا من الخروج في عهد سيدنا عيسى عليه السلام وبعد انتهاء فتنة المسيح الدجال، فيظهر قومٌ يأجوج ومأجوج بعد أن يكون القتال مع الدجال قد انتهى.

إنّ يأجوج ومأجوج لا يموت أحدهم حتى يلد ألفاً من صلبه أو أكثر كما ذكر النبي ﷺ، فيصير عددهم قبل خروجهم كبيراً جداً، حتى إنّ البشر يوم القيامة بالنسبة لهم من حيث العدد كواحدٍ من مائة، كما ورد ذكر يأجوج ومأجوج أيضاً في موضع آخر من القرآن يبيّن كثرتهم وسرعة خروجهم وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء]. فعند خروجهم تحدث جماعةٌ شديدةٌ حيث يمرون على بحيرة طبريا التي في فلسطين فيشربونها، فيمرّ آخرهم فيقول كان هنا ماءً، فيوحي الله ﷻ إلى سيدنا عيسى عليه السلام أن يأجوج ومأجوج قد انتشروا في الأرض، وأنّه لا قدرةً لأحدٍ على قتالهم، فعددهم كما ذكر النبي ﷺ كثيرٌ جداً بشكلٍ لا يمكن لأحدٍ تحيّلُه، فيذهب سيدنا عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين ليحتموا منهم في جبل الطور، ويجوب يأجوج ومأجوج في البلاد مُفسدين فيها، ويبقى الصالحون مع سيدنا عيسى عليه السلام مُحْتَمِينَ في جبل الطور؛ فيدعون الله ﷻ ويستغيثون به منهم، ويتضرعون إلى الله ﷻ أن يهلكهم، فيُنزل الله ﷻ عليهم دوداً يدخل رقبة

كُلِّ واحدٍ منهم فيرميه صريعاً ميتاً، ثم يرسل الله ﷻ طيوراً فتحملهم وترميهم في البحر ثم ينزل مطراً من السماء لتجرفهم إلى البحر.

ظهور الإسلام على الدين كله في عهد سيدنا عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ١]. وقد أولنا هذه الآية الكريمة بالتفصيل في فصل الرسول المهدي، فسوف يظهر الإسلام على الدين كله على مستوى العالم أجمع في عهد سيدنا عيسى عليه السلام إلا أن الآية الكريمة في سورة النساء وقفت أمامها طويلاً لأتدبر معناها فقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، فقله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ لها تأويلان:

❖ التَّأْوِيلُ الْأَوَّلُ:

المقصودُ به جزءٌ من أهل الكتاب جميعاً (قديماً وحديثاً ومستقبلاً) والله أعلم.

❖ التَّأْوِيلُ الثَّانِي:

مقصودٌ به عدمُ إيمان جميع أهل الكتاب بسيدنا عيسى عليه السلام في زمن عودته في آخر الزمان، فبالأكيد سيكون هناك منافقين في زمان ظهور الإسلام على الدين كله في عهد سيدنا عيسى عليه السلام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. فهؤلاء من الممكن أن يُظهروا إسلامهم في العلن، ولكنهم غيرُ مسلمين في سرائرهم، وهؤلاء على ما اعتقد سيكونون نواةً لظهور الكفر والفساد في الأرض بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام، والله أعلم.

سيدنا عيسى عليه السلام في الحج والعمرة:

سيحجُّ سيدنا عيسى عليه السلام، ففي صحيح مسلم عن حنظلة السلمي قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدِّث عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليُهلن ابنُ مريمَ بفجِّ الروحاء حاجًّا أو معتمراً، أو ليشبهها» أي يجمع بين الحج والعمرة، وفجُّ الروحاء: موضعٌ بين مكة والمدينة^(١). وروى فرقةٌ أنَّ النبي ﷺ قال: «ليحجنَّ عيسى ابنُ مريمَ ومعه أصحابُ الكهف؛ فإنهم لم يحجوا بعد». ذكره ابن عطية.

مدة بقاء سيدنا عيسى عليه السلام بعد نزوله ثم وفاته :

جاءت الروايات متفاوتة في بيان مدة البقاء، حيث جاء في بعض الروايات ما يشير إلى سبع سنين وفي بعضها أربعين سنة.

ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : «فبعث عيسى بن مريم... ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله رجلاً باردةً من قِبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته».

وفي رواية الإمام أحمد وأبي داود: «فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون».

والفرق بين الروایتين في العدد كبير، قال ابن كثير (رحمه الله): "فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافةً إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور" (1).

دليل بطلان الاعتقاد بأن المهدي هو سيدنا عيسى عليه السلام :

إن القول بأن المهدي هو نفسه المسيح ابن مريم (عليهما السلام) هو قولٌ باطل، فالدليل الوحيد لمن يعتقدون هذا الاعتقاد هو حديث ابن ماجه: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» (2)، حيث تكاد تتفق كلمة المحدثين على تضعيف هذا الحديث.

فحديث «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» يتعارض مع الأحاديث الصحيحة والمتواترة ومع إجماع الأمة على وجود المهدي وسيدنا عيسى وعلى أنها رجالان لا رجلٌ واحدٌ، وهذا الاعتقاد ساقطٌ بكل موازين علم الحديث، والاهمُّ أنَّ وقائع تسلسل الأحداث تناقض هذا الحديث الضعيف وتكذِّبه تماماً، فالثابت من أحاديث صحيحة كثيرة متفق عليها أنَّ المهدي من وُلد فاطمة، فهو إذن غيرُ المسيح بن مريم (عليهما السلام)، كما أن الثابت هو أنَّ سيدنا عيسى عليه السلام سينزل ويظهر في زمن المهدي، وأنَّ المهدي المنتظر سوف يؤمُّ سيدنا عيسى عليه السلام في الصلاة، فصلاة سيدنا عيسى عليه السلام خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة ومتواترة ذكرناها سابقاً، كما أنَّ سيدنا عيسى عليه السلام عند عودته للحياة الدنيا ستكون للمهدي دولته

1 [النهاية في الفتن والملاحم (1 / 146) تحقيق د. طه زيني].

2 رواه ابن ماجه في سننه (4039).

القائمة وجيشه المربط في سبيل الله، فهذا الحديث الضعيف لو أخذنا به لطرحنا في الأرض عشرات الاحاديث الصحيحة التي تثبت عكسه، وهذا لا يستقيم.

هل سينزل سيدنا عيسى عليه السلام حاكماً أم نبياً..؟

عندما ستسأل هذا السؤال لأهل العلم ستسمع هذا الجواب: "لن يحكم سيدنا عيسى عليه السلام بشرع جديد بل سينزل كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لينزلن ابنُ مريم حَكَمًا عادلاً.....». أي حاكماً لا نبياً برسالةٍ جديدةٍ وإنما يحكم بشرعية محمد ﷺ وأحكامه، لا نبوة جديدة ولا أحكام جديدة".

قال النووي (رحمه الله): "قوله ﷺ «حَكَمًا» أي ينزل حاكماً بهذه الشريعة، لا ينزل نبياً برسالةٍ جديدةٍ وشريعة ناسخة، بل هو حاكمٌ من حكام هذه الأمة"(1).

وقال القرطبي (رحمه الله): "قوله و«إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» «فَأَمَّكُمْ» أيضاً قد فسرهُ ابنُ أبي ذئبٍ في الأصل وتكميله: أن عيسى عليه السلام لا يأتي لأهل الأرض بشريعةٍ أخرى، وإنما يأتي مقررًا لهذه الشريعة ومجدداً لها، لأن هذه الشريعة آخرُ الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل، ويدل على هذا دلالة واضحة قولُ الأُمّةِ لعيسى عليه السلام: «تَعَالَى فَصْلٌ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةً لِّلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»"(2).

وقال الحافظ ابن حجر: "قوله: «حَكَمًا» أي: حاكماً. والمعنى: أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة؛ فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة"(3).
وقال القاضي عياض (رحمه الله تعالى): "ونزول عيسى المسيح وقتله الدجال حقٌ صحيحٌ عند أهل السنة؛ لصحيح الآثار الواردة في ذلك؛ ولأنه لم يرد ما يبطله ويضعفه، خلافاً لبعض المعتزلة والجهمية، ومن رأى رأيهم من إنكار ذلك، وزعمهم أن قول الله تعالى عن محمد ﷺ: «خَاتَمَ النَّبِيِّينَ»، وقوله ﷺ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وإجماع المسلمين على ذلك، وعلى أن شريعة الإسلام باقية غير منسوخة إلى يوم القيامة - يرد هذه الأحاديث"(4).

1 [شرح النووي لمسلم (2 / 366)].

2 [المفهم (1 / 371)].

3 من "فتح الباري" (6 / 491).

4 من "أكمال المعلم" (8 / 492 - 493).

دليل أن سيدنا عيسى عليه السلام رفع نبياً وسيعود نبياً حاكماً؛

إن أغلب العلماء يعتقد بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيعود آخر الزمان حاكماً فقط لا نبياً وذلك لقناعتهم بأنه لا نبي أو رسول بعد سيدنا محمد ﷺ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب]. وكل آراء العلماء التي ذكرناها سابقاً والتي تقول بأن عودة سيدنا عيسى عليه السلام ستقتصر على كونه حاكماً فقط وليس نبياً هي نتيجة طبيعية لمعتقد ترسخ منذ قرون بأن سيدنا محمداً هو خاتم الأنبياء وكذلك خاتم المرسلين أيضاً، ولذلك فقد تجاهل أغلب العلماء كل الإشارات والبشارات التي تثبت بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيعود نبياً كما كان من قبل أن يرفعه الله ﷻ إليه، ومع احترامي الكامل لرأي أغلب العلماء الذين يعتقدون أن سيدنا عيسى عليه السلام سيعود في آخر الزمان حاكماً فقط، فإنني أختلف معهم وأقول بأن سيدنا عيسى عليه السلام رفعه الله ﷻ نبياً وسيعود في آخر الزمان نبياً وحاكماً في ذات الوقت، مثلما كان الحال مع سيدنا محمد ﷺ وسيدنا داود وسيدنا سليمان (عليهما السلام) بل جاء عن نبينا ﷺ بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيضع الجزية وهذا ليس من الشريعة الإسلامية، بل إنه أيضاً سيعمل بأمر الله ﷻ ولن ينسخ شريعة الله المنزلة على سيدنا محمد ﷺ بل هو متبع لها، والمهدي مثله تابع للنبي ﷺ عامل بشريعته ولا ينافي أبداً هذا كونهما رسولين مسلمين من الله ﷻ برسالة محددة إلى العالم، والأدلة التي غفل عنها العلماء على كون سيدنا عيسى عليه السلام سيعود نبياً كثيرة ومنها ما يلي:

1 - قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده:

قال جلال الدين السيوطي في كتاب (الدرر المنثور): "أخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده" وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي رضي الله عنه قال: قال رجلٌ عند المغيرة بن شعبة صلى الله عليه على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده فقال المغيرة: حسبك: إذا قلت خاتم الأنبياء فإننا كنا نحدث أن عيسى عليه السلام خارج، فإن هو خرج

فقد كان قبله وبعده" (1).

وفي كتاب يحيى بن سلام في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ عن الربيع بن صبيح، عن محمد بن سيرين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لا تقولوا: لا نبي بعد محمد، وقولوا: خاتم النبيين، فإنه ينزل عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مُقْسِطاً، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها".

إن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تعلم يقينا أن نعمة الوحي والرسالة مستمرة في أتباع الصادق الأمين، وأرادت بيان الفهم الصحيح لخاتم النبيين البعيد عن كل أشكال التعارض، فخاتم النبيين تعني أن شريعته هي الخاتمة، فلن ينال مكانة رسول الله ﷺ أحد من خلق الله ﷻ قاطبة، وهي منزلة رفيعة خالدة لا تزول عن النبي المصطفى سيدنا محمد ﷺ.

وقد فسر ابن قتيبة الدينوري قول عائشة رضي الله عنها فقال: "وأما قول عائشة رضي الله عنها قولوا لرسول الله خاتم الأنبياء، ولا تقولوا لا نبي بعده، فإنها تذهب إلى نزول عيسى عليه السلام وليس هذا من قولها بناقض لقول النبي ﷺ لا نبي بعدي، لأنه أراد لا نبي بعدي ينسخ ما جئت به، كما كانت الأنبياء (صلّى الله عليهم وسلم) تُبعث بالنسخ، وأرادت هي لا تقولوا إن المسيح لا ينزل بعده".

إنما مثل سيدنا عيسى عليه السلام عند ظهوره آخر الزمان عاملاً بالشرعية الإسلامية، مثله في ذلك مثل سيدنا داود وسيدنا سليمان -عليهما السلام- الذين كانا نبيين وحاكمين على شريعة سيدنا موسى عليه السلام فلم يستبدلا شريعة سيدنا موسى بشريعة أخرى بل عملا وحكما بنفس شريعة سيدنا موسى عليه السلام، وكذلك سيفعل سيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله آخر الزمان.

2 - ليس بيني وبينه نبي:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وهو خليفتي على أمتي، وهو نازل،» (2).

فالنبي ﷺ لم يقل في هذا الحديث (ليس بيني وبين قيام الساعة نبي) بل قال: «لم يكن بيني

1 كتاب الدر المنثور (الجزء 6 صفحة 618).

2 أخرجه أبو داود في سننه (4324)، وأحمد في المسند (9270)، وإسناده صحيح، قال ابن كثير في "البداية والنهاية" (224/19): "وهذا إسناد جيد قوي". وصححه إسناده ابن حجر في "الفتح" (493/6).

وَبَيَّنَهُ نَبِيٌّ» وهذا يدل على استثناء سيدنا عيسى عليه السلام من كون النبي ﷺ بأنه خاتم النبيين. ونكرر ونؤكد هنا ما قاله سيدنا محمد ﷺ: «لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» ولم يقل النبي ﷺ: (ليس بيني وبينه رسول) لأن بين سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه السلام الرسول المهدي (1).

3 - يبعثه الله ﷻ

في صحيح مسلم بعد ذكر فتنة الدجال: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةٍ مَلَكَيْنِ...» (2). والبعث كما ذكرنا من قبل يعني الإرسال (3) أي أن الله ﷻ سيرسل المسيح فينزل عند المنارة البيضاء، فمعنى (بعث الله) أي (أرسل الله) أي سيكون رسولاً، فالكلمة واضحة وضوح الشمس، فلم الإصرار على التركيز على كلمة (حاكماً) فقط دون كلمة البعث...؟ هذا بالإضافة إلى معجزة نزوله من السماء واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فهل يجب على سيدنا محمد ﷺ في هذا الحديث أن يقول بلفظ صريح وواضح بعد هذا كله بأنه سيعود نبياً...؟ ألا يكفي كلمة البعث ومعجزة النزول من السماء لإثبات كونه سيعود نبياً...؟

4 - كسر الصليب ووضع الجزية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابنُ مريمَ حكماً وعدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزيرَ، ويضع الجزيةَ، ويفيض المالُ، حتى لا يقبله أحدٌ» (4). قال ابنُ الأثير (رحمه الله): "وضعُ الجزية هو إسقاطُها عن أهل الكتاب، وإلزامهم بالإسلام، ولا يقبل منهم غيره، فذلك معنى وضعها". «وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ»: اختلف في معناها العلماء، فقيل: أي يقررها ويفرضها على جميع الكفار فإما الإسلام أو دفع الجزية وهو قول القاضي عياض (رحمه الله). وقيل: يسقطها فلا يقبلها من أحدٍ لكثرة الأموال فيكون أخذها لا منفعة فيه للإسلام.

1 انظر فصل الفرق بين الرسول والنبي

2 رواه مسلم (2937)

3 أنظر يبعث الله تعالى المهدي إلى الأمة في فصل الرسول المهدي.

4 صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء برقم 3192 وكتاب البيوع برقم 2070 ومسلم كتاب 220 و 221 وكتاب المظالم 2296 وابن ماجه كتاب الفتن 4608 والترمذي كتاب الفتن 2159.

وقيل: لا يقبل من أحد الجزية، وإنما القتل أو الإسلام، لأنه لا يقبل من أحد يومئذ إلا الإسلام لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد: «وتكون الدعوى واحدة» أي لا يكون إلا الإسلام وهو اختيار النووي وعزاه للخطابي واختاره بدر الدين العيني، وهو قول ابن عثيمين (رحمهم الله جميعاً) وهو الأظهر والله أعلم.

وتعريف النسخ هو: "رفع حكم شرعي سابق، بدليل شرعي متأخر عنه" ولا يكون إلا من عند الله ﷻ بأمره وحكمه، فله أن يأمر عباده بما شاء، ثم ينسخ ذلك الحكم، أي: يرفعه ويزيله.

إن حقيقة نسخ (أي تغيير وإزالة) سيدنا عيسى عليه السلام لحكم شرعي جاءت به نصوص عديدة وصريحة من القرآن والسنة هي حقيقة تثبت كونه نبياً بعث من عند الله ﷻ بأمرٍ يغير فيه هذا الحكم. وكون النبي ﷺ أخبرنا بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيضع الجزية لا يغير من هذه الحقيقة شيئاً، فكلا الحقيقتين سواء أن سيدنا عيسى عليه السلام سيضع الجزية أو كونه سيعود نبياً فهي حقيقة أخبرنا بها النبي ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

والجزية مشروعة في دين الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة]. فنسخ أحكام منصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية لا يكون إلا عن طريق نبي يوحى إليه، فتحى الرسول المهدي الذي سيظهر قبل سيدنا عيسى عليه السلام لن يستطيع تغيير هذه الأحكام، فهذه ليست من مهامه كرسول، بل هي من مهام النبي عيسى عليه السلام كونه سيعود نبياً.

أما عن سبب وضع الجزية في زمان عودة سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان فقد قال العراقي (رحمه الله تعالى): "ويظهر لي أن قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بأيديهم من التوراة والإنجيل، وتعلقهم - بزعمهم - بشرع قديم؛ فإذا نزل عيسى، زالت تلك الشبهة، لحصول معانيته؛ فصاروا كعبدة الأوثان في انقطاع شبهتهم، وانكشاف أمرهم؛ فعوملوا معاملةً في أنه لا يقبل منهم إلا الإسلام، والحكم يزول بزوال علته" (1).

إن سيدنا عيسى عليه السلام لن ينسخ القرآن ولن يستبدله بكتاب آخر وشريعة أخرى بل

سينسخ حكماً واحداً أو أكثر من أحكام القرآن الكريم، وسيحكم سيدنا عيسى عليه السلام بالشرعة الإسلامية وسيكون مُصدّقاً وعاملاً بالقرآن الكريم فقط وليس عاملاً بكتاب آخر غيره سواءً كانت التوراة أو الإنجيل، مثله في ذلك كمثّل ما كان من قبل نبياً في بني إسرائيل، فسيدنا عيسى عليه السلام كان مؤمناً بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، متبعاً لها، ولم يخالفها إلا في أشياء قليلة، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: ٥٠].

قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره: "﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي: متبعاً لها، غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخباراً عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]؛ ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة" (١).

لقد كان سيدنا عيسى عليه السلام متبعاً للتوراة حافظاً لها مُقرّاً بها؛ لأنه من جملة أنبياء بني إسرائيل، ثم أنزل الله عليه السلام الإنجيل وفيه تصديق لما في التوراة، إلا أن سيدنا عيسى عليه السلام عندما يعود آخر الزمان سيكون مُتبعاً للقرآن حافظاً له ومُصدّقاً لما جاء فيه، فلن ينسخ القرآن الكريم ولن يستبدله بكتاب آخر، ولكنه سينسخ حكماً واحداً أو أكثر، فلن يُنزل عليه كتاب جديد من الله عليه السلام، فهذا هو الفرق بين مهمّة سيدنا عيسى عليه السلام في الماضي ومهمته في آخر الزمان، والله أعلم.

5 - يُحدث الناس بدرجاتهم في الجنة:

في صحيح مسلم بعد ذكر قتل سيدنا عيسى عليه السلام للدجال قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُخَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ» (٢).

هل سيُخبر سيدنا عيسى عليه السلام بدرجات الناس في الجنة من تلقاء نفسه..؟

هل سيدنا عيسى عليه السلام يعلم الغيب..؟

1 "تفسير ابن كثير" (١٢٦ / ٣).

2 رواه مسلم (٢٩٣٧).

هل هناك حاكمٌ أو رجلٌ عاديٌّ من بني آدمٍ يستطيع أن يفعل ذلك..؟
بالطبع ستكون الإجابة بلا، فمن يفعل ذلك لا يكون الانبياء أعطاه الله ﷻ هذه القدرة،
وهذه إشارة أخرى على كون سيدنا عيسى عليه السلام سيعود نبياً من دون الحاجة إلى أن نخبرنا النبي ﷺ في نفس هذا الحديث بلفظ صريح بأنه سيعود نبياً؛ فهذا الدليل لا يحتاج إلى ذكر توضيح آخر في نفس هذا الحديث حتى ثبت بأنه سيعود نبياً.

6 - يقتل المسيح الدجال:

سيكون هلاك أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة على يد سيدنا عيسى عليه السلام، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، فالمسيح الدجال ستعم فتنته الأرض قاطبةً ويكثر أتباعه، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين، فلن يستطيع قتله سوى شخص واحد أعطاه الله ﷻ القدرة على ذلك، حيث سيقتله سيدنا عيسى عليه السلام بحربه عند باب لد بفلسطين.

إن قدرة قتل المسيح الدجال لا تُعطى إلا لنبيٍّ بدليل قول النبي ﷺ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنَّ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَأَمْرُو حَاجِبِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾. فالنبي ﷺ يُخبر أصحابه بأن الدجال لو خرج في زمنه فإنه قادرٌ عليه، ولكن وإن خرج وليس فيهم فكل إنسانٍ يحاجج عن نفسه والله ﷻ خليفته على كل مؤمن، فاستخلف ربه ﷻ أن يكون مؤيداً للمؤمنين واقياً لهم من فتن الدجال الذي ليس بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أشد منها.

خطورة الاعتقاد بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيعود آخر الزمان حاكماً فقط:

إن من يعتقد بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيعود آخر الزمان حاكماً سياسياً فقط ولا علاقة له بالدين سوى أن يضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، فإنه بذلك لا يدرك خطورة هذا الاعتقاد وتوابعه، وقد فكرت في توابع هذا الاعتقاد فوجدت أنه سيؤدي إلى فتنة وأخطار عظيمة، لو أدركها من يعتقدون بهذا الاعتقاد لتغيرت آراؤهم وفتاويهم، فتعال معي أخي القارئ لتصور معي خطورة هذا الاعتقاد عندما يعيش بيننا سيدنا عيسى عليه السلام حاكماً لنا لمدة

سبعة أعوام أو أربعين عاماً كما ذكرت في الأحاديث النبوية الشريفة:

- 1- مع هذا الاعتقاد سيكون سيدنا عيسى عليه السلام حاكماً سياسياً فقط لا دخل له بالشأن الديني، فالمسائل الفقهية تكون في أيدي علماء الدين العاديين في عهده.
- 2- مع هذا الاعتقاد فإن أي مسألة فقهية لن يكون له كلمة الفصل فيها، فراه الديني لن يعدو كونه رأياً من ضمن باقي الآراء الفقهية التي يجوز للمسلمين الأخذ بها أو الأخذ من غيرها.
- 3- مع هذا الاعتقاد فإنه من أفضل الأحوال لتدخل سيدنا عيسى عليه السلام في الدين سيعدو كونه مجدداً للدين، ومعنى ذلك أن رأيه سيكون نابعاً من وجهة نظره وليس نابعاً من وحي يوحى إليه، والفرق شاسع في الحالتين، فالحالة الأولى يمكن لأي شخص أو عالم دين الجدال مع سيدنا عيسى عليه السلام في آرائه الدينية التي سيقولها فإما أن يكون مصيباً في رأيه الشخصي وإما أن يكون مخطئاً، أما في الحالة الثانية فإن رأي سيدنا عيسى عليه السلام سيكون نابعاً من وحي يوحى إليه فلا يجوز لأحد الجدال فيه.
- 4- مع هذا الاعتقاد وكونه حاكماً عادلاً فقط فستجد أي مسلم يقوم إلى سيدنا عيسى عليه السلام ليعارضه ويصده عندما يقول رأيه في أي مسألة فقهية، ويقول لسيدنا عيسى عليه السلام: ((أنت وظيفتك: حاكم سياسي فقط ولا دخل لك بالشأن الديني))! وهذا وارد الحدوث في دولة بها ملايين المسلمين من ذوي النفوس المختلفة، سواء كانت نفوساً طيبة أو نفوساً خبيثة.
- 5- مع هذا الاعتقاد فمن الوارد ألا يكون سيدنا عيسى عليه السلام ملماً بالقرآن وعلومه وأن هناك من العلماء من سيكون أفضل منه، فيسألهم الناس عن المسائل الفقهية ولا يسألون سيدنا عيسى عليه السلام. ولكن مع الحالة الأخرى كونه نبياً فإن الله ﷻ سيبعثه نبياً وحاكماً بشريعة الإسلام فبالأكيد سيكون عنده علوم القرآن والسنة التي يستطيع بها أن يحكم بين الناس.
- 6- تصور معي أخي الكريم أن أي مسلم سيذهب إلى سيدنا عيسى عليه السلام حتى يسأله عن تفسير آية ما في القرآن أو يسأله عن أي مسألة دينية فسيكون الرد من سيدنا عيسى عليه السلام مع هذا الاعتقاد: (تفسير الآية الكريمة هي ما قاله القرطبي هي كذا، أو أن تفسيرها هو ما قاله الشعراوي هي كذا وكذا وأنا كسيدنا عيسى أميل إلى رأي ابن كثير مثلاً)

وللسائل في هذه الحالة اختيارُ التفسير المناسب لأهوائه بناءً على هذا الاعتقاد.
 - مع هذا الاعتقاد هل تتخيل أخي الكريم كل هذه المواقف التي ستحدث مع سيدنا عيسى عليه السلام عندما سيعود إلى آخر الزمان كحاكماً فقط بلا وحي يوحى إليه كما كان من قبل؟
 هذه بعض المواقف التي تخيلتها مع هذا الاعتقاد من واقع طبيعة اختلاف النفوس البشرية التي نراها في كل وقت وفي أي زمان، وبالتأكيد فهناك مواقف أخرى سيتعرض لها سيدنا عيسى عليه السلام مع هذا الاعتقاد، فهل سيرضى سيدنا عيسى عليه السلام بهذا الوضع الغريب؟
 هل ترضى أنت يا أخي الكريم لأحد أنبياء الله ﷺ أن يعودَ لنا في آخر الزمان كإنسانٍ عاديٍّ بلا وحي يوحى إليه؟

وهل سيرضى الله ﷻ هذا الوضع السيئ لرسوله الذي هو روح منه؟
 وهل من العدل أن يُعيدَ الله ﷻ سيدنا عيسى عليه السلام إلى الدنيا بمكانةٍ أقل مما كان عليها من قبل، حتى وإن كان حاكماً للعالم كله؟
 ضع نفسك مكان سيدنا عيسى عليه السلام هل ستختار أن تعودَ إلى الدنيا نبياً كما كنت من قبل أم حاكماً تواجهُ كل هذه الإساءات؟

إن سيدنا عيسى عليه السلام سيعيده الله ﷻ والله أعلم في آخر الزمان نبياً أو رسولا أو نبياً رسولا يوحى إليه مُعزّزاً مكرّماً كما كان من قبل، ولن يُنقص الله ﷻ مكانته عند عودته. كما سيعود سيدنا عيسى عليه السلام ومعه علوم القرآن والسنة وسيكون عنده إجابةً للفصل في المسائل الفقهية المختلف عليها، وسيحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ فلن ينسخ القرآن الكريم بكتابٍ آخر، وفي عهده سيظهر الإسلام على الدين كله، بل إنني لا أستبعد أن يؤيده الله ﷻ بالمعجزات التي أيده بها من قبل أن يرفعه إليه كمثل أنه يخلق من الطين كصورة الطير فينفخ فيها فيتحوّل إلى طائرٍ يطير، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص فيشفى بإذن الله ﷻ وأنه يُحيي الموتى بإذن الله، وأنه يُخبر الناس بما في بيوتهم، وسيؤيده الله ﷻ بمعجزاتٍ وبناتٍ أخرى في آخر الزمان والتي ذكرها نبينا سيدنا محمد ﷺ مثل إخبار الناس بدرجاتهم في الجنة.

هذا بالإضافة إلى أنني أعتقد بأن سيدنا عيسى عليه السلام هو الرسول المُشار إليه في سورة البينة حيث سيتفرق أهل الكتاب في عهده بعد أن يأتيهم سيدنا عيسى عليه السلام بالبينة، وأن تأويل القرآن الكريم سيكون في عهده كما أوضحنا في فصل سابق وما جاء في الآيات الكريمة: ﴿يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ و ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ و ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، والله أعلم.

هل سيبعث الله ﷻ رسولاً آخر بعد المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام؟..؟

لقد بشرنا النبي ﷺ بأن الله ﷻ سيبعث المهدي وكذلك سيدنا عيسى عليه السلام، ولم يبشرنا ببعث رسول آخر غيرهما، فب وفاة سيدنا عيسى عليه السلام سينتهي عدد كبير من أشراف الساعة ألا وهي (المهدي - الدخان - المسيح الدجال - سيدنا عيسى عليه السلام - يأجوج ومأجوج) وسيتابع على أثر نهاية هذه الأشراف سريعاً (طلوع الشمس من المغرب - الخسوفات الثلاثة - بركان عدن) فهل هناك رسول ثالث سيبعثه الله ﷻ لتحذير الناس من هذه الآيات..؟

لا يوجد أمامي سوى الرسول الدابة الذي أرجح أن يكون هو المهدي⁽¹⁾، فإن لم يكن الرسول الدابة هو الرسول المهدي فسيكون الرسول الدابة هو ثالث رسول سيبعثه الله ﷻ إلى الناس بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام، والله أعلم.

هذا بناءً على تحليلنا كبشر يصيب ويخطئ، ولكن كلمة الفصل في هذا المسألة ستكون في النهاية عند سيدنا عيسى عليه السلام عندما سيسأله الناس هل سيبعث الله ﷻ رسولاً آخر بعده أم لا..؟

إنَّ إجابة هذه الأسئلة ستكون مع نبي يوحى إليه ألا وهو سيدنا عيسى عليه السلام والله أعلم.

1 أنظر فصل الرسول الدابة والذي سيأتي ذكره في الفصل التالي.



الفصل الرابع عشر الرَّسُولُ الدَّابَّةُ



الرَّسُولُ الدَّابَّةُ



الدابة من علامات الساعة الكبرى، وهي ترتبط ارتباطاً زمنياً بعلامةٍ أخرى من علامات الساعة الكبرى؛ ألا وهي علامةُ طلوعِ الشمس من المغرب، فالفاصلُ بين العلامتين هو فاصلُ زمنٍ قصير، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ يقول: «أول الآياتِ خروجاً طلوعُ الشمس من مغربها وخروجُ الدابة على الناسِ ضحى وأيتها ما كانت قبل صاحبتيها فالأخرى على أثرها قريباً منها»⁽¹⁾، فبخروجِ هاتين الآيتين إحداهما أو كليهما فلن ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوعُ الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»⁽²⁾.

تعريف الدابة لغة:

الدابة: مشتقة من الفعل: دبَّ، يدبُّ، ديبباً، أي: مشي يمشي، مشياً رويداً، ودبَّ الشيءُ في الشيء. والدابة: كلُّ ما يدبُّ على الأرض للمذكر والمؤنث، جمعه: دوابٌ، وتصغيره: دُويبة⁽³⁾. فالدابة اسمٌ لما دبَّ من الحيوان؛ مميزةٌ وغير مميزة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور]، فلما كانت الدابة تطلق على ما يعقل، وما لا يعقل، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ ولو كانت لما لا يعقل لقال: (فمنها) أو (فمنهن) وكذلك قال: ﴿مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ وإن كان أصلها لما لا يعقل، لأنه لما خلط الجماعة فقال: منهم، جعلت العبارة بمن والمعنى: كلُّ نفسٍ دابة⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود]، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ

1 رواه مسلم: 2941.

2 أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (158) وأخرجه أحمد في المسند (2/ 445، 446).

3 انظر: لسان العرب (1/ 938) ومعجم مقاييس اللغة (331) والمعجم الوسيط (268).

4 انظر: لسان العرب (1/ 938) وجامع البيان في تفسير القرآن (2/ 39) (2/ 12) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (2/ 585).

يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴿فاطر: 45﴾، قيل: من دابةٍ من الإنس والجن، وكلُّ ما يعقل، وقيل: إنما أراد العموم؛ ويدلُّ على ذلك ما رُوِيَ عن بعض الصحابة أنه قال: كاد يجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم⁽¹⁾.

وقال القرطبي: "... ودابةٌ تَجْمَعُ الحيوانَ كُلَّهُ، وقد أخرج بعضُ الناس الطير، وهو مردودٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]، فإن الطير يدبُّ على رجليه في بعض حالات"⁽²⁾.

تعريف الدابة شرعاً:

هي الدابة التي يُخرجها الله ﷻ من الأرض في آخر الزمان عند فسادِ الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق فتكلّم الناس على ذلك⁽³⁾.

وعرّفها بعضهم بأنها: دابةٌ عظيمةٌ يُخرجها الله ﷻ للناس في آخر الزمان، فتكون من أشرار الساعة، ويكون منها التكليم للناس خارقاً للعوائد المألوفة وتكون من الأدلة على صدق ما أخبر الله ﷻ به في كتابه؛ وذلك حين يقع القول الذي حتمه الله ﷻ وفرض وقته على الناس، وحين يمترون بآيات الله ﷻ، فتكون حجةً وبرهاناً للمؤمنين، وحجةً على المعاندين.

أدلة خروج الدابة:

خروج الدابة آخر الزمان، وكونها من أشرار الساعة ثابتٌ في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ؛ أما في كتاب الله ﷻ فقد جاء التصريح بذكرها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. فهذه الآية من كتاب الله ﷻ دليلٌ صريحٌ على خروج دابةٍ من الأرض، قرب يوم القيامة، تُكلّم الناس. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق؛ يُخرج الله لهم دابةً من الأرض.. فتكلّم الناس على ذلك"⁽⁴⁾.

1 انظر تفسير القرآن العظيم (3/ 540) وفتح القدير (4/ 357) ولسان العرب (1/ 938).

2 انظر: الجامع لأحكام القرآن (2/ 164، 165).

3 انظر: تفسير القرآن العظيم (3/ 2104).

4 تفسير القرآن العظيم (3/ 362).

وقال السعدي في تفسيره: "وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث".
وأما الأدلة من السنة، فقد ورد ذكر خروج الدابة وأنه من أشراط الساعة في أحاديث منها ما يلي:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطَّلَعَ إلينا قال: «ما تذكرون؟». قلنا: الساعة، قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالْدُخَانُ، وَالْدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ، تَرَحَّلُ النَّاسَ»⁽¹⁾.

قال النووي: "وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: 82]⁽²⁾.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَى وَأَيُّهَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْآخِرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»⁽³⁾.

مكانُ خروج الدابة:

اختلف العلماء في مسألة خروجها من الأرض: قيل تخرج من جبل الصفا بمكة، وقيل تخرج من جبل أبي قبيس، وقيل تخرج من بين الركن والمقام، وقيل تخرج في تهامة وقيل من مسجد في الكوفة من حيث فار التنور، وقيل من أرض الطائف، وقيل من صدع في الكعبة، وقيل من صخرة أجياد، وقيل لها عدة خرجات، وفي ظني أن تحديد موطن خروجها من الأرض قد يكون من باب العلم الذي لا ينفع والله أعلم.

1 صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (2901) وأخرجه أحمد في المسند (6/4).

2 صحيح مسلم بشرح النووي (27/18).

3 أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض.. (2941) وأخرجه أبو داود كتاب الملاحم باب أمارات الساعة (4310) وأخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب طلوع الشمس من مغربها (4069) وأحمد في المسند (2/164، 201).

أعمال الدابة:

أخبر الله ﷻ عن عمل الدابة بعد خروجها بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل].
واختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، والحسن بن علي رضي الله عنه، وقتادة (رحمه الله) كما يروى عن علي رضي الله عنه، أنهم قالوا: تُكَلِّمُهُمْ كلاماً؛ أي تُخاطبهم مخاطبة⁽¹⁾.
واستدل من قال: إنها تتكلم بكلام حقيقي منطوق بقراءة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ وهي قراءة الجمهور، وقراءة عامة قرأ الأمصار بضم التاء وكسر اللام؛ من الكلام.

ثم اختلفوا في أي شيء تكلمهم؟ وماذا تقول لهم؟

ف قيل: تخرج الدابة، فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق⁽²⁾ فتقول: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ يعني: إن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات.
وقيل: إنها تقول: ألا لعنة الله على الظالمين.
وروي عن السدي أنه قال: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.
وقيل: تُخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث، وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم⁽³⁾.
وقيل تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله ﷻ الناطقة بمجيء الساعة ومبadiها، أو بجميع آياته، التي من جملتها تلك الآيات.
وقيل تُكَلِّمُهُمْ بما فيه حجة وبرهان للمؤمنين وحجة على المعاندين، كما أن في خروجها علامة على قرب القيامة⁽⁴⁾.
وهذا القول الأخير هو ما يفهم من عموم النصوص، ومن الغاية من إخراج الدابة، وهو

1 انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (11/20) والجامع لأحكام القرآن (13/178) وتفسير القرآن العظيم (3/2104) والدر المنثور (6/378).

2 ذلق: ذلق اللسان أي فصيح اللسان، انظر لسان العرب (1/1074).

3 انظر: هذه الأقوال في معاني القرآن (2/300) والنكت والعيون تفسير الماوردي (3/210) والبحر المحيط (7/97) ومعالم التنزيل (7/97) والكشاف (3/160) والدر المنثور (6/378) وفتح القدير (4/152).

4 انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (610).

لا ينافي الأقوال قبله.

وقيل بأن الدابة لا تتكلم حقيقةً بكلام منطوقٍ ملفوظ، وإنما يُخرِّجها الله ﷻ في آخر الزمان لتمييز المؤمن من الكافر؛ فهي تَسْمُ وتُجرح، بالعصا والخاتم، وقالوا، بأن ظهور الآية منها كلامٌ ونطقٌ على وجه المجاز، لا أنها تتكلم وتتلفظ⁽¹⁾.

ولهم في تفسيرها على هذه القراءة قولان:

أحدهما: أنها تَسْمُهُم في وجوههم بالبياض على وجه المؤمن وبالسواد في وجه الكافر حتى يتنادى الناس في أسواقهم: يا مؤمن، يا كافر.

الثاني: أنها تجرُّهم، وهذا مختصُّ بالكافر والمنافق، وجرُّه إظهارُ كفره ونفاقه، ومنه جرُّ الشهود بالتفسيق، أو جرَّحه حقيقةً في أنفه.

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في معنى ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾:

تجرِّحهم، وقال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس رضي الله عنهما، عن هذه الآية: ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾ من التكليم باللسان أو (تَكَلِّمُهُم) من الكلم وهو الجرح، فقال: كلَّ ذلك تفعل: تُكَلِّمُ المؤمن، وتُكَلِّمُ الكافر، أي تجرحه⁽²⁾.

فالراجح مما سبق أن الدابة تكلم الناس كلاماً مسموعاً مفهوماً وتخطبهم بلفظ منطوق، كما هو ظاهر الآية، وهي كذلك تكلمهم، وتجرِّحهم.

ولكن كيف تجرحهم، وتكلمهم..؟ ورد في ذلك أحاديث، منها الضعيف ومنها ما اختلف في تصحيحه وتضعيفه، ومن تلك الأحاديث:

1- ما أخرجه الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجريز بن حازم، وحديث طلحة أتم وأحسن، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: «لها ثلاث خرجاتٍ من الدهر، فتخرج في أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجةً أخرى دون ذلك، فيعلو ذكرها أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة». قال رسول الله ﷺ: «ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة، خيرها وأكرمها، المسجد الحرام، لم

1 انظر: تفسير القرآن للسماعي (4/ 115، 116) والنكت والعيون، تفسير الماوردي (3/ 211).

2 انظر: المحرر الوجيز (4/ 271) ومعالم التنزيل (3/ 428) وزاد المسير (6/ 193) وتفسير القرآن العظيم (3/ 2104) وفتح القدير (4/ 152).

يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب، فافرض الناس معها شتى ومعا، وثبتت عصاها المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض لا يدركها طالبٌ ولا ينجو منها هاربٌ، حتى إنَّ الرجلَ ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه، فتقول: يا فلان يا فلان، الآن تصلي..؟ فيقبل عليها فتسمُّه في وجهه، ثم ينطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يُعرف المؤمن من الكافر، حتى إنَّ المؤمن يقول: يا كافر أفضني حقي، وحتى إنَّ الكافر يقول: يا مؤمن أفضني حقي»⁽¹⁾.

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج الدابة ومعه خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلبو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم⁽²⁾ أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر». وفي لفظ آخر: «فتخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلي وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع الناس على الخوان⁽³⁾ يُعرف المؤمن من الكافر». وفي لفظٍ «فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»⁽⁴⁾.

3- وعن أمانة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تخرج الدابة، فتسِمُ الناس على خراطيمهم، ثم يعمرون⁽⁵⁾ فيكم، حتى يشتري الرجل البعير، فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد

1 أخرجه الطبري في تفسيره (11/20) وذكره البغوي في تفسيره (3/430) قال ابن كثير في تفسيره (3/376): "رواه ابن جرير من طريقين: عن حذيفة بن أسيد موقوفاً، والله أعلم ورواه من رواية حذيفة بن اليان مرفوعاً، وأن ذلك في زمان عيسى بن مريم، وهو يطوف ولكن إسناده لا يصح" وانظر: مجمع الزوائد (7/8) وهو ضعيف؛ ففيه عصام بن رواح، وهو ضعيف وكذلك أبوه رواح بن الجراح قد روي هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عنه ضعف.

2 تخطم: أي تسم، والمراد تؤثر في أنفه علامة يعرف بها، انظر لسان العرب (1/861، 862) والنهاية في غريب الحديث والأثر (272).

3 الخوان ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (290) ولسان العرب (1/924) وفي بعض المصادر الحواء: وهي جماعة بيوت الناس إذا تدانت، والجمع أحوية، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (244) ولسان العرب (1/765).

4 أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النمل (3187) وقال: حسن غريب وأحمد في المسند (2/295، 491) وقال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرک (4/485، 486) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (3187/430) وضعيف الجامع الصغير (2/26) (2412) وسبب تضعيفه له أن فيه علي بن زيد، وهو ابن جدعان، وهو ضعيف عند بعضهم، كما ذكر الألباني علة أخرى، وهي: أن أوس بن خالد ضعيف أيضاً، وعند أحمد شاكر كلاهما ثقة، انظر: تعليقه على المسند (15/81-79).

5 وفي بعض المصادر (يعمرون) أي يكثرلون: النهاية في غريب الحديث والأثر (678) وفيض القدير (3/236).

المخطين»⁽¹⁾.

4- ما روي عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، أنه قال عن الدابة: "إنها تخرج ثلاث خرجات، في بعض البوادي، ثم تكمن، ثم تخرج في بعض القرى، حتى يذعروه، حتى تهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن، قال فبينما الناس عند أعظم المساجد، وأفضلها، وأشرفها، حتى قلنا المسجد الحرام، وما سواه، إذ ارتفعت الأرض، ويهرب الناس، ويبقى عامة من المسلمين (أو عصابة من المسلمين) يقولون: إنه لن ينجينا من أمر الله شيء فتخرج، فتجلو وجوههم حتى تجعلها كالكوكب الدرية، وتتبع الناس، جيران في الرباع، شركاء في الأموال، وأصحاب في الإسلام، وفي لفظ: "في الأسفار"⁽²⁾.

هذا ما ورد في كيفية جرحها، أو كلمها، وكما هو في تخريجها، فالحديث الأول ضعيف، فلا يحتج به على هذه المسألة العقديّة.

والحديث الثاني والثالث مختلف في تصحيحهما وتضعيفهما، فإن أخذنا بقول من ضعفهما، لا يلتفت إلى ما فيهما، وإن كانا صحيحين فإنه يؤخذ بما جاء فيهما من أن الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتخطم، أي تسم وتجرح، أنف الكافر بالخاتم، حتى يتميز المؤمن من الكافر، حتى يقال: اشترت من الرجل المخطم، وكذلك إذا صح أحدهما، يؤخذ بما دل عليه.

أما الحديث الرابع؛ فإنه موقوفٌ على حذيفة، من كلامه رضي الله عنه، وقد يقال بأنَّ له حكم المرفوع، لأنه في مسألة غيبية، ومثلها لا يقال بالرأي والاجتهاد.

1 أخرجه أحمد في المسند (268/5) والهيثمي في مجمع الزوائد (6/8) وقال: "رجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة". وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/369) (322) وصحيح الجامع الصغير (1/564) (2927) ولبعض أهل العلم قول في جهالة عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف، وعدم توثيقه، ولهذا رأي تضعيف الحديث، انظر: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم (596).

2 أخرجه الطبري في تفسيره (11/20) وابن أبي شيبة في المصنف (15/66، 67) (19132) والحاكم في المستدرک (4/484، 485) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي على قوله، وهو موقوف على حذيفة، وانظر مختصر استدراك الذهبي على مستدرک الحاكم (7/3361) (1120).

أقوال الناس في ماهية الدابة وأوصافها:

اتفق المسلمون على أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمانِ دابةً من الأرض بصفتهَا أحدَ أَشْراطِ الساعةِ، مصداقاً لكتابِ اللَّهِ ﷻ، وما صحَّ من سُنَّةِ الرِّسولِ ﷺ فيها، ولم يختلفوا في وقوع ذلك، وإنما حصل الخلاف في ماهية تلك الدابة وأوصافها، على أقوال كثيرة، ومن ذلك ما قيل إنها:

1- الجساسة:

فقد جزم بعض من تحدَّث عن دابةِ آخرِ الزَّمانِ بأنها الجساسة، المذكورة في حديث تميم الداري، عندما ركب في سفينةٍ هو وبعض أصحابه، فهاج بهم البحرُ شهراً، ثم أرفأت السفينةُ إلى جزيرة، فدخلوها، فلقيتهم دابةٌ أهلك أي كثيرةُ الشعر، لا يدرون ما قبلها من دبرها، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك.. من أنت...؟ فقالت: "أنا الجساسة" الحديث، ثم دلتهم على الدجال فقابلوه، إلى آخر الحديث الذي حدث به رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابه، مقررًا ما ذكره له تميم الداري (1).

ومن جزم بأنَّ الدابة هي الجساسة: محمود الزمخشري وعبد الله البضاوي وعبد الله بن أحمد النسفي والحسن بن محمد النيسابوري وغيرهم.

وقال النووي: "وعن ابن عمرو بن العاص؛ أنها الجساسةُ المذكورةُ في حديث الدجال" (2).

ونسب القرطبي القول بأنَّ الدابة هي الجساسة إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (3). وقال الشوكاني في حديثه عن الدابة: "وقيل هي دابة ذات شعرٍ وقوائم طوالٍ، يقال لها الجساسة" (4).

ولعلَّ دليلٌ هؤلاء أنه ورد تسميةُ الجساسة بدابةٍ، وجاء في وصفها بأنها (دابةٌ أهلك، كثيرةُ الشعر، لا يدرون ما قبلها من دبرها) (5)؛ فكونها دابةٌ يتوافق مع تسمية علامة آخر

1 أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة (2942).

2 صحيح مسلم بشرح النووي (18/27، 28).

3 انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/179) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (2/579).

4 فتح القدير (4/151) وانظر: منار السبيل في الأضواء على التنزيل (3/124).

5 هكذا وصفها في صحيح مسلم.

الزمان بالدابة، وكونها بذلك الوصف الغريب، والشكل الذي يبدو غير مألوف، فهو يتوافق مع الأشراف الكبرى للساعة، التي تُعدُّ خوارق للمألوف.

ولا شكَّ أن هذا استدلالٌ بعيدٌ؛ فالدابةُ تُطلق على كلِّ ما دبَّ ومشى على الأرض، كما سبق ذلك في التعريف اللغوي كما ذكرنا من قبل، فلا دلالة لهم بتوافق التسميتين؛ إذ لا يلزم من ذلك أنها شيءٌ واحدٌ.

أما الأوصاف فلم يثبت في دابةِ آخر الزمان وصفٌ يتوافق مع ما ذكر في أخبار الجساسة، ووجودُ الغرابة في وصفها لا يكفي دليلاً على أنها شيءٌ واحدٌ.

وكذلك لو قيل بأنَّ الجساسة كانت تتجسَّس الأخبارَ للدجال، وهو من الأشراف الكبرى للساعة، ودابةُ الأرض في آخر الزمان هي أحدُ الأشرافِ الكبرى للساعة فإنَّ هذا لا يصلح دليلاً على أنها شيءٌ واحدٌ.

وأما ما ينقل عن بعض الصحابة، ففي ثبوته عنهم نظر، وعلى فرض ثبوته فهو مجردُ اجتهدٍ اعتقاده يحتاج إلى نصٍّ من الوحي المعصوم.

2- فصيل ناقه صالح :

قال بعضُ أهل العلم بأنَّ الدابةَ هي فصيلُ ناقهٍ صالحٍ؛ يخرج عند اقتراب القيامة، ويكون من أشراف الساعة.

فقد قال القرطبيُّ عن القول بأنَّ الدابةَ هي فصيلُ ناقهٍ صالحٍ بأنه أوَّلُ الأقوال وأصحُّها؛ ولهذا قرَّره واستدلَّ له، ودليله على ما قرَّره: حديثٌ حذيفةٌ عن رسول الله ﷺ أنه قال عن الدابة: «لها ثلاثُ خرجاتٍ...» الحديث، وموضعُ الشاهد قوله: «ولم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركنِ والمقام». قال القرطبيُّ: "وموضعُ الدليل من هذا الحديث أنَّه الفصيل: قوله: «وهي ترغو» والرغاء إنما هو للإبل؛ وذلك أنَّ الفصيل لما قتلت الناقةُ هربَ، فانفتح له حجرٌ، فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله ﷻ⁽¹⁾.

وعلى فرض صحة الحديث وثبوت لفظ «ترغو»؛ فإنه لا دليل على أنها فصيلُ ناقهٍ صالحٍ، فقد تكون دابةً من الدواب صوتها رغاء.

1 انظر الجامع لأحكام القرن (13/180-178) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (2/582، 583) وانظر فتح القدير (4/151).

3- الثعبانُ الهشرفُ على جدار الكعبة :

فحين أرادت قريشُ بناءها أرسلَ الله طائرًا فغرزَ مخالبه في قفا الثعبان، ثم انطلق به حتى رماه في أجسادٍ وقيل في الحجون⁽¹⁾.

فقد حكى محمدُ بن الحسن المقرئ النقاش عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه، أنه قال: "إن ذلك الثعبانَ هو دابةُ الأرض التي تخرج في آخر الزمان"⁽²⁾.

4- سيدنا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

زعم بعضُ غلاة الشيعة أنَّ الدابة هي عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ إذ يخرج في آخر الزمان، فيسبُّ الناس ويكلمهم.

فقد ورد في الأخبار أنه رضي الله عنه لما بويع بالخلافة خطبَ الناس فقام إليه عبدُ الله بن سبأ، فقال له: أنت دابةُ الأرض، فقال له: اتَّقِ الله، فقال له: أنت الملك، فقال: اتَّقِ الله، فقال: أنت خلقتَ الخلقَ وبسطتَ الرزقَ، فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضةُ فقالت: دعه وانفه إلى ساباطِ المدائن⁽³⁾.

وقد جاء في كتب أولئك الغلاة من الشيعة ما نصه: "انتهى رسولُ الله ﷺ إلى أمير المؤمنين [أي: سيدنا عليُّ بن أبي طالب] وهو نائمٌ في المسجد قد جمع رملًا، ووضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال له: قم يا دابةُ الله، فقال رجلٌ من أصحابه: يا رسولَ الله: أيسمى بعضنا بعضًا بهذا الاسم...؟ فقال: لا والله، ما هو إلا له خاصَّةٌ، وهو الدابةُ التي ذكر الله في كتابه ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ثم قال: يا علي: إذا كان آخرُ الزمان أخرجك الله في أحسن صورةٍ، ومعك

1 الحجون جبل بأعلى مكة، على بعد ميل ونصف من البيت انظر معجم البلدان (2/ 225) وهذه الحادثة أخرجها عبد الرزاق في مصنفه (5/ 102) (9106) والذهبي في تاريخ الإسلام، السيرة النبوية (77-75) وقال: هذا حديث صحيح، وانظر فتح الباري (3/ 285) وطبقات ابن سعد (1/ 157)

2 انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 271) والجامع لأحكام القرآن (13/ 179) والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (2/ 579) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراف الساعة (57) وفتح القدير (4/ 151) وروح المعاني (20/ 22) وحياة الحيوان (2/ 316) والروض الأنف (1/ 235).

3 تهذيب تاريخ دمشق (7/ 430) وانظر قصة إحراق علي رضي الله عنه وأولئك الزنادقة في صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم باب حكم المرتد والمردة واستتابةهم (6922) وانظر منهاج السنة النبوية (1/ 30، 306-308) وفتح الباري (12/ 270، 271).

مَيْسَمٌ⁽¹⁾ تَسِمُ بِهِ أَعْدَاؤُكَ، فَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام [يعنون به جعفر الصادق، الذي ينسبون إليه رواية هذا الكلام]: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: هَذِهِ الدَّابَّةُ إِنَّمَا تَكَلِّمُهُمْ..؟! فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَلِمَهُمُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، إِنَّمَا هُوَ يَكَلِّمُهُمُ مِنَ الْكَلَامِ⁽²⁾.

ويروون في كتبهم: "أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ: آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَفْسَدَتْ قَلْبِي، قَالَ عِمَارٌ: وَآيَةُ آيَةٍ هِيَ..؟! فَقَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾⁽³⁾ فَأَيُّ دَابَّةٍ الْأَرْضِ هَذِهِ..؟ قَالَ عِمَارٌ: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَ وَلَا أَكَلُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أُرِيكَهَا، فَجَاءَ عِمَارٌ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَهُوَ يَأْكُلُ تَمْرًا وَزَبَدًا، فَقَالَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ: هَلُمَّ، فَجَلَسَ عِمَارٌ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ مِنْهُ، فَلَمَّا قَامَ عِمَارٌ، قَالَ الرَّجُلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ حَلَفْتَ أَنْكَ لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ حَتَّى تَرِينِيهَا، قَالَ عِمَارٌ: أَرَيْتُكَهَا، إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ⁽³⁾.

هذا هو سند من زعم أن دابة الأرض هي علي بن أبي طالب، فقولهم أبعد ما يكون عن النقل والعقل؛ فهو باطل سندًا ومتنًا، وبعيد عن المنقول والمعقول؛ إذ كيف يزعم أن علي بن أبي طالب سيعود إلى الدنيا بعد موته؟ وكيف يكون هو الدابة؛ ولا يقال لإنسان إنه سيعود إلى الدنيا بعد موته؛ إذ لا دليل على ذلك البتة، إلا ما ثبت في حق المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فإنه رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158] ثُمَّ يَنْزِلُ آخِرَ الزَّمَانِ، وَنَزُولُهُ إِحْدَى الشَّرَاطِطِ الْكُبْرَى لِلْسَّاعَةِ، لِقَوْلِهِ عليه السلام: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فَيَكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعُ الْحَرْبَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ..»⁽⁴⁾. وهذا خاص في عيسى ابن مريم عليهما السلام أما سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام فهو مثل غيره من البشر؛ مات ودُفِنَ، وسيبعث يوم القيامة لا قبلها.

ومن وجهة نظري بالنسبة لأقوال الشيعة في أن الدابة هي سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام إن

1 الميسم: هو المكواة، أو الشيء الذي يوسم به، انظر لسان العرب (3/ 927، 928) وتهذيب اللغة (13/ 114) والقاموس المحيط (4/ 188).

2 تفسير القمي (2/ 130، 131).

3 مجمع البيان في تفسير القرآن (4/ 234) وانظر تفسير القمي (2/ 131) وروح المعاني (20/ 22).

4 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم (3448) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكمًا بشريعة نبينا محمد عليه السلام (155).

صح ما قيل عنه أنه هو الدابة، فمن الممكن أن يكون المهدي حفيد سيدنا علي عليه السلام هو الدابة إنسان يتكلم، فعندهم رواية شهيرة في كتاب بحار الأنوار للمجلسي، عن عباية الأسدي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وهو مشتكى (أي متكى) وأنا قائم عليه قال: "لأبنين بمصر منبراً، ولأنقض دمشق حجراً حجراً، ولأخرجن اليهود والنصارى من كل كور العرب، ولأسوقن العرب بعصاي هذه..!" قال قلت: كأنك تخبر أنك تحيا بعد ما تموت..؟ فقال: "هيهات يا عباية قد ذهبت في غير مذهب يفعل به رجل مني"⁽¹⁾، فإذا صححت أحاديث الشيعة بأن سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام هو الدابة فمن الممكن أن يكون المقصود بالدابة هو حفيده المهدي كما في روايتهم هذه، والله أعلم.

5 - إنسان ناطق متكلم :

هناك القليل من العلماء يروا أن الدابة هي إنسان ناطق متكلم، ينظر أهل البدع ويراجع الكفار، واستدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿تَكَلَّمُهم﴾ فالكلام لا يصدر إلا من إنسان⁽²⁾. واستدلوا أيضاً بما يروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه سئل عن الدابة فقال: "أما والله ما لها ذنب وإن لها للحية"⁽³⁾، قال السمعاني بعد أن نقل ما يروى عن سيدنا علي عليه السلام: "كأنه يشير إلى أنه رجل، وليست بدابة، والأكثر على أنها دابة، وهي تخرج في آخر الزمان"⁽⁴⁾. وذكر الماوردي أن محمد بن كعب حكى هذا القول عن علي عليه السلام، ثم قال الماوردي: "وفي هذا إشارة إلى أنها من الإنس، وإن لم يُصرَّح"⁽⁵⁾.

دليل أن الدابة رسول:

إنني أوافق الرأي الذي يقول بأن الدابة إنسان ناطق متكلم، والله أعلم بكتابته، فإن تلك الدابة هي إنسان عادي عالم بكتاب الله وسنة رسوله وأحكام شرعه، يظهر في هذا الوقت

1 بحار الأنوار للمجلسي - جزء 53 - الصفحة 60.

2 انظر الجامع لأحكام القرآن (179/13) والدر المنثور (382/6) والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراف الساعة (57) وروح المعاني (22/20) والتفسير المنير (35/20).

3 انظر: النكت والعيون، تفسير الماوردي (210/3) والجامع لأحكام القرآن (179/13) وتفسير القرآن للسمعاني (113/4) وفتح القدير (151/4).

4 تفسير القرآن للسمعاني (113/4).

5 النكت والعيون، تفسير الماوردي (210/3) وانظر الجامع لأحكام القرآن (179/13).

الذي يكثر فيه الفساد، ويعمُّ الجهلُ بأحكام الدين، ويتخذ الناس رؤساء جهلاء، يستفتونهم في دينهم فيفتونهم فيضلون ويضلون، وأنا أرى أن أغلب العلماء قد تجاهلوا الرأي الذي يقول بأن الدابة إنسانٌ بسبب اعتقادهم بعدم إرسال الله ﷺ رسولاً بعد النبي ﷺ، فإذا وافقوا الرأي الذي يقول بأن الدابة هي إنسانٌ متكلّمٌ سيسلكون بذلك طريقاً مخالفاً لاعتقادهم، ولذلك فأغلب العلماء يتتقدون ويتجاهلون هذا الرأي.

إن قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ يدل على أمرٍ وتكليفٍ من الله ﷻ لتلك الدابة بتنفيذ رسالة معينة، فالدابة رسولٌ من الله ﷻ إلى الناس.

إنني أرجح أن يكون المهدي هو الدابة المذكورة هنا في هذه الآية لعدة أسباب وهي:

1- إذا كانت هذه الدابة رسولاً من البشر فبال تأكيد سيكون رجالاً، وهذه سنة الله ﷻ في إرسال الرسل من الرجال وليس من النساء، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل].

2- إن الله ﷻ لم يقل ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبا: 14] وهي الحشرة التي تأكل الخشب والتي أكلت عصا سيدنا سليمان عليه السلام بعد موته، بل قال تعالى في شأن الدابة التي ستكلم الناس: ﴿دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: 82] وكما ذكرنا في تعريف الدابة أنها تشمل الإنسان.

3- أن الله ﷻ لا يرسل للبشر حيواناً ليكلّمهم، بل يرسل في العادة رسولاً من البشر يتكلم مع الناس، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَنُ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم].

4- سنة الله ﷻ التي لا تتبدل هي إرسال رسولٍ من البشر إلى البشر، ولو كان في الأرض ملائكة لأرسل لهم الله ﷻ رسولاً ملكاً، فقد قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَرَيْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكَاً رَّسُولاً﴾ [الإسراء]. فكيف تتغير هذه السنة ويرسل الله ﷻ إلى البشر رسولاً حيواناً...؟

5- فهم المفسرون أنه ونتيجة لأن الناس لا يوقنوا بآيات الله، فإن الله ﷻ سيرسل لهم حيواناً يتكلم كي يؤمنوا، وهذا معنى لا يستقيم عقلاً ولم يحدث من قبل.

6- لا منطق إلهي في إخراج دابة من الأرض آيةً لأناس لا يؤمنون، فمن الأحرى أن تنزل

هذه الدابة من السماء، قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء].

إنَّ الذي دعاني إلى تأويل الدابة بأنها إنسان كون هذه الدابة وُصفت بأنها تتكلم، وايضاً لأنَّ الإنسان دابة من الدواب، ولقول النبي ﷺ عندما سُئل عن الدابة وخروجها، فقال: «تخرج من أعظم المساجد حُرمةً على الله تعالى المسجد الحرام».

إنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ فهي دابة إنسان تخرج في آخر الزمان، ويقول الله ﷻ عنها: ﴿تُكَلِّمُهُمُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [٨٢] فهي تُكلمُ الناس وتميز بين المؤمن والكافر، والحيوانات غير الناطقة لا تفعل ذلك، ولا يميزون بين المؤمن والكافر، ولا يُكلمون الناس بما فيه حُجَّةٌ وبرهانٌ للمؤمنين، وحجةٌ على المعاندين، وعلامةٌ على قرب يوم الدين، إنَّ الدابة الإنسان تُكلم الناس بما فيه البرهان للمؤمنين، وإقامة الحجة على الكافرين، والتمييز بين المؤمن والكافر، يُخرجها الله ﷻ فتكلم الناس وتقول لهم: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].



الفصل الخامس عشر
طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ



طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ



إِنَّ الْكَوْنَ مِنْ مَعْجَزَاتِ اللَّهِ الْعَظَامِ، وَالشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ هَذَا الْإِعْجَازِ فَالشَّمْسُ وَتَوَابِعُهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْأَقْمَارِ تَسِيرُ فِي مَدَارِهَا الْخَاصِّ بِكُلِّ مِنْهَا وَضَمَنَ نِظَامٍ كَامِلٍ الدَّقَّةَ لَا تَخْرُجُ مِنْهُ، فَالشَّمْسُ بِقُدْرَةٍ خَالِقِهَا تَطْلُعُ بِالنِّسْبَةِ لِكَوْكَبِ الْأَرْضِ مِنَ الشَّرْقِ يَوْمِيًّا، فَإِذَا مَا اقْتَرَبَ قِيَامُ السَّاعَةِ وَدَنَتْ نِهَايَةُ الْحَيَاةِ أَمَرَهَا اللَّهُ ﷻ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَغْرِبِ فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، وَعِنْدَهَا يُدْرِكُ النَّاسُ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، بَيِّدَ أَنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَنْ يَنْفَعَهُ النَّدَمُ فَقَدْ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ لِمَنْ حَضَرَ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158].

إِنْ خُرُوجُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ ضُحًى، فَابْتِئْهَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا»، فَكُلُّ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ سِتَائِي مُتَتَالِيَةً وَبِزْمَنِ مُتَقَارِبٍ جَدًّا مِنْ بَعْضِهَا، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي فُصُولٍ سَابِقَةٍ لِمَاذَا وُضِعَتْ آيَةُ (انْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَالدِّخَانِ وَالْمَهْدِيِّ وَالْمَسِيحِ الدِّجَالِ وَنَزُولِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ^(١).

غُلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ:

لَا شَكَّ أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ هِيَ مِنْ إِحْدَى آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي سَيَرَاهَا كُلُّ مَنْ سَيَكُونُ فِي زَمَانِهَا، وَيُدْرِكُ وَعَدَ اللَّهِ الْحَقَّ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ ﷻ إِيْمَانَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا، وَلَا تَوْبَةً مَنْ كَانَ مِنَ الْعَصَاةِ، فَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [غافر]، وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَايَةَ قَبُولِ التَّوْبَةِ

١ نرجو الاطلاع على فصل الرسول الدابة وفصل انشقاق القمر وفصل الدخان وفصل الرسول المهدي قبل قراءة فصل طلوع الشمس من المغرب لأن هذا الفصل نتائجه تأتي بناء على تلك الفصول.

طلوع الشمس من مغربها، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ، آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ»، فدل قوله: «فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ، آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا»، على أن كل من على الأرض من الناس يرونها وهي تطلع من مغربها، فيؤمنون جميعاً، إلا أن الله ﷻ لن يقبل توبتهم.

إنَّ أغلب أهل العلم اُفتى بناءً على هذه الأحاديث النبوية بغلق باب التوبة إلى قيام الساعة في حين أن القليل من العلماء أفتى بفتح باب التوبة بعد هذه الآية، فمن العلماء الذين أفتوا بغلق باب التوبة إلى قيام الساعة على سبيل المثال ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب فتح الباري حيث قال: "أحاديث وآثار كثيرة تدل على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة... ثم قال: فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة، ولم يُفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة".

غير أن هناك القليل من العلماء أفتى بأن غلق باب التوبة عند طلوع الشمس من مغربها، إنما هو خاص بأهل ذلك الزمان الذين أدركوا ذلك الحدث العظيم، فلو تطاول الزمان بعد ذلك حتى نسي ذلك الخبر، أو كان يخبر عنه آحاد من الناس: صحَّت التوبة والإسلام في ذلك الزمان، فقد قال القرطبي تفسيره: "قال النبي ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»⁽¹⁾، أي ما لم تبلغ روحه رأس حلقه، وذلك وقت المعاينة الذي يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار، فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله، وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك، أو كان كالشاهد له مردودة ما عاش لأن علمه بالله تعالى وبنبيه ﷺ وبوعده قد صار ضرورة، فإن امتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان ولا يتحدثون عنه إلا قليلاً، فيصير الخبر عنه خاصاً وينقطع التواتر عنه، فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قبل منه والله أعلم".

وأنا هنا أوافق رأي أغلب العلماء في غلق باب التوبة إلى قيام الساعة في حالة واحدة فقط لا غير، ألا وهي أن تقوم الساعة في حضور نفس الجليل الذي سيعاصر طلوع الشمس من

المغرب، أما في حالة امتداد أيام الدنيا ومات هذا الجيل وكانت هناك أجيال أخرى فأنا حينئذ سأوافق رأي القليل من العلماء الذين أفتوا بفتح باب التوبة بعد ذلك للأسباب الآتية:

1- ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ». فهذا الحديث يدل على أَنَّ غلق باب التوبة غير مقصورٍ على طلوع الشمس من المغرب فقط، بل أيضاً يشمل الدجال ودابة الأرض، وكل تلك الآيات في أزمنة مختلفة ومن غير المنطقي أن الجيل الذي سيعاصر المهدي والدجال وسيدنا عيسى ويأجوج ومأجوج هو نفس الجيل الذي سيعاصر طلوع الشمس من المغرب، فمتوسط عمر الإنسان هو سبعون عاماً تقريباً، فاحتمال توالى كل تلك الآيات خلال سبعين عاماً فقط هو احتمال ضعيف جداً مع الأخذ في الاعتبار أن مدة بقاء سيدنا عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله حوالي أربعين عاماً⁽¹⁾.

2- ما موقف الأطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم عند طلوع الشمس من المغرب...؟ هل سيغلق باب التوبة عليهم أيضاً مثل آبائهم...؟ وما ذنب الجيل الذي سيأتي بعد هذا الجيل إذا امتدت الحياة على كوكب الأرض عدة عقود بعد طلوع الشمس من المغرب...؟ هل سيغلق باب التوبة عليهم أيضاً وهم لم يفعلوا شيئاً...؟ الإجابة هي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: 18]، فكل فرد يجازى بعمله، ولا يحمل فردٌ ذنب فردٍ آخر، فالله ﷻ هو العدل ولن يُحاسب أحداً على تصرفات غيره، فإذا قلنا بغلق باب التوبة على كل الأجيال التي ستعقب الجيل الذي سيعاصر طلوع الشمس من المغرب فإننا بذلك نخالف نصوصاً وآيات كثيرة من القرآن والسنة تدل على حكمة وعدل الله ﷻ بين خلقه جميعاً ولا يستثنى من عدله أجيالاً معينة.

3- ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْعَثُ رِجْأً مِنَ الْيَمَنِ، أَلَيْنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ». فمن خلال هذا الحديث يتبين لنا أن هناك من المؤمنين الذين سيلبثون في الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها إلى حين بعث الله ﷻ للريح الطيبة، فإذا افترضنا أن هؤلاء

1 انظر فصل نزول سيدنا عيسى عليه السلام

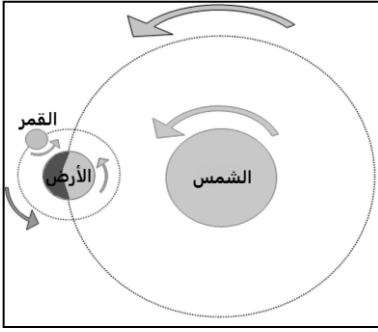
المؤمنين هم من سيعاصر طلوع الشمس من مغربها؛ فهذه دلالة على أنَّ الرياح الطيبة ستعقب طلوع الشمس من المغرب خلال خمسين عاماً تقريباً وهي متوسط عمر من سيحضر هاتين الآيتين مع بعضهما في حياتهم وهم بالغون، أما إذا كانت الرياح الطيبة بعد طلوع الشمس من المغرب بأكثر من خمسين عاماً تقريباً فإننا أمام جيل آخر من المؤمنين، سيكون في على قيد الحياة بعد زمن طلوع الشمس من المغرب، مما يعنى أنَّ التوبة ستُفتح بعد طلوع الشمس من المغرب لأجيال أخرى بعد حدوث تلك الآية.

هل يستحق المعاصرون لهذه الآية أن تفتح أبواب التوبة عليهم؟

أقولها وبمتمهى الثقة.. نعم إنَّ هؤلاء يستحقون أن يُغلق عليهم باب التوبة، ولا ظلم في ذلك، لأنَّ هذه الآية لن تأتي فجأة، بل سيسبقها تحذيرات دينية من فقهاء ودلائل علمية كثيرة، فمنذ الاضطرابات التي حدثت في زمن حركة دوران الكرة الأرضية حول نفسها في زمن المسيح الدجال (والذي سيستمر حتى طلوع الشمس من المغرب من وجهة نظري) سيكون هذا مؤشر قوي لتحقُّق ما أخبر عنه النبي ﷺ من طلوع الشمس من المغرب وما ينتج عنه من غلق باب التوبة، فبال تأكيد سيكون عند هؤلاء الناس بعض العلم الذي نملكه الآن، والذي يشير إلى اقتراب طلوع الشمس من المغرب، ولكنهم وبالرغم من كلِّ أشرار الساعة التي حدثت قبل عصرهم؛ فهم يدركون أنَّ هناك لحظة معينة ستوقف فيها الأرض عن الدوران حول نفسها ثم تدور عكس الاتجاه، وبالتالي ستغلق بعدها أبواب التوبة، وبالرغم من كلِّ هذا فإنَّ هؤلاء سيُصرُّون على عدم الإيمان بالله ﷻ بالرغم من كلِّ تلك الإشارات والإنذارات، ولذلك كان حقاً على هؤلاء أن يتم غلق باب التوبة عليهم حتى ولو آمنوا بعد أن يشاهدوا الشمس وهي تطلع من المغرب.

العلامة التي تسبق طلوع الشمس من المغرب:

إنَّ طلوع الشمس من المغرب لن يحدث فجأة بل سيكون له مقدمات قبلها بعدة شهور أو سنوات كما ذكرنا من قبل في هذا الكتاب، فالمؤمنون المعاصرون لتلك الآية سيقربون طلوع الشمس من المغرب، وذلك إذا كان العلم والكتب التي بين أيدينا الآن ومنها كتابي هذا في متناول أيديهم في ذلك الزمان، فكلُّ العلامات التي ستحدث قبل هذه الآية من انشقاق للقمر أو الدخان أو الاضطراب في زمن دوران الأرض حول نفسها ما هي إلا مؤشرات



علمية ودينية لحدوث تلك الآية، ويمكننا أن نعود للحديث الذي رواه النواس بن سمعان وهو حديثٌ طويلٌ عن الدجال وظهوره آخر الزمان وهو علامةٌ أيضاً على قرب الساعة، وجاء في الحديث: قلنا يا رسول الله وما لبثُ في الأرض..؟ قال «أربعون يوماً يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجمعةٍ وسائرُ أيامه

كأيامكم» قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةً يوم..؟ قال: «لا اقدروا له قدره» فأصحابُ النبي ﷺ يسألونه عن لبث الدجال في الأرض عند ظهوره، فكان جوابه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، أن لبثه أربعون يوماً يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجمعةٍ وسائر أيامه كأيامنا هذه، فعند ظهور الدجال سيكون هناك تباطؤٌ في حركة دوران الأرض، ذلك لأنَّ أوَّلَ يومٍ ذكره نبينا ﷺ وصفه بيومٍ كسنةٍ وهو أطولُ يومٍ على أهل الأرض قاطبةً، فسيكون نهاراً مدته نصفُ سنةٍ لمن هم يواجهون الشمس من أهل الأرض وسيكون ليلاً مدته نصفُ سنةٍ لمن هم في الاتجاه الآخر من أهل الأرض، كلُّ ذلك والأرض تدور ببطءٍ حول نفسها حتى يكون يُصبح النهارُ في الجانب الآخر من الكرة الأرضية لمدة ستة أشهرٍ ويكون ليلاً في الجانب الآخر من الكرة الأرضية لمدة ستة أشهرٍ، ثم يبدأ الليل والنهار بالتناقص تدريجياً بعد ذلك اليوم الطويل حتى يصيرَ اليوم الذي يليه مباشرةً كشهرٍ أي خمسة عشر يوماً نهاراً في أحدِ جوانبِ الكرة الأرضية وخمسة عشر يوماً ليلاً في الجانب الآخر،



وذلك مع استمرار دوران الأرض ببطءٍ حول نفسها، ثم يصير اليوم الثالث كجمعةٍ أي يومان ونصف نهاراً ويومان ونصف ليلاً، ثم تعود الأيام كأيامنا هذه كلُّ يومٍ فيها مقداره أربعة وعشرون ساعةً، فيمكننا أن نفهم من هذا الحديث أن في زمن المسيح الدجال

سيكون هناك تباطؤٌ واضطرابٌ في زمن حركة دوران الأرض حول نفسها، وفي الغالب سيستمر هذا الاضطراب حتى تتوقف الأرض عن الدوران حول نفسها ثم تدور عكس الاتجاه، فتطلع الشمس من المغرب.

ما يؤكد استمرار الاضطراب في زمن دوران الكرة الأرضية حول نفسها هو رواية ابن

مردويه بسند حسن بشواهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى أَنَّ الصادق المصدوق عليه السلام قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ لَيْلَةٌ تَعْدِلُ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ لَيَالِيكُمْ». وفي الوقت المحدد يضغط المنبه على ساعة الوقت لصلاة الفجر، فتستيقظ فتتنظر إلى ساعة الوقت فتري الليل ما زال مخمياً...! لعل الساعة قد خانت...! ثم تستيقظ فتري الليل ما زال مخمياً بظلامه...! ثم تستيقظ فتري الليل ما زال مخمياً بظلامه...! فتتعجب...! طال وقت النوم...! «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ لَيْلَةٌ تَعْدِلُ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ لَيَالِيكُمْ هَذِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ يَعْرِفُهَا الْمُتَقَلُّونَ، يَقُومُ أَحَدُهُمْ فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ، ثُمَّ يَنَامُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَقْرَأُ حِزْبَهُ، ثُمَّ يَنَامُ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ صَاحَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَيَفْزَعُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا هُمْ بِالشَّمْسِ قَدْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَضَجَّ النَّاسُ ضَجَّةً وَاحِدَةً حَتَّى إِذَا صَارَتْ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ رَجَعَتْ وَطَلَعَتْ مِنْ مَطْلِعِهَا قَالَ: حِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا»⁽¹⁾. وحسب حديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم: «وَالنُّجُومُ لَا تَسْرِي، قَدْ قَامَتْ مَكَانَهَا»⁽²⁾ سيتبع ذلك توقُّف دوران الأرض ليلية بطول ليلتين أو ثلاث في نصف الكرة الأرضية الذي يتوسطه الشرق الأوسط يقابله نهاؤ بطول ثلاثة أيام في النصف المقابل من الكرة الأرضية.

إنَّ كلا الحديتين سواء الحديث الذي وصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم تباطؤ زمن الأيام في عهد الدجال أو الحديث عن تباطؤ زمن الليالي قبل طلوع الشمس من المغرب لهما علاقة علمية بعضهما ببعض من حيث التغيُّر الزمني لزمن دوران الأرض حول نفسها، فتغيُّر اتجاه دوران الأرض حول نفسها تغيُّر كلي لا بد أولاً أن يسبقه اضطراب وتباطؤ في زمن حركة دوران الأرض حول نفسها حتى تتوقف توقفاً كاملاً، ثم تبدأ بالدوران العكسي حول نفسها وعندها تطلع الشمس من المغرب، وهذا يعني أنه عند حصول ذلك التباطؤ يرافقه تباطؤ لوقت حصول الليل والنهار بالتأكيد...! لأن سبب حصول الليل والنهار كما ذكرنا آنفاً هو دوران الأرض حول نفسها خلال أربع وعشرين ساعة بالحساب الزمني الحالي، وعليه سيكون طول الليل والنهار عند حصول التباطؤ أكثر من أربع وعشرين ساعة، وهذا التباطؤ سيكون تدريجياً، وبالتالي ستكون زيادة طول الليل والنهار تدريجية أيضاً، لأن التوقف لو تم

1 الراوي: عبد الله بن أبي أوفى، المحدث: ابن كثير، المصدر: تفسير القرآن، الصفحة أو الرقم: 369/3

2 ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (31/1) قَالَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَهْلٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ الرَّازِي، حَدَّثَنَا إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّازِي، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ الضَّرِيرِ، عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فَذَكَرَهُ".

بشكلٍ مفاجئٍ لدمَّرَ وأهلك كلَّ من على الأرض من أحياءٍ بل الأرضَ كُلَّها.

ما هو اتجاه دورانِ كواكبِ واقمارِ المجموعة الشمسية..؟



تدور أغلب الكواكبِ حول الشمس، وكذلك حول نفسها في اتجاهٍ واحدٍ عكس اتجاه عقارب الساعة من الغرب للشرق، ولم يستطع العلماء تفسير سبب ذلك، كما تدور غالبية أعضاء المجموعة الشمسية من مذنباتٍ وشهبٍ وكويكباتٍ ومادةٍ ما بين الكواكب، حول الشمس في اتجاه حركة الكواكب عدا بعض الاستثناءات مما يؤكد نشأتها من سحابةٍ واحدةٍ كانت تدور حول نفسها، فإذا نظرنا إلى الكرة الأرضية على سبيل المثال من الفضاء من جهة القطب الشمالي، ستظهر الأرض وهي تدور عكس اتجاه عقرب الساعة، ومن هنا سنعرف سبب شروق الشمس من جهة الشرق وغروبها من جهة الغرب.

وتدور أيضا أغلب الأقمار حول نفسها وحوّل الكواكب التابعة لها، والظاهرة نفسها تنطبق على النجوم والنظم الأكبر فلا يوجد شيء ساكن في الكون، بل كل يسبح على طريقته التي سخرها الله عليها وألزمه بها.

التفسير العلمي لطلوع الشمس من المغرب..!

لقد أstood البعض من الملحدين والكافرين إلى أن الشمس لها ملايين السنين تشرق من الشرق وتغرب من الغرب، فما هي القوة التي سوف تجعلها تشرق من الغرب، وهم بذلك

منكرون أمر الله ﷻ لشيء إذا أَرَادَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وهو ﷻ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، ولكن الله ﷻ ترك لنا حرية البحث والأخذ بالأسباب ومعرفة أسباب كل شيء وله في ذلك حكمة، فنعلم ما يريد الله ﷻ أن نعلمه، وما لا يريد أن نعلمه سيعجز العلم على معرفته، وذلك كله بأمر الله ﷻ، وقد أوضحت في كتابي هذا نظريتي العلمية بخصوص سبب طلوع الشمس من المغرب، وهي مرتبطة أيضاً بظهور المذنب الطارق وما سيعقب ذلك من انفجار البركان الهائل وما سينتج عنه من الدخان المبين الذي سيملاً سماء الكرة الأرضية، فهذه الكارثة الكونية ستؤدي بالنهاية إلى طلوع الشمس من المغرب، فأشراط الساعة مترابطة علمياً بعضها ببعض، فالمذنب الطارق والصيحة والهدية والدخان وانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب كلها توابع واحدة لكارثة كونية كبرى ستؤثر على الكرة الأرضية.

لقد وضعت في فصل الدخان ثلاث فرضيات لحدوث الدخان وهي نفس الفرضيات التي ستتسبب أيضاً في طلوع الشمس من المغرب، وهذه الفرضيات هي:

الفرضية العلمية الأولى: مرور المذنب الطارق بالقرب من الأرض مما يؤثر على باطن الكرة الأرضية فيسبب انفجار بركان ضخم ومن ثم ينتشر الدخان في سماء الكرة الأرضية، وقوة جاذبية هذا المذنب ستسبب اضطراباً في حركة دوران الكرة الأرضية حول نفسها مما سيؤدي في النهاية إلى دوران الكرة الأرضية عكس اتجاهها الحالي، وفي نفس الوقت سيؤثر المذنب الطارق على القمر فيسبب انشقاقه بالرغم من أنني لا اعتقد أن مرور مذنب كبير بالقرب من القمر من الممكن أن يسبب انشقاقه.

الفرضية العلمية الثانية: سقوط المذنب الطارق على الأرض ومن ثم سيتسبب في انتشار الأتربة والدخان في سماء الكرة الأرضية، بشرط أن لا يكون حجم هذا المذنب كبيراً جداً فيسبب فناء الجنس البشري، وبالتالي لا يعاصر البشر باقي أشراط الساعة، فلا بد وأن يكون تأثير سقوط هذا المذنب متوسطاً نسبياً بحيث يسمح باستمرار الحياة على سطح الكرة الأرضية، وهذا الاصطدام سيسبب اضطراباً في حركة الكرة الأرضية مما سيؤدي في النهاية إلى دوران الكرة الأرضية عكس اتجاهها الحالي، ولكن هذه الفرضية العلمية تستبعد انشقاق القمر، وفي هذه الحالة نضيف إلى تلك الفرضية اصطدام مذنب آخر بالقمر إما في توقيت متزامن مع اصطدام المذنب الطارق بالأرض أو أن يكون قبله أو بعده بفترة من الزمن.

الفرضية العلمية الثالثة: اقتراب المذنب الطارق من الأرض مما يؤثر عليه داخلياً نتيجة جاذبيته، ثم اصطدام المذنب الطارق بالقمر مما يؤدي إلى انشقاقه فيتأثر باطن الكرة الأرضية بانشقاق القمر واقتراب المذنب بالأرض مما سيؤدي إلى انفجار بركان هائل، ومن ثم سيستشر الدخان في سماء الكرة الأرضية، ثم بعد ذلك سيبتعد القمر عن الأرض بصورة تدريجية نتيجة الاصطدام والانشقاق حتى يفصل عن جاذبية الأرض فيتجه باتجاه لشمس في نهاية المطاف فلا يرى القمر بالعين المجردة من الأرض، ثم تبتلع الشمس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ^(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ^(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٩)﴾ [القيامة^(١)]، وهذا الانشقاق سيسبب اضطراباً في حركة الكرة الأرضية مما يؤدي في النهاية إلى دوران الكرة الأرضية عكس اتجاهها الحالي، وهذه الفرضية هي التي أميل إليها، لأن هذه الفرضية تشمل تأثيرها علمياً جميع أشرار الساعة، فإذا ظهرت أولى علامات الساعة الكبرى تتابعت بعدها الآيات يتلو بعضها بعضاً كمثل العقد الذي انفرط نظامه، مصداقاً لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خُرُوجُ الآياتِ بعضها على إثر بعضٍ، يَتَّبَعْنَ كما تَتَابَعُ الْحَرَزُ فِي النِّظَامِ^(٢)». كما أن بانشقاق القمر وابتعاده عن الأرض بأي سبب كان سواءً بكلمة من الله ﷻ كن فيكون أو بإرسال الله ﷻ مذنب يشق القمر، ستبدو بعد حدوث هذا الانشقاق جميع الكوارث الطبيعية التي ستحدث للأرض والتي ذكرت في الأحاديث النبوية الشريفة منطقياً وفي مكانها المناسب.

إن إثبات نظريتي العلمية في هذا الكتاب لكيفية وقوع أشرار الساعة يكمن في الطبيعة الحالية لكوكب الزهرة، فهنا بنا ندرس هذا الكوكب.

كوكب الزهرة:

كوكب الزهرة واحد من خمسة كواكب يمكننا رؤيتها من كوكب الأرض بالعين المجردة حيث يُعد كوكب الزهرة الكوكب الأكثر بريقاً بالرغم من أنه ليس الأكبر حجماً كما أنه ثاني أوضح كوكب في سمائنا، وكوكب الزهرة هو ثاني كواكب المجموعة الشمسية قرباً من الشمس بعد كوكب عطارد، ويليه كوكب الأرض في ترتيب الكواكب قرباً من الشمس.

1 أنظر لماذا انشقاق القمر أول علامات الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر

2 أخرجه أبو بكر الدينوري في ((المجالسة)) (2156)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (4271) واللفظ لهما، وابن حبان (6833) باختلاف يسير.

يعد كوكب الزهرة هو الكوكب التوأم لكوكب الأرض، وذلك للتشابه الكبير بينه وبين الأرض، فكل من الزهرة والأرض له غلاف جوي ملبد، كما أن كوكب الزهرة أكبر من عمر كوكب الأرض بحوالي 300 سنة فقط، ويبلغ قطر كوكب الزهرة حوالي 95٪ من قطر كوكب الأرض، أما حجمه فيبلغ 85.7٪ من حجم الأرض، أما كتلة الزهرة فتبلغ 81.5٪ من كتلة الأرض، كما تصل جاذبية الزهرة إلى حوالي 90.5٪ من جاذبية الأرض، والضغط على كوكب الزهرة كبير جداً، فهو أكبر بقرابة 90 مرة عن الضغط الجوي الموجود على كوكب الأرض، ويعتقد العلماء أن الظروف الحيوية للكوكبين متشابهة جداً.

تغطي الصخور البازلتية أغلب سطح الزهرة، كما أن 65٪ منه مغطى بسهول من الحمم البركانية، فقد اكتشف العلماء حوالي 1600 بركان تقريباً على سطح الزهرة، معظمها براكين خاملة، فالبراكين الموجودة على كوكب الزهرة أضعاف البراكين التي توجد على الأرض، وأيضاً يوجد عليه 167 بركانا هائلاً يبلغ قطر كل منها أكثر من 100 كم. يُعتقد أن معظم سطح الزهرة قد أعيد تشكيله نتيجة نشاط بركاني حدث قبل بضع مئات من ملايين السنين. يتكون الغلاف الجوي لكوكب الزهرة بشكل أساسي من غاز ثاني أكسيد الكربون، حيث نسبته في الغلاف الجوي تقدر بحوالي 96.5٪، ويمثل غاز النيتروجين النسبة المتبقية وهي 3.5٪، كما يتكون الغلاف الجوي للزهرة من أول أكسيد الكربون، والأرجون، وثاني أكسيد الكبريت، وبخار الماء ويمثل أقل من 1٪. ولذلك فإن الغلاف الجوي لكوكب الزهرة غير شفاف ولا يمكن الرؤية من خلاله، فالزهرة تكسوه سحب كثيفة من الغازات السامة تُخفي معالم سطحه عن الرؤية وتحتفظ بكميات هائلة من حرارة الشمس، لذلك يُعتبر أسخن كواكب المجموعة الشمسية على الإطلاق، والرياح في كوكب الزهرة سريعة جداً فتصل إلى 724 كم بالساعة، ولذا فهي أسرع من أي إعصار حدث على كوكب الأرض.

يتكون كوكب الزهرة من قارتين كبيرتين؛ تقع إحداهما في النصف الشمالي له، وتسمى مرتفع عشتار، وتساوي مساحتها مساحة أستراليا، والقارة الأخرى في النصف الجنوبي، ويُطلق عليها اسم مرتفع أفرودايت، وتعد أكبر من عشتار؛ حيث تساوي مساحتها مع مساحة قارة أفريقيا.

الذين تعالوا معنا نركز فيها يلي حتى نربط الخيوط العلمية بعضها ببعض

يُرجح العلماء بأن يكون كوكب الزهرة في الماضي مثل كوكب الأرض مُغطي

بالمحيطات، ولكن نظرا لبطء دورانه حول نفسه وسهولة تأثره بالرياح الشمسية، وضعف المجال المغناطيسي له، فقد تأثر الكوكب بشكل كبير بتلك العوامل وتبخرت المياه من على سطحه في الفضاء، ويعتقد العلماء أن كوكب الزهرة كان كوكبا بارداً، ولكنه صار الآن أكثر الكواكب حرارة في المجموعة الشمسية، حيث إن درجات الحرارة به تفوق درجات الحرارة في كوكب عطارد، رغم أن عطارد هو الأقرب للشمس، حيث تصل درجة الحرارة على كوكب الزهرة قرابة 470 درجة مئوية.

تشرق الشمس في كوكب الزهرة من الغرب وتغرب من الشرق بعكس باقي كواكب وأقمار المجموعة الشمسية، وذلك لأنه يدور عكس دوران كوكب الأرض، حيث يدور كوكب الزهرة في نفس اتجاه عقارب الساعة حيث تشرق الشمس على كوكب الزهرة من المغرب كما أنها تغرب من المشرق.

لا يوجد سوى كوكبين في المجموعة الشمسية التي يختلف اتجاه دورانها حول نفسها كباقي كواكب المجموعة الشمسية، وهما كوكب الزهرة وكوكب أورانوس، حيث يدور الزهرة حول محوره من الشرق للغرب، بينما يميل أورانوس على محوره بشدة فيعتبر فعلياً يدور حول محوره على جانبه.

لماذا تطلع الشمس من الغرب في كوكب الزهرة؟

لقد وضع العلماء نظرية علمية لسبب اختلاف دوران كوكبي الزهرة وأورانوس حول نفسيهما عن اتجاه دوران باقي كواكب وأقمار المجموعة الشمسية حول أنفسهم، حيث أجاب الموقع الإلكتروني (2022/2/22) على هذا السؤال فقال:

"لابد من أن تدور جميع الكواكب حول محورها بالطريقة ذاتها: فنظامنا الشمسي تكون من انهيار ودوران سحابة من الغاز، ويعتقد أن الدوران المحوري لأغلبية الكواكب بها فيها الأرض اتخذ اتجاهه من اتجاه دوران تلك السحابة القديمة.

ولكن الزهرة وأورانوس هما الاستثناء: فلديهما ما يُسمى بالدوران التراجعي -أي الدوران المحوري- في اتجاه معاكس لدوران الشمس.

ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟..

واحدة من الفرضيات الأكثر بقاءً حتى الآن، هي أن الزهرة وأورانوس كان اتجاه

دورانها المحوريُّ مشابهًا لباقي الكواكب في نظامنا الشمسيّ حتى اصطدامهما بأجسامٍ أخرى كبيرة (قد تكون كواكب أخرى) مما جعلهما يتخذان اتجاه دورانٍ محوريٍّ معاكس. في السنوات الأخيرة، بحث علماء الفلك عن تفسيراتٍ أخرى عن طريق دراسةٍ مستقلةٍ للكوكبين.

في عام 2011، اقترحت المحاكاة أنَّ عددًا من التصادمات الصغيرة بدلاً من اصطدام واحدٍ كبير جعلت زاوية الدوران المحوري لأورانوس حوالي 98 درجة، يمكن لهذا تفسير سبب دوران أقمار الكواكب بنفس زاوية الميل، سيكون هناك شيءٌ ما خاطئٌ إذا كان هناك اصطدام واحد عملاق.

هناك تفسيرٌ بديلٌ تم وضعه عن طريق مجموعة من علماء الفلك عام 2009 حيث أن أورانوس كان لديه قمر كبير ذو جاذبية جعلت الكوكب يدور على أحد جانبيه. وفي النهاية قد يكون ذلك القمر قد تم طرده بعد اصطدامه بكوكب آخر كما يحدث في لعبة (Puzzle Quest).

أما بالنسبة للزهرة أقرب جيراننا فقد اقترح العلماء أنه بدأ دورانه المحوري في اتجاه عكس عقارب الساعة، ثم أبطأ من دورانه حتى وصل إلى السكون ثم بدأ في دورانه المحوري في اتجاه عقارب الساعة، كما هو الحال الآن.

قد يفسر ذلك الحركة الدورانية البطيئة للكوكب، فيستغرق الزهرة 243 يومًا أرضيًا ليدور دورة كاملة حول نفسه، بينما يستغرق 225 يومًا أرضيًا ليدور دورة كاملة حول الشمس. فإذا كنت تعيش على سطح الزهرة فسيكون اليوم هناك أطول من السنة وستشرق الشمس من الغرب.

كيف حدث هذا لذلك الكوكب؟ يعتقد علماء الفلك أن الجاذبية القوية للشمس سحبت الغلاف الجوي الكثيف للزهرة، فالمد والجزر الناجم من تأثير ذلك الغلاف الجوي والناجم أيضًا من باقي الكواكب الأخرى قد تم الجمع بينهم لعكس اتجاه الدوران المحوري للكوكب.

فكرة أنَّ عزوم الدوران الناتجة عن المد والجزر (في منطقة الغلاف الجوي الكثيف تحت حرارة الشمس) تجذب المناطق الباردة المقابلة من الكوكب؛ هي واحدةٌ من أكثر التفسيرات رسوخًا لدوران الزهرة التراجعي بالتوازي مع التصادم الكوكبي.

الآن عزيزي المسلم أرجو منك أن تعيدَ قراءةَ طبيعةِ كوكبِ الزهرة ثانيةً لأنها ستوضح لك طبيعة كوكب الأرض في المستقبل مع العلم أنَّ عمرَ البشرية على كوكب الأرض لن يمتدَّ إلى أن يصلَ إلى المرحلة التي عليها كوكبُ الزهرة الآن، فلا يوجد انسان يستطيع الحياة على كوكبٍ درجة حرارته قرابة 470 درجة مئوية، وهناك من الأحاديث النبوية التي تدلُّ على

بقاء الحياة على كوكب الأرض عند قيام الساعة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ شَرِّ أَرْوَاقِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»⁽¹⁾. فالقيامة ستقوم وما زالت درجات الحرارة على سطح الكرة الأرضية تسمح ببقاء البشر على قيد الحياة وذلك وقت أن تقوم الساعة، وكذلك الحال بالنسبة لوجود مياه صالحة للشرب وأنهار وزراعة، وهي مرحلة من المراحل كان عليها كوكب الزهرة قبل أن يصل لما هو عليه الحال الآن، فلا أعتقد أن عمر كوكب الأرض سيطول حتى يصبح مصيره كمصير كوكب الزهرة الآن، بل ستقوم الساعة وكوكب الأرض في مرحلة مبكرة قليلاً عما وصل إليه الحال لكوكب الزهرة الآن والله أعلم.

كم يطول الزمن بين طلوع الشمس من مغربها إلى قيام الساعة..؟

-الله أعلم- فتوقيت قيام الساعة في علم الله ﷻ، ولكن جاءت رواية عن عبد الله بن عمرو سندها جيدٌ موقوفٌ على الصحابيِّ، قال: "تبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة" هذا لا يثبت مرفوعاً، ولكن الحديث هذا موقوفٌ على عبد الله بن مسعود قال عنه الحافظ: جيدٌ⁽²⁾.

1 رواه أحمد (3844) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند .

2 [فتح الباري: 11 / 354].



الفصل السادس عشر الخُسُوفَاتُ الثَّلَاثَةُ





الْخُسُوفَاتُ الثَّلَاثَةُ



إن من أعظم ما يَمِيزُ آخِرَ الزمان، زمنِ اقتراب الساعة، ودنوِّ أمرِها، ظهورُ الأحداث العظام، المؤذنة باختلال العالم، وانفراط نظامه، ومن تلك الأحداث الخسوفات الثلاثة التي أخبرنا النبي ﷺ أنها ستكون علامةً على قرب قيام الساعة، فقد روى الإمام مسلمٌ في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فذكر الدخانَ والدجالَ والدابةَ وطلوعَ الشمس من مغربها ونزولَ عيسى ابنِ مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ خسفٌ بالشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

ما معنى الخسف وما طبيعته..؟

للخسف عدةٌ معانٍ منها:

- 1- خسفتِ الأرضُ: غارت.
- 2- خسف به الأرض: غيَّبه فيها.
- 3- خسف القمرُ أو نحوه: ذهب نوره.
- 4- خسف الشيءُ: نقص.
- 5- خسفت عينُ الماء: غارت.
- 6- خسفت عينُهُ: انقلعت.
- 7- خسف عينه: قلعهها.
- 8- خسف السقف: سقط.

فالخسفُ في مجمله يدلُّ على اختفاء شيءٍ ما عن النظر بطريقةٍ ما، ومن أشرط الساعة خسفٌ بالشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب، فلم يحدد النبي ﷺ طبيعة هذه الخسوف، هل هي خسوفٌ بسبب انهياراتٍ أرضيةٍ هائلةٍ أو بسبب ثوراتٍ بركانيةٍ هائلةٍ، أو بسبب أعاصيرٍ هائلةٍ أو بسبب موجاتٍ تسونامي عاتيةٍ، ولكن المؤكد بأن تلك الخسوف ستكون هائلةً جداً ولن تكون خسوفاً عادياً كالتي نراها من حين إلى آخر، بل ستشمل مساحاتٍ كبيرةً جداً من اليابسة، وستؤدي إلى موتٍ عددٍ كبيرٍ جداً من الناس.

أين ستقع الخسوفات الثلاثة؛

أخبرنا النبي ﷺ أن الخسوفات الثلاثة والتي هي من علامات الساعة ستقع في أماكن ثلاثة:

المكان الأول: جهة الشرق، والمراد به مشرق المدينة، ولا شك أن المقصود هو موضعٌ بالشرق وليس جميع أرجائه.

المكان الثاني: جزيرة العرب، وليس بالضرورة أن يشمل جميع أرجائها، بل ربما أتى على بعض أجزائها، كما جاء عن عبد الرحمن بن صبحر العبدى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يُخسفَ بقبائل، فيقال: من بقي من بني فلان...؟» قال: فعرفت حين قال: قبائل أنها العرب، لأن العجم تنسب إلى قراها⁽¹⁾.

المكان الثالث: جهة الغرب والمراد به غرب المدينة النبوية، والمقصود منه ليس عموم المغرب وإنما موضعٌ منه والله أعلم.

هل وقعت هذه الخسوفات في الماضي؟



ما زالت الخسوفات تقع منذ بدء الخلق إلى يومنا هذا، فهي لم تنقطع عن الأرض منذ أن خلقت، وقد أخبرنا سبحانه عن الخسف كعقوبة عاقب بها من عصى أمره، فقال سبحانه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت]. وعليه فينبغي حمل ما أخبرنا به النبي ﷺ عن هذه الخسوفات الثلاثة على معنى خاص، وقدر زائد تختلف به هذه الخسوفات عن مثيلاتها، يقول

1 رواه أحمد (483/3) (15998)، والحاكم (492/4). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (18/8): رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى والبزار ورجاله ثقات، وصححه إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (8/142)، والسفاري في ((شرح ثلاثيات المسند)) (1/290).

الحافظُ ابن حجر: "وقد وُجد الخسْفُ في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوفِ الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كأن يكون أعظم مكاناً أو قدراً".

إنَّ هذه الخسوفاتِ الثلاثةَ هي خسوفاتٌ هائلةٌ سيكون له أثرٌ كبيرٌ تهتز له الدنيا وسيموت فيها أعدادٌ هائلةٌ من البشر، وستختفي معها مساحاتٌ هائلةٌ من القشرة الأرضية، فهي ليست كتسونامي الذي أغرق سواحلَ إندونيسيا وأسفر عن سقوط أكثر من 220 ألفَ قتيلٍ في ديسمبر عام 2004، ولن يكون الخسْفُ الذي سيحدث مع الجيش الذي سيذهب إلى المهدي للقبض عليه أو قتله، فالخسوفاتُ الثلاثةُ التي ستقع في آخر الزمان ليست خسوفاتٍ عاديةً كالتي نشاهدها ونسمع بها، بل هي خسوفاتٌ عظيمةٌ وعامةٌ لأماكنٍ كثيرةٍ من مشارقِ الأرض ومغارِبها وفي جزيرة العرب لم تُشاهد من قبل، ولم تعرف البشرية من أولها إلى آخرها لها مثيلاً، تُدمر مناطق واسعةٌ من الأرض وتخرب ما عليها وتتغيرُ أحوال الناس وتضطرب معاشهم مما يعتبر إيذاناً بقرب الساعة ودُنُو قيامها.

ان هذه الخسوفاتِ هائلةٌ وستكون بمثابة النذير بين يدي الساعة، ليتنبَّه الغافلُ فيستعد بعمل ما ينجيهِ من أهوال ذلك اليوم، وهذا هو الذي يجب أن يحوزَ اهتمام المسلم، وهو العمل الصالح والبعد عن الفساد العقائدي والأخلاقي، فكما مر معنا في الأحاديث أن سبب وقوع الخسوفات والزلازل إنما هي المعاصي بأنواعها، وفي مقدمتها الزنا وشرب الخمر والغناء، وهذا ما نراه عياناً في زمننا هذا، حيث انتشرت هذه المعاصي انتشارَ النار في الهشيم، وعُدَّت من أسباب التمدن والتحضّر، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

السببُ الشرعيُّ للخسوفاتِ الثلاثة:

أخبرنا النبي ﷺ أن هذه الخسوفاتِ الثلاثة تكون عقوبةً ربانيةً على ظهور المعاصي وانتشارها، كما جاء في الحديث عن السيدة عائشة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ ومسحٌ وقذفٌ، قالت: قلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث»⁽¹⁾.

وعن عمران بن حصين ؓ أن رسولَ الله ﷺ قال: «في هذه الأمة خسفٌ ومسحٌ وقذفٌ،

فقال رجلٌ من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القيّاتُ والمعارفُ وشربتِ الخُمورُ⁽¹⁾.

فالمسخ هو تغييرُ الصورةِ الظاهرة للإنسان، وقد أخبرنا الله ﷻ في أكثر من موضعٍ من القرآن أنه مسخَّ بعض بني إسرائيل إلى قردةٍ عقوبةً لهم على معصيتهم لله ﷻ. فقال تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

والقذف هو الرمي بالحجارة، كما فعل الله ﷻ بقومِ لوطٍ، قال الله جلَّ وعلا: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا وَمُمْطَرًا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٦١].

وقد جعل الله ﷻ هذه الآية نذيراً بين يدي الساعة حتى يعودَ الناسُ إلى رشدهم، ويعلموا أنهم إن أصروا على ما هم عليه من المعاصي والذنوب فإنَّ ما أعدَّه الله ﷻ للعاصين يومَ القيامة لا طاقةَ لأحدٍ به، وهنا إشارةٌ أخرى إلى أنَّ الناسَ في ذلك الوقتِ ستعود مرةً أخرى لارتكابِ المعاصي بعد أن يكشفَ عنهم الله ﷻ العذابَ قليلاً بعد ثورانِ البركانِ الهائلِ الأولِ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ] [الدخان: ٦٦]، فهذه المعاصي سيتمُّ ارتكابُها أثناء كشفِ العذابِ قليلاً حينَ قيام الساعة وهي البطشةُ الكبرى.

قبضُ العلم وظهورُ الجهل:

لقد فكَّرتُ لفترةٍ طويلةٍ أثناء تأليني لهذا الكتاب عن سببِ عودةِ الناسِ إلى المعاصي سريعاً بعد وفاةِ سيدنا عيسى عليه السلام، فالخمسون عاماً تقريباً التي ستشهد ظهورَ الإسلامِ على الدينِ كُلِّه بما ستحتويها تلك الفترة من الدخانِ المبين وظهورِ الدجالِ وأجوجٍ ومأجوجٍ فمن المفترض أن تعقبها فترةٌ طويلةٌ تتَّسمُ بطاعةِ الله ﷻ خوفاً من إنزاله العذابِ على الناسِ مرةً أخرى، فنحن الآن وعلى سبيلِ المثالِ وبعد أربعة عشر قرناً من الزمانِ من وفاةِ النبي ﷺ لم نَعُدْ إلى عبادةِ الأصنام، وأنا أستبعد تماماً أن يمتدَّ عمرُ البشرية بعد وفاةِ سيدنا عيسى عليه السلام لأربعة عشر قرناً أخرى حتى تظهر باقي علاماتِ الساعة الكبرى (طلوع الشمس من المغرب

والخسوفات الثلاثة وبركان عدن) وإلا ستكون الأحاديث النبوية الشريفة التي تخبرنا بتتابع سريع لأشراط الساعة تكون باطلة، وهذا مستبعد أيضاً.
كما أَنَّ الآية الكريمة في سورة الدخان ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ تدلُّ على عودة الناس إلى المعاصي سريعاً بعد أن يكشف عنهم الله ﷻ العذاب قليلاً.
فكيف يعود الناس إلى المعاصي بتلك السرعة، بل وأيضاً يعودون لعبادة الاصنام بالرغم من استمرار أثر العذاب عليهم؟

هذا السؤال فُكِّرْتُ فيه لفترة طويلة وكان يمثل بالنسبة لي اللغز المحير الذي أحتاج إلى حلِّه، فلم أجد في النهاية سوى علامة لا تُذكر إلا قليلاً من علامات الساعة والتي لا تُعتبر من أشراط الساعة الكبرى؛ ألا وهي رفع العلم، فكما قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُثَبَّتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزَّنا»⁽¹⁾.

إذاً سُرِفَ العلم، وسيثبت الجهل، وهذا لا يكون إلا بقبض العلماء، وهذا ما قاله النبي ﷺ في حديث آخر قال فيه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَاءَ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسَاءَ جَهَالاً، فَسَلُّوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»⁽²⁾.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يَذْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا».

فَقَالَ لَهُ صَلَ: مَا تُعْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَذْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟! وَ لَا صَلَ؟!

فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ، ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ.
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَ؛ تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا⁽³⁾.

وهكذا زوال العلم يكون بموت العلماء في الكوارث الطبيعية الكبرى ومنها الدخان

[رواه البخاري: 80، ومسلم: 2671].

[2] [رواه البخاري: 100، مسلم: 2673].

[3] [رواه ابن ماجه: 4049، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة: 87].

المبين والخسوفات الثلاثة، وأيضاً سيكون زوال العلم بالعزوف عن كتبه، والعزوف عن مجالسِه، والاشتغال بالدنيا، وترك طلب العلم، وقد حدث من هذا الكثير والكثير وسيصل الأمر إلى درجة أنه كما قال النبي ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ» يعني: يذهب ويضمحل؛ لأن درس الشيء هو ذهابه، يقال: اندرست الآثار، يعني: ذهبت واضمحلت، يدرس الإسلام كما يدرس وَشْيَ الثوب، أي: كيف أن الزينة والتطريز الذي في الثوب ومع كثرة الاستعمال والغسيل تزول، واللون يزول، وهذه النقوش تزول، كذلك الإسلام يحدث به، كما يدرس وَشْيَ الثوب، حتى لا يدرى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسْكٌ، ولا صدقةٌ، «وليُسرَى على كتاب الله ﷻ في ليلة»، أي: إذا صار الجاهل مستحكما في الأرض، وهذا بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام فإنه لن يبقى هناك فائدة للقرآن؛ لأن الناس لا يفتحونه، ولا يرجعون إليه، ولا يطبقونه، ولا يتعلمونه، ولا يحفظونه، ولا يقرؤونه فماذا سيحدث؟

سيبقى نفرٌ عندهم بعضُ الآياتِ في صدورهم، ويبقى هناك مصاحفٌ موجودةٌ، فماذا سيحدث في هذه المصاحف وفي هذه الآيات الموجودة في صدور أولئك الجيل في آخر الزمان؟

قال النبي ﷺ: «وليُسرَى على كتابِ الله ﷻ في ليلةٍ فلا يبقى في الأرض منه آية» يعني: بأمرِ الله تتمحي كلُ الآياتِ الموجودة في صدور الناس، ويفتح المصاحف فتوجد بيضاء ما فيها ولا حرف، ولا كلمة، ولا آية، وليُسرَى على كتابِ الله ﷻ في ليلةٍ فلا يبقى في الأرض منه آيةٌ لا في الصدور، ولا في المصاحف، ولا في الكتب، وتبقى طوائفٌ من الناس الشيخ الكبيرُ والعجورُ يقولون: «أدر كنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها»، من الراوي؟ إنه حذيفةٌ عليه السلام.

من الذي يسمع الكلام؟

صلة أحد طلابه، قال: ما تغني عنهم "لا إله إلا الله" وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيامٌ، ولا نُسْكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفةٌ، ثم ردها عليه ثلاث مرات كل ذلك يعرض عنه حذيفةٌ، ثم أقبل عليه في الثالثة.

فقال: يا صلة تنجيهم من النار، يا صلة تنجيهم من النار، يا صلة تنجيهم من النار. هؤلاء قومٌ ما وصل إليهم من الدين "إلا لا إله إلا الله" فهذه حيلتهم، وهذه قدرتهم، فهذه تنفعهم في هذا الزمن، لأن الله ﷻ لا يُعَذِّبُ على شيءٍ لم يبلغ الناس، وأما الذين بلغتهم

الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، إلى آخره فأعرضوا عن العمل بالكلية كما هو حال الكثير من المسلمين الآن، وقالوا: نحن نقول: لا إله إلا الله فقط، فلا تنفعهم لا إله إلا الله لأنهم أخلّوا بشروطها، ولكن آخر جيل من الناس الذين لا يعرفون من الدين إلا "لا إله إلا الله" ستنتفعهم في زمن الكوارث الطبيعية الكبرى والفتن الكبرى واشراط الساعة الكبرى، ولكن ستسوء الأمور بعد ذلك أكثر فأكثر حتى أن جملة "لا إله إلا الله" لن تصل إلى الأجيال اللاحقة، ولكن سيبقى لوقت لا يعلمه إلا الله لفظ الجلالة (الله) ثم ستسوء الأمور، فلا يبقى في الأرض حتى لفظ الجلالة، كما قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله.. الله»⁽¹⁾، وفي رواية أخرى: «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله.. الله»⁽²⁾. وعند أحمد: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله»⁽³⁾.

إذاً هكذا سيكون حال الناس في آخر الزمان، فالجهل عملية تدريجية ستحدث بصورة سريعة بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام، حتى ينحسر العلم ويظهر الجهل ويعود الناس لعبادة الأصنام في نهاية المطاف قبل قيام الساعة بزمن قليل.

حال مكة والمدينة في الفترة الزمنية بين وفاة سيدنا عيسى عليه السلام وانفجار بركان عدن
لن يقع الخسف في المنطقة الغربية لشبه الجزيرة العربية، فالأحاديث تدل على بقاء الناس في المدينة المنورة عند وقوع آخر علامات الساعة الكبرى ألا وهي بركان عدن، ولكن هناك من الأحاديث التي تذكر رحيل الناس عن المدينة إلى الشام بعد انفجار بركان عدن حتى لا تصل إليهم النار.

إن هذا يدل على أن كل هذه المناطق التي كانت منذ عهد قليل مروجاً وأنهاراً ستصبح رماداً بعد أن تصل إليها النيران بعد انفجار بركان عدن الهائل، ولن يبقى في النهاية سوى مكان واحد صالح للحياة البشرية ألا وهو أرض الشام، حيث ستجتمع في هذه الأرض من تبقى ممن هم على قيد الحياة على سطح كوكب الأرض.

ولكن لنعد بالزمن قليلاً إلى الوراء في الفترة ما بين وفاة سيدنا عيسى عليه السلام إلى أن ينفجر

1 [رواه مسلم: 148].

2 [رواه مسلم: 148].

3 رجاله رجال الصحيح. [رواه أحمد: 13860، وصححه محققو المسند].

بركانُ عدنِ الهائلُ، فهناك من الأحاديث والآثار التي تصف لنا حالَ المدينتين في تلك الفترة، فكما أخبر النبي ﷺ أنَّ الحبشةَ سيأتونها وينقضونها حجراً حجراً، ويسلبونها حليتها، ويجردونها كسوتها، فكما روى الإمامُ أحمدُ عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يباعُ لرجلٍ ما بين الركنِ والمقام، ولن يستحلَّ البيتَ إلا أهلُهُ، فإذا استحلوه فلا يسألُ عن هلكةِ العرب، ثم تأتي الحبشةُ فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه»⁽¹⁾.

ولن يستحلَّ البيتَ إلا أهلُهُ: يعني إذا الذين يستحلوه ليسوا من الأعاجم أو من الكفار، بل هم ناسٌ منهم وفيهم.

إذاً تحت الكعبةِ يوجد كنزٌ مدفونٌ قطعاً ما فيها شكٌ، لكن لا يستطيع أحدٌ أن يستخرجَ هذا الكنزَ إلا الحبشي، وإذا صار في الأرضِ لا يوجد من يقول: لا إله إلا الله، فقد ذهب القرآن من الصدور، ومن المصاحف، فأين هم المؤمنون الذين سيدافعون عن الكعبة...؟ إذا لم يبقَ في الأرضِ إسلامٌ، ولا مسلمون، ولا قرآنٌ، ولا ذكرٌ، ولا تهليل، ولا يُعرف الله ﷻ في الأرض، فعند ذلك يأذن الله بخروجِ الحبشيِّ قال النبي ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين⁽²⁾ من الحبشة»⁽³⁾.

وأخرج الإمامُ أحمدُ من حديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما نحوه وزاد «ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلعُ أفيدعُ»⁽⁴⁾، يضرب عليها بمسحاته ومِعُولِهِ»⁽⁵⁾. وفي روايةٍ للبخاري: «كأني أنظر إليه أسودُ أفحج»⁽⁶⁾ ينقضها حجراً حجراً»⁽⁷⁾ يعني: يهدم الكعبةَ حجراً حجراً حتى يأخذ كنزها.

أما المدينةُ المنورةُ فستترك بعد انفجارِ بركانِ عدنِ الهائلِ وليس بها إلا السباعُ والطيور، أما الناس فلا يوجد فيها أحدٌ، قال النبي ﷺ: «لتتركُنَّ المدينةَ على أحسن ما كانت، حتى يدخلَ

1 [المستدرک: 8395، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة: 579].

2 ذو السويقتين أي له ساقه ضعيفة

3 [رواه البخاري: 1591، ومسلم: 2909]

4 أفيدع أي تباعد ما بين الرجلين والمعنى أن به تشوه في خلقته

5 [رواه أحمد: 7053] قال ابن كثير: إسناده جيد قوي وقال الألباني: هذا إسناده صحيح [السلسلة الصحيحة: 2743].

6 أفحج أي متباعد ما بين الساقين

7 [رواه البخاري: 1595]

الكلبُ أو الذئب فيغذي على بعضِ سوارِي المسجد، أو على المنبرِ» فقالوا: يا رسولَ الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ قال: «للعوافي للطير والسباع»⁽¹⁾.

إذا المدينة ستكون عامرةً باقيةً إلى أيام الدجال، وأيام سيدنا عيسى عليه السلام حيث سيدفن فيها، كما قال أهل العلم أنَّ سيدنا عيسى عليه السلام سيموت ويدفن في المدينة النبوية، لكن بعد ذلك ومع مرور الزمن ورفع العلم ستكون المدينة خراباً ليس فيها بشرٌ ولا أهلٌ ولا سكانٌ، فقد قال النبي ﷺ: «اليسيرن الراكب في جنبات المدينة، ثم ليقول لقد كان في هذا حاضرٌ من المؤمنين كثيرٌ»⁽²⁾.

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي»⁽³⁾ ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مَزِينَةٍ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانَهَا وَحُشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوُدَاعِ خَرَا عَلَى وُجُوهِهِمَا»⁽⁴⁾. إذا سيأتي وقت سيخرج الناس من المدينة ولا يبقى فيها أحد، وراعيان من مزينة يقصدان المدينة يموتان قبل أن يبلغاها. إن في اعتقادي أنَّ هذا الوقت هو الوقت الذي سيحدث فيه خسفٌ كبير جداً بالجزء الشرقي من جزيرة العرب؛ حيث سيموت بسبب هذا الخسف الكثير من الناس في هذا الزمن.

ولك أن تتخيل أخي القارئ ما هي كمية الذنوب والآثام التي ستقترفها تلك الأجيال حتى يحقَّ عليهم نزول العذاب والهلاك بالخسف، فأهل الجزيرة العربية في ذلك الزمان لن يدافعوا عن الحرمين، فأين هي عقول وقلوب أهل ذلك الزمان؟! وإذا كان ذلك هو حال الناس في أرض الحرمين؛ فما بالك بحال الناس في باقي أنحاء العالم في ذلك الزمان..؟!

ولذلك فمن المنطقي أن يكون هناك خسوفاتٌ أخرى صغيرة ومتوسطة وكبيرة بالشرق والمغرب حيث إنَّ الفساد سيتشر في الأرض مرةً أخرى بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام وبأكثر ما نشاهده في يومنا هذا والله اعلم.

1 رواه الإمام مالك في الموطأ [1574]، وهو حديث صحيح [فتح الباري: 4/ 77].

2 [رواه أحمد: 124، وحسنه محققو المسند].

3 العَوَافِي يُرِيدُ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ

4 [رواه البخاري: 1874، ومسلم: 1389].

ترتيبُ الخسوفات الثلاثة بين أشراف الساعة؛

أعتقد -والله أعلم- أنَّ هذه الخسوفات ستأتي متفرقةً من حيث التوقيتُ الزمانيُّ بين وقت انتشار الدخانِ المبين وبين وقت انفجار بركانٍ عدني الهائل، فمن الممكن أن تحدث إحدى تلك الخسوف قبل طلوع الشمس من المغرب ويحدث خسفٌ آخر بعد طلوع الشمس من المغرب أو أن تأتي الخسوفات الثلاثة متزامنةً في نفس الوقت.

ولكنني أعتقد -والله أعلم- أنَّ هذه الخسوفات الثلاثة ستأتي متفرقةً زمنياً ويكون بينها فتراتٌ زمنيةٌ مختلفةٌ ليست ببعيدةً، وستتبع الثلاث خسوفٍ بين أشراف الساعة المختلفة بين آية الدخانِ المبين وبين انفجار بركانٍ عدني الهائل.

الأسباب العلمية للخسوفات الثلاثة؛

لا شك أنَّ للخسوفات الثلاثة علاقةً علميةً بالاضطرابات الجيولوجية والفيزيائية التي ستشهدتها الكرة الأرضية في ذلك الزمن، ولا شك أيضاً بأنَّ هذه الخسوفات ستكون من إحدى التأثيرات الجيولوجية للأرض بسبب المذنب الطارق وانشقاق القمر وكذلك بسبب انفجار البركان الهائل والانفجارات البركانية اللاحقة، فكلُّ أشراف الساعة وما تشملها من كوارث جيولوجية وبيئية مرتبطة بعضها ببعض علمياً، ومؤيدة لقول النبي ﷺ: «خروج الآيات بعضها على إثر بعضٍ، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام»⁽¹⁾. قال ابن حجر: "وقد ثبت أنَّ الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة"⁽²⁾.

1 رواه الطبراني في المعجم الأوسط

2 فتح الباري 77 / 13



الفصل السابع عشر
بُرْكَانُ عَدْنِ وَالرَّيْحِ الطَّيِّبَةِ



بُرْكَانُ عَدَنَ وَالرَّيْحُ الطَّيِّبَةُ



تقع مدينةُ عَدَنَ جنوبَ شبه الجزيرة العربية، وهي مدينةٌ ساحليةٌ تطلُّ على خليجِ عَدَنَ، وقد تكونت من بركانٍ عظيمٍ جداً انفجر من جانبِ البحرِ واستمرَّ دهرًا، ثم بعد خموله وبروده أصبح له فوهةٌ مقعَّرةٌ ككلِّ البراكين ولكنها كبيرةٌ جداً، وأصبحت فيما بعد مدينةَ عَدَنَ التاريخية، لم يكن أحدٌ يعرف في الماضي أنَّ مدينةَ عَدَنَ تقع فوق فوهةِ بركانٍ حتى جاء الإنجليزُ واستعمروا عَدَنَ، ومع بداية عصر الطيران ورصد المدن من ارتفاعات عاليةٍ عندئذٍ ظهرت مدينةُ عَدَنَ كمدينةٍ مقعَّرةٍ السطح، وفوهةٌ عظيمةٌ لبركانٍ عظيمٍ هائلٍ خامدٍ كما قال النبي ﷺ في الحديث، فسموها الإنجليزُ مدينةَ فوهةِ البركان (1) (2) كريتير أو مدينةَ كريتير وهو الاسمُ غيرُ الرسميِّ لمديرية صيرة في محافظةِ عَدَنَ في اليمن؛ حيث يستخدم السكانُ في محافظةِ عَدَنَ (صيرة وعَدَنَ وكريتير) بشكلٍ شائعٍ للإشارة إلى نفسِ المديرية، وقد قامت البعثةُ الملكيةُّ البريطانيةُ لعلوم البراكين خلال عام 1964م بدراسةِ بركانِ عَدَنَ بقيادة البروفيسور (3) (4) (5) (6) الذي بدأ ورقته العلمية بقوله (إنَّ البراكين الحالية ما هي إلا ألعابُ ناريةٌ أمام بركانِ عَدَنَ) وذلك من خلال التركيبِ البنيويِّ لتلك البراكين وبركانِ عَدَنَ.

معلومات عن بركان عدن؛

- 1- يعتبر بركان عدن أحد المراكز البركانية الستة التي تقع على خطٍ بركانيٍّ واحدٍ وقد حدث نشاطٌ قبل فترةٍ في أحد هذه المراكز البركانية الستة.
- 2- يتصل بركان عدن بلب الأرض مباشرةً وسوف يكون انفجاره القادم بشكلٍ مربعٍ لدرجة أنه سيحشر الناس جميعاً لأرض المحشر.
- 3- قوة انفجار بركان عدن ستكون لدرجة أن البحار جميعاً ستصبح حمماً ناريةً. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝﴾ [التكوير].
- 4- البراكين الكبيرة عادةً تصاحبها الزلازل بسبب تكسر طبقات الأرض وانزلاق القشرة الأرضية محدثةً للزلازل، ونتيجةً لذلك سوف تُلقى الأرض بأثقالها من الحديد والنيكل المنصهرة بكميات ضخمة، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝﴾ [الزلزلة].
- 5- بركان عدن وبها وصفه النبي ﷺ يرقى إلى مرتبة البراكين الهائلة التي ذكرنا تأثيرها في فصل الدخان المبين⁽¹⁾، فتصنيفه من حيث هذا الوصف يرقى إلى الدرجة الثامنة في مؤشر التفجّر البركانيّ.

الإعجاز العلمي والجغرافي والتاريخي والفيبيّ لحديث النبي ﷺ عن مدينة عدن؛

- 1- أخبر النبي ﷺ أن عدن مدينة مقعرة الشكل فقال (قعر عدن) وهذا لم يتّضح إلا بالتصوير عن بعد بالطيران أو بالأقمار الصناعية.
- 6- أخبر النبي ﷺ أن عدن تقوم على بركانٍ خامدٍ، ولكن امتداده بالفعل يصل لللب الكرة الأرضية الذي هو معروف أنه كتلة ضخمة جداً من الحديد والنيكل المنصهر، وقد خرجت الحمم النارية من هذا البركان في ثورة عظيمة في المياه القريبة من الساحل كوّن بعدها هذا البركان جبلاً ضخماً فوقه فوهة عظيمة كانت هي مدينة عدن، وستخرج النار مرةً أخرى من نفس المكان وهذا أمرٌ معتادٌ في معظم البراكين في العالم، وسيكون الخروج الأخير في صورةٍ أشدّ وأقوى؛ حيث سيسوق فيها البشر لمكان الحشر بأرض

1 أنظر البركان الهائل في فصل الدخان المبين

الشام، وكما هو معلوم أن البراكين الكبيرة تكون مصحوبةً بزلازل بسبب تكسر طبقات القشرة الأرضية جرّاء اندفاع الحمم البركانية من قاع الأرض إلى الطبقات العليا مما يسبب انزلاقاً لطبقات القشرة الأرضية محدثةً ما يسمى بالزلازل من قبل خروج الحمم إلى سطح الأرض، ثم بعد حدوث الزلازل تكون الحمم البركانية قد أُلقت بأثقالها من الحديد المنصهر فوق سطح الأرض، ولذا تجد قول الله ﷻ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة]. وهذا يعني أن نهاية أحداث آخر الزمان وبداية يوم القيامة ستكون ناراً من البراكين بالبر والبحر، وأقواها على الإطلاق نارُ بركانِ عدن تدفع الناس لأرض المحشر بالشام، فهناك علاقة وثيقة بين الزلازل والبركان، فكلاهما يعمل بنفس الآلية، ويعتبر العلماء اليوم بعض الزلازل مؤشراً على قرب حدوث البركان الذي تقذف فيه الأرض كميات كبيرة من الحمم المنصهرة؛ من هنا ندرك أنه توجد علاقة بين الزلازل وبين ما تخرجه الأرض من صخور ملتهبة على شكل براكين، ولذلك فإن البيان الإلهي ربط هاتين العمليتين بعضهما فأكد على حدوث الزلازل أولاً، ثم إخراج الأرض أثقالها (أي الصخور الملهته وهي طبعاً ثقيلة وأثقل من الصخور التي على سطح الأرض لأنها عبارة عن حديد ونيكل في معظمها).

بركان عدن في الحديث الشريف:

لقد صحّ الحديث في النار التي تخرج من عدن وتحشر الناس إلى الشام، ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْدَّجَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»⁽¹⁾ [رواه مسلم]..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَائْتِنَانٍ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ. وَيُحْشَرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارَ،

1 الحديث رواه: الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، ومسلم، وأهل السنن. وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أُمْسُوا» [رواه البخاري ومسلم].

قال القاضي عياض في "إكمال المعلم" (391/8): "وقوله: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. وتحشر بقيتهم النار، تبیت معهم حيث باتوا» الحديث: هذا الحشر هو في الدنيا قبيل قيام الساعة، وهو آخرُ أشراطها كما ذكره مسلمٌ بعد هذا في آيات الساعة، قال فيه: (وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من قعر عدن تُرْحَلُ الناس) وفي رواية: (تطرد الناس إلى محشرهم) وفي حديثٍ آخر: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز) ويدل أنها قبل القيامة". انتهى الاقتباس.

ولا يمنع من انتشار النار في الأرض كلها وجود البحار، فإن البحار يوم القيامة تتفجر ناراً، كما في هو أحد تفسيرات العلماء لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير]. فهذه النار هي آخرُ علامةٍ من علامات الساعة الكبرى، ولا يبقى بعدها إلا النفخ في الصور.

أحاديث نبوية تختلف في مكان خروج النار:

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعرة عدن وأحاديث أخرى من الشرق.

- 1- جاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله ﷺ: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم» [رواه مسلم].
- 2- وفي رواية له عن حذيفة أيضاً: «ونارٌ تخرج من قعرة عدن ترحل الناس» [رواه مسلم].
- 3- وروى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نارٌ من حضرموت أو من بحر حضرموت، قبل يوم القيامة، تحشر الناس» (قال الألباني: "صحيح". انظر: صحيح الجامع الصغير).
- 4- وروى الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة..؟ فقال النبي ﷺ: «أما أول أشراط الساعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» [رواه البخاري].

لقد تسبب اختلاف مكان خروج النار في الأحاديث إلى الخلاف في الرأي بين العلماء، فقد قال الحافظ بن حجر رحمه الله عن هذا الاختلاف ما يلي: "وظهر لي وجه في الجمع، أن

كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها للناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أنَّ ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلّها، والمرادُ بقوله: تحشر الناس من المشرق إلى المغرب إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق" (1).

وهذا الرأي يعنى: تخرج من قعر عدن النار، ثم تذهب إلى المشرق، فتحشر أهل المشرق إلى الشام، ثم تذهب إلى المغرب، فتحشرهم كذلك تعم الأرض، تأتي بكلّ الناس الذين في الأرض تأتي بهم إلى الشام، رغماً عنهم سيساقون بالنار إلى هذه البقعة التي ستقوم عليهم فيها الساعة، ويموتون جميعاً، آخر جيلٍ من البشرية.

بركان هائل هو أول أشرار الساعة وبركان هائل آخر أشرار الساعة

لقد تواردت الأحاديث على إثبات هذه العلامة، وجاء أنها أوّل أشرار الساعة، فكيف الجمع بينها وبين حديث حذيفة أنها آخر الأشرار..؟

إنَّ ما جاء في بعض الروايات بأنَّ خروج النار سيكون من اليمن وستحشر الناس إلى الشام، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فأجيب عن ذلك من وجهة نظري -والله اعلم- بأنها ناران، نارٌ ستكون أوّل أشرار الساعة وستسبب الدخان كما ذكرنا سابقاً في فصل الدخان المبين، وهذه النار ستسبب في هجراتٍ جماعيةٍ من مناطقٍ مختلفةٍ في العالم أصبحت غير صالحةٍ للمعيشة إلى مناطقٍ أخرى صالحةٍ للمعيشة.

ونارٌ أخرى ستكون آخر أشرار الساعة مصدرها هو بركان عدن حيث ستحشر باقي الناس إلى المكان الوحيد في العالم الذي سيكون صالحاً للحياة البشرية على سطح الكرة الأرضية ألا وهي أرض الشام.

إن بركان عدن سيتسبب في إحراق الغابات والمزارع في الأجزاء المتبقية الصالحة للحياة على سطح الأرض بفعل الحرارة والمقذوفات البركانية، فلا يبقى في النهاية سوى بلاد الشام التي ستكون المكان الوحيد الصالح للحياة البشرية على سطح الكرة الأرضية قبل قيام الساعة بقليل.

الريح الطيبة؛

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ الْيَمَنِ، أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ قَالُ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ» [رواه مسلم]. أي ستأتي ريحٌ من اليمن، وتقبض المؤمنين، كمس الحرير، لا تترك نفساً فيها مثقال حبة من الإيمان إلا تقبضها.

وقد جاء في حديث آخر في رواية لمسلم في هذه الريح أن رسول الله ﷺ: ذكر الدجال «يخرج الدجال في أمّتي، فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة» قال في الحديث: «فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحداً دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه». قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا». كلها طبائع عدوانية، عقول مثل عقول الطير ما فيها خفيفة. قال: «ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور»⁽¹⁾.

ما هو توقيت الريح الطيبة؟

لقد وضعت الريح الطيبة مع بركان عدن في هذا الفصل لأنني أعتقد أن الآيتين متزامنتين وفي نفس الوقت لعدة أسباب:

1- مصدر النار من عدن باليمن ومصدر الريح الطيبة من اليمن أيضاً، فليس هذا محض صدفة فكلتا علامتين بالتأكيد لهما علاقة ببعضهما.

2- جميع علامات الساعة كان بها إشارات لوجود مؤمنين كما في عصر المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من المغرب، عدا أرض المحشر بالشام فلا ذكر لوجود مؤمنين في أرض المحشر بالشام قبل قيام الساعة، ففي صحيح مسلم جاء فيه: (كُنْتُ عِنْدَ مُسْلِمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَقُومُ

السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةُ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسَّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا فَبَضَّتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» (1).

3- بعد الانفجار البركاني الهائل الأول الذي سيسبب الدخان المبين سيؤدي إلى اختناق الناس، فأما المؤمن؛ فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر؛ فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه، فهذا سيحدث خلال الأسابيع الأولى بعد الانفجار البركاني الهائل الأول. أما حين انفجار بركان عدن فسيرسل الله ﷻ ريحاً باردةً فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته، ففي النار الأولى كانت رحمةً بالمؤمنين وفي النار الثانية كانت رحمةً بالمؤمنين أيضاً حتى لا يعانون من رحلة الحشر إلى أرض الشام، ومن رؤية أهوال يوم القيامة، ففي الغلب سيموت المؤمنون بعد انفجار بركان عدن بسبب مواد كيميائية تخرج منه ستسبب في وفاتهم، فتقتصر معظم الهجرات البشرية إلى الشام على غير المؤمنين فقط والله اعلم.

كيف سيهاجر ما تبقى من الناس إلى الشام:

يحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان، وهي أرض المحشر؛ كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة:

1- جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت، أو من نحو بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس». قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام» (2).

1 رواه مسلم في صحيحه [1924].

2 [رواه أحمد: 5146، والترمذي: 2249، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة: 2768].

- 2- وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه.... (فذكر الحديث، وفيه قوله ﷺ): «ها هنا مُحْشَرُونَ، ها هنا مُحْشَرُونَ، ها هنا مُحْشَرُونَ (ثلاثاً) ركبناً، ومشاة، وعلى وجوهكم». قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام، فقال: «إلى ها هنا مُحْشَرُونَ»⁽¹⁾.
- 3- وفي رواية الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه؛ قال: قلت: يا رسول الله أين تأمرني..؟ قال: «ها هنا» (ونحا بيده نحو الشام)⁽²⁾.
- 4- وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تنذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا»⁽³⁾، وتأكّل من تخلف»⁽⁴⁾.
- 5- وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ عن الرسول ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ، رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَيُحْشَرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارُ، تَقْبِلُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُبَيِّتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتَمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»⁽⁵⁾.

حشر في الدنيا وحشر في الآخرة:

عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ. وَيُحْشَرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارُ، تَقْبِلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُبَيِّتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتَمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا» [رواه البخاري ومسلم].

ليس معناه أنَّ كلَّ العشرة فوق البعير الواحد، لا يتحمل، لكن المقصود أنه يركب بعضهم، والآخرين يمشون، ثم ينزل الذين ركبوا ويركب الآخرون، ثم ينزل الذين ركبوا ويركب الآخرون، وهكذا يعتقبون، وهذا إنما يدل على أن سعر البعير وركوبه في هذا الوقت

1 مسند أحمد" (بهامشه منتخب كنز العمال).

2 رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

3 قالوا تعنى: قبلولة

4 مسند الإمام أحمد قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

5 [رواه البخاري: 6522، ومسلم: 2861].

سيكون باهظ الثمن بالنسبة لناسٍ أصبحت بيوتهم التي ستركونها مهاجرين جميعاً إلى الشام لا تساوي شيئاً، لأنَّ هذه البيوت التي ستركونها ستكون مهجورة وستأكلها النيران.

يعنى: يتوالون على البعير، مشواراً طويلاً يحتاجون إلى الدواب، والنار معهم إذا نزلوا، النار معهم إذا مشوا، النار وراءهم إذا باتوا، النار معهم، وهكذا حتى توصلهم إلى مكان أرض المحشر بالشام في رحلة تستغرق أياماً وشهوراً، مع ملاحظة عدم وجود طائرات ولا وسائل النقل الحديث كما في عصرنا الحالي، فهذا العصر أشبه ما يكون عليه الحال بما كان عليه حال البشر في العصور الوسطى.

بعض العلماء فهموا أنَّ هذا الحديث المقصود به الحشر في يوم القيامة، يعنى: المقصود أنَّ الحشر بعد الخروج من القبور، لكن البعض الآخر فهموا أنَّ هذا قبل قيام الساعة، أنَّ هذا حشر النار التي ستخرج من بركانِ عدنٍ وليس الحشر من القبور في يوم القيامة.

إنَّ الحشر حشران: حشرٌ قبل قيام الساعة، وهو حشر كل الناس بسبب بركانِ عدن إلى الشام والذي سينفخ في الصور بعدها والناس متجمعين فيها ويموتون. وحشرٌ آخر عند قيام الساعة والذي سيكون بعد نفخة البعث؛ فهو سيحدث عندما يخرج الناس من قبورهم إلى أرض المحشر، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم].

وقد ورد في رواية أنَّ الحشر يكون في القيامة، لكن هذا ليس هذا هو الراجح، والراجح أنَّ الحشر المذكور في حديث البعير وثلاث طرائق أنه سيكون في آخر عمر الدنيا، حين تخرج النار من قعر عدن تحشر الناس من الأرض؛ هذه النار مكان خروجها اليمن من قعر عدن، لكن ستتشر في جميع الأرض في كل المعمورة، وأيُّ أحد موجود في أي مكان في العالم ستأتي به النار إلى الشام، وهذا الذي قال به الخطابي، والقرطبي، والقاضي عياض، والنووي، والطبري، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم من أهل العلم⁽¹⁾.

إن الحشر الذي نتحدث عنه هو حشر في آخر الزمان وقيل القيامة، وقيل النفخ في الصور، حيث ينفجر بركان من قعر عدن فتحشر بقية الناس إلى الشام.

روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضهم، تنذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا⁽¹⁾، وتأكل من تخلف⁽²⁾».

هذا ما يؤكد أنَّ الحشر هو حشر في الدنيا؛ لأنَّ نار الآخرة لن تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، فلا نوم في حشر يوم القيامة، لكنَّ هؤلاء الذين يحشرون من أقطار الأرض إلى الشام النار لهم بالمرصاد، النار وراءهم حتى يأتوا مرغمين إلى تلك المنطقة. وجاء في الحديث أنَّ من تخلف عنها أكلته؛ لذلك مضطرين إلى الذهاب إلى ذلك المكان، ولو كان في الآخرة فلا دواب في المحشر، ولا أكل ولا شرب.

هذا آخر جيل من البشرية ما فيه خير أبداً، لا يعرفون لفظ الجلالة أصلاً، لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله الله.

هذه هي نهاية الناس على كوكب الأرض، فبعد انفجار بركان عدن الهائل سيحشرون إلى ذلك المكان، تأكل النار من تأكل، والبقية سيصلون هناك، ويكون هذا الحشر من جميع أقطار الأرض التي كانت صالحة للمعيشة بعد انفجار البركان الهائل الأول، والخسوفات الثلاثة الكبرى؛ ليلقى آخر أجيال البشرية مصيرهم في أرض الشام وقبل أن تقوم الساعة بقليل.

1 قالوا تعنى: قيلولة

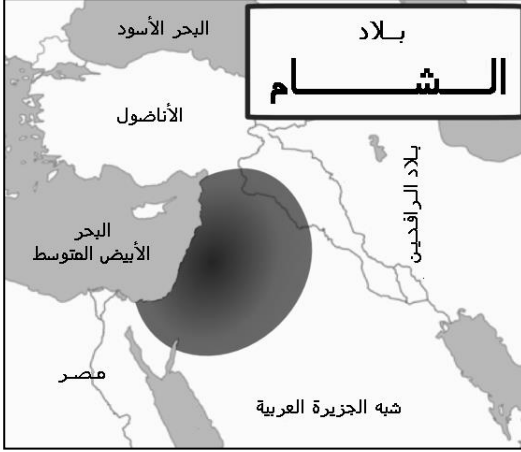
2 مسند الإمام أحمد قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.



الفصل الثامن عشر أَرْضُ الْمُحْشَرِ بِالشَّامِ وَقِيَامُ السَّاعَةِ



أَرْضُ الْمُحْشَرِ بِالشَّامِ وَقِيَامُ السَّاعَةِ



الشَّامُ هي منطقةٌ جغرافيَّةٌ عربيَّةٌ تابعةٌ للقارَّةِ الآسيويَّةِ، وتضمُّ أربعَ دولٍ، وهي: لبنان، وفلسطين، وسوريا، والأردن، ومن الممكن إضافةُ بعضِ الأقاليم التي تشكَّلت من أراضيها، مثل: الأقاليم السوريَّة الشماليَّة التابعة إلى تركيا، وصحراء سيناء بمصر، ومنطقة الجوف ومنطقة تبوك التابعة للسعوديَّة،

ومدينتي الموصل التابعة للعراق، وهذه هي آخر منطقةٍ ستكون صالحةً للحياة البشرية قبل قيام الساعة، وسنذكر في هذا الفصل أحوال الناس في هذه المنطقة بعد آخر الهجرات الجماعيَّة من جميع أنحاء كوكب الأرض إلى هذه المنطقة بعد انفجار بركانٍ عدنَّ.

ما هي العبادة المنتشرة في الشام قبل قيام الساعة ..؟

جاء في روايةٍ لمسلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في الحديث: «فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرةٍ من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبِدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه». قال: «فيقي شرارُ الناس في خفَّةِ الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا». كُلُّها طبائعٌ عدوانيَّةٌ، عقولٌ مثل عقولِ الطير ما فيها خفيَّةٌ، قال: «ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطانُ فيقول: ألا تستحيون ..؟! فيقولون: فما تأمرنا ..؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور»⁽¹⁾.

وفي روايةٍ أخرى عند مسلمٍ أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتى لا يُقالَ في الأرض: الله.. الله».

ففي هذا الزمان وفي هذه الأرض لا وجودَ لإسلامٍ ولا مسلمين، فالديانةُ السائدةُ في

ذلك الزمان هي عبادة الاصنام، ولك أن تتخيل أخي القارئ ما هو وضع الناس في ذلك الزمان.

الزنا العنفي في الطرقات:

عن أبي أمامة رضي الله عنه في حديث طويل قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء إقبال وإدبار وإن من إقبال هذا الدين ما بعثني الله به». ثم ذكر من إدبار الدين أن تحفوا القبيلة كلها من عند آخرها الحديث إلى أن قال: «وتنحل الحمرة غير اسمها حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها إلا حلت عليهم اللعنة وقال حتى تمر المرأة بالقوم فيقوم إليها بعضهم فيرفع ذيلها وينكحها وهم ينظرون كما يرفع ذنب النعجة وكما أرفع ثوبي هذا». ورفع رسول الله ﷺ ثوباً عليه من هذه السحولية⁽¹⁾.. «فيقول: القائل منهم لو نحيتها عن الطريق فذلك فيكم كأبي بكر وعمر فمن أدرك ذلك الزمان وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فله أجر خمسين ممن صحبني وآمن بي وصدقني..» [رواه الطبراني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترسها في الطريق فيكون خيارهم يومئذ من يقول لو واريثها وراء هذا الحائط»⁽²⁾ [رواه أبو يعلى].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد لله فيه حاجة، وحتى توجد المرأة نهاراً جهاراً تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد، ولا يغيره، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو يجبتها عن الطريق قليلاً» [رواه الحاكم]. ولكن هذا الحديث رغم ضعفه فإنه يشهد له ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «... إذ بعث الله رجلاً طيباً، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمرة فعليهم تقوم الساعة». يتهارجون تهارج الحمرة أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكثر ثون لذلك.

1 السحولية هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن

2 رواه أبو يعلى (43/11) (6183). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (7/334): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق؛

أخبر النبي ﷺ عن حال هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة بكل ما فيها من شدائد وأهوال، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» (1).

وجاء في صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن شماس المهرري قال: كنت عند مسلم بن مخلد، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبدالله: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم، فبينما هم على ذلك" -المجتمعون هؤلاء- يتكلمون أقبل عقبة بن عامر، فقال له مسلم: يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله، فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علي أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضروهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك، فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفساً فيها مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة هذا» (2).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

لقد أخبر الحبيب المصطفى ﷺ عن حال هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة بكل ما فيها من شدائد وأهوال، فبعد أن ذكر النبي ﷺ هلاك المسيح الدجال على يدي عيسى عليه السلام قال كما في صحيح مسلم: «ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام؛ فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه»، ثم قال ﷺ: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً. فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان؛ وهم في ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم. ثم يُنفخ في الصور...».

قوله ﷺ: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع». قال العلماء: معناه يكونون

1 رواه أحمد (3844) وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند .

2 رواه مسلم في صحيحه [1924].

في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع العادية.

الساعة تباغت الناس وتفاجئهم:

ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها».

وفي رواية عند مسلم: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه⁽¹⁾ حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلبط في حوضه⁽²⁾ فما يصدر حتى تقوم».

يوم القيامة:

يوم القيامة هو اليوم الذي سيبعث الله ﷻ جميع الخلائق للحساب بعد موتهم، وقد سُمي بهذا الاسم لأن الناس يقومون فيه لرَبِّ العالمين، وسُمي أيضاً باليوم الآخر لأنه يكون بعد نهاية الحياة الدنيا، وله عدة أسماء أخرى وجميعها تصف أهواله وأحواله وتذكر بضرورة الاستعداد له، فقد جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية أن يوم القيامة سيكون يوماً عظيماً، وفيه الكثير من الأحوال غير المألوفة والمظاهر المخيفة، حيث سيُنْفَخ في الصور ويكون ذلك على مرتين؛ فيُنْفَخ في الصور أول مرة ليموت جميع الخلائق إلا ما شاء الله، ثم تكون النفخة الثانية التي يقوم منها الأموات ويُبْعَثُونَ مرة أخرى للحياة؛ حتى يحاسبهم الله ﷻ.

أما التغيرات التي تحصل على الأرض فإنها تنزل زلزلة عظيمة، وتُدكُّ الجبال وتُسْف كَأَنها لم تكن، فالأرض تصبح كالبساط، أما البحار فتشتعل فيها النيران وتتوقد، فتُخرج الأرض أثقالها من الأموات والكنوز، أما الإنسان فيكون مذعوراً وخائفاً من كل هذه المظاهر، قال الله ﷻ: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوءُ﴾ [القيامة].

1 إلى فيه أي إلى فمه.

2 يلبط في حوضه: أي يطينه ويصلحه.



الفصل التاسع عشر إحصائيات مختلفة لأشراط الساعة



إحصائيات مختلفة لأشراط الساعة



لقد وقف الإسلام من قضية العلم بالغيب موقفاً حاسماً واضحاً، فبين أن لا أحد في السموات ولا في الأرض يعلم الغيب إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل]. فقد نفى الله ﷻ علم الغيب عن أقرب الخلق إليه، وأطوعهم له، وهم الملائكة والأنبياء والمرسلون، فقال للملائكة وقد تساءلوا: كيف يستخلف في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ..؟ ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

وقد تبرأ الأنبياء والرسل أنفسهم من ادعاء علم الغيب، فنوح عليه السلام كان يقول لقومه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [هود: 31]. ونبينا ﷺ أمره ربُّه أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: 50]، وحتى الجن الذين يعتقد الكثير فيهم معرفة الغيب، بين الله ﷻ أنهم لا يملكون هذه القدرة، وذكر كيف أنهم ظلُّوا مسخرين في الأعمال الشاقة التي استعملهم لها سليمان عليه السلام حتى بعد وفاته، ولم يعلموا بموته إلا بعد سقوطه حين أكلت الأرض عظامه التي يتكئ عليها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ أَلْمُوتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ].

إذا فاعلم الغيب هو من خواص الله ﷻ، ولا طريق لمعرفة والاطلاع عليه إلا عن طريقه سبحانه، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [آل عمران: 64] إلا من ارتضى من رسول فإنه و يسئلك من بين يديه ومن خلفه رصداً [الجن: 27].

ولكن مع ذلك فإن الله ﷻ أمرنا أن نسير في الأرض لنعلم أحوال الغابرين ومصائرهم بسبب عصيانهم وجحودهم للاتعاط والتفكير، ومن هذا الباب يحقُّ لنا أن نتذكر ما سيكون لنعِدَّ العدة ونتأهب لتلك الأيام.

وإذا كان الفلكيون اليوم قد أعطاهم الله ﷻ من القدرات والإمكانات ما يستطيعون بها أن يحددوا أنواع الزلازل ومواعيدها والأعاصير وأوقاتها، والبراكين وأيام حدوثها، وأعداد الخسوف والكسوف وتحديد ساعاتها، ولم يقل أحدٌ من العقلاء أن هذا من علم الغيب ولا

هو من التنجيم، بل أمرنا الله ﷻ أن نستخدم ما سخره لنا من كواكب وأفلاك والشمس والقمر لحساب ومعرفة موافيت الحج والصوم وغير ذلك، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189]. إذن فما دام الأمر كذلك فلا مانع إذن من محاولة معرفة زمن تلك الأحداث فهي مقدمات على اقتراب الساعة وليس تحديدا لها، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر]، هذا بالإضافة إلى أننا لو سلمنا أن موعد طلوع الشمس من مغربها سيكون في يوم كذا؛ فلن يكون ذلك عائقا عن طاعة الله ﷻ ولا سببا للتقاعس عن العمل للأخرة، بل ولا حتى العكس، فكل مُيسر لما خلق له، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، فالأمر إذن لا يعدو كونه تجميعا لعصارة ما يصل له العلماء من نتاج علمي في أمر أخبرنا به الله ﷻ أو رسوله ﷺ، ولذلك فقد حاولت بدوري من خلال هذا الفصل الجمع بين النص الصحيح من القرآن والسنة وبين الحقيقة العلمية بناء على آخر ما توصل له العلم الحديث لكي أخرج بتلك الإحصائيات التقريبية والله أعلم.

الآيات التي تذكر الرسل المنتظرين:

رسول البينة: قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۝﴾ [البينة].

الرسول الشاهد: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [هود].

الرسول النذير بعذاب الدخان: قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَأَرْسَلْنَا مِنْ تَأْتِي السَّمَاءِ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَتَىٰ لَهُمُ الدَّكْرَىٰ ۚ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝﴾ [الدخان].

الرسول الدابة : قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل].

نزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان : قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٣٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٦﴾ [الزخرف].

وهناك آيات أخرى تبشّر برسول جديد ولكنني لم أذكرها لأنني خشيت أن تكون من الآيات المتشابهات ولأنني لم أجمع الأدلة الكافية على أن الرسول المقصود في هذه الآيات هو رسول قادم، مثل الآية الكريمة التي تتحدث عن الرسول المصدق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران]. فالنبي محمد ﷺ مذكور أنه من جملة هؤلاء الأنبياء في آية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب]، فمن هو الرسول المصدق المذكور في الآية الأولى؟ ومع ذلك لم أدخل في تفاصيل الرسول المصدق المذكور في سورة آل عمران، فتلك النوع من الآيات تُعدُّ بالنسبة لي من الآيات المتشابهات التي حذرنا الله ﷻ من تأويلها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران]. فتأويل مثل هذه الآيات المتشابهات سيكون مع الرسول القادم الذي سيوحى إليه الله ﷻ تأويل مثل تلك الآيات.

التسلسل الزمني لأشراط الساعة:

من خلال ربط آيات القرآن الكريم بالأحاديث النبوية والآثار مع النظريات العلمية التي تم وضعها في هذا الكتاب، من الممكن أن نضع ترتيباً مبسطاً بصورة تقريبية، وليست

نهائيةً لعلامات الساعة، مع العلم بأن ترتيب الأحداث التي سنعرضها هنا من الممكن أن يتغير ترتيبه ومن الممكن أن تكون الآيات القرآنية التي تُشير إلى رسولٍ قادمٍ لا تشير إلى المهدي بل إلى رسولٍ آخر، سواءً كان سيدنا عيسى عليه السلام أو أي رسولٍ غيرهما، فما نضعه هنا هو ربطاً لأحداثٍ مستقبليةٍ مذكورةٍ في القرآن والسنة، وهي في علم الله تعالى وما نحاول الاجتهاد فيه هو ربط هذه الأحداث وترتيبها حتى نصل إلى أقرب قدرٍ ممكن من الترتيب، فإنني لم أجد نصّاً صريحاً يبين ترتيب أشرطة الساعة الكبرى حسب وقوعها، وإنما جاء ذكرها في أغلب الأحاديث مجمعةً بدون ترتيب، إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو، وذلك لا يقتضي الترتيب، وقد اختلف العلماء في ترتيب هذه العلامات؛ لأنهم لم يقفوا على نصٍّ صريحٍ يجمع هذه العلامات مرتبةً ترتيباً زمنياً، فالحديث الذي جمع هذه العلامات، وردت له رواياتٌ متعددة، كلُّ روايةٍ لها ترتيبٌ مختلفٌ عن الأخرى، وأياً كان الأمرُ فالله تعالى أعلم بترتيبها الزمني، إلا أنَّ المعلومَ لدينا أنه إذا ظهرت علامةٌ تبعثها بقيةُ العلامات، فتظهر على إثرها في تتابعٍ سريعٍ؛ وفيما يلي هو ترتيب الأحداث بدءاً من فتنة الدهماء وحتى قيام الساعة من وجهة نظري والله أعلم :

1- فتنة الدهماء في نهاية الحكم الجبري وهي أول إشارةٍ باقتراب ظهور أشرطة الساعة الكبرى -والله أعلم- هل نحن الآن في هذه الفتنة أم ستكون هناك فتنة أخرى في زمنٍ لاحقٍ لهذا، وهي الفتنة التي سيظهر في نهايتها المهدي وما يعقب ذلك من توالي علامات الساعة، ولكنني أرجح أننا الآن نعاصر تلك الفتنة المشار إليها في عدة أحاديث نبويةٍ مختلفةٍ والتي سيظهر في نهايتها المهدي والله أعلم.

2- إصلاح المهدي في إحدى الليالي المباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ [الدخان]. حيث ستكون هذه الليلة هي ليلة نزول الوحي على المهدي بما قد ذكرناه سابقاً في ليلة الإصلاح، كما سيتم تكليفه في هذه الليلة بإنذار الناس بعذاب الدخان.

3- سيبدأ المهدي دعوته للمسلمين للعودة إلى طاعة الله تعالى ودعوته لغير المسلمين للإسلام، والا سيقع عليهم عذاب الدخان، ولكنه سيقابل من أغلب الناس بالكذب والسخرية، وسيقال له من أغلب المسلمين أنه لا رسول بعد النبي صلى الله عليه وآله.

4- سيكون مع المهدي بناتٌ تلقاها أثناء ليلة الإصلاح تُثبت رسالته وسيعرضها على

- الناس جميعاً لإثبات أنه رسولٌ من عند الله ﷺ (1).
- 5- سيُقال عن المهدي بأنه مجنونٌ وأنَّ هناك أحداً ما يُعلمه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ [الدخان] (2).
- 6- سيظهر المذنبُ الطارقُ (النجم ذو الذنب) في السماء وسيقترب من جاذبية الأرض.
- 7- في حالة ضربِ المذنبِ للقمرِ سينشقُ القمرُ لإنذارِ الناسِ بعذابِ الدخانِ وسيتمُّ إتهامُ المهدي بأنه ساحرٌ أو دجال، قال تعالى: ﴿أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (3) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ [القمر]. (4) (احتمال أن تكون آية انشقاق القمر في زمن المهدي أو فيما بعده، ولكنَّ الاحتمال الأكبر أنَّها ستكون قبل آية الدخانِ بناءً على النظريات العلمية التي قدمناها والله أعلم).
- 8- ستكون هناك حالةٌ من الشكِّ والترقب لتحذيرات المهدي بعذابِ الدخان، ولكنَّ الناسَ لن تستجيبَ لدعوته من قِبلِ الدولِ غيرِ الإسلامية أو من المسلمين المنافقين، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ [الدخان]. (4)
- 9- إما أن ينفجرَ بركانٌ ضخْمٌ نتيجةً تأثيرِ انشقاقِ القمرِ -وهذا الاحتمالُ الأكبرُ من وجهة نظري، أو أن يسقطَ مذنبٌ على الأرض مما يؤدي إلى انتشارِ الدخانِ في سماءِ الكرة الأرضية وهذا احتمالٌ أقل، مما سيتبع عن كلا الاحتمالين عذابٌ أليمٌ لملايين البشر، وسيؤدي إلى إسلام عددٍ كبيرٍ من غير المسلمين، قال تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ أَلَيْسَ لَهُمُ الدِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ [الدخان]. (5)
- 10- أحدُ الحُكام المسلمين سيرسل جيشاً للقبض على المهدي أو قتله للقضاء على دعوته في البداية، حيث سيؤمِّن عددٌ من الناس بدعوة المهدي وسيجتمعون حوله، ولكن سيتم

1 أنظر فصل رسول البينة

2 أنظر فصل الدخان المبين

3 أنظر فصل انشقاق القمر مع العلم أن هذه الآية من الممكن أن تكون خاصة بالمهدي أو رسول آخر والله أعلم

4 أنظر فصل الدخان المبين

5 أنظر فصل الدخان المبين

الخسفُ بهذا الجيش.

11- بيعة المسلمين للمهدي كقائد لهم وستتحد دولٌ إسلاميةٌ كثيرةٌ تحت راية المهدي فتعودُ الخلافةُ الإسلامية مرةً أخرى إلى خلافةٍ على منهاج النبوة.

12- من المحتمل أن يكون المهدي هو الدابة، فيكونُ معه عصى سيدنا موسى عليه السلام فيلمسُ بها وجهَ المؤمن فيخرجُ منه نورٌ يميزُه عن الكافر، كما يحتمل أن يكونَ معه خاتمُ سيدنا سليمان عليه السلام فيلمسُ به وجهَ الكافر فتعتليه الغبرة وتميزُه عن المؤمن، وينادي الناسُ على بعضهم: (يا مؤمن، ويا كافر).

13- ستندلع ملحمة الإسكندرية وسيتمُّ تحريرُ فلسطين، ثم تندلع الملحمة الكبرى وما يعقبها من انتصارُ المسلمين.

14- فتحُ القسطنطينية وظهورُ الإسلام على الدين كله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة].

15- ظهورُ المسيح الدجال وما يسبقُ ظهورَه ثلاث سنوات من الجفاف نتيجةً لتأثير انفجارِ البركان الهائل، وسوف تتقلصُ دولة المهدي حيث ستكون دولته عبارةً عن مكة والمدينة والقدس، وسيكون مقرُّ إقامة المهدي في القدس ومعه من تبقى من جنوده وأتباعه محاصرين فيها، وسيتبع المسيح الدجال عددٌ كبيرٌ من الناس، وما يعقبُ ذلك من فرارِ المؤمنين من فتنة الدجال.

16- اضطرابٌ في زمن حركة دوران الأرض حول نفسها حيث سيلبثُ المسيح الدجال في الأرض لمدة أربعين يوماً: يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا الطبيعية، كل ذلك والمهدي محاصرٌ في القدس⁽¹⁾.

17- سينزل سيدنا عيسى عليه السلام ويظهرُ عند المنارة الشرقية شرقي دمشق.

18- سيدخل سيدنا عيسى عليه السلام إلى أحد المساجد في صلاة الفجر؛ فيعلم جميع المسلمين أنه المسيح عليه السلام فيرجع المهدي للخلف ليقدّم المسيح عليه السلام ليؤمَّ المسلمين في الصلاة فيعيده المسيح عليه السلام ويقول له تقدّم فصلّها، فإنها لك أقيمت.

1 أنظر علاقة انشقاق القمر علمياً بأشراط الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر

19- خروج رجل من المسلمين للمسيح الدجال ليكشف حقيقته للناس، وسيقول لهم أنه الدجال الذي أخبر به النبي ﷺ وسيحذر الناس من فتنته، ولكن الدجال سيثبته نصفين، ثم يقول قم فيقوم، فيقول أتؤمن بي..؟ فيقول: لا، ما زدت فيك إلا بصيرة، ثم يريد أن يقتله فلا يستطيع، ثم يلقيه فيما يُسميه ناراً، وهو ليس بنار..! وإنما هو فيما يرى الناس ناراً، وهو جنة.

20- يتوجه سيدنا عيسى عليه السلام للمسيح الدجال، فعندما يرى المسيح الدجال سيدنا عيسى عليه السلام يبدأ بالذوبان كأنه ملح، فيهرب الدجال حين أن يدركه سيدنا عيسى عليه السلام على باب مدينة الد في فلسطين ويقتله.

21- وفاة المهدي في عهد سيدنا عيسى عليه السلام.

22- ظهور الإسلام مرة أخرى على الدين كله في عهد سيدنا عيسى عليه السلام، فيكسر الصليب ويُقتل الخنزير ويضع الجزية ويسود الإسلام في الأرض، مصداقاً قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف].

23- خروج يأجوج ومأجوج حيث يسعون في البلاد مفسدين، ويبقى الصالحون مع سيدنا عيسى عليه السلام محتَمين في جبل الطور، فيدعو سيدنا عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين الله ﷻ أن يُخلصهم من يأجوج ومأجوج فيرسل الله ﷻ عليهم الديدان فتصيب رقابهم ويموتون جميعاً، حتى تنتشر جثثهم في أرجاء الأرض.

24- سيُرسل الله ﷻ طيوراً ضخمة رقابها كرقاب البعير ترمي بجثث يأجوج ومأجوج في البحر، ثم تمطر السماء مطراً غزيراً يغسل الأرض من الخبث. ثم يأمر الله ﷻ الأرض أن تعيد بركتها فيعم الخير والسلام على الأرض.

25- وفاة سيدنا عيسى عليه السلام بعد أن يمكث في الأرض أربعين عاماً إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً على شريعة الإسلام.

26- طلوع الشمس من المغرب، فإذا ظهرت تلك العلامة فلا ينفع الكافر إيمانه إن آمن وقتها، ولا تنفع العاصي توبته، وذلك خاص بالجيل الذي سيعاصر تلك الآية.

27- قبض العلم وظهور الجهل.

28- خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وهذه الخسوفات الثلاثة

في أوقات متفرقة بين انفجار البركان الهائل الأول وبين انفجار بركانِ عدنِ الهائل الثاني.

29- انفجار بركانِ عدنِ الهائلِ في اليمنِ وانتشارُ الدخانِ فيما تبقى من اليابسة الصالحة للحياة البشرية فيما عدا الشام.

30- سيرسل الله ريحا طيبةً تقبضُ أرواحَ جميعِ المؤمنين ولا يبقى على الأرض إلا الكفارُ والفسقون، ويبقى الفسادُ والكفرُ في الأرضِ إلى أن تقوم الساعة.

31- هجرةٌ جماعيةٌ لمن تبقى من الناس إلى أرضِ المحشرِ بالشامِ بعد انفجارِ بركانِ عدنِ الهائل.

32- سينفصل القمرُ عن جاذبية الأرضِ في يومٍ ما بعد ضربِ المذنبِ له وانشقاقه فلن يظهر بالعين المجردة مع مرورِ الزمن، وسيبتعد عن جاذبية الأرض مُتجهًا في اتجاه الشمس حتى تبتلعه الشمس، قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ﴾ [القيامة]. (1)

33- قيام الساعة حيث ستقوم على شرارِ النَّاسِ.

الزمن الذي ستستغرقه وقوعُ أشرارِ الساعةِ وحتى قيام الساعة :

1- المهدي طبقاً للأحاديث النبوية سيملك سبع أو ثمانين أو تسع سنين وسيظهر في عصره المسيح الدجال لمدة عام وعدة أسابيع، ولا يوجد أحاديث أو آثار تحدد زمن الدعوة وإنذاره الناس قبلها بعذاب الدخان، وسينفجر البركان الهائل الأول في عهده.

2- سيدنا عيسى عليه السلام سيلبث في الأرض أربعون عاماً سيقتل الدجال وسيظهر في عهده يأجوج ومأجوج.

3- هناك فترة زمنية غير محددة المدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام ستحدث فيها الخسوف الثلاثة (خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب). وأنا أستبعد تماماً أن يمتد عمر البشرية بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام لأربعة عشر قرناً أخرى لتظهر باقي علامات الساعة الكبرى (طلوع الشمس من المغرب والخسوفات الثلاثة وبركان عدن) والا

1 أنظر لماذا انشقاق القمر أول علامات الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر

ستكون الأحاديث النبوية الشريفة التي تخبرنا بتتابع سريع لأشراط الساعة تكون باطلة، وهذا مستبعد أيضاً⁽¹⁾.

4- لا يوجد سوى أثر واحد بالمدة الزمنية بين طلوع الشمس من المغرب الى قيام الساعة وهي رواية عن عبد الله بن عمرو سندها جيد موقوف على الصحابي، قال: "تبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة". هذا لا يثبت مرفوعاً، لكن الحديث هذا موقوف على عبد الله بسند قال عنه الحافظ: جيد⁽²⁾. وهذا يعني أن بركان عدن سينفجر في تلك الفترة وسيُحشر الناس الى الشام في تلك الفترة.

نقوم بجمع عدد عشر أعوام تقريباً للمهدي والمسيح الدجال والبركان الهائل الأول، وأربعون عاماً تقريباً لسيدنا عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج، ومائة وعشرون عاماً بين طلوع الشمس من المغرب الى قيام الساعة بما تشملها من انفجار بركان عدن الهائل وحشر باقي الناس الى الشام، يصبح لدينا ما مجموعه حوالي مائة وسبعون عاماً لا تشمل فترة الخسوف الثلاثة، فإذا أضفنا لهذه الفترة حوالي مائة عام بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام لعودة الناس الى المعاصي مع الوضع في الاعتبار خصائص الطبيعة البشرية التي تنسى العقوبات السابقة وهي مقدار ما يعيشه ثلاثة أجيال تقريباً بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام، فسنحصل على زمن تقريبي لوقوع أشراط الساعة الكبرى حتى قيام الساعة وهو حوالي ثلاثة قرون على الأقل من الممكن أن يزيدوا عدة قرون عن هذا التقدير أو ينقصوا عن الثلاثة قرون بعدة عقود⁽³⁾ والله أعلم.

عدد الكوارث الطبيعية الهائلة التي ستشهدا الكرة الأرضية

- 1- بركان هائل أول وهو المذكور في سورة الدخان والذي سيسبب الدخان المبين
- 2- خسف هائل بالشرق
- 3- خسف هائل بالمغرب
- 4- خسف هائل بجزيرة العرب
- 5- بركان هائل ثاني بعدن

1 أنظر فصل الخسوفات الثلاثة.

2 [فتح الباري: 11/ 354].

3 العقد هو فترة من الزمن تعادل 10 سنوات.

فأشراط الساعة التي ذُكرت في الأحاديث النبوية تذكر خمس كوارث طبيعية هائلة تختلف كلياً عن البراكين والخسوفات الصغيرة التي نراها الآن. ولا تشمل هذا الكوارث الطبيعية الكبرى الكوارث الطبيعية الصغرى الملازمة لهذه الكوارث، فمنطقياً ما بين بركانين هائلين بينهما فترة زمنية قصيرة سيكون هناك عدد كبير من البراكين الصغرى والمتوسطة، وكذلك الحال بالنسبة للخسوف الثلاثة فبال تأكيد ستعاني مناطق كثيرة بالعالم من خسوفات مختلفة المساحات سواء بسبب زلازل أو فيضانات أو أمواج عاتية من المحيطات والله أعلم.

التفسير العلمي للكوارث الطبيعية الهائلة التي ستشهدا الكرة الأرضية؛

لقد أوضحْتُ في كتابي هذا نظريتي العلمية بخصوص سبب طلوع الشمس من المغرب، وهي مرتبطة أيضاً بظهور المذنب الطارق وما سيعقب ذلك من الدخان الذي سيملاً سماء الكرة الأرضية، فسورة الطارق وسورة القمر وسورة الدخان لهم ارتباط علمي بعضهم ببعض، فهذه الكارثة الكونية ستؤدي بالنهاية إلى طلوع الشمس من المغرب، فأشراط الساعة مترابطة علمياً بعضها ببعض، المذنب الطارق والصيحة والهدّة والدخان وانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب والخسوفات الثلاثة كلّها توابع لكارثة كونية ستؤثر على الكرة الأرضية، وقد وضعت في هذا الكتاب ثلاث نظريات علمية لحدوث الدخان، وهي نفس النظريات التي ستتسبب أيضاً في طلوع الشمس من المغرب، وهذه الفرضيات هي:

الفرضية العلمية الأولى: مرور المذنب الطارق بالقرب من القمر والأرض مما يؤثر على باطن الكرة الأرضية، فيسبب انفجار بركاني ضخم، ومن ثمّ ينتشر الدخان في سماء الكرة الأرضية، وقوة جاذبية هذا المذنب ستتسبب اضطراباً في حركة دوران الكرة الأرضية حول نفسها مما سيؤدي في النهاية إلى دوران الكرة الأرضية عكس اتجاهها الحالي، وفي نفس الوقت سيؤثر المذنب الطارق على القمر فيتسبب في انشقاقه بالرغم من أنني لا أعتقد أن مرور مذنب كبير بالقرب من القمر من الممكن أن يسبب انشقاقه.

الفرضية العلمية الثانية: سقوط المذنب الطارق على الأرض، ومن ثمّ سيسبب انتشار الأتربة والدخان في سماء الكرة الأرضية، بشرط أن لا يكون حجم هذا المذنب كبيراً جداً فيسبب في فناء الجنس البشري، وبالتالي لا يعاصر البشر باقي أشراط الساعة، فلا بد وأن يكون تأثير سقوط هذا المذنب متوسطاً نسبياً بحيث يسمح باستمرار الحياة على سطح الكرة

الأرضية، وهذا الاصطدام سيسبب اضطراباً في حركة دوران الكرة الأرضية حول نفسها مما يؤدي في النهاية إلى دوران الكرة الأرضية عكس اتجاهها الحالي، ولكن هذه الفرضية العلمية تستبعد انشقاق القمر، وفي هذه الحالة نضيف إلى تلك الفرضية اصطدام مذنب آخر بالقمر إما في توقيت متزامن مع اصطدام المذنب الطارق بالأرض أو أن يكون قبله أو بعده بفترة من الزمن.

الفرضية العلمية الثالثة: اقتراب المذنب الطارق من الأرض مما يؤثر عليه داخلياً نتيجة جاذبيته، ثم اصطدام المذنب الطارق بالقمر مما يؤدي إلى انشقاقه فتتأثر باطن الكرة الأرضية بانشقاق القمر واقتراب المذنب بالأرض مما سيؤدي إلى انفجار بركان هائل، ومن ثم سيتشر الدخان في سماء الكرة الأرضية، ثم بعد ذلك سيبعد القمر عن الأرض بصورة تدريجية نتيجة الاصطدام والانشقاق حتى يفصل عن جاذبية الأرض فيتجه باتجاه لشمس في نهاية المطاف فلا يرى القمر بالعين المجردة من الأرض، ثم ابتلع الشمس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۗ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۗ﴾ [القيامة⁽¹⁾]، وهذا الانشقاق سيسبب اضطراباً في حركة الكرة الأرضية مما يؤدي في النهاية إلى دوران الكرة الأرضية عكس اتجاهها الحالي، وهذه الفرضية هي التي أميل لها، لأن هذه الفرضية يشمل تأثيرها علمياً جميع أشراط الساعة، فإذا ظهر أول علامات الساعة الكبرى تتابعت بعدها الآيات يتلو بعضها بعضاً كمثل العقد الذي انفرط نظامه، مصداقاً لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يَتَّبَعْنَ كَمَا تَتَّبَعُ الْحَرَزُ فِي النَّظَامِ»⁽²⁾ كما أن بانشقاق القمر وابتعاده عن الأرض بأي سبب كان سواءً بكلمة من الله ﷻ (كن فيكون) أو بإرسال الله ﷻ مذنباً يشق القمر، ستبدو بعد حدوث هذا الانشقاق جميع الكوارث الطبيعية التي ستحدث للأرض والتي ذكرت في الأحاديث النبوية الشريفة منطقية وفي مكانها المناسب.

إن القمر هو الباب الذي يحمي كوكب الأرض، والنجم ذو الذنب الذي سيطرق هذا الباب هو المذنب الطارق، وبطرقه لهذا الباب ستتوالى على كوكبنا أشراط الساعة الكبرى المختلفة،

1 أنظر لماذا انشقاق القمر أول علامات الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر

2 أخرجه أبو بكر الدينوري في ((المجالسة)) (2156)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (4271) واللفظ لهما، وابن حبان (6833) باختلاف يسير.

ومنها الدخانُ وطلوعُ الشمس من المغربِ والخسوفاتُ الثلاثة والبراكين والزلازل وغيرها من الكوارث المتعلقة بها.

خريطة عمليات الهجرة البشرية خلال زمنِ أشرار الساعة الكبرى:

إذا حدث الانفجارُ البركانيُّ الهائلُ الأولُ في الشرقِ ناحيةَ الصينِ مثلاً فستتوجه هجراتُ بشريةٌ هائلةٌ لمن سينجو من هذه الكارثة إلى الغرب، وإذا حدثت هذه الكارثة في الغربِ ناحيةَ أمريكا مثلاً فستتوجه هجراتُ بشريةٌ هائلةٌ لمن سينجو من هذه الكارثة إلى الشرق، وستدخل الكرة الأرضية في عصرٍ جليدي نتيجة الشتاء البركانيِّ مما سيؤدي إلى اتساع مساحة الأراضي التي يكسوها الجليد في القطب الشمالي والجنوبي لتشمل دولاً كثيرة مما يؤدي إلى هجرة الناس منها إلى المناطق الدافئة، وهناك أيضاً خسفٌ بالشرق وخسفٌ بالمغرب سيؤدي إلى هجرة مَنْ تبقى من الناس إلى الشرق الأوسط وما يجاورها، وسيحدث خسفٌ بالجزء الشرقي من جزيرة العرب، ثم يكون انفجارُ بركانٍ عدنٍ الهائل الذي ستحدث معه آخرُ الهجرات البشرية إلى الشام، وهي آخرُ مكانٍ في العالم الذي سيكون صالحاً للحياة البشرية قبل قيام الساعة.

مسيرة الحضارة خلال زمنِ أشرار الساعة:

إن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَلَّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأُمْسُ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: 24] ينطبق على حال الحضارة المعاصرة التي أصبحت مُوشِكة على الانهيار والانحسار؛ لأنها بلغت غايةَ ازدهارها؛ فقد أخذت الأرضُ بهذه الحضارة زخرفها، وتزينت بأنواع الزينة في كلِّ وسائل الحياة؛ في المساكن والمراكب والمطاعم والمشارب والملابس وأسباب التواصل وسرعة الانتقال؛ فتقارب الزمان وتقاربت البلدان.

كما أنَّ هناك دولاً عديدة في وقتنا الحاضر بلغوا من القوة التي يظنون بها أنهم قادرون على التصرف في كلِّ ما على الأرض من وسائل الحياة وما فيها من الطاقات، فما تزخرت هذه الحياة ولا تزينت من قبل مثل هذا الزخرف والزينة، ولا ظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها مثل ما ظنَّ أهل هذه الدول؛ إذا فهي تنتظر أن يأتيها أمر الله ﷻ ليلاً أو نهراً فيدمرها تدميراً، ويُسيِّرُها آثاراً وأحاديث، كأن لم تكن بالأمس طائراتٍ وأفماراً صناعيةً واتصالاتٍ بين شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ومصابيح الكهرباء التي حولت الليل نهراً، فعند ذلك

سيذهب ذلك الزُخرف والزينة، فسيظلم الليل وستنقطع الاتصالات، وتعود الحياة إلى ما كانت عليه، وحينئذٍ تنخفض الدنيا بعد ارتفاعها.

إن توقيت انفجار البركان الهائل الأول المسبب للدخان المين هو توقيت نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى في مسيرة الحضارة الإنسانية، فمع هذا الانفجار ستبدأ مسيرة الحضارة الإنسانية في الهبوط التدريجي من عصر الفضاء والاتصالات والحروب النووية إلى ما كانت عليه الحضارة الإنسانية في العصور الوسطى، وذلك لمن سيقى على قيد الحياة منذ وقت الانفجار الأول إلى أن تمتد الحياة لعدة أجيال من البشر حتى تقوم الساعة على ما تبقى من البشر في الشام حيث سيصبح حالهم كحال البشر في العصور الوسطى وذلك قبل قيام الساعة، وذلك لعدة أسباب:

- 1- وفاة ملايين البشر بما فيهم من علماء ومثقفين بسبب الكوارث الطبيعية الهائلة.
- 2- الانهيار الاقتصادي العالمي نتيجة الكوارث الطبيعية الكبرى المتتابة.
- 3- دول كثيرة ستزال من على خريطة الكرة الأرضية نتيجة الكوارث الطبيعية الكبرى.
- 4- الموارد الطبيعية اللازمة للصناعة لن تكون موجودة نتيجة لهذه الكوارث، وستقلص مساحة اليابسة بما فيها من موارد طبيعية شيئاً فشيئاً حتى تقتصر على بلاد الشام فقط.
- 5- الهجرات البشرية المتتالية لن تسمح بقيام دول مستقرة تقوم بدورها في استعادة نهضة حضارية أخرى.
- 6- تكنولوجيا عديدة في وقتنا الحالي لن تكون مناسبة لزمن أشراط الساعة وعلى سبيل المثال تكنولوجيا الفضاء والطيران والاتصالات والقنوات الفضائية⁽¹⁾.
- 7- من الممكن إضافة تأثيرات انشقاق القمر على الأرض إلى هذه التأثيرات⁽²⁾.

التعداد التقريبي للقتلى والموتى خلال زمن أشراط الساعة:

يرى (مايك رامبينو) عالم الجيولوجيا في جامعة نيويورك و(ستانلي أمبروز) عالم الأنثروبولوجيا في جامعة إلينوي، أن آخر عنق زجاجة سكانية مر بها الجنس البشري كان

1 أنظر شكل الحياة على كوكب الأرض بعد انتشار الدخان المين في فصل الدخان المين.

2 أنظر علاقة انشقاق القمر علمياً بأشراط الساعة الكبرى في فصل انشقاق القمر.

نتيجة انفجار بركان توبا الهائل⁽¹⁾. ويعتقدان أنَّ الظروف التي أعقبت ذلك الانفجار كانت تضاهي ما يعقب حرباً نوويةً شاملةً، ولكن دون إشعاع، فإنَّ مليارات الأطنان من حامض الكبريتيك التي تصاعدت في طبقة الستراتوسفير على إثر كارثة توبا قد أدت إلى انغماس العالم في ظلام وصقيع لمدة عدة سنوات، وربما تتباطأ عملية التمثيل الضوئي حتى تكاد تكون قد توقفت تماماً؛ مما دمرَّ مصادر الغذاء لكلِّ من البشر والحيوانات التي تتغذى عليها، ومع حلول الشتاء البركاني، في ذلك الوقت تضرَّ أجدادنا جوعاً وهلكوا وأخذت أعدادهم تقلَّ تدريجياً، وربما كانوا حينها في مناطق محمية (لأسباب جغرافية أو مناخية).

إن من أسوأ ما قد قيل في هذه الكارثة أنه طوال نحو 20 ألف سنة، لم يكن على كوكب الأرض بأكمله سوى بضعة آلاف من البشر، وهذا يعني أنَّ جنسنا البشريَّ كان قاب قوسين أو أدنى من الانقراض، وإن كان هذا صحيحاً، فمعناه أنَّ أسلافنا قد صاروا معرضين للخطر تماماً كما هو الحال اليوم مع الخرتيت الأبيض أو الباندا العملاقة؛ وبالرغم من كلِّ الصعاب يبدو أنَّ بقايا جنسنا البشريَّ نجحوا في صراعهم من أجل البقاء في أعقاب كارثة توبا وحلول العصر الجليديّ، حتى وصل عدداً الآن أكثر من سبعة مليارات ونصف نسمة تقريباً (المليار يساوي ألف مليون) منهم حوالي 1.8 مليار مسلماً، وتشكِّل هذه النسبة ما يعادل ربع سكان العالم الحالي، ولحساب أعداد القتلى بعد خمس كوارث طبيعية هائلة (مثل ما حدث عند انفجار بركان توبا الهائل) ستحدث للكرة الأرضية يجب علينا حساب أعداد سكان العالم حالياً أولاً.

تعداد سكان العالم الآن:

بحسب تقديرات الأمم المتحدة، سيصل عدد سكان الكرة الأرضية في عام 2020 إلى أكثر من سبع مليارات ونصف نسمة تقريباً، ويُتوقع أن يزيد عدد سكان العالم بمقدارٍ ملياري فردٍ في الثلاثين عاماً المقبلة، وهذا يعني أنَّ سكَّان العالم سيزيدون من 7.7 ملياراً في الوقت الراهن إلى 9.7 ملياراً مع حلول عام 2050، وأنَّ يصل العدد إلى 11 ملياراً مع حلول العام 2100. حيث يعيش 61٪ من سكان العالم في آسيا (4.7 مليار نسمة)، و 17 في المائة في أفريقيا (1.3 مليار نسمة) و 10 في المائة في أوروبا (750 مليون نسمة) و 8 في المائة في أمريكا

1 أنظر بركان توبا الهائل في فصل الدخان المبين.

اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي (650 مليون نسمة)، و ما تبقى من 5 في المائة في أمريكا الشمالية (370 مليون نسمة) وأوقيانوسيا (43 مليون نسمة) وتبقى الصين (1.44 مليار نسمة) والهند (1.39 مليار نسمة) هما أكبر بلدان العالم.

يعيش الآن سكان العالم البالغ عددهم 7.7 مليار في مساحةٍ قدرها 148.9 مليون كيلومتر مربع وهي مساحةٌ اليابسة أي الجزء الخارجي من القشرة الأرضية الذي لا يغطيه الماء.



نأتي هنا إلى المساحة الصالحة للمعيشة التي سينتهي بها المطاف للجنس البشري للبقاء فيها وهي بلاد الشام:

مساحة الشام بما تضمه حالياً من أربع دول، وهي: لبنان، وفلسطين، وسوريا، والأردن، وبعض الأقاليم التي تشكلت من أراضيها، مثل: الأقاليم السورية الشمالية التابعة إلى تركيا، وصحراء سيناء بمصر، ومنطقة الجوف ومنطقة تبوك التابعة للسعودية، ومدينة الموصل التابعة للعراق، كل هذه المساحة لا تتجاوز حوالي 500 ألف كيلومتر مربع على أقصى تقدير، يسكن في هذه المناطق جميعاً عدد لا يتجاوز المائة مليون نسمة على أقصى تقدير.

نفس هذه المساحة وبنفس الموارد الطبيعية هي التي ستستوعب آخر الأجيال البشرية قبل قيام الساعة، مع العلم أن هذا هو المكان الوحيد الصالح للحياة باكتفاء ذاتي من موارده الطبيعية، أي لا وجود لما يُسمى الآن الاستيراد من الخارج، فالبشر الذين سيقومون بالشام في

آخر الزمان سيعتمدون اعتماداً كلياً على الموارد الطبيعية من ماءٍ وزراعةٍ وتعددين وكل ما يحتاجه الإنسان من مواردٍ مختلفة حتى يبقى على قيد الحياة.

السؤال الآن هل يستوعب الشام أن يقيم فيه سبع مليارات نسمة دون الحاجة إلى العالم

الخارجي؟..

بالطبع ستكون الإجابة بلا، فالرقم الذي وضعناه بعدد سكان الشام الآن والذي يبلغ حوالي المائة مليون نسمة يستوردون جزءاً من مواردهم المختلفة من مختلف أنحاء العالم، ولكننا سنتجاوز هذا الرقم قليلاً وسنقول جازفاً أن الشام من الممكن أن تستوعب 500 مليون نسمة في مساحة تبلغ حوالي 500 كيلومتر مربع، أي أن الكثافة السكانية ستكون حوالي 100 فرد تقريباً في الكيلومتر مربع الواحد، وهذا يتجاوز الكثافة السكانية لبلدٍ مكتظّ بالسكان، وقليل الموارد مثل بنجلادش على سبيل المثال.

هذه هي الأرقام التقريبية لعدد من سيتبقى من سكان العالم بعد حدوث خمس كوارث طبيعية هائلة وعدد غير معروف من الكوارث الطبيعية المتوسطة والصغيرة، فإذا بدأ العدّ التنازلي الآن لأشراط الساعة، والعالم يبلغ عدد سكانه الآن حوالي سبعة مليارات ونصف نسمة فإنه سيبلغ عدد سكانه بعد ثلاثة قرون تقريباً على الأقل كما ذكرنا سابقاً إلى حوالي خمسمائة مليون نسمة تقريباً على أقصى تقدير علمي والله أعلم.

السؤال الآن: أين هم السبعة مليارات نسمة المتبقين؟..

الجواب: أنهم في عداد القتلى والموتى بسبب الكوارث الطبيعية المتتالية في زمن لا يقلّ تقريباً عن ثلاثة قرون!..

هل تستوعب عزيزي القارئ الرقم الذي ذكرته لك، أنه سبعة مليارات نسمة تقريباً أي أنه عددٌ يتجاوز عدد سكان الهند بسبعة مرات تقريباً، كل هؤلاء سيكونون في عداد القتلى والموتى في خلال ثلاثة قرون أو أكثر تقريباً ولن يتبقى على كوكب الأرض من البشر الأحياء سوى 500 مليون على أقصى تقدير، حيث سيتواجدون في مساحة لا تتجاوز 500 ألف كيلومتر مربع في بلاد الشام، وهذا الرقم مبالغ فيه، فالشام لن تستوعب بمواردها ومياهها ومزارعها النصف مليار نسمة، ولكنني وضعت هذا الرقم وهو أقصى ما يتخيله عقل إنسان حتى أخرج في النهاية بنتيجة أن هناك سبعة مليارات نسمة سيكونون في عداد القتلى والمفقودين والموتى خلال ثلاثة قرون على الأقل، هذا في حالة أننا الآن في عام 2020 وفي خلال فترة

الدهيماء التي سيظهر في نهايتها المهدي، وبالتالي سينفجر في نهاية تلك الفتنة البركان الهائل الذي سيسبب الدخان المبين، أما إذا اختلفت توقيت بدأ العدُّ التنازلي لأشراط الساعة وبدأت تلك الأحداث في عام 2050 على سبيل المثال فستبقى نفس الأعداد التي ذكرنا بقاءها على قيد الحياة في الشام، وهي حوالى نصف مليار نسمة على أقصى تقدير، ولكن ستختلف حينئذ أعداد القتلى والموتى خلال فترة أشراط الساعة ليصبح تسعة مليارات نسمة تقريباً، أما لو بدأ العدُّ التنازلي لأشراط الساعة مع حلول عام 2100 فستصل أعداد القتلى والموتى إلى أحد عشر مليار نسمة تقريباً، وهكذا تستطيع أن تحصر أخي القارئ أعداد القتلى والموتى في أي وقت تبدأ فيه أول الكوارث الكبرى وهي الدخان المبين وحتى آخر هذه الكوارث الهائلة وهي انفجار بركان عدن.

فلتقم أخي القارئ بعمل الحسابات الآزمة حتى تُقدّر عدد القتلى من البشر بصورة تقريبية بعد كل كارثة طبيعية من الكوارث الخمسة (البركان الهائل الأول وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وبركان عدن) ستجد أعداداً هائلة من القتلى يصعب تخيلها، ولا يوجد فيلم أمريكي من أفلام الخيال العلمي صور كوارث مشابهة لهذه الكوارث الطبيعية التي ذكرناها في هذا الكتاب سوى فيلم أمريكي واحد يتخيل هذه الكوارث بصورة تقريبية وهو فيلم (2012) إنتاج عام 2009⁽¹⁾.

إن أعداد القتلى التي ذكرناها والتي ستبلغ مليارات من البشر تنقلنا إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيُظَلَّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا». وقد فسر العلماء «مَوْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ» بأنه الموت الكثير الوقوع، وهو الوباء الذي كان حدث في زمن عمر بن

1 تدور أحداث فيلم (2012) إنتاج عام 2009 في إطار من الخيال العلمي عندما ترتفع درجة حرارة لب الكرة الأرضية وتتغير الأقطاب المغناطيسية للكرة الأرضية فتسبب حدوث انهيارات أرضية لمساحات شاسعة وغرق قارات وانفجار بركان يلوستون الهائل وغيرها من الكوارث الطبيعية الكبرى وخسف قارات عديدة بالماء.

الخطاب ﷺ بعد فتح القدس (عام 16هـ) حيث انتشر مرض الطاعون وذلك في سنة (18هـ) في أرض الشام، فمات خلق كثير بلغ خمسة وعشرين ألف رجل من المسلمين، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة منهم معاذ بن جبل وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم ﷺ أجمعين.

ولكني أقول لكم بعد الحصر التقريبي لأعداد القتلى والمفقودين والموتى خلال زمن أشرط الساعة، بأن تفسير هذا الحديث ينطبق على ما سيحدث لاحقاً وأنه لم يقع بعد، فالخمس والعشرون ألفاً الذين ماتوا في ذلك الوباء عدد لا يُذكر بجانب السبعة مليارات نسمة تقريباً من القتلى الذين سيموتون خلال زمن أشرط الساعة، كما أن وصف النبي للمرض الذي سيسبب هذه الموت وهو (كقصاص الغنم) وهو داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، فهذا التشبيه يشبه الأعراض التي سيسببها الدخان المبيد نتيجة انفجار البركان الهائل⁽¹⁾، والله أعلم.

آخر سؤال فاج كتابي هذا

ألا يستحق أن يبعث الله ﷻ رسولا لسكان الكرة الأرضية والذين يبلغون حوالى سبعة مليارات ونصف حتى ينذرهم بعذابه قبل أن يقع عليهم مصداقاً لقوله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنْمَاءَ يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَأَنْمَاءَ يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؟

إننا نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الإيمان والإخلاص والتقوى، وأن يقينا شرّ الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يرزقنا الحقّ حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً يرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا من المستمسكين بالعروة الوثقى، وأن يجعل خروجنا من هذه الدنيا على شهادة التوحيد، وعلى ما يُحِبُّ ويرضى.. إنه هو السميع، وهو أهل المغفرة وأهل التقوى، وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه اجمعين.

1 أنظر (الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع) في فصل الدخان المبيد.



الحمد لله الذي هدى ووفق وأعان ويسر .
وبعد..

فإنه يجب التنبيه بأن هذا الكتاب لا أشير فيه ولا أمهد فيه لأي شخص ظهر في الماضي أو في الحاضر بأنه رسول من عند الله ﷻ، فالبيئات والدلائل والمعجزات التي ذكرتها في هذا الكتاب والتي سيؤيد بها الله ﷻ الرسول القادم لم تظهر مع أي شخص ادعى كونه المهدي أو رسولاً سواء كان في الماضي أو في الحاضر، كما أنني أيضاً لا أشير في هذا الكتاب لنفسه أو لأي شخص أعرفه من قريب أو بعيد، فأنا لا أملك البيئات التي تأتي مع المرسلين، كما أنني غير حافظ للقرآن الكريم، كما أنني لم يهني الله ﷻ تأويل الآيات المتشابهة أو الحروف المقطعة في القرآن الكريم، وهذا أيضاً لم أجده في أي شخص يدعي بأنه المهدي المنتظر سواء في الحاضر أو ممن ادعى بأنه المهدي في الماضي، فالرسول القادم موصوف بأنه ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الدخان: 13] أي سيكون واضحاً جلياً لمن عنده علم وبصيره، وسيكون معه من البيئات الملموسة التي ستثبت بأنه رسول من عند الله ﷻ وليس مجرد رؤى وأحلام وتخيلات، وستكون البيئات التي لديه واضحة للعالم أجمع وليست خاصة بفئة معينة من الناس.

إن هذا الكتاب رسالة لوجه الله ﷻ مني لكم وللأجيال القادمة حتى لا يأتي اليوم الذي تشعرون فيه بالصدمة من ظهور رسول من عند الله ﷻ يحذركم من عذابه فلا تصدقوه وتكذبه وتلعنوه، فتصبحوا على ما فعلتم من النادمين، وأنا أؤكد أيضاً بأنني مسلم على مذهب أهل السنة والجماعة، فلم تتغير عقيدتي ولم أتحول إلى البهائية أو القاديانية أو الشيعية أو الصوفية أو أي ملة أخرى، فإنني لا أومن بالرجعة أو بأن المهدي في قيد الحياة مختفي في سرداب منذ مئات السنين أو أن المهدي أو سيدنا عيسى عليه السلام قد ظهرا من قبل وماتا، أو مثل هذه الاعتقادات.

كل ما هنالك أنني غيرت اعتقاداً موروثاً منذ قرون كثيرة وهو أن سيدنا محمداً ﷺ خاتم المرسلين وأصبح اعتقادي الآن كما هو مذكور في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين فقط، وبناءً على هذا الاعتقاد الجديد تغيرت نظرتي لآيات عديدة في القرآن الكريم تُشير إلى أن الله ﷻ سيبعث رسولاً آخر متبعاً شريعة نبينا ومطبقاً لها مستقبلاً.

إن اعتقادي بإرسال الله ﷺ رسولا جديداً قبل آيات العذاب القادمة لم يكن اعتقاداً منذ زمن بعيد بل كان قبل صلاة فجر يوم 27 من شعبان 1440 هـ الموافق يوم 2 مايو 2019 م في مسجد إبراهيم الخليل القريب من منزلي بحي السادس من أكتوبر بالقاهرة الكبرى، حيث كنت أقرأ القرآن كعادتي قبل إقامة صلاة الفجر فتوقفت عند آيات سورة الدخان التي تتحدث عن آية عذاب الدخان، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ١٠ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ١١ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٢ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٣ أَلَيْسَ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ١٤ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ١٥ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٦ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٧﴾ [الدخان] فتوقفت عن القراءة فجأةً وكأنني أقرأ هذه الآيات لأول مرة في حياتي بسبب ذكر رسول موصوف بأنه ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ وسط آيات تتحدث عن أحداث الدخان والتي ستحدث مستقبلاً، فكررت قراءة هذه الآيات طوال هذا اليوم حتى أفهمها جيداً وأخذت أقرأ جميع التفسيرات حول هذه الآيات فوجدت أن هناك اختلافاً في تفسير هذه الآيات، وأيضاً اختلاف في ربط زمني لتفسير هذه الآيات، فأية يتم تفسيرها على أن آية الدخان قد ظهرت وانتهت في عهد النبي ﷺ، ثم تليها آية يتم تفسيرها على أن آية الدخان سوف تحدث في المستقبل، ثم يعود تفسير الآية التي تليها بأنها كانت في عهد النبي ﷺ، ومنذ ذلك اليوم بدأت رحلة في البحث عن وجود رسول سيعثه الله ﷺ قبل آية الدخان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، إلى أن أصبح لدي قناعة تامة بأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين فقط، وليس خاتم المرسلين وذلك كما قال الله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب]. فالله ﷻ وهو بكل شيء عليم لم يقل في هذه الآية وخاتم المرسلين، كما أن الآية لا تدل على أن كل رسول نبي، فلا تلازم بينهما.

إن القاعدة الشهيرة (أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً) هي قول جمهور أهل العلم؛ وهذه القاعدة ليست من آيات القرآن الكريم وليست من أقوال النبي ﷺ ولم تؤثر عن أحد من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من التابعين لهم بإحسان فيما نعلم، كما أن هذه القاعدة تقضى بختم جميع أنواع الرسالات التي يرسلها الله ﷻ إلى الخلق سواء كانت من الملائكة أو الرياح أو السحاب إلخ الخ، فسيدنا ميكائيل رسول موكل بتصريف المطر، وملاك الموت

رسولٌ مُسَخَّرٌ لقبض أرواح الناس، وهناك رُسُلٌ من الملائكة اسمهم الكرام الكاتبون ووظيفتهم حفظ أعمال العباد وكتابتها سواءً أكانت خيراً أم شراً، وغيرهم الكثير من الملائكة المرسلين مثل منكر ونكير الموكّلون بفتنة القبر، فإذا افترضنا أن سيدنا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين في آنٍ واحدٍ فإنه لا وجود لرسول من عند الله ﷻ لقبض أرواح الناس مثلاً وإلى غير ذلك من رُسُل الله ﷻ.

إن الشريعة الإسلامية بما تضمنتها من صلاة وصيام وحج وزكاة ومواريث وكل ما جاء به القرآن الكريم من أحكام وشرائع، هي شرائع ستبقى إلى قيام الساعة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، ولكن الرُّسل التي ستأتي مستقبلاً ومنهم سيدنا عيسى عليه السلام لن يغيروا في هذا الدين شيئاً، بل سيكونون مسلمين مثلنا يصلون ويصومون ويزكون وسيحكمون بين الناس بشريعة الإسلام، وسيعلمون المسلمين القرآن والسنة، وسيجاهدون لنشر هذا الدين، فهم على ملة الإسلام ولن يأتوا بدين جديد.

إن هناك آياتٍ عذابٍ كبيرةً منتظرةً ومثبتةً من القرآن والسنة لم تأت بعد ومنها (الدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق وخسفٌ بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) فهذه آياتٌ عذابٍ كبيرةٌ جداً وتعمُّ ملايين من البشر، وليست آياتٍ عذابٍ تشمل قريةً أو قبيلةً أو قوم مثل ما حدث مع قوم صالح أو عاد، فالأولى أن يبعث الله ﷻ رُسُلاً لتحذير الملايين قبل نزول آياتِ العذاب الكبيرة جداً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، فإن ختمت الرسل بسيدنا محمد ﷺ فلن تُعاقب تلك الملايين من البشر ولن تقع آياتُ العذاب المذكورة في القرآن والسنة عليهم، ذلك لأنَّ عدم إرسالِ الله ﷻ المنذرين إلى الظالمين، يجعل لهم حجةً على الله ﷻ بأنهم ما كانوا يعلمون بعقابه..! لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]. ولا يجوز القول بأن النبي ﷺ قد أُنذِر البشرية منذ أربعة عشر قرناً بعلاماتِ الساعة، فهناك ملايين البشر حالياً لا يفقهون شيئاً عن الإسلام أو عن رسالة نبينا محمد ﷺ، ومن سنَّة الله ﷻ التي لا تتغيَّر إرسالُ الرسل قبل وقوع آياتِ العذاب على الناس وأن يعاصر هؤلاء الرسل وقوع هذه الآيات مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

أَلْأَشْهَدُ ﴿٥٦﴾ [غافر]، فهي سنة الله ﷻ التي لا تتغيّر، فقد قال الله ﷻ: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ [الإسراء].

هذا وبعد أن بلغت من العمر الخامسة والأربعين عاماً تغيّر الاعتقاد الذي كان راسخاً في ذهني بأن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين والمرسلين إلى الاعتقاد بأن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين فقط وليس خاتم المرسلين، وبسبب ذلك التغير فقد توصلت إلى حل رموز آيات عديدة في القرآن الكريم تتحدث عن رسولٍ قادم وتمكنت أن أحلّ رموزَ آيات تتحدث عن أشراف الساعة، واستطعت من خلال ذلك ربطاً وترتيب أشراف الساعة بما جاء من القرآن الكريم والسنة المطهرة والتي لم أكن لأستطيع ربطها وترتيبها وفهمها لولا أن تغير اعتقادي ذلك.

إنّ تبديل اعتقادي هذا لم يكن بالأمر السهل بالنسبة لي، فقد اجتزت مراحل عديدة وشاقة ما بين الشك واليقين، فيوماً ما أكون في مرحلة من الشك وأقول لنفسي لن يكون هناك رسولٌ قادم، ويوماً آخر أصل إلى مرحلة من اليقين بعد أن أفتح الراديو في سيارتي وأسمع من إذاعة القرآن الكريم آية قرآنية تُعيدني إلى مرحلة اليقين، أو أن أقرأ آيات جديدة من القرآن تُثبت لي أن هناك رسولاً قادم.

لقد أصبح لديّ كمية كبيرة من الدلائل من القرآن والسنة التي تجعلني على يقين بأنّ هناك رسولاً قادم، فكان أمامي خياران: إما أن أحتفظ بهذه الدلائل لنفسي وإما أن أعلنها، فالتقيت بشيخ أزهرى وتحدثت إليه بخصوص اعتقادي هذا وقرأت عليه آيات الدخان وقلت له: إنّ الرسول المبين المذكور في هذه الآيات هو رسولٌ قادمٌ وليس هو النبي ﷺ، فما كان منه الا أن كفرني بصورة غير مباشرة وقال لي: "إنك بهذا الاعتقاد دخلت مرحلة من مراحل الكفر بدين الإسلام..!" فقلت له أنا أصلي وأصوم واشهد بأن لا إله الا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين كما هو مذكور في القرآن وأنّ اعتقادي بأنّ النبي ﷺ ليس خاتم المرسلين لا تجعلني كافراً، وذكرت له بعض الدلائل الأخرى التي تؤيد وجهة نظري، ولكنه لم يقتنع وتركني ولسان حاله يقول في نفسه بأنني دخلت مرحلة الكفر، وقال لي آخر قرأ جزء من كتابي هذا بأنني سأشعل فتنة، حينئذٍ تذكرت رؤيا الزواج بالسيدة مريم عليها السلام والتي كانت يوم 22 ذو القعدة 1440 هـ الموافق يوم 25 يوليو 2019 حيث رأيت أنني تزوجت من السيدة مريم (عليها السلام) وكنت أسير

معها في الطريق وكانت إلى يميني، وقلت لها أتمنى أن يرزقني الله ﷻ بطفل منك، فقالت لي ليس قبل أن تنتهي مما عليك من أعمال، فتركنتني واستكملت طريقها للأمام، واتجهت أنا إلى اليمين وتوقفت وفكرت في جوابها وقلت إن عندها حقاً فيما تقوله وانتهت الرؤيا.

وبعد أن نشرت هذه الرؤيا كان تفسيرُ أحدِ الأصدقاء لهذه الرؤيا ((التأويل يتعلق بإصلاح كبير في العقيدة الدينية، قد يكون خاصاً بك، أو بأحدِ ذريتك، ومع أن هذا الإصلاح هو الحق، ولكنه سيلقى معارضةً شديدةً لا تُحتمل)). ولم أكن وقتها أفهم تفسير تلك الرؤيا. قررت أن أكتب هذا الكتاب وكنت كلما أنهى جزءاً منه أتردد في استكمال الكتاب وأرمي ما كتبه في صندوق المهملات، فالكتابُ يناقش معتقداً خطيراً، ويتناول تفسيرَ العديد من آياتِ القرآن الكريم مخالفةً للتفسيرات الموجودة منذ أربعة عشر قرناً، ولسانُ حالي يقولُ باليتني ما فهمت شيئاً حتى لا أقع في تلك الفتنة والحيرة، فقد أصبحت في فتنةٍ وكان أمامي خياران كما ذكرت سابقاً وكلا الخيارين له من الأسباب التي تجعلني في حيرةٍ شديدة بما يكفي.

الخيار الأول: أن أحتفظ بدلائل بعث الله ﷻ لرسولٍ قادم لنفسي، وذلك للأسباب الآتية:

1- الإعلان عن هذا الاعتقاد سيفتح أمامي باباً كبيراً جداً من الجدل والنقاش والمهجوم الذي لن ينتهي إلى أن أموت، وسيتم اتهامي بالكفر والصوفية والبهاية والقاديانية والتشيع وغيرها من الاتهامات التي كنت في غنى عنها، وأنا في الأساس لازلت مسلماً على مذهب أهل السنة والجماعة، ولكنَّ الخلاف الجوهرى الوحيد الآن هو الاعتقادُ بظهور رسولٍ قادم قبل آيات العذاب مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

2- هذه ليست معركتي بل معركة الرسول القادم الذي سيأتي ومعه الأدلة العملية والبيئات والبراهين والمعجزات التي ستؤيد حجته، في حين أنني لا أملك سوى ما كتبه في هذا الكتاب وهذا لن يكفي لإقناع الناس، والرسول القادم مع أنه سيأتي بالبيئات والمعجزات التي تثبت رسالته إلا أنه سيُقابل بالتكذيب والتشويه، فما بالي أنا بما سيحدث لي مقارنةً بالرسول القادم وما يملكه من البيئات؟!..

3- الاعتقاد بأن النبي ﷺ هو خاتم المرسلين أصبح اعتقاداً كالركن السادس من أركان الإسلام الذي لا يجوز لأحد النقاش فيه، وتغيير هذا الاعتقاد (المتجذر في نفوس

المسلمين منذ أربعة عشر قرناً) في فترة قصيرة أو من خلال كتاب واحد ليس بالأمر السهل بل يحتاج إلى وقتٍ طويلٍ جداً يتناسب مع طول فترة الاعتقاد، أو يحتاج إلى ظهور الرسول المنتظر ومعه البيّنات والمعجزات التي من خلالها يستطيع تغيير هذا الاعتقاد في مدة قليلة من الزمن.

الخيار الثاني: أن أنشرَ كلَّ الدلائل التي توصلت لها من خلال كتابٍ يناقش هذا الاعتقاد، وذلك للأسباب الآتية:

1- أخشى إذا احتفظت بهذه الدلائل لنفسي أن أكون ممن قال عنهم النبي ﷺ قال: «مَنْ كَتَمَ علماً أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ»⁽¹⁾. فما وصلت اليه من علم في هذا الكتاب يُعتبر أمانة يجب علي أن أبلغها للناس حتى ولو كلفني ذلك الكثير من المتاعب، فغيتي هي رضا الله ﷻ عني وليس رضا عباد الله ﷻ عني، فلست من النوع الذي يسير مع القافلة في الصواب والخطأ على حد سواء.

2- أخشى أن أموتَ ثم يظهرَ رسولٌ يبعثه الله ﷻ ليدعوا الناس للعودة إلى طاعة الله ﷻ والا سيغشاهم العذاب، فيُكذبه المسلمون ويكفرونه ويلعنونه، فتكون كلُّ أفعالهم في ميزان سيئاتي يوم القيامة لأنني لم أخبرهم شيئاً مما رزقني الله ﷻ به من علم، فيقفون أمامي يوم القيامة ويعاتبونني على عدم إخبارهم بها وصلت اليه وعرفته. لقد شعرت بالتخبط والإرهاق من كثرة التفكير في هذه الفترة ولم أستطع النوم بسهولة من التفكير، فدعوتُ الله ﷻ أن يرزقني رؤيا تكون فيها الإجابة عن سؤالي: هل أستمّر في تأليف الكتاب ونشره أم أتوقف عن تأليف هذا الكتاب؟ فرأيت في يوم 18 محرم 1441 الموافق 17 سبتمبر 2019 هذه الرؤيا.

(رأيت أنني انتهيت من تأليف كتابي الجديد عن علامات الساعة وتمت طباعته وتسليم جزء من النسخ إلى دار النشر، وتبقى في سيارتي باقي نسخ كتابي الجديد لأورّعها على باقي دور النشر، فأخذت إحدى نسخ الكتاب للاطلاع على مدى جودة طباعتها فوجدت أن الغلاف ممتاز ولكنني وبعد أن فتحتُ الكتاب فوجئت بأن أبعاده أصغر مما كنت قد صممته، فكانت النتيجة أن حجم الكتابة أصبح صغيراً ويحتاج من القارئ أن يقترب بعينه إلى

1 رواه عبدالله بن عمرو، نقله المنذري في الترغيب والترهيب وحكم عنه بأنه: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربها]

الصفحات أو يستخدم النظارة حتى يستطيع قراءة كتابي، غير أنه كان هناك عددٌ قليل من الصفحات في الثلث الأول من كتابي بالأبعاد الطبيعية لأيّ كتاب، والكتابة الموجودة بها طبيعيةٌ ويستطيع الكلّ قراءتها ولكنها لم تكن مثبّتهً جيداً في الكتاب، بعد ذلك ظهر لي صاحبُ المطبعة الذي طبع لي كتاباً سابقاً وهو كتاب (صفة الراعي والرعية) ومعه كتابٌ طبعه لمؤلفٍ آخرَ ويتناول هذا الكتاب الدخان وهي إحدى علاماتِ الساعة الكبرى، فقلت له إن كتابي هذا يشمل جميعَ علاماتِ الساعة ومنها الدخان، فتفحص صاحب هذه المطبعة كتابه الذي قام بطباعته فوجده مطبوعاً بصورةٍ ممتازة غير أن به خطأً في ترقيم الصفحات، فأولُ صفحةٍ وأخرُ صفحةٍ خلف الغلاف ترقيمهما غيرُ متسلسلٍ مع الكتاب، ولكنني لاحظت في آخر صفحةٍ في كتابه آخر آية من سورة الدخان وهي ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩).

كان تفسير هذه الرؤيا كما أخبرني أحدُ الأصدقاء: (أما الثلث الأول والذي تحتوي بعض صفحاته الوضوح ولكنها غيرُ ثابتةً بشكلٍ جيدٍ فإنه يتعلّق بأمرٍ سوف تقع في فتره حياتك ولم تقع بعدُ لكي تثبت، وأما الكتابُ الآخر والذي تم طباعته بشكلٍ ممتاز وواضح، والمتعلق بآية الدخان فهو مؤشّرٌ -والله أعلم- على اقتراب حدوث هذه الآية فهذا زمانها والله اعلم، ولكي تقع هذه الآية سيكون لها بداية تختلف عما نتوقع ونهاية لم نكن نتصور) وفسر صديقٌ آخرُ هذه الرؤيا وقال: (رؤياك تعني اقترابَ ظهور شخص يجتمع الناس عليه ويكون هو الراعي للرعية، وأول آية هي ظهور الدخان في السماء، وبالنسبة لكتابك لن يستطيع فهمه إلا كلٌ ذي بصيرةٍ كبيرةٍ من الله ﷻ ليستوعبَ ما ستكتب، واعتقد أن الأوراق المتأكّلة التي اوشكت على القطع هي تفاسير لآياتٍ واحاديثٍ راسخةٍ عند علماء التفسير، والتفاسيرُ الجديدة ستقطع القديمة، والله أعلى وأعلم) ولم يكن صاحبُ تفسير تلك الرؤيا يعلم أن ما يتناوله كتابي هذا، ولذلك، فقد قررت الاستمرار في تأليف الكتاب بالرغم مما واجهته من متاعب نفسيةٍ بسبب خوفي مما سألاقيه بسبب هذا الكتاب من جدالٍ وتكفيرٍ ومتاعب لا أعلم توابعها.

لقد حاولتُ من خلال هذا الكتاب الجمعَ بين النصِّ الصحيح من القرآن والسنة وبين الحقيقة العلمية بناءً على آخر ما توصل له العلم الحديث؛ فقد وضعت في كتابي هذا آياتٌ عديدةٌ وقمت بتفسيرها بما يوافق القرآن والسنة وبما يطابق هذا التفسير من نظرياتٍ علميةٍ

حديثه، فرتبت أشراف الساعة باجتهادٍ مني، فمن الوارد أن يأتي اليوم أن ينطبق فيه هذا الترتيب أو أن يختلف في ترتيب البعض منه، وواردٌ أن يُخطئ إسقاطي بعض الآيات الدالة على رسولٍ قادمٍ على رسولٍ آخر غير المهدي المنتظر أو سيدنا عيسى عليه السلام، ولكنني حاولت بقدر الإمكان ربطَ كافة الخيوط والإسقاطات من واقع الكتاب والسنة والأدلة العلمية حتى أرتب هذه الأحداث، ولكن في النهاية هذا اجتهاد مني من الممكن أن أصيب في بعض المواطن ومن الممكن أن أخطئ في مواطن أخرى، فأنا لست بنبيٍّ أو رسولٍ معصومٍ من الخطأ، ولكن الشيء الوحيد المتأكد منه من واقع ما جاء في الكتاب والسنة بأن هناك رسولاً قادمًا سيُنذر الناس بعذاب الدخان وأن أغلب الناس لن يُصدقوا هذا الرسول فيقع عليهم عذاب الدخان، ومن ثم ستتوالى أشراف الساعة الكبرى بعد ذلك والله أعلم.

إنه مع اعتقادي في هذا الكتاب بظهور رسولٍ قادمٍ لن يكون علي وزرٍ أحدٍ سيتبع رسولاً مزيفاً دجالاً، لأنني وضعت في هذا الكتاب شروطاً وبياناتٍ سيؤيد بها الله تعالى الرسول القادم حتى لا ينخدع فيه أحدٌ من قرأ كتابي هذا، ومع ذلك سيتبع الرسول القادم عدد قليل، وكتابي هذا وإن انتشر فلن يضيف أو ينقص هذا العدد القليل إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك؛ ولكن سيكون وزرٌ من يُكذب ويجادل ويسبُّ الرسول القادم سيقع على عاتق العلماء الذين قرأوا وتدبروا الأدلة والبراهين التي ذكرت في الكتاب والسنة والتي تُثبت مجيئ رسولٍ قادم، ومع ذلك أصرُّوا وأفتوا بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله خاتم المرسلين وليس خاتم الأنبياء فقط كما هو مذكورٌ في الكتاب والسنة، ومن أجل فتواهم هذه سيضلُّ عددٌ كثيرٌ من المسلمين الذين سيكذبون الرسول القادم، فيتحملون بذلك وزر فتواهم ووزر من أضلوهم، ولن ينفعهم حينها قولهم (هذا ما وجدنا عليه آبائنا وعلماؤنا السابقون) لأنهم جاءتهم الأدلة والبراهين فجادلوا فيها ورفضوها، فخرجوا أن تتفكروا في مصير ابنائكم وأحفادكم عندما سيُنذرهم الرسول القادم بعذاب الدخان، فكلُّ الرُّسل تم تكذيبهم من أغلب الناس وهذا ما سيحدث مستقبلاً مع الرسول القادم -والله أعلم-، فلم تزلِ الرُّسل تتوالى بتوالي الأمم، وتتعاقب على مر الزمن، ويتم تكذيبها في كلِّ عصرٍ من أغلب الناس، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 44].

إن المتوجّه إلى الله لا يُعلّق إيمانه على رأي الغير، بل يفكر بعقله، وينظر بعينه ويسمع بأذنه

لا بأذن الآخرين، ولا يترك للتقاليد أن تقف حجر عثرة في سبيله إلى الله ﷻ، فكم من التقاليد والعادات القديمة تركناها، وكم من نظرية قديمة أخلت مكانها لأخرى جديدة، وإن لم يجتهد الإنسان في البحث عن الحقيقة فإنه سيظل في ظلمات التقليد مردداً ما قاله الأولون: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف].

وسأختم هذا الكتاب بما جاء في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْأَفْرَىٰ أَهْلَكْتَهُم لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ [الكهف]، وسأترك لكم تدبر تلك الآيات بنفس الطريقة التي أتبعتها في تأويل الآيات الواردة في كتابي هذا، فهذه الآيات أعتقد -والله أعلم- ستكرر عند ظهور الرسول القادم الذي سيأتي بالهدى ولكنه سيقابل بالجدال والتكذيب، فهذه هي سنة الله ﷻ التي لا تتغير، فقد قال الله ﷻ: ﴿سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء].

إنني لست بمستغن عن أي ملاحظة تسد نقصاً أو زيادة أو ترتيباً لأشراط الساعة في هذا الكتاب هو من طبيعة عمل البشر، فأنا لست بنبي أو رسول معصوم من الخطأ، والشكر أقدمه سلفاً لكل من ساهم بملاحظة مفيدة، أو لم يخل عليّ بدعوة بظهر الغيب صادقة، أصلح الله ﷻ أحوال المسلمين ووقاهم الشرور والفتن، وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا ومعلمنا سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين.

وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل مني هذا الجهد قبولاً حسناً وأن يبارك فيه وأن يجعله من أعمالي الصالحة التي أتقرب بها إليه؛ كي أكون رفيق النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والشهداء في الفردوس الأعلى إن شاء الله.

المصادر والمراجع

- 1- الكوارث العالمية: مقدمة قصيرة جدًا لبيل ماجواير ترجمة أشرف عامر.
- 2- انشقاق القمر: حدث أم سيحدث؟ لأحمد خيرى العمرى.
- 3- التفاسير المقررة لمنهج أهل السنة والجماعة.
- 4- بركان عدن ونيران الحشر بقلم طارق عبده إسماعيل.
- 5- الدابة دراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور محمد بن أحمد العلي.
- 6- دراسات في الفتن والملاحم د. محمد أحمد المييض.
- 7- كتاب النبوات - تقي الدين ابن تيمية.
- 8- كتاب العذاب والتعذيب: رؤية قرآنية للكاتب أحمد صبحي منصور.
- 9- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزقاني.
- 10- البحر المثلثان في اقتناص درر معاني القرآن للشيخ أبي عمران المصمودي الحسني.
- 11- كتاب الفتن لنعيم بن حماد (المتوفى: 228هـ).
- 12- عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى الشافعي (المتوفى: بعد 658هـ).
- 13- من عجائب القرآن الكريم في سورة القمر بقلم/ ربيع عبد الرؤوف الزواوي.
- 14- الموقع الإلكتروني اسلام ويب.
- 15- الموقع الإلكتروني الإسلام سؤال وجواب.
- 16- الموقع الإلكتروني للشيخ محمد صالح المنجد.
- 17- الموقع الإلكتروني كوكب العلوم.
- 18- الموقع الإلكتروني الموسوعة العربية الشاملة.
- 19- خرائط جوجل موسوعة ويكيبيديا.

فهرس

5	مقدمة
11	الفصل الأول: الفرق بين الرسول والنبي
15	• أنواع من يأتيهم الوحي
15	• الصديقين أو الصالحين
16	• الرُّسل
16	• مهمّة الرسل
18	• الأنبياء
18	• مهمّة الأنبياء
19	• الرسول النبي
20	• الرسول من بعث لقوم مخالفين، والنبي من بعث لقوم موافقين
21	• عدد الأنبياء والرسل
32	• المختلف في كونهم أنبياء
33	الفصل الثاني: خاتم النبيين وليس خاتم المرسلين
37	• هناك أنبياء فقط وهناك رُسل فقط
38	• دليل بطلان قول (انه لا فرق بين النبي والرسول)
39	• دليل بطلان قول (أنَّ كلَّ رسولٍ نبيٍّ، وليس كلَّ نبيٍّ رسولاً)
42	• وجوب إرسال رسل قبل آيات العذاب المنتظرة
43	• النبوة هي المقام الأشرف والأعلى درجة
44	• النص القرآني بأن النبي ﷺ هو رسول الله وخاتم النبيين
44	• سيدنا محمد ﷺ يؤكد بأنه قائد المرسلين وخاتم النبيين
45	• ختم النبوة فقط من السنة المطهرة
48	• ما هو صحة حديث إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي؟
54	• آيات قرآنية تُشير إلى بعث رُسل قبل وأثناء أشرار الساعة

- الآيات القرآنية التي تذكر الرُّسل المنتظرين بصيغة الماضي 55
- الفصل الثالث: تكرار اعتقاد كل أمة بأن نبيها خاتم المرسلين** 57
- هذا ما وجدنا عليه آبائنا واجدادنا 59
- تكرار الاعتقاد بعدم بعث رسولاً آخر 61
- الفصل الرابع: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** 65
- إرسال المنذرين 68
- تمسك الأمم بما عليه الآباء 69
- تكذيب المنذرين 69
- إمعان وإصرار على التكذيب 71
- استهزاء المكذِبين بالمنذرين 71
- أمثلة لبعض المكذِبين في الماضي 72
- مرحلة السخرية 75
- مرحلة التهكم والاستفزاز 76
- مرحلة الجدل 76
- مرحلة الاتهام بالضلال 76
- مرحلة الزجر والاتهام بالجنون 76
- مرحلة التهديد بالقتل 77
- مرحلة استعجال الكافرون لوقوع العذاب 78
- عقاب المكذِبين 79
- عقاب الله ﷻ للمكذِبين يكون إما بالإهلاك أو بالتعذيب أو بالاثنتين معاً 80
- ماذا يحدث للمكذِبين حين يستتس منهم الرسل؟ 82
- التعامل مع المكذِبين يحتاج إلى سياسة وفصاحة وقدرة على الإقناع 82
- التدبر والنظر في عاقبة المكذِبين 83
- الفصل الخامس: يوم يأتي تأويله** 85
- تكرار كلمة (تأويل) في القرآن الكريم 88

- أنواع الآيات المتشابهات 92
- الفصل السادس: عصر الجاهلية الثانية وعاد الثانية** 95
- التشابه بين عصر الجاهلية الأولى وعصرنا الحالي 98
- عصر الجاهلية الأولى بمفهومه العام 101
- عصر الجاهلية الثانية بمفهومها العام 101
- التشابه بين عصر عاد الأولى وعصرنا الحالي 104
- عذاب عاد الأولى 105
- عصر عاد الثانية 106
- متى سينتهي عصر الجاهلية الثانية وعاد الثانية؟ 107
- الفصل السابع: يتلوه شاهد منه** 109
- من هم الشهود؟ 111
- اختلاف تأويل الآية الكريمة ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ 116
- من المقصود بالآية الكريمة ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ؟ 117
- الفصل الثامن: رسول البينة** 119
- مفهوم البينة 121
- التأويل المشهور لسورة البينة 122
- تأويل سورة البينة 124
- من هو الرسول المقصود في سورة البينة؟ 126
- الفصل التاسع: انشقاق القمر** 129
- أقوال المفسرين: الرأي والرأي الآخر 132
- ماذا عن الحديث الصحيح؟ 135
- رأي الشيخ الغزالي 138
- المعجزة تتطلب جمهوراً كبيراً 140
- المعجزة الأكبر من كل معجزات الأنبياء والأقل ذكراً؟! 141
- هل من أحد أسلم بسبب هذه المعجزة؟ 141

- أين عقاب المكذبين لآية انشقاق القمر؟ 141
- الأخدود القمري 144
- آية انشقاق القمر ستحدث مستقبلاً 144
- بماذا سيصف الناس الرسول المنتظر عند انشقاق القمر؟ 145
- من هو الرسول الذي سيتم اتهمه بالسحر 146
- ما المدة التي سيظل فيها القمر منشقاً؟ 147
- انشقاق القمر آية انذار 149
- كيفية انشقاق القمر علمياً 150
- علاقة انشقاق القمر علمياً بأشراط الساعة الكبرى 151
- لماذا انشقاق القمر أول علامات الساعة الكبرى 152
- سر سورة القمر 153
- **الفصل العاشر: الدخان المبين** 157
- اختلاف تفسير توقيت حدوث آية الدخان 160
- دليل بطلان الاعتقاد بأن آية الدخان كانت في عصر النبي ﷺ 160
- آية الدخان من أشراط الساعة وقبل يوم القيامة 163
- التأويل الشهير لآيات الدخان 165
- تأويل آيات الدخان بما يتفق مع قول ابن عباس وعلي عليه السلام 170
- هل حدث من قبل أن أنذر رسول قوم سيأتون بعده بعدة قرون بعذاب أليم؟ 174
- سر الآية ﴿فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ 175
- من هو الرسول المبين الذي سيصفه الناس بأنه مُعَلَّمٌ مجنون؟ 176
- ما هو هذا العلم الذي سيأتي به هذا الرسول المبين المذكور في سورة الدخان؟ 178
- ما هو سر العلاقة بين ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ و ﴿بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾؟ 179
- هل مصدر الدخان من الفضاء أم من الأرض؟ 181
- المذنب الطارق 183
- التسمية العلمية للنجم ذو الذنب 186
- ثلاث فرضيات علمية ستسبب الدخان 188

- فرضية سقوط مذنب على الأرض وإحداث الدخان 189
- فرضية حدوث الدخان بسبب بركان هائل 194
- بركان إيافيا لا يوكل أيسلندا 197
- البركان الهائل 199
- بركان توبا الهائل 202
- بركان يلوستون الهائل 204
- الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع . 207
- توقيت وموقع انفجار البركان الهائل أو سقوط المذنب الطارق 208
- شكل الحياة على كوكب الأرض بعد انتشار الدخان المبين 209
- كم يدوم تأثير الدخان على الأرض؟ وما هو دعاء الناس في ذلك الوقت؟ 211
- الفصل الحادي عشر: الرسول المهدي** 215
- تبشير النبي ﷺ بالمهدي 219
- السر في اسم المهدي 220
- وصف النبي ﷺ للمهدي بصورة شبه مفصلة! 221
- ما هي نوعية الإصلاح التي ستحدث للمهدي؟ 222
- المهدي سيعتبه الله ﷻ إلى الأمة 224
- يظهر المهدي والأمة في حالة من الفتنة فيملك ويملئ الأرض عدلاً 227
- معجزة الخسف بالجيش الذي سيحارب المهدي 232
- البيعة 236
- المهدي والملحمة الكبرى 237
- ظهور الإسلام على الدين كله في عهد المهدي 240
- المهدي يسقيه الله ﷻ الغيث 249
- صفة الشخص الذي يصلي خليفة سيدنا عيسى عليه السلام 250
- هل سيظهر الخضر وأصحاب الكهف في عهد المهدي؟ 252
- تشابه حياة المهدي مع بعض الأنبياء 257
- لماذا الاعتقاد بأن المهدي رسول 258

- قصة حياة المهدي من خلال ربط آيات القرآن الكريم بالحديث الشريف 261
- الفصل الثاني عشر: المسيح الدجال** 265
- معنى المسيح 267
- معنى الدجال 267
- علامات خروج الدجال 268
- مكان خروج الدجال 268
- صفات الدجال الخلقية 269
- سرعة انتقال المسيح الدجال 270
- يأتي المسيح الدجال ومعه جنة ونار 270
- يستجيب الجهاد والحيوان لأمره 270
- يقتل شاباً مؤمناً ثم يحياه 271
- كيفية الوقاية من فتنة المسيح الدجال 271
- المسيح الدجال والمهدي وسيدنا عيسى عليه السلام 272
- لماذا ستقع فتنة الدجال ذي ذلك التوقيت؟ 272
- علامات خروج الدجال وربطها بالفرضيات العلمية لأشراط الساعة 273
- الفصل الثالث عشر: نزول سيدنا عيسى عليه السلام** 277
- وصف سيدنا عيسى عليه السلام 280
- كيفية نزول سيدنا عيسى عليه السلام 281
- نزول سيدنا عيسى عليه السلام في عهد المهدي 282
- الأعمال التي سيقوم بها سيدنا عيسى عليه السلام وما يكون في عهده 282
- أجوج ومأجوج 283
- ظهور الإسلام على الدين كله في عهد سيدنا عيسى عليه السلام 285
- سيدنا عيسى عليه السلام في الحج والعمرة 285
- مدة بقاء سيدنا عيسى عليه السلام بعد نزوله ثم وفاته 286
- دليل بطلان الاعتقاد بأن المهدي هو سيدنا عيسى عليه السلام 286

- هل سينزل سيدنا عيسى عليه السلام حاكماً أم نبياً؟ 287
- دليل أن سيدنا عيسى عليه السلام رفع نبياً وسيعود نبياً حاكماً 288
- خطورة الاعتقاد بأن سيدنا عيسى عليه السلام سيعود آخر الزمان حاكماً فقط 293
- هل سيبعث الله تعالى رسول آخر بعد المهدي وسيدنا عيسى عليه السلام؟ 296
- الفصل الرابع عشر: الرسول الدابة** 297
- تعريف الدابة لغة 299
- تعريف الدابة شرعاً 300
- أدلة خروج الدابة 300
- مكان خروج الدابة 301
- أعمال الدابة 302
- أقوال الناس في ماهية الدابة وأوصافها 306
- دليل أن الدابة رسول 310
- الفصل الخامس عشر: طلوع الشمس من المغرب** 313
- غلق باب التوبة 315
- هل يستحق المعاصرون لهذه الآية أن تغلق أبواب التوبة عليهم؟ 318
- العلامة التي تسبق طلوع الشمس من المغرب 318
- ما هو اتجاه دوران كواكب واقمار المجموعة الشمسية؟ 321
- التفسير العلمي لطلوع الشمس من المغرب 321
- كوكب الزهرة 323
- لماذا تطلع الشمس من الغرب في كوكب الزهرة؟ 325
- كوكب الزهرة هو مستقبل كوكب الأرض 327
- كم يطول الزمن بين طلوع الشمس من مغربها الى قيام الساعة؟ 328
- الفصل السادس عشر: الخسوفات الثلاثة** 329
- ما معنى الخسف وما طبيعته؟ 331
- أين ستقع الخسوفات الثلاثة 332

- هل وقعت هذه الخسوفات في الماضي؟ 332
- السبب الشرعي للخسوفات الثلاثة 333
- قبض العلم وظهور الجهل 334
- حال مكة والمدينة في الفترة الزمنية بين وفاة عيسى عليه السلام وانفجار بركان عدن .. 337
- ترتيب الخسوفات الثلاثة بين أشراط الساعة 340
- الأسباب العلمية للخسوفات الثلاثة 340

الفصل السابع عشر: بركان عدن والريح الطيبة 341

- معلومات عن بركان عدن 244
- الإعجاز العلمي والجغرافي والتاريخي والغيبى لحديث النبي عن مدينة عدن .. 344
- بركان عدن في الحديث الشريف 345
- أحاديث نبوية تختلف في مكان خروج النار 346
- بركان هائل هو أول أشراط الساعة وبركان هائل آخر أشراط الساعة 347
- الريح الطيبة 348
- ما هو توقيت الريح الطيبة؟ 348
- كيف سيهاجر ما تبقى من الناس الى الشام 349
- حشر في الدنيا وحشر في الآخرة 350

الفصل الثامن عشر: أرض المحشر بالشام وقيام الساعة 353

- ما هي العبادة المنتشرة في الشام قبل قيام الساعة؟ 355
- الزنى العلني في الطرقات 256
- لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق 357
- الساعة تباغت الناس وتفاجئهم 358
- يوم القيامة 358

الفصل التاسع عشر: إحصائيات مختلفة لأشراط الساعة 359

- الآيات التي تذكر الرُّسل المتظرين 362
- التسلسل الزمني لأشراط الساعة 363

• الزمن الذي ستستغرقه وقوع أشرط الساعة وحتى قيام الساعة	368
• عدد الكوارث الطبيعية الهائلة التي ستشهدها الكرة الأرضية	369
• التفسير العلمي للكوارث الطبيعية الهائلة التي ستشهدها الكرة الأرضية	370
• خريطة عمليات الهجرة البشرية خلال زمن أشرط الساعة الكبرى	372
• مسيرة الحضارة خلال زمن أشرط الساعة	372
• التعداد التقريبي للقتلى والموتى خلال زمن أشرط الساعة	373
الخاتمة	379
المصادر والمراجع	388
الفهرس	389



مؤلفات تامر بدر

- 1 - **فضل الصبر على البلاء؛** قدمه له الشيخ محمد حسان.
- 2 - **أيام لا تنسى؛** قدمه له الدكتور راغب السرجاني، ويتناول المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي.
- 3 - **قادة لا تنسى؛** قدمه له الدكتور راغب السرجاني، ويتناول أشهر القادة العسكريين المسلمين منذ العهد النبوي إلى عهد الخلافة العثمانية.
- 4 - **دول لا تنسى؛** قدمه له الدكتور راغب السرجاني، ويتناول أشهر الدول في التاريخ الإسلامي التي دافعت عن المسلمين؛ والتي فتحت البلدان.
- 5 - **صفة الراعي والرعية؛** ويتناول هذا الكتاب العلاقة بين الراعي والرعية من الناحية السياسية، وواجبات وحقوق كلا الطرفين من المنظور الإسلامي.
- 6 - **رياض السنة من صحيح الكتب الستة؛** وقد جمع في هذا الكتاب الحديث الصحيح والحسن بناءً على ما صححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.
- 7 - **الإسلام والحرب؛** ويتناول هذا الكتاب العقيدة العسكرية الإسلامية.
- 8 - **الرسائل المنتظرة؛** ويتناول هذا الكتاب علامات الساعة الكبرى.



